

الموسوعة الشاملة

في

تاريخ الحروب الصليبية

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

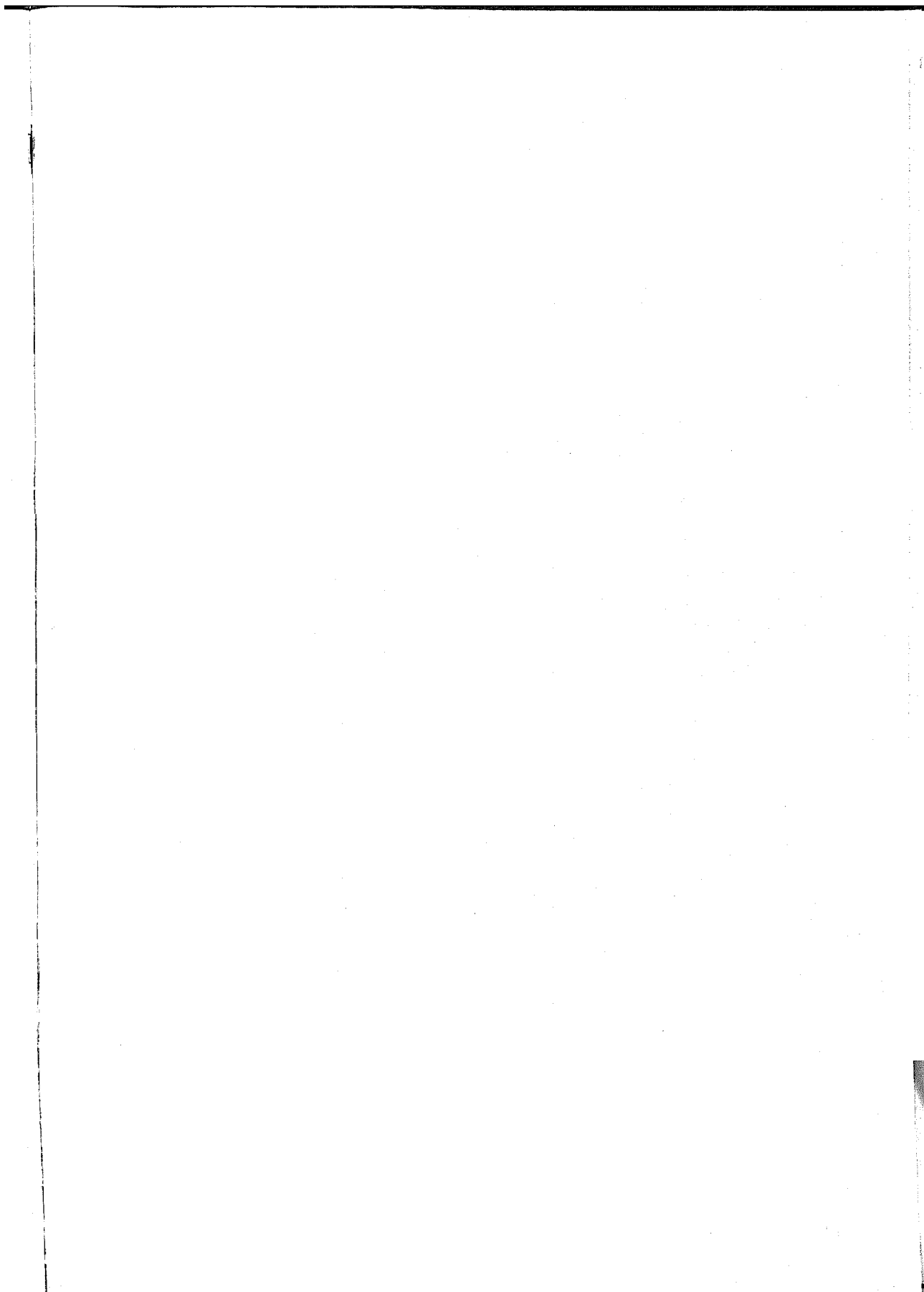
المجلد الثالث عشر

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع







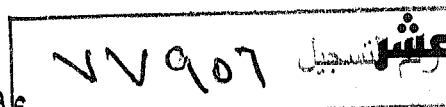
الموسوعة الشامية في تاريخ الحزب والصلبيية

المصادر العربية
مؤرخو القرن السادس (٣)

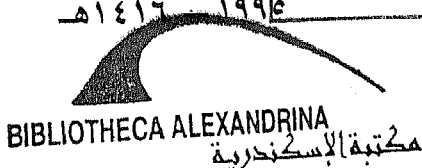
تأليف وتحقيق وترجمة
الأستاذ الدكتور سهيل زكار



دمشق
١٩٩٤ - ١٤١٦ هـ



الجزء الثالث



المصادر العربية

مؤرخو القرن السادس

- من البرق الشامي للعماد الاصفهاني
- الفتح القسي في الفتح القدسي -- للعماد الاصفهاني

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

سألف لنا التعرف الى بعض المؤرخين المسلمين الذين عاصروا وصول الغزاة الفرنجة الى بلاد الشام ، ولدى استعراضنا لأخبار الصراع مع هؤلاء الغزاة أدركنا كم هي هامة السنوات التي تولى فيها قيادة المسلمين كل من نور الدين وصلاح الدين ، وأرخ لأحداثها من جانب الفرنجة وليم الصوري ثم صاحب النيل على تاريخه ، وكان العماد الاصفهاني - وفيما بعد ابن شداد - قد شارك في صنعها والتأريخ لها ، وبناء عليه ان ما كتبه العماد فائق الاهمية ، لكن مما يؤسف له ان هذه الاهمية بددتها صنعة الكلام التي ابتلي بها العماد أكثر من سواء من معاصريه .

والعماد هو : محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ، ولد في اصفهان سنة ٥٩٧هـ / ١١٢٥ م ومات بدمشق سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠١ م ، وهو بعمره المئيد كان شاهد القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد .

انحدر العماد من اسرة رفيعة المكانة ، عمل رجال منها بالإدارة ، وشهروا بسعة الثقافة ، واتفقوا العربية والفارسية ، وكان العماد قد نشأ في اصفهان ، وفيها تلقى علومه الاولى ، وفي سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م التحق ببغداد حيث تولى بعض الأعمال الادارية ، وتمتع بالسلطة وعانى من تقلباتها ، وكانت كثيرة مفاجئة آنذاك في بغداد ، وهكذا بعدما أمضى بالاعتقال قرابة العامين التحق بدمشق سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وكان على معرفة بنجم الدين أيوب وبعده شخصيات في دولة نور الدين ، مما هيا له السبل للعمل في ادارة نور الدين ، وفي عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ، تسلم ديوان الانشاء في دمشق ، وظل يعمل

به حتى وفاة نور الدين ، واثر هذا بامد وجيز استخدمه صلاح الدين ، وظل مرافقا لهذا السلطان العظيم وقريبا منه حتى وفاته .

وفي مواد موسوعتنا اشارات مفصلة للعماد وللادوار التي تولاه ، لايل حتى لاسماء بعض ما صنفه او ترجمه ، وكان العماد خصب الانتاج في ميداني الادب والتاريخ ، اهتم - بحكم كونه اتقن نظم الشعر - بشعراء العربية في عالم الاسلام في ايامه شرقا وغربا ودون اخبارهم في كتابه « خريفة القصر وجريفة العصر » ونيولها له . وفي حقل التاريخ كان اهم ما صنفه :

١ - كتاب « نصرة الفترة وعصرة القطرة » أرخ به لسلطين السلاجقة ووزرائهم وأعيان دولهم ورجالاتهم ، وبنى أصل هذا الكتاب على كتاب صنفه بالفارسية الوزير أنو شروان بن خالد ، وعنوانه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » ، ونظرا لصعوبة التعامل مع لغة العماد فقد قام الفتح البنداري في العصر الايوبي بتهذيبه ، مثلما هذب غيره من كتبه ، والمتداول المطبوع في ايدي الناس ، هذبه البنداري ، علما ان هناك نسخة خطية من اصل العماد محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس .

٢ - كتاب « الفتح القسي في الفتح القدسي » ويقال « الفتح القسي » وهي التي نقدم له اليوم ، وواضح من عنوانه أن العماد استهدف من تصنيفه التأريخ لفتح القدس وازالة المملكة اللاتينية من الوجود ، وفي الحقيقة أرخ به العماد للفترة الممتدة من سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م حتى سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣ م ، السنة التي توفي بها صلاح الدين ، وما دونه العماد في هذا الكتاب ، دونه بشكل او آخر في كتابه .

٣ - « البرق الشامي » ويفترض ان العماد جعل هذا الكتاب في سبعة اجزاء ، أرخ فيها من تاريخ قدومه الى الشام سنة ٦٢ هـ / ١١٦٧ حتى وفاة صلاح الدين ، اي أرخ فيه للدولتين النورية والصلاحية ، المهمة سيقوم بها بشكل اوسع ابو شامة في كتابه الروضتين .

ولم يصلنا كتاب البرق الشامي بأكمله ، بل وصل إلينا من أجزائه الثالث والخامس ، وقطعة كبيرة تتضمن جل المتبقي من الكتاب ، وجرى نشر الجزء الثالث في عمان ١٩٨٦ ، وكذلك الخامس في السنة نفسها والمكان نفسه ، وذلك اعتمادا على المخطوطة الوحيدة لهما المحفوظة في مكتبة البودليان في أكسفورد ، ووقفت على القطعة المتبقية في الخزانة العامة بالرباط ، وهي مصورة على شريط ، كان قد أودعه فيها المرحوم المختار السوسي ، ولانعرف الآن مكان الاصل المصور ، ونشرت في مجلدنا هذا نموذجا من هذه القطعة .

لم يكن من السهل التعامل مع كتاب العماد هذا لصعوبة لغته ، فقد تغيبت المعاني وتبددت أخبار الوقائع داخل صنعه السجع الممل . مع ان بعض جمل هذا السجع رائعة التصوير ، دقيقة جدا ، لكن هذا نادر الوجود صعب التحصيل ، والاقدام على تحقيق هذا الكتاب مفامرة محذوفة بالمخاطر ، ربما سيكون الخطأ في قراءة النص اكثر من الصواب ، وبالنهاية ان المحصلات قليلة القيمة لاتسمن ولا تغني من جوع ، واضرب هنا مثلا انني قمت بمقارنة سريعة للصفحات : ١٧٠ - ١٧٩ من الجزء الخامس المنشور في عمان فوجدت فيها / ١١٥ / كلمة صحت ولم يحالف المحقق التوفيق في ضبطها مع انه بذل جهودا طيبة في هذا المجال .

وقديما واجه ابو شامة وسواه مثل ابن واصل هذه المصاعب فاقترضوا بالذقل بتصرف من نصوص العماد ، وحاول الفتح البنداري حل هذه المعضلة فهذب كتاب البرق الشامي ، ودعا الكتاب الجديد المذهب « سنا البرق الشامي » وسلف للباحث التركي رمضان ششن ان عثر منذ ثلاثة عقود من الزمن على مخطوطة غير كاملة من هذا الكتاب فنشر الجزء الاول منها في بيروت عام ١٩٧١ ، ثم جرى نشر المخطوط كاملا في القاهرة عام ١٩٧٩ محققا بشكل معتدل من قبل فتحية زبراوي .

وبناء على هذه المعطيات وجدت انني لن احقق فوائد تذكر في تحقيق الموجود من كتاب البرق الشامي ، وان الاقتصار على الفتح القسي فيه كفاية . والقارئ لما كتبه العماد يلاحظ مدى اعتدائه بنفسه وبالادوار التي قام بها ، واقاد هذا حيث تولى وهو كاتب الانشاء - ايداع كتابيه عددا كبيرا من الوثائق ، ولحسن الحظ قام ابو شامة بنقل نصوص هذه الوثائق وغيرها وادعها في كتابه الروضتين كما اقتبس ما كتبه العماد عن الوقائع التي حدثت بعد وفاة صلاح الدين وعليه لم نفقد شيئا بعدم نشر كتاب البرق الشامي .

سيكون مفيدا مقارنة ما كتبه العماد بما كتبه وليم الصوري وصاحب النيل على تاريخه وايضا بما كتبه ميخائيل السوري ، ففي هذا مجال لرسم الصورة بشكل اكمل واصح ، وهذا ما توفره موسوعتنا هذه للمرة الاولى للقارئ العربي ، وسواه .

من الله أسأل العون والسداد ، وله جل وعلا المزيد من الحمد والشكر والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى اله وصحبه اجمعين .

سهيل زكار

دمشق ١٦ - ذي القعدة - ١٤١٥ هـ
١٥ نيسان - ١٩٩٥ .

من

كتاب البرق الشامي

للعلماد الأصفهاني الكاتب

ودخلت سنة ثلاث وثمانين

وهي السنة المحسنة ، والعام الذي عامت به في بحار الانعام بالاخلاص والحمد القلوب والالسنه ، والزمان التي تقضت على انتظار احسانه الازمنة ، والعصر الذي احسنت به الامة المؤمنة ، وظهر فيه المكان المقدس الذي سلمت لسلامته الامكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الارض المقدسة الممتحنة . وتمكنت من رقاب اعداء الله به الاسنة بأيدي اوليائه المتملكة المتمكنة ، وتبسمت من غرار الغرور باحتباء حبرات الحبور الاجفان المتوسنة .

وفي هذه السنة نزل نص النصر ، وكفت كف الكفر ، وعلت اعلام الاسلام ونفذت احكام الاحكام ، وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفرة واسارهم بالسفك ، والهتك ، وتمكنت فيهم ايدي الايد بالفتك ، وضاق بهم رحاب الملك ، وطمت للدين بالسواحل بحار الملك ، ونصرت الدولة الناصرية ، وخسدت الملة النصرانية ، وحق الاعداء بالحق ، ودخل من قر فوق الامرة من تلك الاسرة تحت الرق ، وطالت ألوية الاولياء ، وسالت أودية الاوداء ، ونال الاحماء فضل رب السماء ، وتجلت مآزير النعماء ، وظهر سر السراء ، وتميز الطيب من الخبيث ، وانتقم التوحيد من التثليث ، وبنيت للدين اعانة العين ، واغاثت المغيث ، وشاع في الدنيا بمحاسن الايام الصلاحية حسن الاحايث ، وبلي الفرنج الفجرة بما أثاروه وأثاروه في البلاء من التأثير والتأريث ، وأحسوا من المصيبات التي فجأتهم فعمتهم بالكرس الكريث ، وافتضت بالذكور اليمانية في الحرب العوان الفتوح الابكار ، وحلبت هدى الهدي ، في ندى الندي ، وحليت بحلى الحلبي وقلبت الانكار ، واعترف من عادته الجحود وأقر من دأبه

الانكار ، وملكت من معاقل الكفر على من باض فيها وفـرخ
الأوكار ، واعتري ليلهم يوم الاعتراك الاعتكار .

وتناهت بالفتوحات الممنوحات في هذا العام عشي أيامه
والابكار ، وكانوا كما قال الله تعالى : « وتري الناس سكارى
وماهم بسكارى » فبالله ذلك العذاب الشديد والاسكار ، وقد
وصفت في الكتاب الموسوم بالفتح القدسي هذه الاحوال ، ووسعت
ووشعت الاقوال ، وحليت الفتوح ، وأملت الشروح ، وأهديت
المذوح ، ونفخت في أجسام تلك الأيام باحياء ذكرها الروح

وأنا أورد في هذا الكتاب مما أوردته جملته الجميلة وجلالته
الجليلة ، وحالته الحالية ، وقيمتة الغالية ، وفضيلته
الفاضلة ، وعدالته الشاهدة وشهادته العادلة .

ذكر مقدمة لذلك مباركة ومكرمة من لطف الله
متدركة .

كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب واستدعت الغرائب
بالرغائب وقرب جنحية الاقارب والاقاصي مظهرات
مكرماته والجوهم على عادات علاء عداته (١) وسمات
حسناته ، وواصل الموصل بالبر البري من المر ، وسنجار استجري
المذاكي الخلية الوهن ونصيبين للأسعاف نصيب الاسعاد ، وأمد
نيار بكر بالامداد بعد الامداد ، واستدعى عساكر ممالك الشام من
الأطراف والأوساط ، وأمرهم بالاحتياط ، وصانهم للاقتصاد في
القضم من التفريط والافراط ، وبرز من دمشق يوم السبت أول
محرم في العسكر العرمم ، والعزم المصمم للفرض المحتم والرعب
الى العدو والباس المقدم ، ومضى بأهل الجنة بالجهد الى أهل
جهنم ، فلما وصل الى رأس الماء (٢) اتخذها مذبح نحو الهيحاء
ومضمار خيل الاجراء ومثار العجاج المكرر على نهار الروع ليل

الظلماء ، وجعلها مطلع فلق فيالقة ، ومحيط مضارب
سرادقة ، ومجال رواعده على بوارقه ، ومجر سوابغه مجرى
سوابقة ، ومجمع جموع خلائقه ، ومحمى حماة حقائقه ، ومحشر
معاشره ، ومربض أساده وقساوره ، ومخيم جيوشه ومجثم
عساكره ، وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك
ليستدني اليه الأمراء الواصلين والاملاك ، ويجمع الأعراب
والاعاجم والأتراك ، ويدأوم لما... (٣) فرط الاستدراك ولايفارق لما
يلزمه الاحاطة بعمله الادراك ، ويضم لمجمع الاجناد
الاشتات ، ويجم لموسم الجهاد الأوقات ، وسار السلطان الى
بصرى ، وخيم على قصر السلامة ، وقد استقبل من الله
الكرامة ، والاستقامة .

ذكر السبب في ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك • وفسخه للهدنة • واعتماده
من قطع الطريق وخافة السبيل كل مافي المكنة • وهو على طريق
العسكر المصري والحاج • شديد الالتجاء • وفي بحر
اللاج • وكان في الحج حسام الدين محمد بن عمر بن
لاجين • ووالدته اخت السلطان مع جملة من الخواص
المقربين ، وأقام الى تلقي الحجيج • واستقبل محيا لقائهم
البهيج • ورأواهم الأريج • وخلا من منعلم سره • وتجلي
لبشرى سلامتهم بشره • وذلك في آخر صفر • ووجه صباحته
لاسفار صبيحة الظفر سفر • ثم لما فرغ باله • جم الى الكرك
استقلاله • وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها
نزول الحاص الحاصر • وأقمنا هناك نرعد ونبرق • ونوقد
ونحرق • ونرمق ونومق • ونهرق ونزممق • ونفرب
ونشرق • ونضايق ونضيق • ونجمع البلاء على تلك البلاد
ونمزق ، حتى اجتثت أصولها وفروعها ، واستأصل كرومها

وزروعها ، وقطع ما وجده من لينة ، وأذهب مرقاه من زينة ، وفرى
وقرى وفصم العرى ، وابسط الذرى ، وهجم على ظهر
الثرى ، وحلب حر النجح هدى ، وشب الشوبك نار الوعيد بإشارة
رأس الوليد ، وقطف ثمر النصر من ورق الحديد ، ووصل العسكر
المصري متصل المدد ، محتفل العدد والعدد متضج الجد
والجدد ، ومضطرم للهام ، ملتهم للضرام ، ملتهب الجمر ، ملتهج
الجمع ، أخذه بوارقه ورواعده ، بالبصر والسمع ، فقوي
الاستظهار واستظهرت القوى ، وسافت وراقت مزاينه المجلوبة
ومحاسنة المجلوة ، وأقمنا على الحالة الحالية والجلالة
الجالية ، والمهابة المرهبة ، والمحبة المرغبة .

ذكر ظفر السرية التي بعثها الملك الأفضل وعودها
بالنصر الأكمل والغنم الأجل .

أما الملك الأفضل فانه اجتمعت عنده الجذود من كل فريق ، وأتوه
من كل فج عميق وضاق بوفودهم القضاء ، وفاض بوفورهم
القضاء ، واجتمع من دجى عتيرهم ومشى بذورهم الظلام
والضياء ، واشتبكت الأرض والسماء ، وطفا على بحار الرحاب
من القب والقباب الحباب ، وطما بأمواج العوامل وأفواج الجحافل
من الكمت والكماء العباب ، وانقضى من السنة شهران ، وطال بهم
انتظار السلطان ، والدين يتقاضاهم بينه ، والكفر يتحماهم على
حينه ، فرأى الملك الأفضل ان يشغلهم بغزوة يعودون منها
بحظوة ، فأنهض منهم سرية سرية نخية على ذوي البسالة والبأس
والشدة والمراس ، ورتب علي خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق
وبدار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران الأغلب الأعز ، وعلى
عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرد بن ياروق . وهو الذي
بحماسته يرتق من الاسلام بالفتوح الرتوق . وعلى عسكر دمشق
وبلادها صارم الدين قايماز . وهو يفوق عضاء مضاربه الصارم

الهرماز والعضب الجراز • فأسرجوا الخيل • وأدلجوا
الليل • وجروا من السابريات النيل • وأجروا من الأعوجيات
السيل • وجلبوا الى العداة الويل • وصبحوا صفورية في أواخر
صفر • وصباح النصر قد افتقر • فخرج اليهم الفرنج في حشود
جهنم وريونيللم • وجنود ابليس واسود تحمي العريس •
وسراحين على سراحيب • وأهـاضيب تتحلحـل
أهـاضيب • وتعتقل اناييب وتشتمل شاييب • في الداوية
بأدواتها • والاسـبتار بأسوائها • والبـارونية
بـلاوائها • والتـركبولة وأربائـها • والفـرنجية
بضرنائها • ووثبوا في وثبات الأساد • وحملوا في ثبات
الأجواد • فلولاً ان الله قد اصحب اصحابنا التوفيق وهدى أهل
هذه الطريق • لكاد الكفر ينجو والاسلام لايعتز بالأجر • لكن
أمـرائه الكرام اسـتطابوا الحمـام • فـلاقوهم بـقلوب
الصخور • وحبور الصقور • وباشروا بصـدورهم صـدور
الأسنة • وغامروا بنحورهم نحور الأعنة • فأتاهم الله النصر
المني • والظفر السنني • وسقوا منهم حنين الحنايا • وأدركوا
فيهم منى المنايا • وقازوا وظفروا • وحازوا وانتصروا • وقتلوا
وأسروا • وهلك مقدم الاسبتار • وحصل جماعة من فرسانهم في
قبضة الأسار • وعادوا سالين ساليين • غانمين غالبيين • وقد
كبسوا وكسبوا • وسحبوا نيول الاختيال بصدق ماحسبوا • وكانت
تلك الذوبية الحلوة • والخطوة الصفوة • بأكوره
البركات • ومقدمة مابعدا من ميامن الحركات • واندرج ان الله
يعلي لأوليائه الدرجات • ويسـوق زمـر أعدائه الى
الدركات • وجاءتنا البشرى ونحن في نواحي الكرك والشوبك ندور
ونجول • ونجور ونذور وعلى الأعداء منا الدحور والثبور • فلما
قرأنا الكتب بالاستنهاض والانبجاث حللنا حبلى اللبث وعقدنا عزم
الانبجاث • واستمهلنا مهول الأوعاث •

ذكر الاجتماع بالعساكر .

وعدنا واجتمعنا بالعساكر ، وانتظم عـــــــل الأوائل
والأواخر ، وخيمنا على عشترا ، والقدر يقول للسلطان تعيش
وترى ، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذرى ، واشتمل المعسكر
على فراسخ عرضا وطولا ، وملا بالملا حزونا وسهولا ، فما يرى الا
خيل صفون رخص كأنها حصون ، وزحف موضون ، وعضب
مسنون ، وفيض مكدون ، وحركة وسكدون ، وركوب
وركون ، وجنات وعيون ، وفلك في بحر من العسكدون في البر
مشدون ، وضائق الأيام عن عرضها ، وتقاضت الليالي
بقرضها ، ونزلت جذود سمائها الى جذود ارضها ، فللمقانب
مناقب ، وللمواكب من الخرصان كواكب ، وللكتاب من الشجعان
مناكب ، وللذوائل ذوائب ، وللعصب من البيارق عصائب ، وللريح
سحائب ، وللوهج مشارق ومغارب ، وللمراكب مراقب وللسلاهب
جنائب . وللحقائق حقائق ، وللمواهب مزاheb ، وفي كل يوم انفاق
وارقاد وارفاق ، واشراف واشراق ، واعتلاء واعتلاق ، واعتناء
واعتناق ، واجتماع لا افتراق ، وانطلاق واندلاق ، وامتناء
وامتراق ، وايلاف وائتلاف ، واستباق والتحاق ، واختفاق من
أولية الأولياء واصطفاق ، وضمر وعناق ، وسمر ودقاق ، وبيض
رقاق ، وعطاء حساب ، وكأس من الجوددهاق ، وعرض العسكدون
في اثني عشر الف مدجج ، في ليل العجاج مدلج ، يشتمل على عدة
جنائب اسعاد أتت في الجري شمائل ، وجنائب سواغب تجري بها
الرياح ، ورماح شيلها المراح ، ورواسي ســـــواري ، وأعلام
جواري ، من كل كاف بلام ، وراء لعين حمام ، وضارب بضرام
وهام لهام لهام ، وضلغم ضرغام ، ومصمم بصمصام ، وحاسم
بحسام ، ومقدام لهمام قمقام ، وفارس للأسد فارس ، وللروع
ممار ممارس ، وللصبح بما يثيره حابس ، وباشر بالكريهة غير
عابس ، قاذح لسنا السنايك قابس ، مناف لعدة الاسلام في الدين

منافس ، وكل مجاهد بسر الصدق مجاهر ، ومظافر لاولياء الله
مظاهر ، ولعاشر الحق معاشر ، وباسل للبأس باسر ، وللفتخ
الكواسر كاسر ، ولكأس النجيع حاس وعن ساعد الجدد
حاسر ، ناصب لنصرة الدين ماله غير الله من ناصر .

ذكر الدخول الى الساحل للقاء الفرنج ، وكان الرحيل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر

ولما انقضى العرض . اقتضى الفرض . وسالت بأفلاك السماء
الأرض . والتطم البحر . والتمم الجمع . والتهب الجمر .
واضطرب المجر . واحتبس الفجر . واقتبس الأجر . وقربت
الضمر . وبرقت البيض والسمر . وردت بالردى العداة الزرق المنايا
الحمر . ونشرت للأواء بني الأصفر الألوية الصفر . وراقت لنصرة
ثمر النصرة أوراق الحديد الخضر . وأنارت بالأيامن الفر الايام
الغبر . وتمكن في قلب الكفر من بأسنا الذعر . وانصف الدهر .
واسعف النصر . وكان السلطان قبل يوم رحيله . وعزم الجهاد لله
في سبيله . اركب العسكر بعدته وعدته . وحبيده وحدته . وبيضه
ومجره ولجه . ورتبه اطلابا . وحزبه احزابا . وعين رجال القلب
ومن يقف بالقرب . والميمنة وحماتها . والميسرة وولاتها .
والجناحين وقوادهما من ذوي الاقدام . والمقدمة والساقة على سنن
النظام . وعين مواقف الرجال ومواضع الأبطال . وعين الجاليشية
من كل طلب ورماة احداقها وحذاق رماتها . وعين لكل امير
موضعه . ولكل منير مطلع . ولكل اسل مركزه ولكل سحبل
منهزه . ولكل أسد عرينه . ولكل قرن قرينه . ولكل جحدم
مقامه . ولكل مرام مرامه . ولكل عازم مذهبه ولكل حازم
موكبه . وقرر مـظانـهن في الركوب والنزول والثبوت
والحلول . ومعارج الصفوف . ومدارج الزخوف . ومناهج
الحتوف . ومخارج المثين . وموالج الألوف .

وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر بالعساكر . والاسد
القساور . والفتخ الكواسر . والقضب البواقر . والفلك
المواخر . والسحب المواطر . والسحح الدياجر . والحمس
الزوائر . والغر السواقر . والبيض الزواهر . والسمر
الشواجر . والبيض المغافر . والقوم المعاشر . والبلاد
والحاضر . والخف والحافر . والصلب والمساجر . والأكارم
والأكابر . والساعي والسيائر . والعالي
والفاخر في عايات سفره . رعن الرعن لعايات كفره . حزن الحزن
وهى . مغاوير هدى . دان لها التقدير الخماير عدى . دنا منها
التدمير . وسارت على ترتيبها وتعبئتها وتذكيبتها وتذقيبتها محشورة
عصائبها مذشورة ذوائبها . سائلة أوبيتها . جائلة ارضها . فهي
تخرق الخرق . وتغرق الغرق على الفرق . تملأ الوهاد
بهوائها . وتكلا من العوادي بعوايها . وأناخت ليلة السبت على
خسفين والكفر مخسوف . والشرك مكسوف . وكل جبل بلجها
مذسوف ونسيم النصر من قوتها مسوف . وللأقدام في لج الأقدام
رسوب ورسوف . وللدين في فضله وعدله ولل كفر عسوف . وباتت
تلك الليلة والرماح مركوزه والصفاح مهزوزة . وللمقربات
تصال . وللمضروبات صقال . وللمذسوجات اجراء . وللشريجات
اغراء . وللعوج رنان . وللأعوجيات رهان . وللقساطل
اقساط . وللصواهل أصوات . وللسلامة امراط . وللاستقامة
صراط . ولأوراد المنايا فراط . ولأقطار الجو من جوانب الأسنة
اقراط . ولحكم الظفر من مقتضيات القدر مناط . وللقيام
اشتراط . وللقناد اختراط ، والعسكر بساط . وللعثير
اضباط ، وللهمم اعباط . وللهمم ارتباط . وللبهم
اختباط . وللأمم احتياط . وللعزم نشاط . وللحزم
يشاط . وللمغامم اختلاط . وللصورم اشتطاط . وللنجم
مماط . وللأفق منه سماط .

فلما بكروا ركبوا وكبروا . واخذ بحرهم في الالتجاج . وبرهم في
الارتجاج والجو في الارتجاج . والدو في الامتراج . وقلب الكفر في

الانزعاج . وجند السماء والأرض في الامتزاج . والصبح في الانبلاج
لولا معارضة العجاج . وخضرم الخضراء من غبرة الغبراء ذو
الأمواج والأفواج . وتلتها أفق العجاج . وقوس الترائك لامعة في
الأبراج . ومضايق الزحام داعية الى الانفراج . والأسد سابحة في
غاب القنا الى الهياج . وأجنة الحنايا مشرفة على
الاحراج . وأسنة المنايا مشرعة للانشاج . وأعنة السرايا مسرعة
للادلاج . وليل الخيل داج . وطرف الغزالة ساج . ورعب الجيش
يخامر الدهر شاج . ونقود الرواحل من عقود الرواغب في
رواج . والشوارع نازعة للآجاء واسراء من الجام
واسراج . ونزلوا بثغر الأقصوانة حروض راء . وعقد غير
واء . وعزم غير باء . وعز متباء ، وسعد متناء . وحكم أمر
ناء . وعيون ذات اسباء . ووجوه نضر ذي اتجاء . ومضاء للفضاء
مضاء . وشفار بيض لها مع الأعداء شفاء شفاء . وضربت
الخيام . وغصت الوهاد والآكام . واشتد الغرام . وامتد
الضرام . ووجد بالجد العرام . وتقدمت المساعي وسعت
الأقدام . وعلت الأعلام الأعلام . وزها الاسلام . وأمكن من الكفر
الانتقام . وحمي للتحزب الحمام . وشد للتحرم الحزام . وأقام
الطيب . وطاب المقام . وزاد في الكف اكفاء الكفاح مراح
الرماح . وتصافح الصفايح . وعرف كيف ركوب الجبال
للرياح . ووعدت الظباء الظلماء بإروائها من الأرواح .

وأقام السلطان هناك خمسة ايام الى يوم الخميس . في ذلك
الخميس بضراغم الخيس . وقساور العريس . وبنات قواعد
التأسيس . وأساة المضايق بالتنفيس . وحماة الحقائق في طوري
الايحاش والتأنيس . وولاة الفيالق المباشرة بالبشر يوم
التعيس . ورماة المآزق في ادارة العذاب البئيس من بلاد الشرك
بدار الدريس . واقتداح زناد الأفراج . وانهاض جناح
النجاح . الى ارداء اهل الجناح . وكيف وأين ومتى يكون
اللقاء . وهل يفترق الاحباب . وقد اجتمع الأعداء . ثم صممنا

العزائم على تثبيت الاقدام للاقدام . وسلب لبس السلامة من ملابس عادة الاسلام .

ذكر ما اعتمده الفرنج

أول ما سمع الفرنج باجتماع كلمة الاسلام . ووصول امداد العساكر المصرية والجزيرية الى الشام فرغوا من هجوم حين حينهم . وشرعوا في اصلاح ذات بينهم . وزحفوا عن التفاير والتنافس الى التضافر والتوانس . وقالوا : نحن انصار النصرانية . واصلاب الملة الصليبية . وقيام القيام بها . وعصب العصية . وعمدة المعموية . وداروا بدرافاويق الوفاق . ونزعوا الى نزع شقق الشقاق . وأثار القوم صلح القومص (٤) ووصلوا على مراده مطلع امانيه بالخلص . ثم تزاوروا وتوازروا . وتضافروا وتظاهروا . وحشدوا وحشروا . ونصروا واستنفروا . والتأموا واشلأموا . وتذمروا وتذمموا . وتخطوا وتورطوا . واخترموا واخترطوا . واشتطوا وافرطوا . وندموا على ما فرطوا . وخطبوا وخبطوا . وامتزجوا واختلطوا . وقبضوا وبسطوا وقسطوا وفي ايديهم اعطوا . وجمعوا عبدة الناسوت واللاهوت . ورفعوا صليب الصلبوت . وثار اليه كل ملتاح الى الثأر مرتاح . الى النار دار بالجلب الجرار . واريفلح الأوار . ضار بلا ضرار . مستمر مع اسرار . غمر من الأغمار . وكل مغو مغوار . وباد بادبار . وناز بزناز . وكافر فجار . وناكث غدار . وباسل ذي بأس . وفارس للأساد فراس . وداوي داء خبيته عضال . واسبتاري له دون تباره نضال . وباروني يبارى البوار . وتركبولي لا يترك الغوار . وينزع النزاع الى الاوتار الاوتار . وكل متدرع بجلد أرقم يهز أفعوانا . وكل شيطان يجر لهتخ ماء الأرواح أشطانا . وكل متميز في الوغى متمرن على الردى مترنم . بصليل الظبا مترنح . بكعوب القنا متوقح . بضراورة الشر على ضاربي الشرى متوقد . يغض

الجمع الجم كأنه حمر الغضا . مقتحم للطبيعة النارية شواظ
لظى . ضرب كالغضب المنتضى . تنحت كالشبا . وكل جحيمي
جاحم . وضرامي ضارم . وجهنمي بجهامة . وممتري
بصرامة . وناري يافح . وحجري يقدح . ومارد مارج . وصرف
للشر ممازج . وسعري ذي استعار . كأس من عار . حاس من دم
جار . عاس على العجم جاس في الهجم . خاس في الرجم . قاف
اثر الفتي . كاف بعين البغي . جاف على النثر والطي . حاف في
الزعف راد بالزحف . ساق بالحدف . ناصب بالفعل جازم
بالحدف ، وشارب نجيع شار ، وضريب قريع ضار ، وكل مجترم
مجترح محترف للموت مقترح ، حقيق بالروع مصطبح ملتفع ملثم
القطوب ملتفع مصطلم لذلم الخطوب مصطلم ، وكل ذي فضفاض
وسابغ ونضناض لادغ ، وعاو زائف ، وعار في الدماء
والغ ، وسالب باسل ، وطالب باطل ، وعامل ناصب ، وعاسل
لاسع بعاسل ، وكلب نابح وثعلب ضابح ، وسرحان سارج ، وذئب
جارج ، وزرق تمتش بزرق الاسنة ، وشقر تعبي الشقر بصرف
الاعنة ، وكل رامح رام ، ونابل ناب ، وراحض عاب ، وحاضر
غاب ، ومرتكب كبائر ، ومرتكب جرائم ، ومبتكر جرائم ومشارك
عظائم رثبال ، وأمعط مغتال ، وأمرط ضال ، فعاموا في بحر
العمى ، وحاموا من الردى حول الحمى ، وغاروا للاقتحام
الوغى ، وأصحروا بصحراء صفورية في غيل القنا ، وطلبوا في نهج
المنايا نجح المنا ، ومشوا الى المداناة ، ونأوا عن الونى ، وطمى
سيل خيلهم على الوهاد والثرى ، ودب راجلهم كرجل الدبا ، وحلوا
لحب الموت الحبا ، وقال الظلال في ظلام العجاج ، وضاق الفضاء
عن مجال الضحضاح ، وبدا خرق الصبيح فوقى النقع
بالوقع ، وشكا الثرى الى الثريا من الحواجر الحوافر شدة
الوقع ، واحتابوا مواقع واجتنبوا سوابق ، والمعوا والبوارق •
وأسمعوا الصواعق • وقربوا السوابق • وأبعدوا الخوانق •
وحملوا الطوراق الطوارق ، وشبوا نار الفرق ، وأشابوا
المفارق ، واعتقلوا القنطاريات قناطر العبور العير ، وانتزوا لحماية

السلب في العوامل كعاسلات النحل مسدساتها بالأبر ، وطال الشر
وطار الشرار ، وشق الأمر ، وسقت الدرار ، وأخضرت الغبراء من
الحديد ، واغبرت الخضراء من الصعيد ، وساحت
السيول ، وسالت الشعاب ، وتغايضت البحار ، وتضايقت
الرحاب ، وتموج بضراغة الغاب ، وأرعبت أيماض البروق
واصعد الرعود ، فللكفر منهم ظلمات بعضها فوق بعض ، وختم
القتام بالفضاء في فض ، وغدران القران في فيض ، والنجوم في
انقاض ، والرجوم في ارفضاض ، والذوايل في ارتفاع ، والعوامل
في ارتعاض ، والعواهل في اضطراب ، والصواهل في اصطخاب
والعيش شاك ، والعيش شاك ، والاشراك ناصب واشراك وخاطب
ادراك ، وطالب بوار ، وحاطب ليل خسار ، وثائر ثار ، ونيران
المذاكي مذكي نار .

عاد الحديث الى افتتاح السلطان بفتح طبرية وذلك عشية الخميس ثالث عشر ربيع الآخر وذكر المشاورات

وما زال السلطان لله مستخيرا ، وبعونه مستجيرا ، ولاعوانه
مستشيرا ، فأشار الأمراء ذووا الآراء بالصدود عن اللقاء
والحفاظة على نضار الاسلام بصون الذمماء وحقن الدماء
وقالوا : لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم ، ومحاقة المزم في
الرقم ، وما بلغ الأملاك قبلك الا ما بلغت ، ولم يريغوا من هذا المراد
ما أرغت ، وهذه جمرة الاسلام ، ونخبة رجال الشام فلا تفركم
تنقل المعركة ، ولاتلق بأيديهم الى التهلكة ، وهذه بلادهم قد خلت
منهم ، ونأت بقربهم ضياعهم ، فذشتغل بالاغارة على بلادهم
الخالية ونقدم بأقدامنا عطل احوالها الحالية ، ونرجع بالغنائم
والسبايا والمرباع والصفايا ، وما نزال نزيدهم حتى نضعفهم بامداد
البلايا ، ونخلص من انسانهم عاجلا أو آجلا ، بالقود والسبايا .

فقال السلطان : ان الأيام غير مأمونة ، والأعمال غير مضمونة ، والجهد فـرض فـرضه رسول الله في أرضه وسمائه ، وندبر بطوله وعرضه عرضه ، ولا بد من هذا اللقاء أما وإما وإن الله اصدق القائلين : « ولينصرن الله من ينصره » فقالوا : خصك الله وأفردك بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة ، وحيث استخرت الله في الاقدام فاننا نبذل المنح بين يديك للاسلام.

فلما أصبح يوم الخميس • سار الخميس • وزحف بأسده العريس. وطلبت اطلاب احباب لآله لقاء الأعداء • وجرت السوابق على الأردن أربيان الوبيان في الاجراء. واعتضدت أملاك الأرض بملائكة السماء • ولوت أولياء الله على العبدى ألوية اللأواء • ورمدت عين الفلك من ملابسة الأقداء • وحارت غزالة الفلق من أسد الفيلق • وتقيد عنان الجو من عنان الجواد • ولاح سنا الموت الأحمر في السنان الأزرق • وأشرف على الفرنج في معسكرها العسكر • وقام الدشر • وعاث العير • وماج البيض والسذور • ومار المورد والمصدر • وغام اليوم الأغبر. وراغ الحديد الأخضر • وراق الأبيض والأسمر • ووقف مـسع المثير المعشر • وحال المغيث وهال المحضر • وهاب المنظر والمخير • وظهر الحق وحق المظهر • وارتفعت الأصوات بقول : « الله الأكبر » فلو برزوا للمصاف لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربضوا ومانبضوا • وقعدوا وما نهضوا وأخلدوا الى الأرض • وشدوا نواجز العض • ولم يدعوا مرابضهم في ذلك المكان • ولم يشيموا ما في الأجفان • وثبتوا ونبتوا ، وسكنوا وسكتوا • وأشفقوا في البروز من الخطر • وفي الخروج من الغرر • وحذروا من القدر لو دفع القدر بالخطر .

فلما عرف السلطان أنهم لا يبرحون • ومن قرب صـفـورية لا ينزحون وأنهم لا يهيجون الى الهياج • ولا يخوضون معه بحر العجاج • أمر أمراءه أن يقيموا على مقابلتهم • ويذموا على عزم

مقاتلتهم • ونزل هو في خواصه العبسية على مدينة طبرية • وعلم
أنهم اذا علموا بنزوله عليها بادروا بالوصول اليها • فحينئذ يتمكن
من قتالهم • ويجهد في استئصالهم • فحضر طبرية
وحصرها • وابتدأ بها وابتدورها وجمع الرجال على أحد أبراجها
وأخلاها مما حمى أهلها من أعلاجها • فوقع ذلك البرج • وانتزع
عنه الفرنج • ونصبت عليه سلالم الاسلام • وبخلوها في جنح
الظلام • فاستضاءوا بما أعلق من الضرام • وعاد ليله معدوبة من
الايام • ووقعت النار في مخازن كتان واهراء غلال • فاحتقرت
أمتعة بأموال • وكبسوا رباعا وكسبوا متاعا • وأرهبوا
وأوهجوا مرضا وضرما • وأخرجوا وأخرجوا نعمما
ونعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الأطماع الى ازرداد
ماتحويها فارغة • وتحصنت القومصية ست طبرية في
قلعتها • ومعها بنوها وحموها بسيدوفهم وعصموها • ووقع
الاشتغال بحصارها • ونقب جدارها وطم جوارها • وفصم
سوارها .

فجاء من أخبر بأن الفرنج قد بكروا وركبوا • وأجلبوا بخيلهم
ورجلهم وتحربوا وتحزبوا وتصلبوا وصلبوا • وتغصبوا
وتصعبوا • وثاروا وفاروا • ورازوا وزاروا • وجاءوا
واجئين • بالفجائع ماجئين • وفي ليل القتام مدجين • وفي بحر
اللام ملججين مدجين • والى حزب التوحيد بحزب التثليث
مخرجين • ومن كل جبل تحرقه الريح • ومشيع شهاره
المسيح • وذمر يخفر الزمان ويبيع ، ونصب الى الموت
يستريح • ومشتاق الى ملاقة المذون قد حثه التبريح • ومخرج
الى التورط في الردى من هول ماهوله يصيح • ومرتجج يؤذسه
المارق اللجج • ويوحشه الفضاء الفسيح • ومن كل بطل
مكره • وحبل مد مده ، وقرم قرم • وضرغام ضرم • وكل معاند
للبلاء معاق وكل حان لثمر العناء جان .

ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء .

فلما سمع السلطان بحركتهم • أيقن بهلكتهم • وقال : الحمد
لله الذي أنجز وعده • وأيد جنده وأنا من --- رابنا
القطاف • وأصغى من مرامنا النطاف • وأسنى لنا الالطاف
ونهب بجباله الى جبالهم • وبرجاله الى رجالهم • وسار
لقتالهم • وضيق عليهم سعة مجالهم • وأخذ عليهم بذوي الاقدام
قدامهم • ووقف بصفوفه امامهم • وصد طـرقهم • وسد
فلقهم • ورد عن الزحف فـلقهم • وأغرى غرامهم • وأضرى
ضرامهم ذاك والله ذاك ، والجيش شاك وللقبط عليهم فيض • وما
للغيظ منهم غيظ وقد قد الحر ، واستشرى الشر • ووقع الكر
والفر • وللأوار تأجج • وللأرام توهج ، وللعدى شعل • وللردى
شغل • والسعير واقـد • والهجير عاقـد • والآل شايـط
غرار • ومالـل الشيطان قرار • والسراب طافـح • والظمـأ
لاقـح ، والجو محرق • والجوى مـقلق • ولأولـئك الكلاب من اللهب
لهـث • وبالعـيث عبـث ، وفي ظنهم أنهم يردون الماء • ويردون
الزماء • ، فـلأـتـهم الحـالة الحـالية • وغالـتـهم الغـلة
الغائلة • واستـقـبلـتـهم جهنـم بشـرارها • واستـظـهـرت عليهم الظهيرة
بنـظـارها • وذلك يوم الجمعة بجموع أهلها المجتمعة • ووراء
عسكرنا بحيرة طبرية • والورد عد وما فيه بعد • وقد قطعت على
الفرنج طـريق الورد • ويلوا من العطش بالنار « ذات
الوقود » فوقفوا صابرين مصابرين مكابرين مضابرين ، فـكـلـبوا
على ضراوتهم • وشربوا ما في أداوتهم • وشفـهـوا مـاحـولهم من
موارد المصانع • واستنـزفوا حـتى ماء المـدامـع • وأشـرفوا على
المصير الى المصارع • وبـخل اللـيل وسكن السيل • وباتوا على
شـغـف البحيرة بحيرة • وحـيـقت ظنـونهم • ولم يـبـق بـهم غير
غيرة • وباتوا بقريحة وقرح • وظماء برح • وقووا أنفـسهم على
الشدـة • واستعدوا بالعزائم والضرائم المحتمة المحتنة • وارتووا
من ماء الفرند • واكتفوا بماء جـداول الأغماد من الورد

العد • وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي ونقاضيهم الى
القواضيب القواضي • ونقتضي بحقـوق الحقـود أشد
التقاضي • ونبليهم في برد الصباح بحر الكفاح • ونظهر لارواء
الأرواح نجاح النجاح • وشدوا حزم الانتزاء • وأعدوا حرم
الغناء • وأجدوا عزم البلاء • وطلبوا البقاء بالتوسط في
العناء • وأما عساكرنا فانها قد اجترات • ومن كل مايعوقها
برئت • وهذا لسانه شاحذ • وهذا شهـم موفـق • وهذا لحده
ممه • وهذا لحده منه • وهذا لسهمه مقوق • وهذا شهـم
موفـق • وهذا مكثـر للتكبير • ومنتظر للتبكير • وهذا مجـر
ضامر • ومعر بائر • ومغر مؤمن بكافر • وهذا يقول : أنا المبارز
المناجز • والمحاجز للحاجز • وهذا ناج للسعادة • وهذا راج
للسعادة • فياله تلك من ليلة حراسها الملائكة • ومن سحرة انعامها
الطاف الله المتداركة • ومن دجنة أضاء بها نور الجنة • ومن دجينة
أنارت بها نجوم الاسنة • ومن هزيع تجره بالحق صليع • ومن
ظلام ممله بالضياء جميع • ومن جنح كل جناح تحت مغافره
مغفور • ومن يجور مابعده لاشراق سنا النصر يجور • ومن
ألوية أولياء الله عقدتها بخرمها الدور • وقد قابل بها فيها ظلمة
الكفر من الايمان والنور • فهي ليلة القدر « خير من ألف
شهر » تنزل فيها الملائكة والروح • وفي سحرها نشر الظفر
يفـوح • وفي صباحها الفتـوح • فما ابهجنا بتلك الليلة
الفاخرة ، فقد كنا ممن قال الله فيهم : « فأتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة » وبتنا والجنة معروضة • والسنة مفروضة
والكوثر واقفة سقاته • والخلد قاطفة جناته • والسلسبيل واضحة
سبيله • والاقبال ظاهر قبوله • والظهور قائم دليـله • والدين
متقاضي بالشفـا عليه • راع رياض الرضا رعيـله • والله ناصر
الاسلام ومديـله .

ذكر الذشاب ووصفه .

وسهر السلطان تلك الليلة • حتى عين الجاليشية من كل طلب
بأسماء رجالها • وملا جعابها وكنائنها عريات نبالها • ومريشات
نصالها • وكان ما فرقه من الذشاب أربع مائة حمل • فنزل نص
النصر منها على كل نصل • ووقف سبعين جمازة في حومة الملتقي
يأخذ منها من خلت جعابة • وفرغ ذشابها من تغالوق تفتح من باب
الجنة المغالوق • وتواضيع تخرق المضاعف الذسيج • وناوكات ذوات
نكايات • وزيارات وزنبوركات • ونبل عنده نبال لكل تبل • وذشاب
في الأحداق ذي انشاب • وجروح الجروح • وخروج الروح • وسهام
الاشهر سهام الحمام وتنذير اقرانها الثعام . ونصل وصالها
تقطع اوصال نافق بكل حمس صال . ومطالوق نطلق بها سراح
الارواح . ومعابل تكثر منها صعاب الجراح . ومهرقات موقوفات
مسدات ... الحصارق ... (٥) المبريدات وصناعات الى المقبل
صايبات . ونواجز تعيد السباع قنافذ . وتجعل للنجيع
مناجع . وللمذون منافذ . وبوارق تمزق اهب المارق . وتطقم
وتنتقم من المارد المارق . ومريشات اوكارها الحدق . وأوكائها
الحلق . وفاصلات ناضحات اربية الردى . وناحلات فاضحات
اوردة العدى . وقاضيات قاضيات بحكم الردى . وحارقات رقعات
خروق النواظر . وفاتقات راتقات فتوق الخواطر . وراشقات
راشقات شفاء المقاتل . وقناثات قناثات منفعات
المناسل . وماضيات حاضيات بالاصابة . وساعات داعيات
للإجابة . وحفيفات ثقيلات الجنابة . ومخيفات قمينات
الذكاة . ومضميات مصمات الافتك . ومدميات مديمت
البتك . وقريبات بعيدات المطار . وطالعات مطلعات على
الأسرار . هاتكات للذماء . سافكات للذماء . مثيرات
للثرى . مفريات للفرى . جائرات بالجري . واثبات وثب
الجراد . واريات وري الزناد . طائرات من الأكناد الى
الأكباد . مرهفات من الهيف . مربعات بالهيف . خارجات من

طلوع الحنايا الى احناء الضلوع. مـارجات لدى الروع الراد
الروع . قارعات ابواب القراع . قالعات انياب القلاع . بالغات
الشعور . عالقات بالتامور . محلقات للدحور . غاربات الغروب في
النحور . ورادات الصدور الى الصدور . قـاطعات
للحجاب . واقعات بالعذاب . مدمجات على الالتهاب . مغنيات
بالدماء على الطعان والضراب . ومـراسيل تـروى امام
العوالي . ومعاريض مالها مندوحة من التوالي من كل فريض يؤدى
به فرض الجهاد . ورميض يعوض بياضه من العين في السواد
ومعتدل تحذو له العـوج . وبـرق خاطف تـدمس وراءها
المهوج . ومنزع لنزع المهـج وقطع الود . اخـطف مـن
الوميض . والحق من المريض . وأنظم من القريض . واشجى من
الحريض . واشبى من الطرف الغضبيض . وأعمل من السمر
والبيض . والسلطان يأمر . والحنايا تـوتـر . والمنايا
تـؤثر . والاعنة تصرف . والأسنة تـرهف . والدقائب
تنعض . والمقانب تعرض . والجاليشية تشمر . والجاووشية
تنصر . والسـوابق تـضمـر . والسـوابغ تـذر . والصلادم
تنضى . والصدورم تنتضى . والسـلاهب تـجمـع . والجنائب
تمرح . وأيم الضراء تنساب . وغيم الغماء تنجاب . والنفوس
مرتاحة الى التعب . والهمم مشتاقة الى النصب . والجد شاغل عن
اللعب . والعزم غالب باللغب . وصب بالوصب .

ذكر يوم حطين وهو يوم السبت الخامس
والعشرون من شهر ربيع الآخر .

وأصبح الجيش على تعبيته . والنصر على تلبيته . ووقف
العسكر في قلبه وجناحيه وميمنته وميسرته أطالبا متقاربة
متباعدة . وأنجادا متعاهدة متساعدة و أفا متضافرة . وأضعافا
متضاعفة متظاهرة . وبرز رجال الجاليش . وارتجـز دعاء

التحريض والتحرّيش . وصفا لباس الناس على الكمي
الكميش . وشرعت ثعالب الشرع في رعي الحشاشات رعي
الحشيش . وتطائر في الجو على سنابك الهمام جراد النصل
المريش . وكان طيور النصال ضلت ركونها فخربت حجب الأرواح
للتقيش . وقامت الحرب على ساقها . ووفت بميثاقها . وأسرت
اعنة عتاقها . وأشرعت أسنة دقاقها . وأطالت رقاب
رقاقها . وأبانت غايات سيقاقها . وأعلت رياحات
احتفالقها . وأحلت مذاق مذاقها . وأغلت أوساق
أوساقها . وأغرقت سهام اطلاقها . وأطلقت لهام اعراقها . ومدت
ظلال رواقها . ودارت كؤوس اصطباحتها للاعتباط
باغتباقتها . وتحملت بفرم اجتماعها لغنم افتراقها . وأذهبت فرق
مذهبنا لساعة افراقها . ذلك والفرنج راكبة الجرد . متراكبة
المدد . متكاثفة العدد . أخذت طريق البحيرة . بطوارق الحيرة . قد
احاط رجلها بخيلها . جارية الى القرار بسيلها . أمواجها
ملتظمة . وأفواجها مزبحة . واطلابها منتظمة . ونيرانها ملتهبة
ملتهمة . ونفعها مبيد . ووقعها شديد . وحدها حديد . وجدها
جديد . يأمزون المذنون . ويجذون الجذون . ويجرون الشمول
والحزون . فاعترضهم مدنا . واعتراهم صدنا . وردت سيولهم
بيضاتنا . وخيولهم عرابنا . ووقعت لنا برمم حبالنا . وشوتهم
بنيرانها نصالنا . فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا سلوك نهج
الموت . وانه لا مطمع في البقاء الا باستحلاء مطعم
الفوت . والسلطان قد رفق قلبه . ووقف الى الوثوق بنصر الله
قلبه . وهو يمضي بنفسه على الصدف . ويحضهم على حظهم من
الفتوح او الحدوف . ويعددهم من الله بنصره المألوف . ويفري المثين
يالألوف . وهم بمشاهدته اياهم يجيدون ويجدون . ويصدون العدو
ويردون . وكان له مملوك اسمه مذكورس من اقمار الفلك . ومن
شموس الترك . وأسود الفتك . ورماة الحدق . وكماء الخلق . قد
علقته الحور العين لحسنه . واستبشر رضوان بيمنه . وقلوب القبول
في رهنه . وعقود العقول في وهنه . والكواكب الاثراب يشدقنه في
جهات عدة . وكان الله برأي الاقامة منته . والمقام في جنته . ودعاه

الى قصور الجنان والحدور الحسان . وكان ظريفا طريفا . نظيفا
عفيفا . طاهر النبل للنزاهة . ظاهر الميل الى النباهة . قد كمل الله
له حسن الخلق والخلق . وفضله في الفروسية والسبق . وركب عنقه
في الرق . وألهمه نصرة الحق . وهو راكب امام العسكر . شائم
غمام العثير . نامق عرف الكوثر . مستعفر تحت المغفر . مستنير في
سنا الاستور مشرق كالقمر الأزهر . وأراد ان تكون له فضيلة السبق
في الاقدام . فوثب بحصانه وثوب الضرغام . معتقلا الى الردي
ربينيا . ومشتملا للتurf مشرفيا . وممتطيا للاستقامة
اعوجيا . وحمل حملة جرى فيها عنانه . وفرس سنانه . وماد فيها
ميدانه . وشكر لها احسانه . وذل عنها اقارانه . ونفذ
طعانه . وظن انه موافق في الركض اعوانه . فجذبه لقوة رأسه
حصانه . وخلا خلانه . وخانه اخوانه . فلما راه الفرنج
وحيدا . ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا . عطفوا عليه . وزحفوا
اليه . ورموه عن ظهر حصانه . وأحاطوا به في مكانه . فأثبت في
مستدقع الموت رجله . وقاتل الى ان بلغوا قتله . فلما أخذوا رأسه
ظنوا انه احد اولاد السلطان . وزعموا ظهور الكفر على
الايمان . فأما الشهيد فإنه انتقل الى جوار الرحمن في غرفات
الغفران . وأما عساكرنا فإنها لما شاهدت استشهاده وجلده
وجلاده حميت حميتها . وأبت غير الغيرة ابيتها . وخلصت لله في
ارداء اعدائه بنيتها . وصممت الجاليشية تصمي سهامها وتشوي
اهل النار بنار ضرامها وتلفحهم بلوافحها . وتقذحهم
بقوايحها . وتسقيهم بجداول مناصلها . وترميهم بجنادل
صواهلها . وتربيهم بأربية رداها . وتغريهم بما يغرون من المذون
عن منها . وقد قست عليهم قلوب القسي لاوتار اوتارها . وتمور
من الضوامر بجبالها . وتموج في البواتر في بحارها . وبرج بالفرنج
العطش . وأبست عثرتها تنتعش . ولاذت تتشور
وتتشوش . وتتحري وتتحرش . وتتوشح بالضراء والضراب
وتتودش . وتذشط على أنها تبسطش . فتجد الطررق
مصدوبة . والسبل مسدودة . والمسالك محدودة والمهالك
موروبة . وكان الذسيم أمامها . والحشيش تحت اقدامها . فرمى

بعض مطوعة المجاهدين النار في الحشيش . فتأجج
استعارها . وتوهج أوارها . فبلوا وهم أهل التثليث من نار الدنيا
بالثلاثة الأقسام : في الاصطلاء والاصطلام نار الضرام ونار
الأوام . ونار السهام . فخلصوا من ورطة الاحتواء
والاجترام . وضايقت ذمائهم دماء الضراغم . وعارضت صقور
بأستهم القشاعم . ولقيت العظائم العظائم . ودارت بمساعير
الجحيم دوائر السعر الحواجم والجأناهم الى حملات اعجزوا بها
وأزعجوا . وهاجوا وأوهجوا . وماجوا ومـوجوا وأجـوا
وأجـوا . وارهبوا وارهجوا . فما ضعضعوا رواسينا الرواسخ
ولا خلخلوا من مقامنا الشم الشوامخ .

ونظر القومص يومئذ الامر الى غايته . وراه غيه انه متورط في
غيايته وان القوم في عين الوقم . وان صحتهم مفضية الى السقم .
وانه تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم . وخانهم اخوانهم . واهت
اصلابها صلابانهم . فافكر القومص كيف ينجو ويتخلص . فقال
لهم : انا اسبق بالحملة . وافصلهم من الجملة . فاجتمع هـو
وموازروه . وجملة من المقدمين هم مضافروه . وصحبه صاحب
صيда وباليان بن بارزان . وتوامروا على انهم يحملون ويلغون
الطعان . فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر
تقي الدين . وهو مؤيد من الله بالتوفيق والتمكن . ونجوا بذفوسهم .
وخلصوا من باس القوم وبؤسهم . ولما عرفوا ان القومص اخذ
بالعزيمة ونفذ في الهزيمة . وهنوا وهانوا ثم اشتدوا وما لانوا .
وثبتوا على ما كانوا . وقالوا : انما فر في شرذمة هم شر ذمة .
وعصبة قليلة بغير عصبة . واستقبلوا واستقتلوا . واستلحموا
وحملوا فما وجدوا للنجح نهجا . ولا اصابوا لمن جاء لمصائبهم
شجى . وحملوا حملات راضوا بها جماح الحرب . وخاضوا فيها
غمار الطعن والضرب . وعدموا فيها استطاعة الغدر . بل طاعة
القدر . واستعرنا النصر عليهم من النصل المستعر .

ووقعنا عليهم وقوع النار في الحلفاء . وصببنا ماء الحديد

للاطفاء . فزاد في الانكاء . وافترت مباسم البيض من استعمار
عيون مقاتلهم في البكاء . وعبت دأماء الدماء . وشبت شبا الهنية في
الفرنجية ضرام الضراء . وباح لنا سر السراء . فخطوا خيامهم على
غارب حطين حين رأونا بهم محيطين . فاعجلناهم عن ضرب الخيام
بضرب الهام . وازلنا اقدامهم عن مداحض الاقدام .

وخاطبناهم بكلام الكلام . وزحفنا زحفا مرتزا . وحفزنا زحفنا
ملتزا . ونقضنا من اطرافهم . وحضضنا من اكناهم . واحتست
انية الظبا طلاء الطلى . وارتعت ثعالب القنا كلاً الكلا . واكتست
عرائس الهدى للعلى من دم الكفر الحلى . وخالطهم الفريق
المستطيل . والحريق المستطير . ومطروا وبيل الوبيل . فالهب عليهم
يومهم المطير . فما زالت اللجج تفيض . والمهج تفيض . ومنابع الكفر
تفيض . وملاحم الاسلام تفيض . والنفوس تقع . والرؤوس تطير .
والقضب تنير . والقب تغير . ورحى الحرب تدور . وقوى الشرك
تغور وتبور . واسد الوغى تجول وتجو . ومراحل الراحل والافارس
تفور وتثور . حتى كست اشلاء مهلوكيهم عرى العراء . وحست
شفاه الشفار من افلاذ مملوكيهم احساء الدماء . ورست منا
الهضاب حول ذاك التل . ورضيت اسدنا الغضاب بظهور القتلى
بطون الذمل . وتداعى جناب الاضطراب . وكشف الرائب شك
الحجاب . وتفتحت ابواب الطعان والضراب . وكثر مرعى الثعلب
والذئاب . وتقطعت اشراك الاشراك . وتوزعت منه اكتاف الفتاك .
وانكسر من الصليبي صلبه . وبطل طلبه . وعليت وغلبت غلبه .
وقلب قلبه . وخذل حزبه . وجرت الحرب عليه حزنه . وجيرت كماته
وكمية وقبابه وقبه . واحتلأت بملاهم جهنم . وملك عليهم الصليب
الاعظم . وذاك مصابهم الاعظم . ولما شاهدوا الصليب سليباً .
ورقيب الردى قريباً . ايقنوا بالهلاك . واخذوا بالضرب الدراك .
فما برحوا يؤسرون ويقتلون ويخمدون ويحملون والوئوب يخفون .
وبالجراح يذقلون . ومن مصارع القتل الى معاصر الاسر يذقلون .
ويردون وهم لا يدرون . ويعقلون وهم لا يعقلون . وقرم بقوى
القواطع مطعون . وقوم بجوى الجوامع يوصلون . والحديد تارة

يحل الاعناق وتارة يغلقها . واونه بالبري يعرهما . ومرة بالسبي
يذلها . ونكبوا في ارواحهم وانفسهم . ووصلنا الى مقدمهم وملكهم
وابرذسهم . فتم اسر الملك . وابرذس الكرك . واخي الملك جفري .
واوك صاحب جبيل . وهذفري بن هذفري ، وابن صاحب اسكندرونة
وصاحب مرقية ، واسر من نجا من القتل من الداوية ومقدمها . ومن
الاستبارية ومعظمها . ومن البارونية من اخطا به البال لما عز
الدين . ودر البأس . ودارت عليهم بعقار عقروهم الكاس . وقوي بنا
الرجاء ومنهم اليأس . وعروا من ملابس العز . وضفا عليهم من
ملابس الصغار اللباس . وتعرضت للسوء في السوا في طول
حسومهم الادراس . ووجب في اجناس غنائمهم الاجناس . ولما جد
بهم حكم القضاء لم يجدهم الاحتراز والاحتراس . ورسفت
وارسفت الانفس والانفاس . وانعقد الاجماع بتحليل تركيب
جمعهم . ونص النصر وصح القياس . وجبر الاسلام بكسرهم .
وقتلوا واسروا باسرهم . فمن شاهد القتل قال : ما هناك اسير .
ومن عاين الاسرى قال : ما هناك قتيل . ومذاستولى الفرنج
بساحل الشام ما شفي للمسلمين كيوم حطين غليل . قاله عز وجل
سلط السلطان واقدره على ما اعجز عنه الملوك . وهذاه من التوفيق
لامتثال امره ، واقامة فرضه النهج المسلوك . ونظم له في حتوف
اعدائه والفتوح لاوليائه السلوك . وخصه بهذا اليوم الاغر . والنصر
الابر . واليمن الاسر . والنجح الادر . ولو لم يكن له الا فضيلة هذا
اليوم لكان متفردا على الملوك السالفة . فكيف ملوك العصر في السمو
والسوم . غير ان هذه الذوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة .
ولعاهد النصر وقواعده مبرمة محكمة .

ومن عجائب هذه الواقعة . وغرائب هذه الدفعة . ان فارسهم ما
دام فرسه سالما لم يذل للصرعة . فانه من لبسه الزردي من قرنه الى
قدمه كأنه قطعة حديد . ودراك الضرب والرمى اليه غير مفيد . لكن
فرسه اذا هلك فرس وملك . فلم يغنم من خيلهم ودوابهم - وكانت
الوفا - ما هو سالم . وما ترجل فارس الا والطنع والرمى لمركوبه
كالم وثالم . فما سلمت لهم دابة ولا ذابة . ولا مورد الروح سائبة

ولالنار الروح شابة . وغذمتنا ما لا يحصى من بيض مكذون وزغف
موضون . وبلد وحصون وسهول وحزون . وابتذلنا منهم بهذا الفتح
كل اقليم مصون . وذلك سوى ما استبيح من مال مخزون .
واستخرج من كنز مدفون . و حاصلة . و ... (٦) تحقق اهله .
ومصاحبة قديمة . ومناصحة كريمة . ومراوحة في عمارة القلب .

واتفق انه سرقت لي في طريقنا الى حمص ثلاثة اجمال بما لها من
عدة ورحال . وكنت قد سلوتها . وتمكن عني فوتها . فجاءنا هذا
الامير بعد يومين . وقد اتانا من الجمال المسروقة بقطارين . وقال :
لما سرتم عرفت ان وراءكم لصوصا وانهم ان ظفروا بجناح غادروه
محصوصا . ورتبت اصحابي على الطرق . وفي المواضع البعيدة من
العمارة ليتوصلوا الخارجين من اهل الذعارة . فوجدوا هذه الجمال
التي احضرتها . وقد حرمت على المفسدين الحركة وحظرتها .
فتاملتها واذا جمالي بأعيانها . فشكرت همتته الكريمة على
احسانها . ونشد كل من له ضالة . فوجدها لاجل امن الطرق التي
حفظ هذا الامير ورصدها . ولم تزل الثغور بسداده مسدودة
والخطوب بصده مصدودة . والظلال باشتماله ممدودة . والرعايا
بسياسته محروسة . والبلاد بحراسته مسوسة . ورايات الكفر
بنكاياته مذكوسة . وايات الدين بهدايته مانوسة . والمواضع
معمورة . والمنافع موفورة . والصنائع مشكورة . والشرائع
مشهورة .

وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم وعرفتهم وعرقتهم تذكرت
معرفتهم . وتكررت صفوتهم بعد الايام السلطانية . وانقلب
سجيتهم بعد الدولة الصلاحية . فهم صادقوني لصدق الحاجة .
وصادفوني مقدما للذب عنهم تحت العجاجة . غائضا لاستخراج
جواهر مقاصدهم لجج اللجاجة . فلما استغفوا عني جهلوا معرفتي
وانكروا عارفتي . وهذه سنة اخلاء الدنيا في بين الاخلال . وملة
الملال . واستحالة الحال . وتعريض عرض الود لذلة الزوال . فما
ابعدوا غريبا وما ابعدوا قريبا . ولا اعجبوا بابيا . ولا ابدوا عجيبا (٧) .

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي

للعلماء الأصفهاني الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وإن حقه لعظيم . ومن
الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وأنه لكريم .
ونشكر بسر القلب وجهر اللسان إحسانه إلينا بأنهما حادث
وقديم . ونستزيده ونستديمه نعمه ولن يخيب على الشكر والرضا
مستزيد ومستديم . ونستعين به على الدهر وقد فعل فإنا وهو الذي
بيننا (وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (فصلت : ٣٤) . والحمد
لله الذي بدأ بنعمه متطولا . ويمزيده متفضلا . وعلمنا شكر فضله
الموفقور . وقبل منا عفو ذواتنا المنزور . فلا يكلفنا من الشكر فوق
الطاقة . ولا يطلع من النعم الطليعة إلا وراءها من المزيد الساقه .
وقد وصف المشكور منه نفسه بأنه شاكر عليم . فرب غافل منا عن
الشكر ما غفل عنه فضله العظيم . فلا عدما ينتاب منتابه راجيا
وداعيا . ومستيقظا وساهيا . وصامتا ومتقاضيا . لنا منه على كل
حال كل حال من مواهب ربما عطل عنها . لسان شكرنا وضمير
ذكرنا . وباتت سارية إلينا لاطيفا بل حقيقة على نوم فكرنا . ثم إن
الله سامحنا في حقه من الشكر فقبله من عينا وبليغنا . ومتجرعنا
ومسيغنا . فتارة يقبله ضميرا مجمما . وتارة يحيط به قولا
مترجما . ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات
ضلوعه . ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه بنغمات
مسموعة . وكيف لا (يعلم السر وأخفى) (طه : ٧) من بعينه
مسارحه . وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه . ونرغب إليه في أن
يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإننا لانرضى بعفو
استحقاقه من الوصف جهدنا . فنصل إليه صلاتنا ونؤدي إليه
ودنا . ونعظم موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أدنى . ونشكره
على أن فتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسري به .
فانبعث صلى الله عليه وسلم سهما فكان كقاب قوسين في إقترابه .

ما كذب الفؤاد . ولا خاب المراد . ولا صدق المراد . وأين من أخبر
عنه أنه رآه بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأذك بالواد . فمن كان في
روض القرآن يسرح . فرق بين المنزلتين من رب اشرح وألم نشرح .
ونصلي على آله وأصحابه ولالة الحق . وقضاة الخلق . ورتقة
الفتق . وغرر السبق . وألسنة الفرق . وفتحة الغرب والشرق .
منهم من رد ردة العرب عن اسلامها . ومنهم من استنزل أرجل
العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها . وأحمد عبدة نيرانه أن
يطعموها حطباً ولو وصلت إليهم لأكلتهم . وأحمد عبدة أوثانه عن أن
يقعوا لها سجداً ولو وقعت عليهم لقتلتهم . ومنهم من أنفق في سبيل
الله وجهز . ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز . ومنهم الأشداء على
الكفار . ومنهم الأسداء إذا زاغت الابصار . ومنهم الساجدون
الراكعون . ومنهم السابقون ومنهم التابعون . ومنهم نحن أهل
الزمن الآخر . وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر .
وسمانا أخوانا . واشتاق إلى أن يلقانا . فنحن الآن إنما نرد عليه
تحيته والبادى أكرم . وإنما نرجو شفاعته بالمودة التي قدمها
والفضل للأقدم .

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون الى الفرر
المتجلية . وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتجلية .
يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول . ويكون حظ المستخبر
أن يسمع والاديب أن يقول . فان فيه من الالفاظ ما صار معنا من
معادن الجواهر التي نولدها . ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا
من السنة العجائب التي نوردها . وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال
سنة ثلاث وثمانين وخمسماية لأن التواريخ معتادها إما أن تكون
مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولى . وإما مستفتحة بمعقب من
الدول الأخرى . فلا أمة من الأمم ذوات المال . وذوات الدول . إلا
ولهم تاريخ يرجعون إليه . ويعولون عليه . ينقله خلفها عن سلفها
وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الأيام . وتنصب به معالم
الأعلام . ولولا ذلك لانقطعت الوصل . وجهلت الدول . ومات في أيام
الآخر ذكر الأول . ولم يعلم الناس انهم لعرق الثرى . وأنهم نطف في

ظلمات الأضلاب طويلة السرى . وأن أعمارهم مبتدأة من العهد الذي تقادم . لأدم . وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم . ذرياتهم . لما أراده من ظهورهم . فليعلم المرء قبل انقضاء عمره . وقبل نزول قبره . ما استبعده أهل الطي من حقيقة النثر . وتقبل في واحدة من الأطوار شهادة عشر . فقد قطع عمرا بعد عمر . وسار دهرًا بعد دهر . ووثى وأنثر في الف قبر . وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر . ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة . ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاضلة . ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها . وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها . فأرخ بذو آدم بيومه . وكان أول من اشترى الموت نفسه وقام النزع مقام سومه . ثم أرخ الأولون بالطوفان الذي بلل الأرض وأغرقها . ثم بالعام الذي بلبل الألسن وفرقها ، وأرخت الفرس أربعة تواريخ لأربع طبقات من ملوكها أولهم كاشاه ، ومعني هذا الاسم ملك الطين . فإليه ترجع الفرس بأنسابها . وعليه ينسق عقد حسابها . وهي الآن تؤرخ بيزجرد آخر ملوكها وهو الذي بزه الاسلام تاج إيوانه . واطفاً نور الله بيت نيرانه . وأرخ اليونان من فيلبس أبي الاسكندر والى قلوب طرده آخرهم وهؤلاء المسمون بالحففاء وهم الصابئون ، وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره . وشهرة أثره . وأرخ النبط بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها . والازياج التي رصدوها . وأرخ اليهود بأنبيائهم وخلفائهم . وبعمارة البيت المقدس وبخرايه على ما اقتضاه نقل أوائلهم وأبائهم . وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة فكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو ويسمى بقبل . وكانت غسان تؤرخ بعام الاسد حين أرسل الله عرم السيل . وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه ، وأرخت معد بغلبة جرهم للعماليق وأخرجهم عن الحرم ، ثم أرخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار فذقلوا منها . وافترقوا عنها . ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل

وهي حرب البسوس ، ثم أرخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض
وهي حرب داحس والغبراء ، وكانت قبل المبعث بستين سنة . ثم
أرخوا بعام الخنات قال النابغة الذبياني :

فمن يك سائلا عني فإني
من الفتيان في عام الخنات

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام المخالق وعام
الذنائب ويوم ذي قار وبحرب الفجار . وهي أربع حروب ذكرها
المؤرخون . وأسندها الراون ، وأدنى ما أرخوا به قبل الاسلام
بحلف الفضول منصرف قريش من الفجار الرابع . وبحلف المطيبين
وهو قبل حلف الفضول . ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى لتاريخ
الاسلام . وبعده خرج امام الجمعة فطويت الصحف وجفت الأقلام .
وأظهر الله على الأديان الدين القيم . ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ
متقدم . فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الأمم .

وجبت الهجرة ما قبلها جب الأنوار للظلم . ودفع الله الناس
بعضهم ببعض . واستدار الزمان كهياتته يوم خلق الله السموات
والارض . وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من الأموال والأنفس
ما يعيده إليهم مضاعفا من القرض . ووقت هذه الهجرة الوقت الذي
أمر به أمر الاسلام . ويومها اليوم الذي ما ولدت الليالي مثله من
بنيتها الأيام . وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام
الأعوام .

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الاولى بأن الاولى أمدها
بالقيامة معذوق . وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع
والصريح غير الممدوق . وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت
المقدس وقائمتها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق . وتسفر عن أهلتها
دادىء المداد وتنشق . وهي وإن كانت هجرة الاسلام إلى القدس

ثانية . فقد كان انثني عن وطنه منها لما تثته يد الكفر ثانية . وهذه الهجرة أبقى الهجرتين . وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين . فإن العرب كانت إذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر . والحق أن نقول إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نثر . والعيان يشهد أن أمنع السورين ما عمر بعد أن نثر . والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الامر . فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . فإن الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير بعيد . والوحي ماكد يتعطل في طريقه من السماء إلى الأرض بريد . والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسلم سيوفها من أجفانها . والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الافتح منها بعيانها . ورسل عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤلفة مختلفة . ونجدات السماء إلى الأرض متصلة بالملأكة منزلة ومسومة ومردمه . وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الأرض زويت له مشارقها ومغاربها . وأنه سيبلغ ملك أمته الماثوبة المرحومة ما ضمت عليه جوانبها . والروم حينئذ بغاث ما استتسر . والفرس يومئذ رخم ما استبصر . والحديد ما تنوعت أشكاله الرائعة . ولا طبعت سيوفه هذه القاطعة . ولا نسجت ثيابه هذه المانعة . والبروج لا تعرف إلا مشيدة لامجلة . والمنجنيقات لا يتوثب ما يتوثب اليوم من خشبها المسندة . والأقران لا تتراجم بالنيران المذكاه . والأسوار لا تتناطح بالكباش المشلاه . وبصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا . والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون إلى الموقف حفاة عزلا . وكانوا أحرص على الموت منا على البقاء . وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهم على لقاء الأعداء بذلك اللقاء . والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . وهريق شبابه واستشن أديمه وقد عاد غريبا كما بدأ غريبا . وقد أطلع شرف الستمائة وهي للملك المعترك . وكثرت معائنه بما نصب الشرك من الشرك . وأخلق الجيديدان ثوبه وكان القشيب . وذوى غصنه وكان الرطيب . ونصالت كفه وكانت الخضيب . وطال الأمد على القلوب فقست ورائت الفتى على

البصائر فطمست . وعرض هذا الأبنى قد أعمى وأصم حبه . ومتاع
هذه الحياة قليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الآخرة كسبه .
والكفار قد خشنت عرائكهم . واتسعت ممالكهم . واستبصروا في
الضلال . واستبضعوا للقتال . وخرجوا من بيارهم يخطبون غاشية
الموت . ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم من البر ناشية
الصوت . وقاتلوا جندا ورعية . واستباحوا الانفس متورعين فلا
ترى أعجب من أن ترى استباحة ورعيه . وزين لهم الشيطان ما
كانوا يعملون . وأمدهم في طغيانهم يعمهون . ورفعوا التكاليفات فلا
ينزع الحديد لوضوء ولا مسح . واستشعروا لبوس البوس فلم
يلبسوا وجها إلا مزور الشفاه على القطوب بلا بشر ولا مزج .
شقرا كأنما لفحت النار وجوههم وهم فيها كالدون . زرقا كأنما
عيونهم من فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون . قد نزع الله الرقة من
قلوبهم . ونقلها إلى غروبهم . وعذب بهم لما يريده من تعذيبهم .
واشتعلت نار جهلهم في فحم نذوبهم . تستعيز المردة من مريدتهم .
ويدعى للنار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم . فظاظ غلاظ .
جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ . (لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام
بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأعراف : ١٧٩) . خلق الله
الخلق من طين وخلقهم من حجارة فهم المكني عنهم بوقود جهنم حين
قال (وقودها الناس والحجارة) (البقرة : ٢٤) والا فالحجارة
لا تستحق الوقود . إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجمود في
الجمود . ومضت ملوك الاسلام . ومضت أيامهم كالبارق وإن لم
تخلع الاظلام . وزابت أيامهم الايام خبالا فقتنازع الناس طرائف
الاحلام . وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين
كمسالمين . وبذلوا جهدهم فلا نقول انهم مظلومون بالعجز وما
نسميهم ظالمين . اللهم غفرا (لكل أجل كتاب) (الرعد : ٣٨)
(كل يوم هو في شان) (الرحمن : ٢٩) ولكل مقدور أجل ولكل
ما خلق له تيسير . ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت تأخير . والايام
تمخض وتمطل بالزبدة . والسور تتلى إلى أن تأتي بالسجدة .

والناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة . والعذر على كل
لسان لكل قوم مدة .

إذا عجزوا قالوا مقادير قدرت
وما العجز إلا ما تجر المقادير .

وأبى الله من يقبل عذرا صحيحا . وكفى بلفظة النبوة لوما
صريحا . فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتتها . وأظهر الآية
التي لا اخت لها فنقول هي أكبر من اختها . أفضت الليلة الماطلة
إلى فجرها . ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها . وجاءت
بواحدتها الذي تضاف إليه الأعداد . وما لكها الذي له السماء خيمة
والحبك أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد . والشمس دينار .
والقطر دراهم . والأفلاك خدم . والنجوم أولاد . صلاح الدنيا
والدين ومهما دعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا . ورأينا بين منا
وبين كرمه بونا . فهو سبحانه أكرم بالذوال . منا بالسؤال .
والكريم بكرم الله مجزي . والساكت عن الدعاء له مكفي . فان قلنا
أحسن الله إليه فقد قال (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا)
(الكهف : ٣٠) وأن قلنا جزاءه الله بالاحسان فقد قال : (هل
جزاء الاحسان إلا الاحسان) (الرحمن : ٦٠) وإن قلنا هداه الله
سبيله فقد قال : (والذين جاهدوا فينا لنهـدينهم سبـلنا)
(العنكبوت : ٦٩) وأن قلنا لاضيع الله عمله فقد قال (فاستجاب
لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل) (آل عمران : ١٩٥) وإن قلنا
لاجعل الله لدهر عليه سبيلا فقد قال : (ما على المحسنين من
سبيل) (التوبة : ٩١) وإن قلنا زاده الله هدى فقد قال : (والذين
اهتدوا زادهم هدى) (محمد : ١٧)

كل مسئول سائل

في معاليه قد كمل

لايسل فيه سائل

سبق الجود ما سأل

وليصح تأملا

يجد الله قد فعل

ونعود إلى ذكره أعز الله ذكره . فجاد إلى أن لم يبق مال ولا أمل . وجاهد إلى أن لم يبق سيف ولا قلل . فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو إلا فتحة فتح والدم ذائب وفتح والذهب جامد . فما البلاد التي جمعها فاتحا . بأغرب من البلاد التي فرقها مانحا . فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن جيذا وزاد لأنه ضرب بالسيوف التي كسرها ثم ضربها . واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذهباً وزاد لأنه نقل إلى الأعداء ثمن سلع تم نهبها فوهبها . فكل معاد معادى إلا هذا المعاد . وكل مداد يكتب به أسود إلا هذا المداد . (أفسح هذا أم أنتم لاتبصرون) (الطور : ٦٥) أما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول القرائح . وما على يد الجود من قبل المدائح .

الناس أكيس من أن يمدحوا ملكا .
ولم يروا عنده آثار احسان

وإننا لنرجو أن نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمر الذين أمضوا أن يكونوا معهم . وأن نكون قد كتبنا مع المحسنين لأننا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم . وإن كنا رعاياه لنرى أنفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقة . وإن القلم في أيدينا ليهتز طربا لذكره كأنه جان وكأن السيف يشنع بانه فروقه . ولأسنا نسميه قصيرا وإن جدع أنفه . ولكننا نركبه كما ركب قصير العصا إلى وصف هذا السلطان ليدرك وصفه . ونقول للقلم إذا فآخره السيف (إن شأئك هو الأبتقر) (الكوثر : ٣) . ونريد إذا أوردناه وصف مولانا (أنا اعطيناك الكوثر) (الكوثر) . على أن هذا القلم يلزم الأدب لذكره أعلاه الله فينكسر رأسه . ويقبل بين يديه كما يقبل حامله الأرض قرطاسه . ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر . وتشبيد هذه الآثار . من رجال الطعن والضرب الذين

فتحدوا بين يديه . وواجبوا الحق عليه . بل حقي من حقوقهم أوجه
وأوجب . وقلمي من سيوفهم أضرى وأضرب . ومن رماحهم أخطى
وأخطب . ومن سهامهم انجي وأنجب . ومن قسيهم أكسى وأكسب .
ومن جيادهم أسرى وأسرب . ومدادي من نفعهم أغلى وأغلب .
وقرطاسي من راياتهم أجلى وأجلب . وسيوفهم قد أغمدت وجردت
منه مالا يغمد ولا يعمد . وآثار السيف من الجراح قد رقا دمها
وآثاري من الذكر لاتخمل ولا تخمد .

وما السيف أشوى ضربه من لسانيا .

فكل أثر خبر به غيرى يموت الخبر بموته ويذقطع صيت الأثر
بإنقطاع صوته . والذي أخبر أنا به عنه روض يزهر وإذا أقلت
الأيام سحباً . ونجم يبدو إذا أفاض الشفق على فضة النجوم ذهباً .
فهو قول يذكر ويذسى كل فعل وفاعله . لا قول يؤثر مهما عاش اليوم
عالمه ثم لا يأتي في غد إلا جاهله . فهذه الكتب نهب الأعمار الثانية .
وتفاخر الألسنة القائلة بها الأيدي الكاتبة البانية . فانظروا إلى
أيوان كسرى وسينية البحتري في وصفه تجدوا الأيوان قد خرت
شعفاته . وعفرت شرفاته . وتجدوا سينية البحتري قد بقي بها اسم
كسرى في ديوانه . أضعاف ما بقي شخصه في إيوانه . وإنما نراوح
بين الأوصاف الغابية . ونبواب بين السمات السامية . للإشارة إلى
من ينزه على مسماه . ويذوه بسيماه . فأما من يقول الله لا سمه أنت
من معقبات حمدي . ويقول الدهر لذكره أنت الباقي من بعدي فانما
يلزم الأدب بوصف فضله العظيم . ويرفع قدر القول بفضله وصفه
الكريم . ويسر الله هذه الفتوح . وأنزل بها الملائكة والروح . في أيام
سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس
أحمد بن الامام المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن الامام
المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن الامام المقتدي بالله عبد الله بن
النخيرة محمد بن الامام القائم بأمر الله عبد الله بن الامام القادر
بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن الامام المقتدر بالله أبي
الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق

بالله أبي أحمد طلحة بن الامام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر
ابن الامام المعتصم بالله أبي اسحق محمد بن الامام الرشيد بالله
أبي جعفر هرون بن الامام المهدي بالله أبي عبد الله محمد بن الامام
المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين . وهي
الأيام التي زاهر أيامها ذواه ومضاء مضاريها للقضاء مضاه . فما
أجلها فضلا وأفضلها جلالا . وأقبلها جدا وأجدها قبالا وأقربها
ندى ونوالا . وأبعدها مدى ومنا لا . وما أعلى سني مجدها . وأحلى
جني رفسها . وأفعم ريا رياض فضائلها . وأفعم حيا حياض
فواضلها . واسع سماء سماحها أمطارا . وأصح جناح نجاحها
مطارا . والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
ناصر دعوته . وداعي نصرته . وولي الطائع . وسيفه القاطع
والمحكم بأمره . والمؤمر بحكمه . فرأيت إبداء ميامن هذه الأيام الغر
على الآباد بفرر الآداب . وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد
معاليها بهذا الكتاب . وأودعته من فوائد الكلام والفرائد الفذ
والتوام در السحاب ودر السخاب . وسميته الفتح القدسي تنبها على
جلالة قدره . وتنوينا بدلالة فخره . وعرضته على القاضي الأجل
الفاضل . وهو الذي في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل . فقال
لي سمى (الفتح القسي في الفتح القدسي) فقد فتح الله عليك فيه
بفصاحة قس وبلاغته . وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو
القدرة في البيان عن صياغته . ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث
وثمانين وخمسمائة بدأت بها . وأنشأت رياضي بسحبها . وما
شهدت إلا بما شاهدته وشهدته . وما استمطرت إلا عهاد العهد الذي
عهدته . وما عنيت إلا بإيراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعدة الا على
أس ما تبينته فبينته، وما توخيت إلا الصدق وما انهيت إلا الحق . ولا
ذكرت كلمة تسقط . ولا اعتمدت إلا ما يرضي الله ولا يسخط .
وبالله التوفيق والعصمة . وله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة: وكتب الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب إلى الاقطار والبلاد . يستدعي من جميع

الجهات جموع الجهاد . وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد .
واستحضر الغزو . من الحضر والبدو . وبرز من دمشق يوم السبت
مستهل المحرم قبل استتجاد الجنود . واستحشاد الحشود .
وإصغار الأسود . واحضار البيض والأسود . مضي العزم ماضي
العزم . صائب السهم ثائب الفهم . ثابت السعود . كابت الحسود .
وخيم على قصر سلامة من بصرى وكفت يد رعبه الطولى من الفرنج
اليد القصرى . وأقام علي ارتقاب اقتراب الحجاج . وقد رتب
الفرنج من الارصاد أفواجا على تلك الفجاج . لاسيما ابرنس
الكرك . فانه كان حريصا على الدرك . ناصبا شر الشرك نصب
الشرك . فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد . عاود دخول حصنه حذار
خروج روحه من الجسد . ووصل الحاج في أول صفر . وقد قضوا
حاجهم . ورضوا منهاجهم . وخرجوا عن فرضهم . وبخلوا إلى
أرضهم . وفرغ القلب من شغلهم . وخف مالزم من ثقلهم . وانتظر
السلطان وصول العسكر المصري المستدعى . ورعى منه حصول
العدد المسترعى . فأبطا عليه وروده . واختلفت في الاسراع وعوده .
فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين عليا . ولم يزل مكانه عنده
عليا . أن يقيم على رأس الأمراء برأس الماء . وتجتمع العساكر
الواصلة منه تحت اللواء . وتقدم السلطان في اتباعه وأشياعه . إلى
الكرك وضياعه . فأقام عليها يرهق ويزهق . ويحرب . ويحرق .
ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق حتي الحق الموجود بالمعدوم . وأتي
بالقطع على البساتين والكروم . ورعى الزروع وعرى الضروع .
واستأصل الأصول والفروع . حتي أقوت من الأقوات . واستعرت
الغلة بغلاء سعر الغلات . وحلت أجال الأرزاق . وانحلت عرا
الأرماق . واقفر بلد الشرك . وامتلا من الكرد والترك . وسار إلي
الشوبك فأسار به شوبا . وألحقه من عريه ثوبا . وأخلاه من زرع
ونبات . وفرغه من أقوات وقوات . وأذهب ضياء تلك الضياع .
وأزال بقاء تلك البقاع . وجاس الخلال . وداس الغلال . وقشر
الثرى وبشره . وحشر الردى ونشره . وسلب قرار القرى وسكون
مسكونها . وفجع الفرنج بكرمها وزيتونها . فقد عدم ليلها
المصباح . وصباحها الاصباح . ووصل عسكر مصر فذلقاه

بالقريتين . وفرقه على أعمال القلعتين . وأقام على هذه الحالة في
ذلك الجانب شهرين . والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء . في جمع
عظيم من العظماء . وعنده الجحافل الحافلة . والحواصل الواصلة
والعساكر الكاسره . والقساور القاسره . والبواتر الواتره .
والخضرم الضرم . والعرمم العرم . واللهام الملتهم . والجيش
الجائش . والترك والأكادش . والجنود والبزود . والاسود السود .
والفيالق الفوالق . والبيارق البوارق . وبنات الاغماد قد برزن من
خدورها حبا لمعانقة العدى . ظامئات إلى ورد الوريد وما أحسن
حلي نجيع الكفر على عرائس الهدى . والعزم يستنهضه . والعز
يحرضه . والدين يستبويه . والنصر يستعطيه . والقدر يحركه .
والظفر يدركه . والكفر قد مات من زعره . والاسلام قد مت بعزده .
وهو ينتظر أمرا من أبيه يأتيه بما يأتيه . ويكتب إليه ويقتضيه من
رأيه بما رأيه يقتضيه . ولما استمر تأخر الأمر استمر التأخير وقدم
في الاقدام التذكير والتكبير . وانتهز الفرصة واحرز الحصاة .
وانتحي وانتخب الاجناد الانجاد . وجرد الجرد واستجاد الجياد .
وسرى السرية السرية . وأمرها بالغارة على الغرة بأعمال طبرية .
ومظفر الدين بن زين الدين علي كوجك المقدم المقدام . والهمام
الهمام . والاسد الاسد . والأرشد الأشد . وعلى عسكر دمشق
قايماز النجمي ، وعلى عسكر حلب دلدزم الياروقي . فساروا
مدججين . وسروا مدلجين . وصباحوا صفورية (فساء صباح
المنذرين) (الصافات : ١٧٧) . فخرح اليهم الفرنج في جمع
شاك . وجمر ذاك . وقنطاريات طائرات . وسابريات سابغات .
ولداوى دوي وللاستاري هوي . والباروني يقدم على البوار
والتركبولي يلقي نفسه على النار . وقد ثاروا والثار قد وقد والجو
قد عقد . وقد انصدع زجاج الزجاج . وارتجز عجاج العجاج .
وانفض الفضاء وانقض القضاء . وكادوا يفلون الجمع ويجمعون
الفل . ويحلون العقد ويعقدون ما انحل . فثبت قايماز النجمي في
صدورهم . وأشرع الاسنة الى نحورهم . وروى اللهازم من
تامورهم . وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم . ولايكثرث بكثرتهم
ويستقلهم . ولقيهم دلدزم بالوجه الابيض . والعزم الانهض . والجد

الأجد . والحد الأحد . وانجلي الغبار . وقد عم الفرنج القتل
والاسار . وفجع بقتل مقدمهم الاسبتار . وأفلت مقدم الداوية وله
حصاص . ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلاك محاص . واخلفت
رنة السراء أنة الاسراء . وكانت هذه الذوبة بلا ذبوة . والهبة بلا
هبوة . وسكنت القلوب بهذه الحركة . وركنت النفوس إلى هذه
البركة . وسارت البشرى وسرت . ودارت النعمى ودرت . وعد ذلك
من إقبال الملك الافضل . وفضل الملك المقبل . وحسنت السنة
بالنصر . وأحسنت الالسنه في الشكر . هذا العساكر في كل يوم
يفدون ويفيدون . وفيما يجدون الطريق إليه من الزكايه في العدو
يجدون ويجيدون . وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك . فأيقنت الآمال
بالنجع والدرك . وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل
السير بالسرى وخيم بعشتر . ففصت بسيول الخيول الوهاد
والذرى . واجتمع به ولده . وقر عينا بشبل العرين أسده . وما
رأيت عسكرياً أبرك منه ولا أكبر . ولا أكرث للكفر ولا أكثر . وكان
يوم عرضه مذكراً بيوم العرض . وما شاهده الا من تلا (ولله جذود
السموات والأرض) (الفتح : ٤٠) . في ألوية كأنما عقدتها حور
الجنان بخمرها . وبيارق كأنما حبها أنف الرياض بزهرها . ويوم
كالليل عجا . وليل كالיום ابتلاجا . ومناصل بالمنى صلت .
وقساطل بالقسي طلت . وفيلق لها م يفلق . وقلوب يمانية رقاق في
صدور الاغماد تقلق . وطيور سهام من أوتار الحنايا إلى أوكار
المنايا تمرق . وسوابغ مفاضه . وسوابق مرتاضه . وهضاب
راسيات . وهواضب ساريات . ولما تم العرض . حم الفرض .
وتعين الجهاد . وتبين الاجتهاد . واضطربت السهول والوعوث .
وانبعثت الهمم وهمت البعوث . وسمع الفرنج بكثرة الجمع الجم .
وزخرة اليم الخضم . وبروز التوحيد إلى التثليث . وانتهاض الطيب
لأبحاض الخبيث . فخافوا وخابوا . وهبوا وهابوا . وعرفوا أن
حزبهم مخذول . وأن غريهم مفلول . وأن حدهم مثلوم . وأن جندهم
مهزوم . وأنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله . وأن الايمان كله برز
إلى الشرك كله . وقد كان بينهم حينئذ خلاف مذيعث . وحلف منتكث .
ووقع نفار بين الأنفار . ووقود شرار بين الشرار . ولما استندوا

حين حينهم . سمعوا في إصلاح ذات بينهم . ودخل الملك على القومص . ليتقمص له بالود الأخلص . ورمى عليه بنفسه . واستبدل وحشته بأذنة . فاصطحبها بعدما اصطلحا . وأصحابا بعد ما جمحا . وتزاور الفرنج وتوازرؤا . وتآمروا ما بينهم وتشاوروا . وقالوا هذا بين متى لنا منه الوها هوى . وعود إذا عاد الأذى ذوى . فالسيح لنا . والصليب معنا . والمعمودية عمـدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا مراحنا . وصحافنا صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء . ومع أودائنا الداوية الأدواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستار بتار . وقرن الباروني من مقارنته بوار . ومعنا الدلاص والصلاد . والصعاب والصعاد . وفي كل قنطاري قنطار . ولكل سابري من اسنتنا مسبار . وقد عم بحرنا الساحل . وشدنا به المعاهد والمعازل . وهذه الأرض تسعنا نيفا وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة . وأرماحنا إلى هذه الغاية من الأسواء أسوار هذه البقاع والامكنة . وسلطين الاسلام ما صدقوا أن يسلموا إلينا ويسالمون . ويبذلوا لنا القـطائع ويقاطعوننا . وطالما ناصفونا وما صافونا . وهادونا وهادونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي وقعتنا تعويقهم . فقال القومص وكان محربا مجربا . متدبر متدربا . هذا صلاح الدين لايقاس بأحد من السلاطين لتسلطه . واقدامه على المخاوف وتورطه . وإن كسر كم مرة فلا يصح لكم الجبر . وليس إلا المراوغة والمفاورة والصبر . والصواب أن لا نخالطه ولا نباسطه . ولا نخالقه ونقبل شرائطه . فقال له الملك : أنت قد قلبتك الآفة . وفي قلبك المخافة . وأنت للخور رخو . وللخشية حشو . وأنا لا بد أن أصدمه وأصده . وأكدمه وأكده . وأراده حتى أرده . وأقيم صليب الصلبوت فلا يقعد عنه من أهل الأحد أحد . وأمد يد الأيد لجمعي فلا تمتد لأهل الجمعة يد . فقبل القومص قوله على مضض وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض . ولما أحس منه الملك بالوفاء والوفاق . وعدم الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق . اشتغلوا بالحدش والحدش والطبي والنشر .

ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلاف

لما هلك الملك أماري بن فلك في آخر سنة تسع وخمسمائة خلف ولدا مجذوما. وكان مع الوجود معدوما • قد أعضل دأؤه • وأيس شفاؤه • وطال بلاؤه • فوضع الفرنج التاج على رأسه • وتمسكوا مع امراضه بامراسه • ونفذوا في ضرمة • وتسمنوا بورمه • وصدوا بسقمه ورقوا في سالمه • ورضوا بتقدمه • واكبروه وأركبوه • وأقدموا به وقدموه • وهم يكرثون بجذا (١) ملكهم هذا ولا يكثرثون بجذامه • ويحمون حماه ان يحم حلول حمامه • وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا • معارا من اشفاقهم واتفاقهم مراعى • فلما احس بهلاكه • وسكون حراكه • احضر البطريرك والقسوس • والمقدمين والرؤوس • وكان له ابن اخت صغير • عن التطاول الى الملك قصير • وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص (٢) يكفيه مدة سني صغره • وهو يستقل به بعد كبره • فهو الان لا يستبد • ومن أمر القومص يستمد • فقبل القومص الوصية • وجمع اليه الاطراف • الدانية والقاصية • وسكن بطبرية فان صاحبته كانت تزوجت به • وطمعت في قوته وقربه • وهلك الملك المجذوم • وظهر المكثوم وطمع القومص في الملك استقلالاً فعدم موافقة الداوية • وقالوا يلزمك العمل بشرط الوصية فكفل بالامر وهو مغلوب • وتفقد اختياره فاذا هو مسلوب • ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدين ليقوى بجانبه • ويحظى من مواهبه • فاشتد ازره واشتد امره • واستقل بنفسه • واستولى على جذسه • حتى مات الملك الصغير • فانتقل الملك منه الى امه • وبطل ما كان في عزم القومص برغمه • وانتقل الملك اليها • واجتمع الفرنج عليها • فقالت لهم زوجي أقدر وهو احق بالملك واجدر • واخذت التاج من رأسها فوضعت على رأسه • وعاش رجاءه بعد رأسه • وراش غناه بعد افلاسه • وانتاش إبليس بعد ابلاسه • وقامت قيامة القومص باجلاسه • وطالبه الملك الجديد بحساب ما تولاه • فما اجاب دعوته

ولالباه • وا • تنصر عليه بسطاننا الملك الناصر • واقام بطبرية في
زي المتناول المتناصر • وضم اليه من الافرنجة من استرغبه • بما
استماحه من سلطاننا واستوهبه • وحث العزم السلطاني على
قصدهم ليرد اليه الملك • ويجد له في نظم امره السالك • فلما
اجتمعت العساكر الاسلامية • وتآلفت منها الجزرية والديار بكريّة
والمصرية والشامية • جاء الملك الى القومص بذفسه وفتح له ما
وجده من وحشته وعدمه من أنسه • وقال اصحاب القومص له ان
لم تنصره فنحن ما نخذل الدين • ولا نكون بايينا مسلمين الى
المسلمين • وامت بينهم ليوم المصاف المصافاه • وزالت المنافرة
والمنافاه .

ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر الى ديار الفرنج

أصبح بالخيم عارضا من العسكر لعارض شجاج • وبحر بالعجاج
عجاج • وخضم بالصواهل السوابح والمناصل والصفائح ذي
امواج • وقد رتب ابطاله وطلابه • وسحب على وجه الارض
سحابه • ونقل به الثرى الى الثريا ترابه • وطار الى النسر الواقع
من الغبار غرابه • وقد فض الفضاء ختام القتام • وشدت للشدائد
كتب الكبت على حمم الحمام • وحنّت ضلوع الحنايا على اجنة
السهام • وتكفلت العوجاء بالمعتدلة • وضمت المنفلتة الى المنفلتة ،
ووفت الاوتار بالالوتار • وثار كل طلب لطلب النار • ووقف
السلطان يوم العرض يرتب العسكر ترتيبا • ويديبه تبويبا • ويعبيه
بعيدا وقريبا وقرر لكل امير امرا • ولكل مقدم مقاما • ولكل موفق
موقفا • ولكل كمين مكانا • ولكل قرن قرانا • ولكل جمر مطفئا •
ولكل جمع مكفئا • ولكل زند موريا • ولكل حد ممهيا • ولكل
قضية حكما • ولكل حنية سهما • ولكل يمين مقضبا • ولكل يمان
مقبضا • ولكل ضامر مضمارا • ولكل مغوار مغارا • ولكل رام

مرتمى • ولكل نام منتمى • ولكل سام مسمى • ولكل اسم مسمى • وعين لكل امير موقفا في الميمنة والميسرة لا ينتقل عنه • ولا يغيب جمعه ولا يبرح احد منه • واخرج الجاليشية الرماة الكماسة من كل طلب • ووصى كل حزب بما بقربه من حزب • وقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة عساكرنا ، وصورة مواردنا ومصادرنا • ومواضع اطلابنا • ومطالع ابطالنا • ومصارع اسنتنا • وشوارع اعنتنا • وميادين جردنا • وبساتين وربنا • ومواقف صروفنا • ومصارف وقوفنا • ومرامي مرامنا • ومجالي مجالنا • وقوى الآمال بما بذله من الاموال • وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال • وجمع العدد • وفرق العدد • وهب الجياد واجاد المواهب • ورغب في العطايا واعطى الرغائب • ونثر الخزائن • ونثر الكنائن • وانفق النخائر • واستنفذ كرائمها والاخير وقسم احمال الذشاب • ففترق الناس منه بأكثر من ملء الجعاب • واجرى الجرد واجنى الاجناد • واذكى المذاكي واشهد الاشهاد • واذال مناقب المناقب • واستمال معاطف المعاطب • وقوى القى - واطع • وروى الروائع • وعاد الى المخيم مسرورا محبورا • مقبولا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد رتب وربت • وقنب وكتب وثبت ونبت • قد بر عمله وابرامله • وفاح نشره • ولاح بشره • وتأرج رياه • وتبلج محياه • وايقن بالظفر وظفر باليقين • وامن الى الدعوة المستدعية للتأمين • وتيمن باوضح عرابه الميامين • واوضح اعرابه في اقتضاء بين الدين • واذس ببهجة الخيل ولهجة الخير • وسر سره بما سرى له من وجه السير • وشد حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الاسراح للاسراء • والجم العرب للعراء .

ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر والتوفيق مساييره • والتأييد مؤازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكائره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والاسلام شاكركه • والله عز وجل ناصره • وسار على الهيئة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبة • والكتائب المكتبة • والمراتب

المرتبة • والمذاهب المهذبة • والسلاهب المجنبة • والصوائب
المجعبة • والقواضب المقرية • والثعالب المذبذبة • واللهازم
الهائمة • والصلادم اللازمة • والضراغم الضاغمة • وخيم على
خسفين • وقد اننى الله الخسف بالعدو وخسوفه • وكسف الكفر
ونكسوفه • وبات والوجوه سافرة • والعيون في سبيل الله ساهرة •
والايدي لسيوف الايد شاهرة • والالسن لانعم الله شاكرة •
والقلوب بالاخلاص عامرة • والانفس للانس مسامرة • والاقدام
بالاقدار متضافرة متظاهرة .

ثم اصبح سائرا ونزل على الاربن بثغر الاقدوانة • بعزم
الصيال وعز الصيانة • واحاط ببجيرة طبرية بحره المحيط •
وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط • وبرزت الارض في قشب
اثوابها • وتفتحت السماء لتنزل الملائكة من ابوابها • ورست سفن
المضارب على تلك الانباج • وطمت الاطلاب امواجا على امواج •
وانعقدت سماء العجاج • وطلعت فيها انجم الخرصان والزجاج •
واعاد الاقدوانة رياضاً نضرة • وحدائق مزهرة • من فرس رد
وفارس كالاسد الورد • ومشرفيات كبطاقات الرياحين • ويزنيات
كأشجار البساتين • ورايات صفر تخفق بعذابات الياسمين •
والوية حمر كشقائق النعمان • وموضوعة زغف كالغدران •
ومصقولة بيض كالخلجان • ومريشة زرق كالاطيار • ومحنية عوج
كالافنان • وبيض تلمع كثغور الاقدوان • وجبب ترائك على بحور
الدارعين • وعقبان صواهل تروق وتروع الناظرين والسامعين •
والفرنجة قد صفوا راياتهم بصفورية • ولووا الالوية على مدود
الضوامر الزواجر قناطر القنطاريات • واوقدوا في ظلام القتام
الثائر سروج السرجيات • وصوبوا الى صوب قرا الاقران نيات
اليزنيات • واحاطوا حول مراكزهم بدوائرهم • وحاطوا
بواشرهم • وجمعوا الاوشاب والاباش • ورتبوا الجيش •
وثبتوا الجاش ، وحشدوا الفارس والراجل • والرامح والنابل •
وذشروا الذوايل • وحشروا ابطال الباطل • ورفعوا صليب
الصلبوت • فاجتمع اليه عباد الطاغوت • وضلال الناسوت

واللاهوت • ونادوا في نوادي اقاليم اهل الاقانيم • وصـالـبوا
الصليب الاعظم بالتعظيم ، وماعصاهم من له عصا • وخرجوا عن
العد والاحصا • وكانوا عدد الحصى • وصاروا في زهاء خمسين
الفا ويزيدون • ويكيدون مايكيدون • قد توافوا على صعيد •
ووافوا من قريب وبعيد • وهم هناك مقيمون • لا يرومون حركة
ولا يريمون • والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير اليهم
ويشرف عليهم • ويراميهـم • وينـكـى فيهم • ويتعـرضـلهم
ليتعرضوا له • ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله •
فربضوا ومانبضوا • وقعدوا ومانهضوا • فلو برزوا لبرز اليهم
القتل في مضاجعهم • وعانـذوا مقام صارعهم • في سـوقهم الى
مصارعهم • وفزعوا مما فيه وقعوا • وجبذوا عما له تشجعوا •
فرأى السلطان ان يطيب ربه • من طبرية ويشرف على خطتها
بالخطية والمشرقية • ويحوز حوزتها ويملك مملكتها • فجر على
الاردن اردان الربينيات • واطلع الذقـع المثار من البحر بحوافر
الاعوجيات • واستسهل عليها ولم يستوعر عربيات العربيات •
فأمر عساكره • وامراء جيشه واكابره • ان يقيموا قبالة الفرنج •
ويضيقوا عليهم واسع النهج • فان خرجوا للمصاف بادروا الى
الانتقام منهم والانتصاف • وان تحركوا الى بعض الجوانب • وثبوا
بهم وثوب الاسود بالارانب • وان قصدوا طبرية لصونها وان يكونوا
في عونها • عجلوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام •

ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خـواصه ، وذوي اسـلـحـة تـخلـاصه • واحضر
الجندارية والنقابين • والخراسانية • والحجارين • واطـاف
بسورها • وشرع في هدم معمرها • وصدقها القتال • وماصـدف
عنها النزال • وكان ذلك يوم الخميس • وهو يوم الخميس • واخذ
النقابون الذقب في برج فهدوه وهدموه • وتساقوا فيه وتسالموه •

ودخل الليل وصباح الفتح مسفر . وليل الويل على العدو معتكر .
وامتنعت القلعة بمن فيها . من القومصية . ست طبرية وبنيتها . ولما
سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده . سقط في يده . وخرج عن جلد
جلده . وسمح للفرنج بسبده ولبده . وقال لهم لاقعود بعد اليوم *
ولا بد لنا من وقم القوم * واذا اخذت طبرية اخذت البلاد * ونهبت
الطراف والتلاد * وما بقي لي من صبر . وما بعد هذا الكسر لي جبر
وكان الملك قد حالفه . فما خالفه . ووافق . فما نافقه . وما حظه فما
مازقه ووادده فما رادده . وواعده فما عاوده . ورحل بجمعه . وبصره
وسمعه . وثعابينه وشياطينه . وسراجينه وسراحيه . واتباع غيه .
واشباع بغيه . فمادت الارض بحركته . وغامت السماء من غبرته .
ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا . وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا .
وعبوا وعبوا . ودبوا حتى يذبوا . وشبوا النار . ولبوا الثار .
وقدموا للنزل بالدار البدار . وذلك يوم الجمعة رابع عشرين ربيع
الاخر . فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه . بما سبق به حكمه .
وسر حين احاط بمسيرهم علمه . وقال : قد حصل المطلوب . وكمل
المخطوب . وجاءنا مانريد . ولنا بحمد الله الجد الجديد . والحد
الحديد . والبأس الشديد . والنصر العتيد . واذا صحت كسرتهم .
وقتلت واسرت اسراتهم . فطبرية وجميع الساحل . مادونها مانع .
ولا عن فتحها وازع . واستخار الله وسار . وعدم القرار . وجاء يوم
الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الاخر والفرنج سائرون الى طبرية
بقضهم وقضيضهم . وكانهم على اليفاع في حضيضهم . وقد ماجت
خضارهم . وهاجت ضراغمهم . وطارت قشاعهم . وثارت غماغهم
وسدت الافاق غمائهم . وشاقت ضاربها جماجمهم . وهم كالجبال
السائرة . وكالبحار الزاخرة . امواجها ملتطمة . وافواجها مزحمة .
وفجاجها محتدمة . واعلاجها مصطلمة . وقد جوى الجو . وضوى
الضو . ودوى الدو . والفضاء منفض . والقضاء منقض . والثريا قد
استزار الثرى . وجر نيل الخيل قد برى البرى . والحوافر الحوافز
للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . وذئاب
النباد واجلاد الجلال قد حملوا كل عده . وكملوا كل عدة . فرتب
السلطان في مقابلتهم اطر اطلابه . وقصر على مقاتلتهم ارايه .

وحصل بعسكره قدامهم . ورقب على الحملة اقدامهم . وحجز بينهم
وبين الماء . ومنع ذمامهم على الذماء . وحلأهم عن الورد . وصدعهم
بالصد . ذاك واليوم قيظ . والقوم غيظ . وقد وقدت الهاجرة .
فوقدتها غير هاجرة . وشربت ماكان في اداوتها فهي على الظما غير
صابرة . وحجز الليل بين الفريقين . وحجرت الخيل على الطريقين .
وبات الاسلام للكفر مقابلا . والتوحيد للتذليل مقاتلا . والهدى
للضلال مراقبا . والايمان للشرك محاربا . وهيئت دركات النيران .
وهنئت درجات الجنان . وانتظر مالك واستبشر رضوان . حتى اذا
اسفر الصباح . وسفر الصباح . وفجر الفجر انهار النهار . ونفر
الذفير غراب الغبار . وانتبهت في الجفون الصوارم . والتهبت في
الضوامر الضوارم . وتيقظت الاوتار . وتغيظت النار . وسل الغرار .
وسلب القرار . خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال اهل النار .
ورنت القسي وغنت الاوتار . ورقصت مران المراد . لجلاء عرائس
الجلاد . وبرزت البيض من ملائها في الملا عارية . ورتعت السمر
لكلئها من الكلى راعية . فرجا الفرنج فرجا . وطلب طلبهم المحرج
مخرجا . فكلما خرجوا جرحوا . وبرح بهم حر الحرب فما برحوا .
وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء .
فشوتهم نار السهام وأشوتهم . وصدمت عليهم قلوب القسي القاسية
واصمتهم . واعجزوا وازعجوا . واحرجوا واخرجوا . وكلما حملوا
ردوا وارادوا . وكلما ساروا وشدوا اسروا وشدوا . ومادبت منهم
نملة . ولاذبت عنهم حملة . واضرموا واضطربوا . والتفخوا والتهبوا
وناشبهم الذشاب فعادت اسودهم تنفذ . وضايقتهم السهام
فوسعت فيهم الخرق النافذة . فأووا الى جبل حطين يعصمهم من
طوفان الدمار . فأحاطت بحطين بوارق البوار . ورشفتهم الظبا .
وفرشتهم على الربا . ورشقتهم الحنايا . وقشرتهم المنايا .
وقرشتهم البلايا . ورقشتهم الرزايا . وصاروا للردي درايا .
واللقضاي رمايا . ولما احس القومص بالكسرة . حسر عن ذراع
الحسرة . واقتال من العزيمة . واحتال في الهزيمة . وكان ذلك قبل
اضطراب الجمع واضطرام الجمر . واحتداد الحرب واحتدام الحر .
فخرج بطله يطلب الخروج . واعوج الى الوادي وماود ان يعوج .

ومضى كومض البرق . ووسع خطا خرقة قبل اتساع الخرق . واقلت في عدة معدودة . ولم يلتفت الى ردة مردودة . وغاب حالة حضور الوعي . ونابه الرعب الذي ذوى الهزيمة به وماونى . ثم استجرت الحرب . واشتجر الطعن والضرب . واحيط بالفرنج من حوالىهم بما حووا اليهم . ودارت دائرة الدوائر عليهم . وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم . فحطوا على حطين مضاربهم . وقلت حدود الرماة مضاربهم . واعجلوا عن نصب الخيم ورفعها . وشغلوا عن اصل الحياة وفرعها . وترجوا خيرا فتـرجلوا عن الخيل . وتجلدوا وتجالدوا فجرفهم السيف جرف السيل . واحاط بهم العسكر احاطة النار بأهلها . ولجأوا الى حزم الارض فبلغ حزامهم الطبيين من سهلها . واسر الشيطان وجنوده . وملك الملك وكنوده . وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى . وهم يتهادون في القيود تهادي السكارى . فقدم بدائه مقدم الداوية . ومعه عدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية . واحضر الملك كي واخوه جفري . واوك صاحب جبيل وهنفري . والابرنس ارناط صاحب الكرك . وهو اول من وقع في الشرك . وكان السلطان نذر دمه . وقال لا عجلن عند وجدانه عدمه . فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجذبه . وقرعه على غدره وذكره بذنبه وقال له: كم تحلف وتحذث . وتعهد وتذكث . وتبرم الميثاق وتدنقض . وتقبل على الوفاق ثم تعرض . فقال الترجمان عنه ان يقول قد جرت بذلك عادة الملوك . وما سلك غير السنن المسلوك . وكان الملك يلهث ظميا . ويميل من سكرة الرعب منتشيا . فأذسه السلطان وحاوره . وفتا سورة الوجل الذي ساوره . وسكن رعبه . وامن قلبه . واتي بماء مثلوج ازال لهثة وأزاح من العطش ماكرثه . وناوله الابرنس ليخدم ايضا لهبه . فأخذه من يده وشربه . فقال السلطان للملك لم تأخذ مني في سقيه أننا . فلا يوجب ذلك له مني أمنا . ثم ركب وخلاهما . وبنار الوهل اصلاهما . ولم ينزل الى ضرب سرادقه . وركزت أعلامه وبيارقه . وعادت عن الحومة الى الحمى فيالقه . فلما دخل سرادقه . استحضر الابرنس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه . وحين صرع . امر برأسه فقطع وجـر برجله قدام الملك حين اخرج . فارتاع وانزعج . فعرف السلطان انه

خامره الفزع . وساوره الهلع وسامره الجزع . فاستدعاه واستدناه
وامنه وطمنه . ومكنه من قربه وسكنه . وقال ذاك رداً عليه اودته .
وغدرته كما تراه غادرته . وقد هلك بغيه وبغيه ونباذنه حياته ووردها
عن وريه وريه . وصحت هذه الكسرة . وتمت هذه النصرة يوم
السبت وضربت ذلة اهل السبت على اهل الاحد . وكانوا اسودوا
فعدوا من النكد . فما اقلت من تلك الالاف الا احاد . وما نجا من
اولئك الاعداء الا اعداد . وامتلا الملا بالاسرى والقتلى . وانجلى
الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى . وقيدت الاسارى في الحبال واجبة
القلوب . وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب . وحطت
حطين تلك الجيف عن متنها . وطاب نشر النصر بنتنها . وعبرت
بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملتقى ملقاه . بالعراء عراة . ممزقة
بالمازق . مفصلة المفاصل . مفرقة المرافق . مفلقة المفاقر .
محدوفة الرقاب . مقصوفة الاصلاب . مقطعة الهام . موزعة
الاقدام . مجدوعة الاناف . منزوعة الاطراف . معضاة الاعضاء .
مجزأة الاجزاء . مفقوعة العيون مبعوجة البطون . مخصوبة
الضفائر . معضوبة المرائر ، مبرية البنان . مفرية اللبان مقصومة
الاضالع . مفصومة الاشاجع . مرضوضة الصدور . مفضوضة
النحور . منصفة الاجساد . مقصفة الاعضاد . مقلصة الشفاه .
مخلصة الجباه . قانية الذوائب . دامية الترائب . مشكوكة الاضلع
مفكوكة الاذرع . مكسورة العظام . محسورة اللثام . بائدة
الوجوه . بائدة المكروه . مبشورة الابشار . معشورة الاعشار .
منشورة الشعور . مقشورة الظهور . مهدومة البنيان . مهتومة
الاسنان . مهركة الدماء . مرهقة الذماء . هاروة الذرى . واهية
العرى . سائلة الاحداق . مائلة الاعناق . مفتونة الافلان . مبتوتة
الافخاذ . مشدوخة الهامات . مسلوخة اللببات . عديمة الارواح .
هشيمة الاشباح . كالأحجار بين الاحجار . عبرة لاولي الابصار .
وصارت تلك المعركة بالدماء أدماء . وعادت الغبرة حمراء . وجرت
انهار الدم المنهمر . وسفر تلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر .
فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث . وما الهب عذابات العذاب
في تلك الجثث . وما أحسن عمارات القلوب بقبح ذلك الشعث . وما

أجزى صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث • هذا وحساب من قتل فقد
حصرت السنة الأمم عن حصره وعده • وأما من أسر فلم تكف
أطناب الخيم لقيده وشده • ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين
يقودهم فارس • وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس •
وهناك العتاة عناة • والعداة عراة • وذووا الاسرة أسرى • وأولو
الاثرة عثرى • والقوامص قنائص • والفوارس فرائس • وغوالي
الارواح رخائص • ووجوه الداوية الداوية عوابس • والرؤوس تحت
الاخامص • ومطالع الاجسام ذوات المقاطع والمخالص • فكما اصيد
صيد • وقائد وقيد • ومشرك مكشر • وكافر مفكر • ومثلث
منصف • ومكيف مكثف • وجارح مجروح • وقارح مقروح • وملك
مملوك • وهاتك مهتوك • ومتبر مبتور • ومحسر محسور • وكاب
في الكبول • ومغتال في الغلول • وحر في الرق • ومبطل في يد الحق •

ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصليبوت • واهلك دونه اهل
الطاغوت • وهو الذي اذا نصب واقيم ورفع • سجد له كل نصراني
وركع • وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها
معبودهم ومسجودهم • وقد غلفوه بالذهب الاحمر • وكللوه بالدر
والجوهر • واعدوه ليوم الروح المشهود • ولوسم عيدهم الموعود •
فاذا اخرجته القسوس • وحملته الرؤوس • تبادروا اليه • واذنلوا
عليه ولا يسع لاحدهم عنه التخلف ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في
نفسه التصرف • واخذ اعظم عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب
لهم في ذلك المعترك • فان الصليب السليب ماله عوض • ولا لهم في
سواه غرض والتأله له عليهم مفترض • فهو إلههم • وتعفر له
جباهم • وتسبح له افواههم • يتغاشون عند احضاره • يتعاشون
لابصاره • ويتلاشون لاظهاره • ويتغاضون اذا شاهده •
ويتواجدون اذا وجدوه • ويبذلون دونه المهج • ويطلبون به الفرج بل
صاغوا على مثاله صلابانا يعبدونها • ويخشعون لها في بيوتهم

ويشهدونها . فلما اخذ هذا الصليب الاعظم عظم مصابهم . ووهت اصلابهم . وكان الجمع المكسور عظيما . والموقف المنصور كريما . فكأنهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب لم يتخلف احد من يومهم العصيب . فهلكوا قتلا واسرا وملكوا قهرا وقسرا . ونزل السلطان على صحراء طبرية كالاسد المصحر . والقمر المبدر .

ذكر فتح حصن طبرية

وندب الي حصنها من تسلمه امانا . واسكنه بعد الكفر ايمانا . وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته . ونقلت اليه كل ما ملكته وحوته . فأمنها على اصحابها واموالها . وخرجت بذسائها ورجالها ورجالها . وسارت الي طرابلس بلد زوجها القومص بمالها وحالها . وغادرت طبرية أهلة أمنة باهل الايمان . وعين لولايتها صارم الدين قايمز النجمي ، وهو من الاكابر الاعيان . وهذا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية . وقد طب البرية . وعسكره طبق البرية .

ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبتارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطابهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الاخر بعد الفتح بيومين . طلب الاسارى من الداوية والاسبتارية ، وقال : أنا أظهر الارض من الجذسين النجسين . وجعل لكل من يحضر منهما اسيرا خمسين . فأحضر العسكر في الحال مئتين . وامر بضرب اعناقهم . واختار قتلهم على استرقاقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف . وعدة من ذوي التعفف والتعيف . فسأل كل واحد في قتل واحد . وسل سيفه . وحسر عن ساعد . والسلطان جالس . ووجهه باشر والكفر عابس . والعساكر صفوف . والامراء في السماطين

وقوف . فمنهم من فرى وبرى وشكر . ومنهم من ابى ونبا وعذر .
ومنهم من يضحك منه . وينوب سواه عنه . وشاهدت هناك الضحوك
القتال . ورأيت منه القوال الفعال . فكم وعد انجزه . وحمد احرز .
واجر استداه بدم اجراه . وبر اعنق اليه بعنق براه . ونصل
خضبه . لنصر خطبه . واسل اعتقله . لاسد عقله . وداء داواه
لداوي ادواه . وقوة اهداها لهداة قواها .

ولواء نشره للواء طواها . وكفر أماته لاسلام أحياء . وشرك
هدمه لتوحيد بناءه . وعزما مضاهها . لأمة ارضاهها . وعدو قصمه .
لولي عصمة . وسير ملك الفرنج وأخاه وهذفري وصاحب جبيل
ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق ليودعوا
السجون . وتستبدل حركاتهم السكون . وتفرقت العساكر بما حوته
أيديهم من السبي أيدي سبأ وخمد جمر جمع الكفر وخبا .

ذكر فتح عكا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهرا على اهل التثليث مديلا
للطيب . مزيلا للخبث . وسار عسكره . وثار عثيره . وظهرت
راياته . وبهرت آياته . ونعرت كوساته . وصاحت بوقاته . وجالت
خيوله . وسالت سيوله . وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصاته
وقلعت قلائع تلك الجبال جبال فرسانه . وحفرت حوافر الصلاد م
أصلاب الصلاد الصلاب . وفصحت بسا عراب الحمام صواهل
الجياد العراب . والاسنة مشرعة . والأعنة مسرعة . وبحور السوابح
متموجة وغدران السوابح مترجرجة . وبوارق البيارق متبرجة .
وأوضح الجرد وغررها كأوضح النصر وغرره متبلجة . ونزل عشية
بأرض لوبية لداعي الفتح ملبيا . ولجيش النصر معبيا . ولولود
الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربيا . وبات بها معرسا بانيا
على عروس الظفر البكر . جانيا ثمار الاماني من غروس البيض

والسمر • وأصبح وقد اصحب جماح الدهر • وصح نجاح الأمر •
وحص جناح الكفر • واسفر فجر الفرج • وسفر وجه البهج • وسار
سارا سره بارا بأرباب الدين بره • زائرة أسوده • طائرة بذوده •
ظاهرة جنوده زاهرة جدوده • سامية أضواؤه • هامية أنواؤه • رائعة
مواكبه • رائقة مراكبه • مجنبة عتاقه • فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سير للفقر الى نصرته من يثري به • وهذا الأمير عز
الدين أبو فليته القاسم بن المهنا الحسني قد وفد في تلك السنة أوان
عود الحاج • وهو ذو شيبة تقد كالسراج • وما برح مع الملك الناصر •
مأثور المأثر • ميمون الصحبة • مأمون المحبة • مبارك الطلعة •
مشاركاً في الوقعة فما تم فتح تلك السنين الا بحضوره • ولا أشرق
مطلع من النصر الا بذوره • فرأيته ذلك اليوم للسلطان مسائرا •
ورأيت السلطان له مشاورا محاورا • وأنا أسير معهما • وقد بذوت
منهما ليسمعاني وأسمعهما • ولاحت أعلام عكا وكأن بيارق الفرنج
المركوزة عليها أسنة من الخوف تتشكى • وكأن عذبات النيران
تصاعدت لعذاب أهلها • وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من
وعرها وسهلها • فلما قرب منها خيم وراء تلها • وأننت عروش
معاشر الشرك بذلها • وعقود معاقدي الكفر بحلها • وأصبح يوم
الخميس وركب في خميسه • ووقف كالأسد في عريسه • فخرج أهل
البلد يطلبون الامان • ويبذلون الانعان فامنهم وخيرهم بين المقام
والانتقال • ووهب لهم عصمة الانفس والاموال • وكان في ظنهم أنه
يستبيح دماءهم • ويسبي ذريتهم ونسائهم • وأمهلهم أياما حتى
ينقل من يختار النقلة • واغتنموا تلك المهلة • وفتح الباب
للخاصة • واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوي الخصاصة •
فان القوم ما صدقوا من الخوف المزعج • والفرج المخرج • كيف
يتركون دورهم بما فيها ويسلمون • وعندهم أنهم إذا نجوا بأنفسهم
أنهم يغنمون • فترك معظمهم المدينة • وعندهم انه ما كسب السكينة
الا من ركب السفينة • وذلك ان الجند لما دخلوها • استولوا على
الدور ونزلوها وركز كل منهم بيرقه على دار • وقال صاحبها كيف
يصح المقام مع الأسد في غابه ولا مقام على زار • وكان السلطان
جعل للفقيه عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالداوية من منازل وضياع •

ومواضع ورباع • فاخذها بما فيها من غلال ومتاع . ووهب عكا
لولده الملك الأفضل • فأجراها من نظره على الاحسن الاجمل •
وبخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى فاقمنا بها الجمعة •
ووصلنا فريضتها المنقطعة • وأعدنا الكنيسة العظمى مسجدا
جامعا • وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة لامعا • وحضر القاضي
الاجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمذبر ، وتبسم بميامنه للاسلام
بعد الاظلام سني الصبح المسفر ، وخطب جمال الدين عبد اللطيف
ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي ، فإنه تولى بها القضاء
والخطابة ، وملأنا بعد الذئاب بالآساد السادة السادة تلك
الغابة ، وخلي سكان البلد دروهم ، ومخزونهم ومنخورهم وتركوها
لمن أخذها ، ونبذوا ماحووه لمن حواها مانبذها ، وافتقر من الفرنج
أغنياء ، واستغنى من أجنادنا فقراء ، ولونخرت تلك الحواصل
وحصلت تلك النخائر ، وجمع لبيت المال ذلك المال المجمع - ووع
الوافر ، لكان عدة ليوم الشدائد ، وعمدة لنجح المقاصد ، فرتعت في
خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروج الاطماع ، وطال لمستحليها
ومستحليها الامتاع بذلك المتاع ، وأقام السلطان بباب عكا على التل
مخيما ، وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمما ، ولملكتهها
متمما ، وكان قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر
وهو بمصر ، بما أتاه الله من النصر ، وقبضه له من اقتضاض
الفتح البكر ، فوصلت البشرى بوصوله باشرا ، وللواء الحمد
ناشرا ، ولاستفتاح مافي طريقه من الحصون مباشرة ، وأنه فتح
حصن مجدل يابا ومدينة يافا عذوة ، واغتنمها غزوة ، وتسلمها
حظوة ، فقصده من عساكرنا القصاد ، ووفد اليه من عندنا
الوفاد ، فحباهم بالحباء من السبايا ، وآتاهم المرباع
والصفايا ، وخصهم من الحاصل بالنقود ، ووعدهم مما سيحصل
بالذسايا ، وشرع يستضيف حصنا فحصنا ، ويستضيف حرسنا
وحسنا ، ويستزيد بلدا ، ويستزير مددا ، ويستزير من الكفر
يدا ، ويستميل الى الهدى هدى ، والدين بسيف سيفه
منصور ، والاسلام بنصر ناصره مسرور ، والملك العادل مالك
بعده ، سالك نهج النجاح بفضله ، فائز العزيمة حائز

الغنيمة ، ماضي الضريبة قاضي الكتبية ، ميمون النقيبة مأمول
الرجبة .

ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بمخيمه ، ظافرا بمغزمه ظاهرا بكرمه ، شاكرا
عرام عرمرمه ، ملها ضرام مخزمه ، مرويا أوار لهزمه ، وأمر
أمرأه بقصد البلاد المجاورة ، وأمدهم بالضراغم المراوغة
المغاورة .

فتح الناصرة وصفورية

فسار مظفر الدين كوكبوري الى الناصرة فاستباح
حماها ، واستبي دماها ، وحلها واستحلها ، وأزالها
وأزلها ، وخف اليها واستخفها ، واستشفها وشفها ، وشافها
بشفار البواتر ، فشفه منها موارد النخائر ، واجتلى
عرائسها ، واجتني مغارسها ، وجمع نفائسها ونزع
ملايسها ، واستدر طيبها ، واسترد سبيها ، واستقل منها بما
استقل به من كل غانية عانية • ورقيقة رقيقة • ومصابة
مصيبة ، ومسببة مصيبة ، ومجلوة مجلوبة ، وسالبة
مسلوقة ، ودمية دامية ، وجارية لطيفة بالعذف جارية ، واسيرة
من أسره ، وحاسرة عن حسره ، وثالكة لواحدتها ، وأكلة
لساعدها ، وعاضة على يديها ، وفاضة ختم الدمع على خديها •
وناهضة متنهدة ، وفريضة متفردة ، وناعمة شقية ، وقينة
نقية ، وعذراء مفترعة ، وحسناء منتزعة ، ومخطفة ، وقوية
مستضعفة ، وعزيزة ذليلة ، وصحيحة عليلة ، وساجية
عبرى ، وصاحبة سكرى ، وغريرة غراء ، وظبية

ظلماء ، وغضيضة غضة ، وفضة مذفظة ، وخمارة
مخمورة ، وسحارة مسحورة ، ومخدرة مهتوكة ، وموقرة
منهوكة ، وجاءوا بالأسارى بين يديه مقرنين في الأصفاد ، مقودين
في الأقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الأعناق والسوق
وصفرت صفورية من سكانها فلم يوجد بها صافر ، وكان بها من
النخائر مبلغ وافر .

فتح قيسارية

وتوجه بدر الدين دلدرد وغرس الدين قليج وجماعة من الأمراء
الى قيسارية ، فافتتحوها بالسيف ، وسلطوا على الأنفس بها
حاكمي الحتف والحيث ، وسلبوا ، وحلبوا ، وارتبوا ، وربطوا ، وضبطوا واستفادوا ، وفروا
الفوارس ، وكذبوا الكنائس ، واستتبوا الأبركار
العرائس ، والعون العوانس ، وتسلمت بعدها حيفا
وأرسوف ، واستولى على تلك الشوموس والأقمار الكسوف
والخسوف ..

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس
حاسما بحسامه داء الشرك ، مائلا بسهام الفتك جعاب
الترك . تاليا أي الفتح . جاليا رأي النجح ، ووصل الى سمسطة
فتسلمها ، وتعجل مغنمها . ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد
اتخذ القسوس كنيسة ، واعادوها بالصور والآلات الذهبية
أميسة . فاستخرج المصونات والمصوغات ، واستوعب العدد

والالات . وأعاده مشهدا ، ورده مسجدا ، ووضع فيه من بره
بالاسلام منبرا ، وأصبح الدين به مثرىا والكفر مقترا ، ثم أناخ
على نابلس وناب حده غير ناب ، وطرف حده غير كاب ، وحد بأسه
طيرير . وناظر الدولة به قرير . وكان من قبل سلب ساكنوها من
الفرننج والنصارى السكون . وأيقذوا أنهم ان اقاموا لايأمدون
المذون ، فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم في
مواطنهم ، فأجفلوا من مساكنهم ، وانتقلوا من أماكنهم ، وخلوا
دورهم وأخلوها ، وتسألوا منها وسلوها ، وتحول الاقوياء الى
قلعتها ، وتحصنوا بتلعتها . ونازلوها حسام الدين
وحاصرها . وطال عليه حصرها وصابرها ، ولم يزل عليها
مقيما . ولقتالها مديما ، الى أن وثقوا بأمانه ، وعلقوا
باحسانه . وسلموا وسلموا . واستأمنوا وأمدوا ، وخلصت له
نابلس واعمالها . وحليت به احوالها . ولكون معظم اهلها وجميع
سكان نواحيها مسلمين ، لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم
الا ان يكونوا لحصنهم مسلمين ، فانمحي بالسعود رسم
النحوس . ونزعنا عنها لبوس البوس ، واستبشرت وجوه اهلها
بعد العبوس . وقام جاه الأذان وانكسر ناموس الناقوس .

فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها . واملاها بالرجال والعدد
واشحنها . وهي للداوية حصن حصين . ومكان مكين وركن
ركين . وفيها مشتاهم ومصيفهم . ومقراهم ومضيفهم . ومربط
خيولهم . ومجر نيولهم . ومجرى سيولهم . ومجمع
اخوانهم . ومشروع شيطانهم . وموضع صلبانهم . ومورد
حمتهم . وموقد جمرتهم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم
الى مصرعهم . واثقين بأن الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما
كسروا واسروا . وخسروا وتحسروا . خلت طالول الفولة . بحدود

اهلها المفلولة . وماء داويتها المطلولة . ولم يجتمع شمل غموودها
بالسيوف المسلولة . ولم يبق بها الا رعايا رعا . وغلمان
واتباع . واشياع شعاع . فعدموا مكان حماية المكان . ووجدوا
امنهم في الاسستئمان . فسللموا الحصن بما فيه الى
السلطان . وكانت فيه اخاير النخائر . ونفائس الاعلاق . فوثقوا
بما احكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . وبخلوا في الزمام
لاجين . وللسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من
البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور واللجون . وبيسان
والقيمون . وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا
والبعنة واسكندورنة ومذوات .

فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك والأعمال ، وقلصت من الضلال تلك
الظلال ، وصفت الممالك ، ووفت المدارك ، أوعز السلطان الى ابن
أخيه الملك المظفر عمر ابن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن
تبنين ، وأن يتوكل على الله فيه ويستعين ، فالقى عليه جرار
بأسه ، ولقى بالتذليل جرار ناسه ، وأخذ في مضايقته
بأنفاسه ، ولح مالمع من قبس فتحه فشفعت باقتباسه ، وسنح له
قنصه فاشرب باقتناصه واقتراسه ، وكتب الى السلطان يبعثه على
الوصول اليه بعسكره ، والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره . فضرب
الكوس ، وسمت النفوس ، والنهوض في ظلام القتال من الترك
والترائك الأقمار والشموس ، واشتعلت من شبيب البيارق في شعاع
تلك البوارق الرؤوس ، وتحرك السواد كمهيل الذقا ، واشتبك على
الأساد غيل القنا ، وسالت الاوبية بالسباحات العتاق ، وطالت على
السير أعناق الاعناق ، ومالت الى الرقاب الغلاظ من أهل الكفر
رقاب الرقاق ، وجرت الفجاج ، وتموجت الأفواج ، وتفوجت
الأمواج وتحركت غدران السوابغ ، من رياح السوابق ، وتدركت
ضوا من الضوا من الأرفاد في ارداف الحق اللاحق ، وأسفر من بريق

البيض والبيض فلق الفيالق ، وترنمت الصواهل ، وترنحت الذوابل
وساح الساحل ، وراح الراحل ، ووصلنا الى تبنين في ثلاث
مراحل ، فرمينا اهل التذليث فيها بثلاثة الاثافي ، وأوطأناهم بشفاه
الشفار على حدود الاشافي ، ونزلنا عليها بالذوازل ، وبسطنا من
المجانيق عليها أيدي الغوائل ، فتبلدوا من الرعب ، وتجلدوا على
الحرب ، ثم خاروا وحاروا ، وجأروا وجاروا ، ورغبوا
ورهبوا ، وصدوا من سكر الجماح وأصباحوا ، وعجزوا
فجزعوا ، وفزهم الحصر وفزعوا ، وشكوا الندوب. وندبوا فدانوا
وبذوا ، وأذغذوا إذغذوا ، واعتذروا مما جذا ، ورأسلوا
السلطان ، وسألوا الأمان ، واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا بأموالهم
فأمهلوا ، وبذلوا رهائن من مقدميهم ووفوا بما بذلوا ، واقلع من
بالقلعة عن الجهلة ، وتعلق لبت العلق بالمهلة ، وتقربوا باطلاق
الاسارى المسلمين ، فخرج الأسورون مسرورين ، وأصبح الصبح
المكسورين مجبورين ، محبوبين بالفرج بعد الشدة محبورين ، وسر
بهم السلطان وسر بهم ، وأقرهم وقربهم ، وكسناهم
وحباهم ، وآتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غناهم ، وهذا دأبه في كل
بلد يفتحه وملك يربحه ، أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها ، ويعيد
بعد عدمها وجودها ، ويحيي بعد اليأس آمالها ، ويوسع أرزاقها
بعدما أجال عليها ضيق الأسر أجالها ، فخلص تلك السنة من الأسر
أكثر من عشرين ألف اسير للقيود الف ، ووقع في أسرنا من الكفار
مائة الف ، ولما خلوا القلعة ، وأخلوا البقعة ، سيرهم ومعهم من
العسكر المنصور ، من أوصلهم الى صور ، ورتب في الموضع مملوكه
سذقر الدوي ، فأرشد به ذلك الصقع الغوي ، فان أعمال جبل
عاملة مجبولة على الشر ، وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا
لأهل الكفر ، فوصى سذقر بتأنيس النافر ، وتعميس
الكافر ، وتأليف الجافل ، وتعريف الجاهل ، وقال له تبني بتبنين
ماهدم بالمنجنيق ، وتجدر سورها وخذقها كل مايمكن من التوثيق
والتعميق ، ورحل ومعه رفيق التدقيق ، وكان النزول على تبنين
يوم الأحد حادي عشر جمادى الاولى وتسلمها يوم الأحد الثامن
عشر منه .

فتح صيدا

يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى يوم النزول عليها . وسنحت له صيدا فتصدى لصيدها ، وكانت همته في قيدها وبادرها اشفاقا من مكر العداة وكيدها ، وسرنا وسرنا مرتاح ، ونصرنا متاح ، والجد جديد والمزاج مزاح والعزم جزم ، والحكم حتم ، ونفحات الفتوح لناشق اهل الهدى تفوح ، ونفحات الردى لأعين العدى تلوح ، ونص النصر قد تنزل ، وقصد الصدوق قد تعدل ، وفكر الكفر قد توزع ، وشرك الشرك قد تقطع وتقلع ، وظل الظفر ضاف ، وسر السرور غير خاف ، والقدر عون والمعين قادر ، والنظر سعيد والسعد ناظر ، وأوجها وأوجه البشائر باشر ، وقد جفت أجفانها البواتر الواطرة ، وجلت بياجير النقع من لمعان الحديد السوافر الوافرة ، واتصلت للممالك من الملائك أمداد النصر المتواترة المتواترة ، ووصلنا في يومين الى صيدا الى منهل فتحها صالين ، وعن حمى الحق دونها لاهل الباطل صالين ، ولما نزلنا من الوعر الى السهل سهل ماتوعر ، وصفا من الامر ماظن أنه تكدر ، فصرفنا الأعنة الى صرفند ، وأسمننا في مسارحها الجند ، وهي مدينة لطيفة على الساحل ، مدروية المناهل ، ذات بساتين ، وأزهار ورياحين ، وأشجار النارج والأترنج ، تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان الفرنج ، فجسنا خلالها ، وكل قلب مشغول خلالها ، وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية ، وقرتنا بما اشتبهنا من فواكهها تلك القرية ، ولم نخرج عليها حتى خيمنا على صيدا وقد حصلنا على صيدها ، وخلصنا من كيدها ، وانطلقت هممنا من قيدها ، فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها ، وانهبنا ظلماتها من العزائم الغر بمصاييحها وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سورها ، وجلت غياها ب تلك المذاهب بنوارها ، وفتحت أبوابها ، وأنجحت أرابها ، وعادت معالمها

مأهولة ، بعد أن كانت مقفرة مجهولة ، وصدق منبرها ، وصدق
مفخرها ، وربح متجرها ، ووضع منظرها ، وأقيمت بها الجمعة
والجماعة ، واستديمت بها بعد العصيان لله الطاعة ،

فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني
عشري جمادي الاول وتسلمها يوم الخميس
التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صيحاء وتبنيين ، وجمع لهما التحصين
والتحسين ، قال لعصمة الله شيدي مابصيدا وتبنيين
تبنين ، والحفيهما رداء الحماية فما يضيع ماتحفظين ، ولا يطرُق
ماتحمين ، ثم صرف عنانه ، وارهف سنانه ، ورحل على سمت
بيروت ، مالئا بعسكره الأكام والمروت ، وسار على الساحل ، بتلك
الجحافل ، يجر على البحر مائج ، ومجر مجرالى الهياج
هائج ، ونقد من عقد الجد رائج ، وعزم على صدق القصد
عائج ، ووصل اليها ونزل عليها ، وبنيت القباب ، وطفا على
خضم المعسكر من الخيم الحباب ، وزحف الى الأعداء
الآخاب ، وضويق البلد ، وفورق الجلد ، وأحاط الرجال
بأرجائه ، ورجمت بشهب النصال شياطين الضلال في
سمائه ، وانقضت نجوم السهام من أبراجه ، وتلاطم عباب ذلك
الجمع الجم بأفواج أفواجه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل نحوه
الباس ، واصططقت التراس ، واشتد المراس ، واحتد
القتال ، واحتدم النزال ، وامتد المصاع والمصال ، واتصل خروج
الجروح للجروح ، ودام احتراق الروح على اقتراح القروح ، ومدت
الجفاتي ، كأنها أعناق البخاتي ، وأتى العاتي وعتا الآتي ، وأحمد
النصر المواني المواتي ، ودارت كؤوس المنايا للأرواح بخذي

وهاتي ، وطارت القوارير ، وثارت المساعير ، واشتهل
الذفت ، واشتغل الرهط ، والتهم الزارق والتهب الحراق ، ومرق
الشهم الكمي ، مروق السهم من الرمي ، وأتي الوادي فطم على
القرى ، ودبت الدبابة بليوث الرجال ، وصبت الصبابة غيوث
الذبال ، وارتجزت رواعد الأبطال ، وأنجـزت مـواعـد
الآجال ، وجالت في الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت بالذوازل
نوازي الأهـوال ، ورعدت بـوارق البـوار ، واسـعدت
الأقدار ، بالأقدار ، وشغلت الرقاب ، قواضي القواضب ، وحملت
الذواكب على المناكب ، وخفت للأثقال اكتاف الفتاك ، وهتكت
سـتائر السـور فـهت أشـراك الأـشـراك ، ودام
القتال اياما ، يتضاعف اصطلاء واصطلاما ، ويتظاهر اضطرابا
واضطرابا ، وبنات الحنايا هائجة ، وأمات المنايا ناتجة ، ورجمت
بشهب الذفافات شياطين الداوية المربة ، وتعدت الأسود
العابية ، على أولئك القرية ، حتى خرق الخندق وطرق ، وعلق
الذقاب بالسور فذقب وعلق ، وكاد الذقب يتسع ، والبرج
يقع ، والجدار يذقض ، والحجار بالحجار تذقض وترفض ، وسوار
السور يذكسر ، وقناع الذقع لا يندسر ، وخرج من البلد رجال ، الى
الموت عجال ، وقفوا دون الباشورة مباشرين ، ولعاشر أصحابنا
بمعاطاة كؤوس المذون معاشرين ، فتلاقوا بسلام السلام ، وكلام
الكلام ، وتصافحوا بالصفائح ، وتجاروا بالجرائح ، وتواصلوا
بالقواطع ، وتعانقوا بالمقامع ، وتصارعوا على المصارع ، وتجادوا
وتجادوا وتواقحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا ، والبيض
يقد ، والبيض تقد ، والباسل يرد ، والباس يرد ، والصقيل
الصادي يصدأ بالدم ويروي ، وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام
يقوى ، ثم انحصروا في البلد ، وانحشروا على اللد ، وضافهم
الرعب ، وضاق بهم الرحب ، وذلوا وخاروا ، وضلوا
وحاروا ، ولما خام المقاتلة وخذلوا ، ظن أهل بيروت ان المسلمين
دخلوا ، فأجفلوا الى البحر اذ عدموا سكينتهم ، ليركبوا
سفينتهم ، ويخلوا مدينتهم ، فخرج أحد المقدمين يستدعي
الامان ، ويستعدي الايمان ، ويطلب مثالا يعصمهم ، وزماما

يحرّمهم ، وعهدا يسلمون به ويسلمهم ، وعقدا في عقد الأمن
ينظمهم ، وكنت يومئذ في مرض قد أزعجني وأعجزني ، ومضض
أجفاني ولعيون العواد ابرزني ، وانقطعت عن الحضور عند
السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الأمان ، فطلب السلطان كل
كاتب في ديواني ، وكل من يمسك قلماً من أفاضل الملوك
وأعيانه ، فلم يرضه ماكتبوه ، ولم يكفه ماكتبوه فجاءني في تلك
الحالة من استملاء مني ومرضت أذهان الأصحاء ولم يمرض
ذهني ، فتسلم بيروت بخطي وأصبحوا وأنا الآخذ والمعطي ، وكان
الناس قد اذسوا بما اسطره وأزبره ، وأنسوا سوى ماأذكره
وأحبره ، وألفوا الصحة فيه فألفوه ، ولقوا السقم في غيره
فأنفوه ، فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق ، بل كله بتوفيق من الله
توثيق ، فما فتح الا بمفتاحه ، ولارتق فتق الا باصلاحه ، ولاجلي
ظلام الا باصباحه ، ولاوري زند الا باقتداحه ، وكانت يومئذ جمره
الحر متوهجة ، ووقدة القيظ متأججة ، وضرر مرضي
ملتهب ، وروح روحي منتها ، وبقيت مضطربا ، ولقيت من ذلك
الوصب نصبا • وحصلت من الإقامة أو السفر على الخطر أو
الحذر ، وتعذر المقام لعذر السقام ، واشتغلت عن الآء شغلي بالالام
وحملني اختلالي بنصبي ، على اخلالي بمنصبي ، وعزت علي
مفارقة السلطان ، وهو باعزازي على مواصلة الاحسان ، فمضيت
على مضض وانصرفت بمضرة ومرض ، وحملت الى دمشق في
مدفة ، وحصلت بفضل الله من طيب هوائها بعد
الثقل ، بخفة ، ففضل الله بالشفاء ، وبذل الكدر بالشفاء ، وعدت
الى السلطان يوم فتح القدس ، وانتهت الودحشة الى
الأنس ، وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من
جمادى الاولى مطاع الأمر ، مذاع السر في تضوع النشر • وتوضح
البشر ، مستفيض الزيادة ، ناجح الارادة ، راجع العبادة ، رابع
المتجر ، واضح المفخر ، قد شب غرب الهدى ، وجب غارب العدى
واستجدي من من الله منحا ، واستجد باستفتاحه فتحا ، واستفاد
ملكا ، واستزاد ملكا ، وبر بيروت اذ برت ، وحفلت له اخلاف

الفتوحات قدرت • واستمرى صوب من عزائمهم وصرائفهم
فاستمرت .

فتح جبيل

يوم الثلاثاء سابع عشرين جمادى الأولى

ووصل كتاب الصفي ابن القابض . وهو يومئذ قد فوضت منه
دمشق الى الكافي الناهض . يتضمن ان اوك صاحب جبيل أسر اليه
في أسره . واستشاره في أمره . وقال له ان قنع مني بتسليم جبيل
سلمت وسلمت . وابحتها لكم وتحرمت . واخرجتها من عصمتي
وخرجت واعتصمت . فأنا اطلقها ان اطلقت . وأزليها من وثاقي
اذا وثقت . فأجيب باحترازه من كيد . واحضاره في
قيده . فأحضر في صفه وسامع ببيله . فخلص ناجيا وملص
راجيا . وملك مدينة جبيل وجرت عليها الفتوح النيل . ونحن
يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون . ولاعداء الله مصابرون
مكابرون . وكان معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل
مسلمين . مساكن لمساكن الفرنج مستسلمين . فذاقوا العزة بعد
الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشائر . وصبحت
المنابر . وترنمت المحاريب . وترنحت المطاريب . وتليت
الآيات . وجلت الغيايات . وخربت الكنائس . وعمرت المدارس
وظهر غيب البيع . وشهر جمع اجمع . وقرئ القرآن . واستشاط
الشيطان . ونطقت الأعواد . وحقت الأعياد . وخرست
الذواقيس . وبطلت الذواميس . ورفع المسلمون رؤوسهم وعرفوا
نفوسهم . وانتعشوا من شكاة عثارهم . وانتفشوا من شوكة
عارهم . وقرأوا في بيارهم . وقرأوا ابصار بأنصارهم . وكان كل
من استأمن من الكفار . يمضي الى صدور محمي الذمار . وصارت

صور عش غشهم . ووكر مكرهم . وملجأ طريدهم . ومنجا شريدهم . ومأمن خاشيهم . ومكمن عاشيهم . وهي التي فر القومص اليها يوم كسرتهم . بل يوم حسرتهم .

ذكر هلاك القومص وبخول المركيس الى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلها . وأوى الى طرابلس وتوأن . فما متع بما ملك . وكان مما قيل :

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك

فما انجاه الفرار من القضاء . وفر من البلاء الى بلاءه فوقع في البلاء . وظن ان صور خلت . وان مجانيها حلت . وان جماحها اذعن . وان كفاحها امكن . وان فرصتها انتهزت . وان حصتها احرزت . وان قيادها اطاع . وان مرتادها استطاع لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس . كما يتعوض عن الشيطان بابليس . فادرك ذماء الكفر بعدما اشفى . وايقظ روع الروع بعدما اغفى . وضبط صور بمن فيها . من مهزموي الفرنج وبمذفييها . وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه . وأضرى سراحينه . وأخذب نثابه . وانجس كلابه . وأنهش ضلاله . وافدش ضلاله . وأعوى اعوانه . وأخون اخوانه . وأبغى بغاته . وأجفى جفاته . وأرعى حماته . وأحمى رعاته . وشر شراره . وأنكر نكاره . وأفجر فجاره . وأروغ ثعالبه . والسبب عقاربه . وأحدث معاهديه . وأنكث معاقبيه . وهو الطاغية الداهية . الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية . ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام . ولا خلف مقدمي الكفر غيره في الاقدام على خلاف الاسلام . واتفق وصوله الى ميناء عكا وهو بفتحها جاهل . وعمن فيها من المسلمين ذاهل . فعزم على ارساء الشيني بالمينا . ثم

تعجب وقال ما نرى احدا من اهلها يلتقينا . ورأى زي الناس غير
الزي الذي يعرفه . فارتاب وارتاع وحدث عن الدخول توقفه . وبان
تندمه . وتأخر تقدمه . وسأل عن الحال فأخبر بها . ففكر في النجاة
وكيف يتعلق بسببها . ثم وقف بالقرب . فلبث على الرعب . والهواء
راكدا . والقضاء عنه راقدا . فانه لو خرج اليه مركب لأخذه . ولو
وقف له قاصد لوقظه . فاحتال كيف يخرج بسفينته . ولا يذهل مع
فقد سكينته . وانتظر هبوب الريح الموافقة له فلم تهب . وما تم له
الافلات على ما حب . فسأل عن البلد ومن إليه أمره . ومن بيده
نفعه وضره . فقيل هو الملك الافضل . والمالك الاكمل . فقال خذوا
لي منه امانا حتى أدخل . وارفع اليكم ما معي من المتاع
وانقل . فجاء اليه بالامان . وقيل هذا بعلامة السلطان . فقال ما
اثق الا بخط يده . ولا انزل الا بعهد الى بلده . فما زال يردد
الرسل . ويدير الحيل . حتى وافقته الريح فاقلع . وافلت من
الشرك بعدما وقع . وصار في صور . فزم الامور . وأجم
الجمهور . وجرا الكفر بعد خوره . وبصر الشيطان بعد عماه
وعوره . فاستعلى بالخزي . واستولى بالغلي والبغي . وارسل
رسله الى الجزائر . وذوي الجرائر . يستعدي ويستدعي .
ويستودع ملة الصليب عباده ويستترعي .
ويستثير . ويستزير . ويستنذر . ويستنصر . وثبت في صور
ونبت . وجمع اليه من الفرنج من تشتت . وما فتح بلد بالامان . الا
سار امله في حفظ السلطان . حتى يصيروا في صور . ويأمنوا
المحذور . فاجتمع اليها اهل البلاد المفتوحة . بالقلوب المقفلة
المقروحة . فامتلات وكانت خالية . وانتشأت وكانت بالية . وتعلت
وكانت معتلة . وتعقدت وكانت منحلة . وتسندت وكانت
مختلة . ولم يحتفل بها فأخر فتحها . وما ظن بها الضن حتى علم
شحها . فاستجدت رمقا بالمهلة . وتصعبت بعد مقادتها السهلة .
ففضى امهالها باهمالها . وعادت عيونها الى الاغفاء
باغفالها . وألهى عن طلبها طلب ما هو اشرف . والعزم بفتح
اشغف . وهو البيت المقدس . فان فتحه من كل فتح
انفس . والمركيس في أثناء ذلك يحفر الخندق ويحكمه . ويعقد

الموثقة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصه الامكان في دفع آفاته .

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعازل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة. ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل . ثنى عنانه يجر ويجري من العسكر والعثير على السماء والأرض النيل والسيل . وعاد عابرا على صيدا وصرفند . وقد اورى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعقدها . ولا متثد في تدورها . وعلم ايضا انها ممتنعة . وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس يالساحل بلد منها أحسن . فحطف الاعنة الى ما هو منها أهون . وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الى صور . والمركيس ما شك انه بها محصور محصور . فلما أرخى من وثاقه . واتسع ضيق خناقه . حلق في مطار اوطاره . وحرك لغواته أوتار أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل . وحل معاهد المعازل . وسل قواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشييدها قد لان . وقد آتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت أسودها الخادرة من الاصهار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصروا وصاحوا . وحاذوا ونادوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

واستقتلوا . وتعقدوا على الافتح وماتحللوا . واحزنوا في الالباء وما
اسهلوا . وجهدوا وجهلوا . فأقام السلطان عليها مجانيق مجت
نيقها . وفرجت بالحجار طريقها . ورجت بالتفريق
فريقها . ووسعت بالتضييق ضيقها . وأضعفت بالتوثيق
وثوقها . وجمع شمل الحجارة ب (النار التي وقودها الناس
والحجارة) (البقرة ٢٤) ولفحتهم نيرانها وتوالت عليهم بعد
الشرارة . وخربت منهم العمارة . ووجبت بالجسارة منا لهم
الخرارة . وتهدمت الصخور بالصخور . ولزم عبث بورهم
بالثبور . وجسر النقاب فحسر النقاب . وباشر الباشورة فرفع
الحجاب . واشتد القتال . واحتد المصال . وراسلهم عند ذلك الملك
المأسور . وقال قد بان عذركم حين نقب السور . وجرت
حالات . وتكررت حوالات . وترددت رسالات . وقال لهم الملك
الاسير . لا تخالفوا ما به اشير . واطيعوني ما
استطعتم . واسمعوا مني اذا سمعتم . واحفظوا رأسي فهو رأس
مالكم . وحلية حالكم . ولا تخطروا غيري ببالكم . فاني اذا
تخلصت خلصت . واذا استنفذت استنفذت . وخرج . مقدمون
وشاوروا الملك . ونهجوا في التسليم نهجا سلك . وسلموا عسقلان
على خروجهم بأموالهم سالمين . واستوفوا بذلك الميثاق
واليمين . وذلك يوم السبت لاندسلاخ جمادى الآخرة . وتلألت
السعود في أوجها بالأوجه السافرة . وممن استشهد على عسقلان
من الامراء الكبراء ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير افتتح
بالشهانة . واختتم بالسعانة . وكان السلطان قد أخذ في طريقه
اليها: الرملة، ويبنى، وبيت لحم، والخليل . واقام بها حتى تسلم
حصون الداوية: غزة، والنطرون، وبيت جبريل . وكان قد استصحب
معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم معاقلهم اطلقه . فسلم
هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موثقته . واجتمع بالسلطان ولده
صاحب مصر الملك العزيز عثمان . على عسقلان . بشارة
وبشارة . وراية وآية . وهياة وهيبة . وثرة وثروه . وهزة وعده .
وجلة وجهه . وشد وشدة . وحد وحدة . وضوغة . وروعه . ونخوه .
وسطوه . وصوت وصيت . ومصاعيب ومصاليت . ومساغير .

ومغاوير . ودهم . ونهم . وشهب وكمت وصلاب وصلاد . وانجاب
وانجاد . وجلب ولجب . وبيض ويلب . وبيض وسود واساود
وسود . وجرد . ومرد . وكهول . وفحول . ورقاق . وعقاق .
وقود . واطلاب وابطال . وفوارس . ورجال . وخفاف
وذكال . وعراب واعاريب . وسراحين وسراحيب . وحدلا يكل .
وجد لا يمل . وجمر يتقى . وجمع لا يلتقي . ومعه رماة الاحداق
كمأة الاتراك . وهداة التوحيد عادة الاشراك . فقُرت عينه
بولده . واعتضد بعضده . ووضع يده بتأييد الله . في يده . وكان قد
استدعى الاساطيل المنصورة فوافقت كالفتح الكواسر . بالفلك
المواخر . وجاءت كأنها امواج تلاطم امواج . وافواجا تزاخم
افواجا . تدب على البحر عقاربها . وتخب كقطع الليل
سحائبها . وتجر بالذوابل ذوائبها . وتزاخم مناكب الاطواد
مناكبها . والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدمها . وضرغام غابها
وهمامها . فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب . ويقطع الطريق
على سفن العدو ومراكبه . ويقف له في جزائر البحر على
مذاهبه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه . ويظهر في وقائعه حسن
موقعه .

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . وللنصر
مصاحبا . ولنيل العز ساحبا . قد اصحب ريش مناه . واخصب
روض غناه . واصبح رائج الرجاء . أرج الارحاء سيب العرف .
طيب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض
بالفضاء فضاء . وملا الملا فافاض الالاء . وقد بسط عتير فياقه
ملاءته على الفلق . وكأنما اعاد العجاج وأد الضحى جنح
الغسق . فالارض شاكية من اجحاف الجحافل . والسماء حاضية
بأقساط القساطل . وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية

احاديث فتوحه العوالي من العوالي . مطوية مدارج مناجحة على
ما تنشره الآمال من الامالي . وقد حلت وعلت من مفارس النصر
ومطالعة المجاني والمجالي . والاسلام يخطب من القدس
عروسا . ويبذلها في المهر نفوسا ويحمل اليها نعي ليحمل عنها
بوسي . ويهدي بشرا .

ليذهب عبوسا . ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعنية
لاعدائها على اعدائها . واجابة دعائها . وتلبية ندائها . واطلاع
زهر المصابيح في سماءها . واعادة الايمان الغريب منها الى
وطنه . ورده الى سكونه وسكنه . واقصاء النين اقصاهم الله
يلعنته من الاقصى . وجذب قياد فتحه الذي استعصى . واسكات
الناقوس منه بانطالق الاذان . وكف كف الكفر عنه بايمان
الايمان . وتطهيره من نجاس تلك الاجناس . وابناس ابني
الناس . وافحام الافهام باخراس الاجراس . وطار الخبر الى
القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت . وخفقت افئدتهم خوفا
من جيش الاسلام وجاشت . وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها
ما عاشت . وكان به من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك
الاعظم . ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المقدم . فاشتغل
بال باليان . واشتعل بالنيران . وخمدت نار بطر البطرك . وضاعت
بالقوم منازلهم فكان كل دار منها شرك للمشرك . وقاموا بالتدبير في
مقام الادبار . وتقسمت افكار الكفار . وايس الفرنج من
الفرج . واجمعوا على بذل المهج .

ذكر كنيسة قمامة

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس . ونسبك النفوس . ونسفك
الدماء . ونهلك الدهماء . ونصبر على اقتراح القروح واجتراح
الجروح . ونسمع بالارواح شحا بمحل الروح . فهذه قمامتنا فيها
مقامتنا . ومنها قيامتنا . وتصيح هامتنا . وتصيح

ندامتنا . وتسبح علامتنا . وتسبح عما متنا . وبها غرامنا . وعليها
غرامتنا . وباكرامها كرامتنا . وبسلامتها سلامتنا . وباستقامتها
استقامتنا . وفي استدامتها استدامتنا . وان تخلينا عنها لزمنا
لامتنا . ووجب ملامتنا . ففيها المصائب والمطلب . والمذبح
والمقرب . والمجمع والمعبد . والمهيض والمصعد . والمرقي
والمرقب . والمشرى والملعب . والمموه والمذهب . والمطلع
والمقطع . والمربى والمربع . والمرخم والمخرم . والمحلل
والمحرم . والصور والاشكال . والانظار والامثال . والآساد
والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام
والارواح . وفيها صور الحواريين في حوارهم . والاحبار في
احبارهم . والرهبايين في صوامعهم . والاقساء في
مجامعهم . والسحرة وحبالها . والكهنة وخيالها . ومثال السيدة
والسيد . والهيكل والمولد . والمائدة والحوث . والمنعوت
والمندوح . والتلميذ والمعلم . والمهد والصبي المتكلم . وصورة
الكبش والحمار . والجنة والنار . والنواقيس . والنواميس . وقالوا:
وفيها صلب المسيح . وقرب الذبيح . وتجسد اللاهوت . وتأله
الناسوت . واستقام التركيب . وقام الصليب . ونزل الدور . وزال
الليجور . وازدوجت الطبيعة بالاقنوم . وامتزج الوجود
بالمعدوم . وعمدت معمودية المعبود . ومخضت البتول
بالمولود . وأضافوا الى متعبدتهم من هذه الضلالات . ما ضلوا فيه
بالشبه عن نهج الدلالات . وقالوا دون مقبرة ربنا نموت . وعلى
خوف فوتها منا نفوت . وغناها ندافع . وعليها نقارع . وما لنا لا
نقاتل . وكيف لاننازع ولا ننازل . ولاي معنى نتركهم حتى يأخذوا .
وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا . وتأهبوا
وتباهوا . وما انتهوا بل تناهوا . ونصبوا المجانيق امام الاسواء
على الاسوار . وسبوا بظلمات السبوات . وجرسوا
الانوار . واستشاطت شياطينهم . وسرحت سراحينهم وطفقت
طواغيتهم . وأصلحت مصاليتهم . ونشرت طواميرهم . وتسعرت
مساعيرهم . وهاج هائجهم . وماج مائجهم . ودعت
دواعيهم . وعدت عواييمهم . وسعت افاعيهم . وحضت

قسوسهم . وحرصتهم رؤسهم . وحركتهم نفوسهم . وجاءتهم
بجوى السوء جواسيسهم . واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية
منصورة الجنود . منشورة البنود . موصولة القواطع بالاشاجع
مهجورة الغمود . مشهورة القواضب . مشهورة الكتائب . مقروبة
الضوامر الى نار العدى . موقدة الضمائر بنار الهدى . مشبوبة
العزائم . مجذونة الصلادم . مسالولة الظلجا . مطلولة
الربا . مجذوبة أجنة اغمادها . مسذونة اسنة صعادها . مطلقة
اعنة جياها . محقة مظنة طرادها . قد سالت الوهاد
باكامها . وجالت الاعلام في اعلامها . وسدت الفجاج
امواجها . وحجبت الغزالة عقبانها . والهبت الذبالة
خرسانها . وجرت بالجمال رياحها . وجرت كالجمال رماحها
واشتمل على الضراغم غيلها . واقبل بالعظائم قبيلها . ووافى كل
واف بعهد ربه . كاف لكف خطبه . شاف لهم قلبه . ضاف بفيض
شربه . خاف في لبوسه . باسل بباسه . عاسل بأمراسه . ناسل
بنت الغمد من جفنه . غاسل نبت الحد بدم قرنه . واصل بيض الهند
بسواعه . فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعه حاد بجده . جاد
بجده . وكل شاب لنار الحرب شاب . ورب نين لنين الرب
راب . وكل جيش كالبحر عباب . وكل سال نبي ذباب عن الهدى
ذاب . وكل قائل بالآخرة للحياة الدنيا قال . سائل من الله الشهادة
عن حب البقاء سال . مائل في سبيل الله الى انفاق مال . واقبل
السلطان باقبال سلطانه . وابطل شجعانه . واقيال اولاده
واخوانه . واشبال مماليكه وغلمانه . وكرام امرائه . وعظام
أوليائه . في مقانب بالمناقب مقنبيه . وكتائب بالمواكب
مكتبة . وذوابل بالكواكب منصله . وجحافل بمضاء المضارب
محفله . وألوية صفر للاواء بني الأصفر . وبيض وسمر تزررق زرق
العدا من الموت الأحمر . وقباب وقبائل . وقنا وقنابل . وصوافن
صواهل . وعوامل وعواسل . وفوارس فوارس . وكل من يبذل
للشع بدينه النفوس والنفائس . وأصبح يسأل عن الاقصى وطريقه
الانى . وفريقه الاسنى . يذكر مايفتح الله عليه بحسن فتحه من
الحسنى .

وصف البيت المقدس

وقال ان اسعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس فما اسعدنا . وأي يد له عندنا اذا ايننا . فانه مكث في يد الكفر احدي وتسعين سنة . لم يتقبل الله فيه من عابد حسنه . ودامت همم الملوك دونه متوسنة . وخلت القرون عنه متخلية . وحلت الفرنج به متولية . فما ابخر الله فضيلة فتحه . الا لآل ايوب . ليجمع لهم بالقبول القلوب . وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار . ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الامصار . وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى . والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى . وهو مقام الانبياء . وموقف الاولياء . ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الأرض وملائكة السماء . ومنه المحشر والمذشر . ويتوافد اليه من اولياء الله بعد المعشر . وفيه الصخرة التي صينت جنة ابهاجها من الانهاج . ومنها منهاج المعراج . ولها القبة السماء التي على رأسها كالتاج . وفيه ومض البارق ومضى البراق وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق . ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الخلود . وفيه كرسي سليمان ومحراب داود . وله عين سلوان التي تمثل لواردتها من الكوثر الحوض المورود . وهو اول القبلتين . وثاني البيتين . وثالث الحرمين . وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي انها تشد اليها الرحال . ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعل الله يعيده بنا الى احسن صوره . كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في أول سورة . وقال عز من قائل : «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى» . وله فضائل ومناقب لا تحصى . واليه ومنه كان الاسراء . ولأرضه فتحت السماء . وعنه تؤثر انباء الانبياء وآلاء الاولياء . ومشاهد الشهداء . وكرامات الكرماء . وعلامات العلماء . وفيه مبارك المبار . ومسارح المسار . وصخرته الطولى . القبة الاولى . ومنها

تعالى القدم النبوية . وتوالت البركة العلوية . وعندها صلى نبينا
صلى الله عليه وسلم بالذبيين . وصحب الروح الامين . وصعد منها
الى اعلى عليين . وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله
فيه : « كلما دخل عليها زكريا » . ولنهاره التعبّد واليله
المحيا . وهو الذي اسسه داود واوصى ببنائه سليمان . ولاجل
اجلاله انزل الله « سبحان » . وهو الذي افتتحه الفاروق واقتحت به
سورة من الفرقان . فما اجله واعظمه . واشرفه وافخمه . واعلاه
واجلاه . واسماه واسناه . وايمن بركاته وابرك ميامنه . واحسن
حالاته واحلى محاسنه . وازين مباهجه وابهج مزايينه . وقد اظهر
الله طوله وطوله . بقوله : « الذي باركنا حوله » . وكف فيه من الآيات
التي اراها الله نبيه . وجعل مسموعنا من فضائله مرئية . ووصف
السلطان من خصائصه ومزاياه . ما وثق على استعانة الآله
مواثيقه والاياه . واقسم لا يبرح حتى يبرق سمه . ويرفع بأعلاه
علمه . وتخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه . ويصفي الى
صرخة الصخرة . ويبغي بالبشرى بشر اسرة الاسرة . وسار واثقا
بكمال النصره وزوال العسرة . وحسر الفرنج قناع الحسرة . ونزل
على غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب . وقلب الكفر قد
وجب . وحزب الشرك قد شارق الشجى والشجب . والقدر قد
اظهر العجب . وكان في القدس حينئذ من الفرنج سـتـون الف
مقاتل . من سائف ونابل . وبطل للباطل . وعاس عاسل
بالعاسل . قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون . ويعاجزون
ويناجزون . ويرمون ويدمون . ويحمونه ويحمون . ويحتدون
ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون . ويذودون ويذبون . ويشبون
ويسبون . ويصرخون ويحرضون . ويلهثون ويتغوثن . ويلوذون
ويلوبون . ويجولون ويجوبون . ويقدمون ويحجمون . ويتململون
ويألمون . ويتعاونون . ويتضاعون ويحترقون للبلايا . ويقترحون
المنايا . وقاتلوا اشد قتال . وناضلوا أحد نضال . ونازلوا اجد
نزال . وطافوا بصحاف الصفا . لارواء الظبا الظماء من ماء
الارواح . وجالوا بالأوجال . واجالوا قداح الأجال . وصالوا لقطع

الأوصال . والتهموا . والتهبوا . وتأشبهوا ونشبهوا . واستهدفوا
للسهام . واستوقفوا الحمام . وقالوا كل واحد منا بعشرين . وكل
عشرين بمئتين . ودون القمامة تقوم القيامة . ولحب سلامتها تقلى
السلامة . ودامت الحرب . واستمر الطعن والضرب . فانتقل
السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم
هناك . وضيق على الفرنج المسالك . ووسع عليهم المهالك ونصب
المجانيق . ومري من أفاتها الافاويق . واصرخ الصخرة
بالصخور . وحشر حشر السوء منهم وراء السور . فما عادوا
يخرجون من السور الرؤوس . الا ويلقون البوس . واليوم
العبوس . ويلقون على الردى الذفوس . فلداوية دوي . وللبارونية
من البوار في الهاوية هوى . وللاستار تبار . وما للفريرية من
الموت فرار . وما بين الحجار الحلقة وبين المرمى اليهم
حجاب . وفي كل قلب من الفتتين من نار حرصه التهاب . اذ الوجوه
لقبل النصال مكشوفة . والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة . والايدي
على قوائم السيوف المفتوحة مضمومة . والنفوس لاستبطاء الهمم
في الاهتمام مهمومة . وقواعد السور ونواجز شرايفه بالاحجار
الخارجة من الكفات مهدومة مهتومة . فكائن المجانيق مجانين
يرامون . ومناجيد لا يرامون . وجبال تجذبها حبال . ورجال
تنجدها رجال . وأمات الدواهي والمنايا . وحوامل تلد البلايا . لا
حجر عليها في حجر . ولا أمن عندها من حذر . ولا تخطر سهامها
الا بالخطر . ولا خطر مرورها الا مرارات ذوي الفطر . فكم نجم
من سمائها ينقض . وصخر من ارضها يرفض . وجمر من شراها
يذفض . وما شيء كآفات كفاتها . وآيات نكاياتها . وركات
ادراكاتها . ولفقات فلتاتها وجذبات عذباتها . فما زالت تقلع
بمقالعها . وتقرع بمقارعها وتمتج بأشطانها . وتمرح في
ارسانها . وتصدم . وتهدم . وتصرع . وتصعد . وتنهز
بدلائها . وتجهز ببلائها . وتحل تركيب الجلاميد بأفراد
جلاميدها . وتفل شمل المباني بتفريقها وتبيدها وتقوض القواعد
بضربها من اساهها . وتنقض المعاهد بجذبها في أمراسها . وتشفه

الموارد بشربها من كأسها . حتى تركت السور سورا . وجعلت
الذاب عنه محسورا . وعاد العدو من نظمه المبتور مبتورا . وخرق
الخنق وحفز الزحف . وظهر للاسلام الافتح والكفر الحذف . واخذ
النقب . وسهل الصعب . وبذل المجهود . وحصل المقصود . وكمل
المراد . وكلم المراد . وثغر الثغر . وأمر الأمر . وأربى
الأرب . واستتب السبب وخاف القوم الوقم . واستعاضوا من
الصحة السقم . واسلم البلد وقطع زنا خندقه . وبرز ابن بارزان
ليأمن من السلطان بموثقه . وطلب الامان لقومه . وتمنع السلطان
وتسامى في سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان . وما هو الا أن نديم
لكم الهوان . وغدا نملككم قسرا . ونوسعكم قتلا . ونسفك من
الرجال الدماء . ونسلط على الذرية والنساء السباء . وأبى في
تأمينهم الا الالباء . فتعرضوا للتضرع . وتخوفوا وخوفوا عاقبة
التسرع وقالوا اذا آيسنا من أمانكم . وخفنا من سلطانكم . وخبنا
من احسانكم . وأيقنا ان لا نجاة ولا نجاح . ولا صالح ولا
صلاح . ولا سلم ولا سلامة . ولا نعمة ولا كرامة . فانا نستقتل
فندقا قتل الدم . ونقابل الوجود بالعدم . ونقدم اقدام المستشري
بالشر . ونذبحم اقتحام المستشري من الضر . ونلقي انفسنا على
النار . ولا نلقي بأيدينا الى التهلكة والعار . ولا يجرح واحد منا
حتى يجرح عشرة . ولا تضمنا يد الفتك حتى ترى ايدينا بالفتك
منتشرة . وانا نحرق الدروب ونخرب القبة . ونترك عليكم في سبينا
السبه . ونقلع الصخرة . ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من
عنينا من اسارى المسلمين وهم الوف . وقد عرف ان كلامنا من
الذل عزوف واللعز الوف . واما الاموال فإنا نعطيها ولا
نعطيها . واما الذراري فانا نسارع الى اعدامها ولا
نستبطيها . فاية فائدة لكم في هذا الشح وكل خسر لكم في هذا
الربح . ورب خيبة جاءت من رجاء النجح . ولا يصلح السوء سوى
الصلح . ورب مدح اضله ظلام الليل قبل اسفار الصبح . فعقد
السلطان محضرا للمشورة . وأحضر كبراء عساكره
المنصورة . وشاورهم في الأمر . وحاوهم في السر

والجهر . واستطلع خبايا ضمائرهم . واستكشف خفايا
سرائرهم . واستورى زندهم . واستعلم ما عندهم . وراوضهم
على المصلحة المترجحة . وفاوضهم في المصلحة المربحة . وقال ان
الفرصة قد امكنت فنحرص في انتهازها . وأن الحصة قد حصلت
ونستخير الله في احرازها . وأن فاتت لاتستدرك . وان افلتت لا
تملك . فقالوا قد خصك الله بالسعادة . واخلصك لهذه
العبادة . ورأيك حاشد . وكلنا لك في اغتنام فتح هذا الموضع
الشريف مناشد . واستقر بعد مرادوات ومعاودات . ومفاوضات
وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات . على قطيعة تكمل بها
الغبطة . وتحصل منها الحوطة اشتروا بها منا انفسهم وأموالهم
وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم . على انه من اعجز بعد
اربعين يوما عما لزمه . أو امتنع منه وما سلمه . ضرب عليه
الرق . وثبت في تملكه لنا الحق . وهو عن كل رجل عشرة ننانير
وكل امرأة خمسة وكل صغير أو صغيرة نيناران . وبذل ابن
بارزان والبطرك ومقما الداوية والاسبتار في الضمان . وبذل ابن
بارزان ثلاثين الف نينار عن الفقراء . وقام ابالاداء ولم ينكل عن
الوفاء . فمن سلم خرج من بيته آمنا . ولم يعد اليه
ساكنا . وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على
هذه القطيعة . وردوه بالرغم رد القصب لا الوبيعة . وكان فيه أكثر
من مائة الف انسان . من رجال ونساء وصبيان . فأغلقت دونهم
الأبواب . ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم الذواب . ووكل بكل
باب أمير . ومقدم كبير . يحصر الخارجين ويحصي الوالجين فمن
استخرج منه خرج . ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم
الفرج . ولو حفظ هذا المال حق حفظه . لفاز منه بيت المال بأوفر
حظه . لكنما تم التفریط . وعم التخليط . فكل من رشا مشى .
وتكذب الامناء نهج الرشد بالرشا . فمنهم من ادلى من السور
بالحبال . ومنهم من حمل مخفيا في الرحال . ومنهم من غيرت
ليسته فخر بزي الجند . ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم
تقابل بالرد . وكانت في القدس ملكة رومية مترهبة . في عبادة

الصليب متصلبة . وعلى مصابها به مثلهبة . وفي التمسك بملتها
متعصبة . انفاسها متصاعدة الحزن . وعبراتها منحدره تحدر
القطرات من المزن ولها حال ومال واشياء واشياع ومتاع
واتباع . فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج . وانن في
اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج . فراحت فرحى . وان كانت
من شجنها قرحى . وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك
اماري . مقيمة في جوار القدس . مع مالها من الخدم والخول
والجواري . فخلصت هي بمن معها ومن تبعها . ومن ادعى انه
ممن صاحبها وشيعها . وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هذفري
اعفيت من الوزن . وتوفر مالها عليها في الخزن . واستطلق صاحب
البيرة زهاء خمسمائة ارمني ذكر انهم من بلده . وان الواصل منهم
الى القدس لأجل متعبده . وطلب مظفر الدين بن علي كوجك زهاء
الف ارمني ادعى انهم من الرها . فأجراه السلطان من اطلاقهم له
على ما انتهى . وكان السلطان قد رتب عدة دواوين . في كل ديوان
منها عدة من الذواب من المصريين ومنهم من الشاميين . فمن اخذ
من أحد الدواوين خطأ بالأداء انطلق مع الطلقاء . بعد عرض خطه
على من بالباب من الامناء والوكلاء . فذكر لي من لا أشك في
مقاله . انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله . فربما كتبوا
خطا لمن نقه في كيسهم . ويلبس امر تلبسهم . فكانوا شركاء بيت
المال لا امناء . وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وبقي من
بقي تحت رق واسار . ينتظر به انقضاء المدة المضروبة . والعجز
عن الوفاء بالقطعية المطلوبة .

ذكر يوم الفتح وهو سابع عشري رجب

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه
المعراج . وتم بما وضع من منهاج النصر الابتهاج . وزاد من
الاسنة بالدعاء والابتهاج الالتهاج . وجلس السلطان للهناء . للقاء
الأكابر والامراء والمتصوفة والعلماء . وهو جالس على هيئة

التواضع وهيبة الوقار . بين الفقهاء واهل العلم جلسائه
الابرار . ووجهه بذور البشر سافر . وأمله بعز النجح ظافر . وبابه
مفتوح ورفده ممذوح . وحجابه مرفوع وخطابه مسموع . ونشاطه
مقبل . ومحياه يلوح . ورياه يفوح . ومحبتة تروق ومهابته
تروع . وأفاقه تضيء ، وأخلاقه تضوع . ويده لفيض امواء
السخاء . وفض أفواه العطاء . ظاهرها قبلة القبل . وباطنها كعبة
الامل . قد حلت له حالة الظفر . وكأن دسسته به هالة
القمر . والقراء جلوس يقرأون ويرشدون . والشعراء وقوف
يزشدون ويزشدون . والأعلام تبرز لتذر . والاقلام تـزبر
لتبشر . والعيون من فرط المسرة تدمع . والقلوب للفرح بالنصرة
تخشع . والاسنة بالابتهاال بالله تضرع . والكاتب يذشي ويوشي
ويوشع . والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع . فما شبهت قلمي
الا بشائر أري البشائر . ولا وجهت كلمي الا لطائف وحي
اللطائف . وما ارسلت يراعي الا ليراعي الرسائل . ويشيع
الفواضل . ويشيع القول . ويسبغ الطول ويطول بالحجة وان كان
في حجمه قصر . ويصول بالهجة وان كان في حجمه حصر . ويسمن
الملك به وهو نحيف . ويثقل الجيش به وهو خفيف . ويبدي بياض
الغرة من سواد . ويجلو بهجة الضياء من محجة الظلمة . ويجري
بالآجال والارزاق والمنع والاطلاق . والخلف والوفاق . والارفاق
والاعناق . والعدة والانجاز . والجدة والاعواز والفتق
والرتق . والرقع والخرق . وهو الذي يجمع الجيوش . ويرفع
العروش . ويوحش المستأذس المستوحش . وينعش العاثر ويعثر
المتنعش . يجري بالاعداء على الاعداء وبالايلاء للاولياء . فبشرت
باقلامي اقاليم البشر ، وعبرت باعاجيبي عن عجائب العبر وملأت
البروج بالدراري والدروج بالدرر . ورويت تلك البشر حتى اطابت
ريا الري وسمر سمر قند . واطربت وحلت حتى فاقت القنديد
والقند . وعلقت بفتح القدس بلاد الاسلام وزينت . وشرحت
فضيلتها وبينت . وايت فريضة زيارتها وتعينت .

ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكننت قد انقطعت من الصحبة لما عرض لي في المرض من الذوبة فأقمت بدمشق اداوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدبيرتي وادبر علاجي الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في النفس وأذست بابلالي بعض الانس وامنت لو ثوقي بالصحة والاسقام من الذكس ، فاولجته الى تلك الجهة وسرت بطاعة النفس المتنزهة ، وعصيان الطبيعة المذكرة واخترت تعب السفر على راحة الاقامة ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجاح فوصلني السلطان عند وصولي باجلى بشاشة واحلى هشاشة وسرى عنه سر وابر وبر وقال: اين كنت. ولم ابطأت. وحيث اصبحت في المجيء فما اخطأت وقد كنا في انتظارك. والسؤال عن اخبارك. وهذا اوان احسانك. فاين احسان اوانك. فاجر بنائك بجرأة بيانك. واجر في ميدانك. وما للبشائر الا واصفها. وللأفرائد الا راصفها . وللصفحة الا قسها . وللحفاة الا قيسها .

وكان قد جمع امس كتاب دواوينه على انشاء كتب ما ارتضاها . واقتضاب معان وما اقتضاها ، وكانوا سألوه في كتاب الديوان العزيز. فقال لهذا من هو اقوم به وعناني. فلمما رأني ناداني واستدعاني . فصرفت الى امتثال امره عناني . وسلم الى الكتب التي كتبوها . بالالفاظ التي رتبوها . وقال :

غيرها . ولا تسيرها . وغرضه اني اعدل معوجها . وابدل مثبجها . وافترع المعنى البكر للفتح البكر . واوشع ذكر اياته بايات الذكر . فاستجديتها فمما استجديتها . واسـتجديتها فمما استملمحتها . وشمممتها وبها سهك . وكشفتها وسترها هتك . وكانوا قد تعاونوا عليها وفيها لهم شرك . فشرعت في اقتضاها الابكار . واقتضاء الافكار . واقتراح القرية . واقتراء رحاب الكلام

الفصيحة . وافتتحت في بشرى الفتح . وكتاب الديوان العزيز
واوردت المعنى البليغ في الالفاظ الوجيز . ووشحت ووشعت وشعبت
واشبع . واطلت واطنبت . وصبت واصبت . واعجزت واعجبت .
واطريت واطربت . وابتعدت وابتدعت وصرعت وصرعت . وطابقت
وجانست . ووافقت وانست وبينت فضل عصر الامام الناصر على
الاعصار السابقة بالابصار الصادقة . وان هذا الفتح اخبره الله
لزمانه ومكن منه لكانه . وسلط عليه بسلطانه . وحسنه لنا
بإحسانه . فقد عبرت القرون الماضية على حسرته . وظفر وهو
واشباعه بمسرته . وما حصل لنا الا ببركة ايامه وحركة اعتزامه .
وذكرت من هذا كل مارق وشاق . ونور الافاق . وان هذه الفتوح
تفوح بارح نشره . وتحى بحيا برة . فما ايمن ايامنا بآيامه .
وما اسعد اماننا بانعامه . وكتبت الى كل ذي طرف بمعنى طريف .
ولفظ فصيح حصيف . وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلي .
وحليت المعالي . وقرحت المعادي . وفرحت الدوالي . وسارت
شواردي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر
المذهب . وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت :
(شرع لكم من الدين ما وصى) (الشورى ٤٢) وهنأت الحجر
الاسود بالصخرة البيضاء . ومنزل الوحي بمحل الاسراء . ومقر
سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء . ومقام ابراهيم
بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين . وادام
اهل الاسلام بشرف بيته مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر
الكريم . والفتح العظيم فوفدوا لزيارته من كل فج عميق . وسلكوا
اليه في كل طريق . واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق .
وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق .

ذكر ماجرى عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعة .
وباعوا بالمجان في سوق الهوان . وتقاعد الناس بهم فابتاعوها

بارخص الاثمان . وباعوا بأقل من دينار كل مايساوى اكثر من عشرة . وجدوا في ضم ما وجدوا من امور لهم منتشره . وكذبوا كنائسهم . واخذوا من نفائسهم . ونقلوا منها الذهبيات والفضيات . من الاواني والقناديل والحريريات والمذهبات . من الستور والمناديل . ونقضوا من الكنائس الكنائس . واستخرجوا من الخزائن الدفائن . وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصنوعات اللجين . وجمع ما كان في قمامة من الجنسين والنسجين . فقلت للسسلطان هذه اموال وافره . واحوال ظاهرة . تبلغ مائتي الف دينار . والامان على اموالهم لا اموال الكنائس والاديار . فلا تتركها في ايدي هؤلاء الفجار . فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا نتركهم يرمون اهل الايمان بذلك الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان . فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز . وخف ونقضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف وانتقل معظمهم الى صور . وكثفوا بالديجور . وبقي منهم زهاء خمسة عشر الفا امتنعوا من مشروع الحق فاختصوا بمشروط الرق . فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف فانهم افوا ذلا لم يكونوا به بالاف . فاقتسمتهم ايدي السبي ايدي سباً . وتفرق الغانمون بجمعهم في الوهاد والربا . واحصيت النساء والصبيان ثمانية الاف نسمة . عادت بيننا مقتسمة . واصبحت ببكائها وجوه الدولة مبتسمة . فكم محجوبة هتكت . ومالكة ملكت . وعزباء نكحت . وعزيزة منحت . وبخيلة تسمحت . وخيبة توقحت . ومجدة مزجت . ومصونة ابتذلت . وفارغة شغلت . وعقيلة امتهنت . وجميلة امتحنت . وعذراء افترعت . وشماء فرعت . ولياه رشفت . وظمياء فرشت . وريضة أصبحت . ورضية أصبحت . فكم تسرى منهن سري . وتجراً عليهن جري . وقضى وطره عزب . ونفى نهمه سغب . وفثأ سورته شغب . وكم غانية استخلصت . وغالية استرخصت . ووالية اعتزلت . وعالية استنزلت . ووحشية صيدت . وعرشية قيدت . ولما تقدس القدس من رجس الفرنج اهل الرجز .

وخلع لباس الذل ولبس خلع العز . ابى النصارى بعد اداء القطيعة ان يخرجوا . وتضرعوا في ان يسكنوا ولايزعجوا . وبذلوا خدما وخدموا ببذول . وقابلوا كل مالزموا به بالتزام وقبول . واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وشحت افواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاغرون . وبخلوا في الزمة . وخرجوا الى العصمه . وشغلوا بالخدمه . واستعملوا في المهنة . وعدوا المنحة في تلك المنحة .

ذكر ماظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار المحراب . وحتم به امر الايجاب . وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا . وقيل كانوا اتخذوه مستراحا عدوانا وبغيا . وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا وسبعة . وكنيسة رفيعة . فاوعز برفع ذلك الحجاب . وكشف النقاب . عن عروس المحراب . وهدم ماقدامه من الابنية . وتنظيف ماحوله من الافنية . بحيث يجتمع الناس في الجمعة . في العرصة المتسعة . ونصب المنبر واظهر المحراب المطهر . ونقض ماحدثوه بين السواري . وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري . وعلقت القناديل . وتلى التنزيل . وحق الحق وبطلت الاباطيل . وتولى الفرقان وعزل الانجيل . وصفت السجادات . وصفت العبادات . واقيمت الصلوات . واديمت الدعوات . وتجلت البركات . وانجلت الكربات . وانجابت الغيابات . وانتابت الهدايات . وتليت الايات . واعليت الرايات . ونطق الاذان وخرس الناقوس . وحضر المؤذنون وغاب القسوس . وزال العبوس والبوس . وطابت الانفاس والنفوس . واقبلت السعود وادبرت النحوس . وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه . وطلب الفضل من مدنه . وورد القراء وقرىء

الاوراد . واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاولاد . وعبد الواحد .
ووجد العابد . وتوافد الراكع والساجد . والخاشع والواجد .
والزاهي والزاهد . والحاكم والشاهد . والجاهد والمجاهد . والقائم
والقاعد . والمتعهد الساهد . والزائر والوافد . وصدق المنبر .
وصدع المذكر . وانبعث المعشر . وذكر البعث والمحشر . واملى
الحفاظ . واسلى الوعاظ . وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . وتحدث
الرواة . وروى المحدثون . وتحذف الهداة وهدى المتحذفون .
واخلص الداعوان ودعا المخلصون . واخذ بالعزيمة المترخصون .
ولخص المفسرون . وفسر المخلصون . وانتدى الفضلاء وانتدب
الخطباء . وكثر المترشدون الخطابة . المتوشحون بالاصابة .
المعروفون بالفصاحة . الموصوفون بالحصافة فما فيهم الا من خطب
الرتبة . ورتب الخطبة . وانشأ معني شائقا . ووشى لفظا رائقا .
وسوى كلاما بالموضع لائقا . وروى مبتكرا من البلاغة فائقا .
وفيه من عرض علي خطبته . وطلب مني نصبته . وتمنى ان ترجع
فضيلته . وتنجح وسيلته . وتسبق منيته فيها امنيته . وكلهم طال
الى الالتها بها عذقه . وسال من الالتها عليها عرقه . ومامنهم الا
من يتأهب ويتقرب . ويتوسل ويتقرب . وفيهم من يتعريض
ويتضرع . ويتشوف ويتشفع . وكل قد ليس وقاره ووقر لباسه .
وضرب في اخماسه اسداسه . ورفع لهذه الرياسة راسه . والسلطان
لايعين . ولايبين . ولايخص . ولاينص . ومنهم من يقول ليتني
خطبت في الجمعة الاولى . فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان .
اصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان . وامتلا
الجامع . واحتفلت المجامع . وتوجست الابصار والمسامع .
وفاضت لركة القلوب المدامع . وراعت لولية تلك الحالة وبهاء تلك
البهجة الروائع . وشاعت من سر السرور بلبس حبر الحبور
الشوائع . وغصت بالسابقين اليها المواضع . وتوسعت العيون .
وتقسمت الظنون . وقال الناس بهذا يوم كريم . وفضل عظيم .
وموسم عظيم . هذا يوم تجاب فيه الدعوات . وتصاب البركات .
وتسال العبرات . وتقال العثرات . ويتيقظ الغافلون . ويتعظ
العاملون . وطوبى لمن عاش . حتى حضر هذا اليوم الذي فيه

انتعش الاسلام وارتاش • وما فضل هذه الطائفة الحاضرة •
والعصبة الطاهرة • والامة الظاهرة • وما اكرم هذه النصرة
الناصرية • والاسرة الامامية • والدعوة العباسية • والمملكة
الايوبية • والدولة الصلاحية • وهل في بلاد الاسلام اشرف من هذه
الجماعة • التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة • وتكلموا
فيمن يخطب • ولن يكون المنصب • وتفاوضوا في التفويض •
وتحدثوا بالتصريح والتعريض • والاعلام تعالى • والمنبر يكسى
ويجلى • والاصوات ترتفع • والجماعات تجتمع • والافواج
تزدحم • والامواج تلتطم • وللعارفين من الضجيج • ما في عرفات
للحجيج • حتى حان الزوال • وزال الاعتدال • وحيعال
الداعي (١) • واعجل الساعي • فنصب السلطان الخطيب
بنصه • وابان عن اختياره بعد فحصه • واوعز الى القاضي محيي
الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بان يرقى ذلك
المرقى • وترك جباه الباقيين بتقديمه عرقى • فأعرتة من عندي اهبة
سوداء من تشريف الخلافة • حتى تكتمل له شرف الافاضة
والاضافة • فرقى العود • ولقى السعود • واهتزت اعطاف المنبر •
واعزت اطراف المعشر • وخطب وانصتوا • ونطق وسكتوا • وافصح
واعرب • وابدع واغرب • وابدع واغرب • واعجز واعجب •
واوجز واسهب • ووعز في خطيبته • وخطب بموعظتيه • وابان عن
فضل البيت المقدس وتقديسه • والمسجد الاقصى من اول تأسيسه •
وطهيره بعد تنجيسه • واخراس ناقوسه واخراج قسيسه • ودعا
للخليفة والسلطان • وختم بقوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل
والاحسان » (النحل ٩٠) ونزل وصلى في المحراب • وافتتح ببسم
الله من أم الكتاب • فائتم بتلك الامة • وثم نزول الرحمة • وكمل
وصول النعمة • ولما قضيت الصلاة انتشر الناس • واشهر
الايناس • وانعقد الاجتماع واطرد القياس • وكان قد نصب للوعظ
تجاه القبلة سرير • ليفرعه كبير • فجلس عليه زين الدين ابو الحسن
علي بن نجا • فذكر من خاف ومن رجا • ومن سعد ومن شقي • ومن
هلك ومن نجا • وخوف بالحجة ذوي الحجا • وجلا بذور عظاته من
ظلمات الشبهات مادجا • واتي بكل عظه للراقيين موقظة • وللظالمين

محفظة . ولا ولياء الله مرققة ولا عداء الله مغلظة . وضج المتباكون .
وعج المتشاكون . ورقت القلوب . وخفت الكروب . وتصاعدت
النعرات . وتحدرت العبرات . وتاب المذنبون . وانااب المتحوبون .
وصاح التوابون . وناح الاوابون * وجرت حالات جلت . وجلوات
حلت . ودعوات علت * وضراعات قبلت . وفرص من الولاية الالهية
انتهزت . وحصص من العناية الربانية احرزت . وصلى السلطان في
قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله . والامة الى
الله بدوام نصره مبتهلة . والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبلة .
والايدي الى الله مرفوعة . والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد
الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصبته .

وصف الصخرة المعظمة عمرها الله

واما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا . ولم
يتركوا فيها للايدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسا ولا مطمحا . وقد
زينوها بالصور والتماثيل . وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط
الانجيل . وكملاوا بها اسباب التعظيم والتبجيل . وافردوا فيها
لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة . باعمدة الرخام منصبة . وقالوا
محل قدم المسيح . وهو مقام التقديس والتسبيح . وكانت فيها صور
الانعام . مثبتة في الرخام . ورأيت في تلك التصاوير . اشباه الخنازير .
والصخرة المقصودة المزوره بما عليها من الابنية مستوره .

وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة * فامر السلطان بكشف نقابها .
ورفع حجابها . وحسر لثامها . وقشر رخامها . وكسر رجامها
ونقض بنائها . وقض غطائها . وابرزها للزائرين . وأظهرها
للناظرين . ونزع لبوسها . وزفاف عروسها . واخراج درها من
الصدف . واطلع بدرها من السدف . وهدم سجنها وفك رهنها .

واراعة حسننها . واضاءة يمنها . وابداء وجهها الصبيح . وجللاء
شرفها الصريح . وردھا الى الحالة الحالية .

واشرقت القناديل من فوقها نورا على نور . وعملت عليها حظيرة من
شبابيك حديد والاعتناء بها الى الان كل يوم في مزيد . ورتب
السلطان في قبة الصخرة اماما من احسن القراء تلاوة . وازينهم
طلاوة . وانداهم صوتا . واسماهم في الديانة صيتا . واعرفهم
بالقراءات السبع بل العشر . واطيبهم في العرف والذشر . واغناه
واقناه . واولاه لما ولاه . ووقف عليه دارا وارضا وبستانا . واسدى
اليه معروفا دارا واحسانا . وحمل اليها والى محراب المسجد
الاقصى مصاحف وختمات . وربعات معظمت . ولاتزال بين ايدي
الزائرين على كراسيها مرفوعة . وعلى اسرتها موضوعة . ورتب
لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامه . قومة تشمل مصالحها
ضامه . فما ترتب الا العارفون العاكفون . القائمون بالعبادة
الواقفون . فما ابهج ليلها وقد حضرت الجموع . وزهـرت
الشموع . وبان الخشوع . ودان الخضوع . ودرت من المتقين
الدموع . واستعرت من العارفين الضلوع . فهناك كل ولي يعبد ربه
ويأمل بره . وكل اشعث اغبر لايوبه له لو اقسام على الله لابره .
وهناك كل من يحيي الليل ويقومه . ويسمو بالحق ويسومه .
وهناك من يختم القرآن ويرتله . ويطرد الشيطان ويبطله . ومن
عرفته لمعرفته الاسحار . ومن افته لتجده الاوراد والاذكار .
وما اسعد نهارها . حين تستقبل الملائكة زوارها . وتلحف الشمس
انوارها انوارها . وتحمل القلوب اليها اسرارها . وتضع الجناة
عندها اوزارها . وتستهدي صبيحة كل يوم منها اسفارها .
وما اظهر من تولى اظهارها . واطهر من باشر اطهارها . وكان
الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعاً وحملوا منها الى قسطنطينية .
ونقلوا منها الى صقلية . وقيل باعوها بوزنها ذهباً . واتخذوا ذلك
مكسباً . ولما ظهرت ظهرت مواضعها . وقطعها القلوب لما بان
مقاطعها . فهي الان مبرزة للعيون بحزها . باقية على الايام بعزها .

مصونة للاسلام في خدرها وحرزها . وهذا كله تم بعد انفصال
السلطان . والشروع في العمران . وامر بترخيم محراب الاقصى وان
يبالغ فيه ويستقصى . وتنافس ملوك بني ايوب فيما يؤثر بها من
الاثار الحسنة . وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الالسنه . فما
منهم الا من اجمل واحسن . وفعل ما يمكن . وجلى وبين وحلى وزين .
واشفق وانفق . واغنى واقتنى . واعتنى وابتنى . ووفى واوفى .
واصفى واظفى . واتى الملك العادل سيف الدين ابو بكر . بكل صنع
بكر . موجب لكل شكر . وكل فعل جميل ورفد جزيل . ومن جلى ومنح
جليل . ومكرمة حميدة . ومحمدة كريمة . وفضيلة بها ترجع .
ووسيلة بها نجح . واتى الملك المظفر تقي الدين عمر . بكل ماعم به
العرف وغمر . ونهى وامر . وبني وعمر . ومن جملة افعاله
المشكورة . ومكرماته المشهورة . انه حضر يوما في قبة الصخرة .
مع جماعة من السراة الاسرة . ومعه من ماء الورد احمال . ولاجل
الصدقة والرغد مال . فانتهاز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها
بالافتراض . وتولى بيده كذس تلك الساحات والعراض . ثم غسلها
بالماء مرارا حتى تطهرت . ثم اتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت .
وكذلك طهر حيطانها . وغسل جدرانها . ثم اتى بمجامر الطيب
فتبخرت . وتوضعت وتعرفت وفغمت مناشق اهل الهدى . وأرغمت
أناف العدى . ومازال مع قوته . في تطهير البقعة المباركة طول
يومه . حتى تيقنت طهارتها . وبينت عمارتها . وراقب
نضارتها . ووقفت عليها الاستحسان نظارتها . ثم فرق ذلك المال
فيها على ذوي الاستحقاق . وافتخر بأن فاق الكرام بالانفاق .
وجاء الملك الافضل نور الدين علي . بكل نور جلي . وكرم ملي .
واحسان سني . وانعام هني وعرف زكي وعرف ذكي . وعطاء
مبتدع . وانطلق بحمده الالسن . وبسط بها الصنيعة وفرش فيها
البسط الرفيعة . وهدي واهدى . واعاد بعد ما ابدى . وانار
واسدى . وافاض الندى . وفض الجدا . ونفض الاكياس . حتى
خلنا به الانفاض والافلاس . وسيأتي ذكر ما اعتمده من بناء اسوار
القدس وحفر خنادقه . واعجز بما اعجب من سوابق معروفة

ولواحدة • مالم يشق احد فيه غبارة • ولا ملك سابق فيه مضماره •
واما الملك العزيز عثمان • فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به
الايمان • وذلك انه لما عاد الى مصر • وقد شاهد الفتح والنصر •
ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها • ولم ير بعد حصولها به نقلها •
وكانت احمالا باموال • واثقالا كجبال • ونخائر وافية • وعددا
واقية ودروعا سوابغ • ونصولا دوامغ • وخوذا وتراذك •
ورماحات ونيازك • وقنا وقنابل • وصواقل وذوابل • وجروخا
وقسيا • ويمانيا وهنديا • يزنيا • وردينيا ومشرفيا • وزيارات •
وذفاسات وقطاعات • وعدد الذقوب • وجميع ادوات الحروب •
فاستظهرت بها المدينة • وتوثقت بها عراها المتينة • وكان من جملة
ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم • ويخرجوا قبل ان
يستوفي الباقرن في اداء القطيعة مدتهم • فتوفرت بذلك عدد البلد •
واستغني بذلك عما يصل من المدد •

ذكر محراب داود عليه السلام • وغيره من المشاهد
الكرام وتبطليل الكنائس • وانشاء المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن
عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع • وهو الحصن الذي يقيم به
الوالي • فاعتنى السلطان باحواله الحوالي ورتب له اماما •
ومؤننين وقواما • وهو بمثابة الصالحين • ومزار الغادين
والرائحين • فاحياه وجده • ونهج لقاصديه جده • وامر بعمارة
جميع المساجد • وصون المشاهد وانجاح المقاصد • واصفاء الموارد
للقاصد والوارد • وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما
السلام • وكان ينتابهما فيها الانام • وكان الملك العادل نازلا في
كنيسة صهيون • واجناده على بابها مخيمون • وفاوض السلطان
جلسائه من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء
الشافعية • ورباط للصالحاء الصوفية • فعين للمدرسة الكنيسة

المعروفة بصند حنة عند باب اسباط . وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط . ووقف عليهما وقوفا . واسدى بذلك الى الطائفين معروفا . وارتاد ايضا مدارس للطوائف . ليضيفها الى ما ولاه من العوارف . وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة . وحرم على النصارى زيارتها ولا الالممة . وتفاوض الناس عنده فيها .

فمنهم من اشار بهدم مبانيها . وتعفية اثارها . وتعمية نهج مزارها . وازالة تماثيلها . وازاحة اباطيلها . واطفاء قناديلها . واعفاء اناجيلها . وانهاب تساويلها . واكذاب اقاويلها . وقالوا اذا هدمت مبانيها . والحققت باسافلها اعاليلها . ونبشت المقبرة وعفيت . واخمدت نيرانها واطفيت . ومحيت رسومها ونفيت . وحرثت ارضها . ودمر طولها وعرضها . انقطعت عنها امداد الزوار . وانحسرت عن قصدها مواد اطماع اهل النار . ومهما استمرت العمارة . استمرت الزيارة . وقال اكثر الناس لافائدة في هدمها ولا هدمها . ولا يؤنن بصد ابواب الزيارة عن الكفرة وسدها . فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء . ولا يقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولونسفت ارضها في السماء . ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام اقرهم على هذا المكان . ولم يأمرهم بهدم البنيان .

ومما كتبته الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهر زوري من رسالة :

قد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم . والنصر العميم . والعرف الجسيم . والفضل الوسيم . واليوم الاغر الاعز الكريم . والشرف الذي نخره الله لهذا العصر ليفضله . على الاعصار . واراد تأخير فخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد اعجز الملوكة عن اقتضاء نصرته . وافتضاض عذرتة . وخص من اجراه على يده بسمو قدره ونمو قدرته . واعاد به القدس الى قدسه . واظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه . وقد رجع

الاسلام الغريب منه إلى داره . وخرج قمر الهدى به من سراره .
ونهب ظلم الضلالة بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ماكانت
موصوفة به من التقديس . وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح
السرى ومناخ التعريس . وقد أقصي عن المسجد الأقصى الاقصون
من الله الابدون . وتوافد اليه المصطفون الاقربون . والملائكة
المقربون . وخرس الناقوس بزجل المسبحين . وخرج المفسدون
ببخول المصلحين . وقال المحارب لأهله مرحبا وأهلا . وشمل
جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه
شملا . ورفعت الاعلام العباسية على منبره فأخذت من بره أوفى
نصيب . وتلت بالسنة عذبة : « نصر من الله وفتح قريب » .
(الصف ١٣) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من نذس
المشركين . وبعد أهل الاحد من قريبا بقرب الموحدين . فذكر بها ما
كاد يذسى من عهد المعراج النبوي . وقامت بدلائها براهين الاعجاز
المحمدي . وصافحت الايدي منها موضع القدم . وتجدد لها من
البهجة والرسالة ما كان لها في القدم . فهو ثاني المسجدين . بل
ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من
الاسر . واسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر . وتطهير
مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من أناس الارجاس . وتضوع
أرج الرجاء في أرجائه بعد اليأس . فالحمد لله الذي أبدل الايحاش
بالايناس . ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس .
وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه على الاعصر
مفضلا . وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين
والدنيا به مكملا . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد الساحلية
بأسرها . وعجل هلاك هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها
وأسرها . ولقد حل الكفر عروة عروة . وهذ ذروة ذروة وعادت
حباله رثا . وعقوده انكاثا . ومساكنه اجداثا . وصار حديثا بعد
أن شوهده أهل الزمة أحداثا . فالرتاج مستفتح . والرجاء
مستنجح . والبلاد مستخلصه . والقيم الغوالي منها بسوم العوالي
مسترخصة . والعقائل مفتضة . والمعائل منفضة . ومناهل المنى

بمياه النجاح مرفضه . ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف
أهل الايمان مذقضه . والثفور مبتسمه . والأمر منتظمة .
والحصون متسلمة . والخصوم مذعنة مستسلمة . وأرض الكفر
ينقصها الاسلام كل يوم من أطرافها . بل يستولى على اوساطها
وأكتافها ويعيد إلى الطاعة كرها مذهب خلافها . ولقد أينع زرعها
وثمرها من رؤوس المشركين وهذا أوان حصادها وقطافها . والنعمة
بحمد الله عظيمة . والموهبة وأن خصت هذا الاقليم فهي في جميع
أقاليم المسلمين عميمة . فلو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة
ودلالة المكرمة لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى : « قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مديدا » (الكهف: ١٠٩) والقاضي ضياء الدين القاسم
الشهر زوري قد توجه لهذه النعمة واصفا . وعندما يأمر به من إنهاء
البشرى بها واقفا . وأولى من وصف العرف من كان بأوصافه
عارفا . وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفسي بشرح الصدور
مصادر شرحه . ويفتح على الاسلام أبواب الهناء بانهاء ماتسنى
من فتحه . ويحدث وهو الضياء يأسفار صبحه .

عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح القدس

واقام السلطان على القدس حتي تسلم ما بقربها من حصون .
واستباح كل ما للكفر بها من مصون . ورحل ولده الملك الافضل قبله
الى عكا عائدا . وعن حوزتها بباسة وجوده نائدا . ثم تبعه الملك
المظفر فرحل . وسار الى عكا . وبها نزل . ثم عمد السلطان الى ما
جمعه ففرقه . وأخرجه في ذوي الاستحقاق وأنفقه . وفرضه
بعوارفه . وفضه في مصارفه . فسد خلة المعيل . وأسهم منه ابن
السبيل . وحمل به عن الغارم . وأحى به سنن المكارم . ووضع
في أهله . وأحله في محله . وصرفه في حله . وقدم التوسعة على ذوي
الاضافة . والانفاق في أهل الفاقة . واجنى الاجناد منه مقاطف .

وجعل للمجاهدين منه وظائف . وابقاه بافئائه ذخرا للآخرة .
وكسبا للمحامد الفاخرة . فاكثروا غزله على بذله . واستكثروا ما
فضه بفضله . فقال كيف أ منع الحق مستحقه . وهذا الذي أنفقه هو
الذي أبقيه . وإذا قبله مني المستحق فالمنة له علي فيه . فإنه
يخلصني من الأمانة ويطلقني من وثاقها . فإن الذي في يدي وبيعة
أحفظها لذوي استحقاقها . فما عاد الوفاء إلا بوفر ودثر . والأفاضة
في نظم من حمده ونثر . وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا . وتنفيا كل
فئة ظلا . وكثر السائلون بالفضائل . والقائلون بالسائل .
والقاصدون بالقصائد . والوافدون بالفوائد . والواردون بالفوائد .
والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوابق . والسالكون للطرائق .
والمالكون للحقائق . فما ترى إلا قارنا باللسان الفصيح . وراويا
للكتاب الصحيح . ومتكلما في مسألة . ومتفحفا عن مشكلة وموردا
لحديث نبوي . وذاكرا لحكم مذهبي . وسائلا عن لفظ لغوي .
ومعنى نحوي أو مقرضا بقريض . أو معرضا بتصريح أو مصرحا
بتعريض أو جالبا لمدحه . أو طالبا لمنحه . أو مستضعفا بفاقه . أو
مستسعفا بفاقه . أو ناشدا بذشيد . أو مسمعا بتغريب وتغريد .
وما فيهم إلا من أحظي بسهم . أو ارضى بقسم . وأصيب وأجيب .
وأجيز بتقرير وتقرير . فقل له لو نخرت هذا المال للمال . لشفيت
به مايقع من الاعتلال . وكفيت بالحقيقة ما يسئح من الاختلال .
فقال أ ملي قوي من الله الكافل بنجح الآمال . وجمع الاسراء
المطلقين . وكانوا الوفا من المسلمين . فكساهم وأساهم .
وواساهم . وأذهب أساهم . فانطلق كل منهم إلى وطنه ووطره .
ناجيا من ضرره . ووضره ومكث السلطان عليه مقيما . للنظر في
مصالحه مستتيما . فقل ما قعودك عن ضرر . فأنهض اليها
عسكرك المنصور . وانت تدخلها يوم وصولك . وتحظى منها بمرادك
وسؤالك ، فأنذو السير . وأخو الخير . وأحصر الخبر . واحظر
التأخير . وفي تعجيل النهضة . تحصيلها في القبض . وفي بدار
الامام بدارها . بشرى أهلة الفتوح المقمرة بإبدارها . فأسر
بالعسكر وأسرع . واقطع عن الكفر تلك الاعمال واقطع . وأكثر من
كان يستحثه . وعلى النهوض يبعثه . الأمير علي أبو أحمد المعروف

بالمشطوب . وكان من أكابر الامراء الكافين للخطوب . الكافين في
الحروب . وكانت معه صيدا وببيروت . وهما بقرب صور وقد أشفق
ان فتحها يفوت . فرأى الحظ في الحض . وحررض على الفرض .
ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل إليها . وأنه يشق في هذا
الوقت النزول عليها . وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام
صور مشغلا . وعلى الاستهتار بتحسينها مشغلا . وقد استجد
قدامها من البحر الي البحر خندقا . وجعل الطريق إليها
مضيقا . واحكم اسباب الاحكام . وأخذ بالحزم في الاهتمام .

ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار

صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من
شعبان . وقد عنا لامره كل ناس ودان ودان . وودعه ولده عزيز مصر
في اول منزله . وسايه لكرامية فراقه مقدار مرحلة . ثم اوصاه
وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه . مستظفرا بأخائه .
ومستبشرا بألائه . مستبصرا بآرائه . مستنصرا بمضائه مستغنيا
بغنائهم . وموفيا بوفائهم . وهو بعقدته يعقد وبحله يحل . وبشده يشد
وبدلوله يحل . والعساكر بالافضاء فائضه . وللخطوب الريضة
رائضه . والى استنهاض النصر لانصارها ناهضة . ومن هواها
انها في دأماء الدماء من أهل الكفر خائضة . فوصل الى عكا في أول
شهر رمضان فخيم بظاهرها ظاهرا بخيمه . باهرا بتأخيرها
وتقديمه . قاهرا بشباه المبير . زاهرا بسناه المنير . جاهرا بسره .
ظاهرا في بحره . وأقام أياما يتفكر ويتدبر . ويستشير ويستخير .
والمشطوب يستعجله . ولا يمهل . ويحررض بالبعث . ويحذر من
المكث . ويقول الفرصة تدرك بالحث . وتفوت باللبث . فسار لندائه
مليبا . ولجيش النصر معيبا . ولرأيه مقلدا . وبأله عز وجل

متأيذا . فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة .
بالجحافل المحتفلة والجموع المجتمعة . فنزل بعيدا من سورها .
سعيدا في ترتيب أمورها . مضروبة قبابه . مجنوبة عرابه . محجوبة
بالبنود والجنود أرضه وسماؤه . مذشورة راياته منصورة آراؤه .
خافقة على الاعداء عذبات عذابه . دافقة في ثرى النجح في الانحاء
ثرات صوب صوابه . قد كست خيامه عري العراء . وفشت أشعة
بيضه وسمره الفضة بالقضاء . واحتوت مضاربه المضيئة بالائه
وارائه على مضارب المضاء . وباحت استباحه حمى المشركين
للموحدين بهر السراء . فمكث أياما حتى تواصل المدد . وتكامل
العدد . واستحضر آلات الحصار . واستكثر من المجانيق الصغار
والكبار . ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم
الخميس . في خميس يسير في الوشيخ كالاسد في الخيس . ونزلت
النوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس . فوقع في
الدرديس . والعذاب البيئس . فكانما نفخ في صور صور . فحشر
أهل جهنم وملأوا السور . واتصلت زيارة الزيارات للجروح
بالجروح . وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش والشدوخ . وارسلت
الحجارات حاجرة حاجزه . والسنة أهل الرجس والرجز بالفدشاء
راجزه . وكانت صور على السوء مستوية . وعلى كل من خرج من
القدس وبلاد الساحل محتوية . فضجوا وارتجوا . وعاجوا
وعجوا . ولجأوا ولجوا . ونصبوا على كل نيق منجنيقا . وشدوا من
كل جانب ركنا وثيقا . وشدوا في الجبال . ومدوا في الحبال . ورموا
من الشرافات الشرفات . بالشروور والافات . وسلب الحجار
حجاها . وامت الامة وجاءها وجاها . فكم من رؤوس اطارت .
ونفوس ابارت . وبر خسفت . وبدر كسفت . وبحر نزلت . وطود
نسفت . فحول السلطان الى قريبا له خيمة صغيرة . وانهض بنات
الحنايا بالمنايا عليها مغيرة . وصف الجفاتي . فصدف اتيها
الاتي . وعارض بحرهما بعرض بحره . ورد كيد الكفر من المنجنيق
بما نصبه من المنجنيق في نحره . فاحبط اعمالهم باعماله . واهبط
رجالهم برجاله . وقابل الابراج بالابراج . وحاول بالردى علاج
العلاج . ووالاها حجارات وصخورا . حتى جعلت سور صور

سورا . وجد في امرها . واجاد في حصرها . ووصل اليه في تلك
الايام . من قوي به ظهر الاسلام . ولده الملك الظاهر غياث الدين
غازي . وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازي .
فقدم مبارك القدم . متدارك النعم . عالي الهمم . غالي القيم . ومعه
عسكر مجر لجب جلبه من حلب . قد استصحب البيض والسممر
والبيض واليلب . فظهر من الملك الظاهر ما ملك به قبول القلوب
واغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب ، ورأى نصب خيمته
وراء خيمة ابيه المنصوبة ، وجد في استرجاع مدينة الاسلام
المفصوبة ، وقدم بين يديه كل حجار راجح ، وكل نقاب
ناجح ، لصم الصفاق مصافح ، وكل جاندار جان در الردي
للكفار ، وكل زراق رزق الجسارة على اهل النار بالنار ، وكل
منجنيقي من جناته تقتبس ذبالة البسالة ، وكل جرخي رخي البال
بالهدى لاصماء اهل الضلالة ، وكل رام رام النجم في الأفق
فراماه ، وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه ، وكل مقدم قرن
دام ، وكل ضرغام صريع في رغام . وكل قمقام ضارب
بصمصام ، وكل حام شارب بكأس حمام ، وكل زمر
مشيح ، لذمار الكفر مبيح ، ولروح الجد مريح ، ولذماء المزاح
مزيح ، وكل فاذك لحبل الوريد باتك ، ولستر الحياة هاتك ، ولدم
العداة سافك ، وكل شجاع الى الموت داع ، والى المجد
ساع ، وللإسلام راع ، وللإشراك ناع ، وكل فارس للفوارس
فارس ، وللذوابل في النحور غارس ، وفي اليوم العابس غير
ناج ، وكل راجل لقهر العدو راج ، وبسر البأس مناج ، ومن شر
الناس بشجاعته ناج ، وبباغت المذون لن يلاقه شاج ، وكل عتال
عات ، ونجار ونشار ونحات ، وحداد وقين وكل زائر للعدى بحين .
فاجتمعوا وزحفوا . وجفوا على القوم ورجفوا وأصموا وصمموا .
وأوقدوا نارا وأضرموا . وأطاروا من أعشاش الأقواس الى أوكار
الأحداق أفراخا . واستصرخوا الأقدار لأقدارهم فحبتهم حين
أحببتهم أصراخا . وغلظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق . وأولوا
الشقاء لأولى الشقاق . وتساعدوا وتناصروا وتطاولوا وماتقاصروا
ومافيهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والان الشديد . وأعان

السيد . وأفلح ففلح الحديد بالحديد . أوجد الحديد ومد الحديد
وصور مرتجة أبوابها . مرتجة أربابها . مفتحة جوانبها . ومرتصة
عصائبها . مشدونة أبراجها مسجونة أعلاجها محصورة كلابها .
مدسورة ذئابها مدسورة ثعالبها مدسوبة كتائبها . والمركيس بها
متجهم . وأبليس عليه متحكم . وقد سقط في يده . وسخط لبلده .
وارتبط بجلده واختلط بكمده . وغلت مراجل غلوائه وعدت غوائل
عدوانه . وطاش وجاش وأوخش الأوباش والأوخاش (٢) .
وتوشع بالشر وتودش . وترشح للردى وتحرش . واشتعل بجمره .
وبعل بأمره وضرى بضره . وجال بوجهه في مكر مكره . وكر في وكره
وعشا عشه . وثبت على لجاجه . ونبت في اجاجه . وتعرس وتسر .
وتربص وتصبر . والسلطان مصيب حكمه . صائب سهمه . ماض
عزمه . قاض حزمه بار حده . ساطع سنى ايناسه . قد اتسقت
اسبابه . واتسعت رحابه . واجتمع اصحابه . فازنحم على بابه
وحول قبابه كل مبارز بار . وكل ضارب ضار . وكل حجار جار .
وكل رامح ورام . وكل حامل سلاح وحام . وكل سائف حائف . وكل
عاصف قاصف . وكل أكل للحرب شارب . وكل طالع بالضرب غارب .
وكل هاجم هائج . وكل راجم رائج . وكل معتقل متقلد . وكل مجرب
مجرد . وكل ذكر مذكور . وكل غضنفر مشكور . وكل ليث ملاث .
وكل غيث غياث . وكل سفاك لدم الكفر سفاح . وكل جراد لسيف
الفتك جراح . وكل مكتتم في درعه . مكتتم في نقعه . ملثم بزغفه . مثلم
بحرغه . مقنع بلامه . ملفع بقتامه . سايح في بحر الموت بسابحة .
سامع في الصباح صوت صائحه . فجمع اليه أمراءه . واستحضر
عظماء ملكه وكبراءه . وقالوا هذا بلد حصين . ومكانه من الارض
مكين . في البحر ثلاثة ارباعه . وفي السماء ارتفاع بقاعه . وطريقه
الذي يسلك من البر اليه . قد احاط به البحر من جانبيه . وقد قطعوا
بخندق في عرضه . وعمقوا ونزلوا في أرضه . وكان من احكام
الحزم . واتمام العزم . تكميل الآلات وتتميمها . وتحصيل
المنجنقات وتقديمها . وتركيب الأبراج والدبابات وتأليفها . وتقريب
الجفاتي وتصنيفها . وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها . وتنحية
اثقال العسكر وتخفيفها . وتنحية نخب الرجال

وتصريفها ، وتسنية الأسباب ، وتهئية الأخشاب ، واستحضار كل مايراد للحصار ، واستنفار كل من يرام من الانصار ، فاذا حضرت هذه الأشياء والأشياء ، وتيسرت وتوفرت الأصول والاتباع ، رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع ، واذا حالت الاحوال وضاعت الاوضاع ، واختل واعتل النزال والنزاع ، وأمر السلطان بازاحة العلل ، وازاله الخل ، وشغل الصناع بالعمل . ونقل الأمل الى طريق الأجل . وتقدم بقطع أشجار الغياض . وحمل مايتلك النواحي من الانقاض ، فاجتمع هناك كل آلة وآلة ، وذباب وذبالة ، وقضيب ومقضب ، ومجرب ومحرب ، وسم وشهم وشهب ودهم وأحمال ، وأثقال ، ونظمت الستائر من القضيب ، وصفت من سور سور بالمكان القريب ، وكمنت من ورائها الكماة ، واستترت بالجفاتي قدامها الرماة ، واشتغل كل صانع بصنعه ، وكل جامع بجمعه ، وكل دافع مانع بمنعه ودفعه ، فمن جان بمنجنيق ، ودان الى نيق ، وداب بدبابة ، وذاب بذبابة ، ونازع في حنيه ، وناز بمنيه ، وقاذف بشراره ، وحاذف بحجاره ، وهاتك من ستاره ، وفاتك بجساره ، وجاذب في حبال ، وجالب لوبال ، ومرو في قلع ومسو لاقلاع ، ومدبر بايجاف ومدمر بايجاع . ولم تزل المنجنيقات ترمي ، والحجارات تدمر وتدمي ، والدبابات تطير من أوكارها عقبان الجروح ، وأطباق البرج تبني وتغطي بالسلوخ ، حتى امتد الزمان ، واشتد الحران ، وضاق الحصر واعتاق النصر ، وكان العسكر قد الف تيسر الفتح ، وتسرع النجع . فصعب عليه حين صعب ، وتبع هواه لما تعب ، ولم يألّف الناس الا ارواء ظمأهم بنهله والحصول على اكساب سهله ، وفتح مايقصدونه من البلاد بغير مهله ، فلما توقف هذا الفتح توقفوا ، وملوا وضجروا وتأففوا والسلطان مع ذلك يزداد في حده وجده ، وفي شدة شدة ، وفي جده جده ، يثبتهم بحثه ويحثهم على الثبات ، ويقويه بجوده ويوجددهم القوات ، ويقول ان الله أمر بالمصابرة . ولا مصابرة الا بالمثابرة . فاصبروا تفلحوا وصابروا تفتحوا .

ذكر ماتم على الاسطول

وكان السلطان قد نفذ من صدور ، واحضر اليها من عكا ماكان
بها من مراكب الاسطول المنصور ، فوصلت منها عشر شوان ، على
العدى جوان ولردي لهم جوان ، فعمرها بالرجال ، وجهزها للقتال
واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل ، فاستشعر المراكيس
واشياعه منها الويل ، وعمروا لهم مراكب ، ورفعوا بها
مناكب ، وسفننا بالساحل عندنا مربوطة ، وبحفظنا مضبوطة
محوطة ، ودامت تدب عقاربها ، وتذب سواربها ، وتجري سواربها
وتسري جواربها ، وتطير للقنص بزاتها ، وتغير للفرس
غزاتها ، وتكسر بكواسرها ، وتدور بدوائرها ، وتلاطم الأمواح
بأمواجها ، وتزاحم الأثباج بأثباجها ، وترفع شرع الهداة
بشراعه ، وتقلع عرش الغواه باقلاعها ، وتدنقض على شياطين
الكفر شهبها ، وترفض بشايب الذعر سحبها ، فكأنها الاسود
والسود ، وركبتها الاسود ، من كل افعووان يحمله
افعووان ، وشجاع امتطته شجعان ، وغراب بشتات العدى
ناعق ، وسحاب بوميض الهدى بارق ، فيالها من اغربة دارت
بعقبان . وأجنحة طارت بظلمان . ورواس سوار ، وغواز
بغوار ، وقد ملئت برماة الحندق وحماة الحلق ، وزراقى النار
وطراقى النار ، والخطافين بالخطاطيف . والقاذفين بالمقانيف
والكالمين بالكلايب . والسالمين بالأساليب والحاربين بالمحارب
والراجمين بالرجام ، والمعلمين على الأعلام فاندشت مرائر الفرنج
وازاحت سفنها عن النهج وقرنصت بزاة البيزانية . وتقلصت جناة
الجدوية ، وكثرت ادواء الداوية . وكثرت اسواء الاسبتارية . وزادت
الام الألمانية . وعادت أسقام الافرنسية . وصارت مراكبهم في المينا
لاتبين ، وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلين . وقد ربطوا عندهم السفن
فلو خرجت كانت جبالا تسفن . وأندس اصحابنا بعلو
الامر ، وخلوا البحر . وأمدوا من الخوف ، وأمدوا على الطوف . ودام

تطوافهم. واستقام ايجافهم . واغثروا بالسلامة. وسروا بالاستقامة .
وباتت لنا شوان خمس . لها بزوال الوحشة اذس. وربطت بقرب
مينا صور راصدة ، ولأخذ ما يخرج من شوانها قاصدة ، والدياجي
مدلهمة والدواهي ملتمة. وعيون الزهر راقدة. وعيون الكفر
ساهدة ، وللمكايد مصايد. وللعوادي عوائد. وللغواثل طواثل.
وللمسائل دلائل ، وللمقايير مقادر. ولاولئك المراد مراد ، فحفظ
اصحابنا الى السحر الحرس ، وسهروا الى أن شارفوا الغلس
وكل منهم لما استأنس نعس. وغاص في النوم وما تنفس. فما انتبهوا
الا وسفن الفرنج بهم محدقة ونيرانهم محرقة . فولجوا في البحر
والتجوا . وتطافروا (٤) الى الماء لينجوا وعدت العداة وأخذت ذلك
الشواني الشناة واسروا منها عدة. ولقي الباقيون شدة. فاغتم
السلطان بسبب هذه الذكبة. وفرح الكفار بتلك الضربة. وكانت تلك
اولى حادثة كرتت. وكارثة حدثت. ونائية رابت. ورائية نابت. فضاقت
القلوب. وضافت الكروب. وحصلت تجربة الغارين . واتصلت حركة
القارين . واستيقظ الناعس. واستوحش الأذس . وهب الراقد. ودب
الراكد ، وذاب الجامد . وشب الخامد. وهاح الزائر. وماج الزاخر.
وتحرك الساكن. وتورك الراكن. وعقل من غفل. وذهن من نهل. وتيقظ
من غفا ، وتحفظ من هفا. وتقبض من انبسط. وتقيد من نشط. وهم
من عف. وألم من كف. ورجفت الافاق بالدرجفين. وطالت السنة
المعذفين. فمنهم من يؤنب ويذنب. ومنهم من يقول ويطنب . والعاقل
ينجنب . ويقيم العذر لمن يذنب. ويقول هذه من الله موعظة. وآية لنا
موقظة.

واشار الناس بانفاذ الشواني البواقي ، وقطعوا بان هذه القطع
لا تكفي لللاقة في يلاقي ، فجهزوها نهارا وصيروا سرها
جها-----ارا . وام-----روا
بتسييرها الى بيروت . ورجوا ان تسبق وتنفوت . وركب العسكر في
الساحل يباريها . وهي بالقرب تجارية في البحر وهو في البر
يجاريها . فابصر ملاحوها شواني الفرنج لبارزتها مبرزة .
وللاجهاز وراءها مجهزة . وكانوا رجالا من بحرية مصر مجمعه .

واصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مروعه . فتواقعوا الى
الماء . وخافوا على دمائهم في الدماء (٥) . وخرجوا الى البر على
وجوههم . وخافوا مكرهم في مكروهم . وفروا وفاروا . وطاروا
وثاروا . ولم يلفت احد منهم لبتا . ولم يزدحم دعاؤهم الى التجمع
الا تشتيتا . فظهر بهذه الذوبة الواقعة . والنبوة الرائعة . ان نواب
مصر لم يجر منهم بالاسطول احتفال . ولم يرتب فيه على ما يراد
رجال . وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة .
ومستضعفة غير آفة ولا مألوفة . فلا جرم لما شاهدوا الروع
ارتاعوا . ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا . وكان في جملة شوانينا
قطعة يتولاها رئيس جبيل . وفيها بحرية من ذوي التجربة والتجري
والتجربة ما لها حين ولا ميل . فطال بأسلحة الدفاع . وطار بأجنحة
الشرع . وفاز بالسبق وفات . وهيئات ان يدرك هيئات . ففجا
النجباء . وأب بهم الالباء . فبقيت المراكب الباقية . وقد اخلاها
حماتها الواقية . فرفعناها الى البر . ورأينا الصحة منها في
الكسر . وفرغنا من شغل المراكب في البحر . وهذا والمنجنيقات
ترميمهم . والمفوقات الموفقات تعميهم وتصميمهم . والقتال
قائم . والنزال دائم . والصخور تفلق . والصدور تقلق . والاحجار
تقلقل . والاسوار تحلل . والاطوار تضعضع . والابراج القيام
تسجد وتركع . والاصلاذ تقدح . والاجلاذ تقرح . والالواح
تصدع . والارواح بين اكفاء الكفاح مقسومة . والقروح بها قوارح
القوارع موسومة . والحنايا واترة موترة . والمنايا مأثورة
مؤثرة . وظعائن الضغائن تحدي بصايل البواتر . وصهيل
الضوامر . وحقوق الحقود تقتضي بالسنه الاسنة . وعنت الاعنة من
الغريم الكافر . والاولاد شاخبة كالعيون البواكي . والابشار
دامية من الزنبوركات والناوكات الذواكي . وهناك العقل معزول
بالتهور . والرأي مشغول عن التدبر . والعلم والحلم خالطهما
الجهل والسفاه والجرحي يبتدىء ببسم الله . والمنجنيقي يختم بلا
اله الا الله . والزراق بالنار يطيب القاروره . ويحرق
الساورة . والسباق الى المضمار يساور السور ويباشر
الباشورة .

ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على تلك العشرة . ظنوا فينا الفتور لأجل تلك
الفترة . وقالوا مراكبهم انحل تركيبتها . وكتائبهم اختل
ترتيبها . وستجرى بها عنا الندامة التي يحدثها تجريبها . وهم
الآن على صوت لهم مخيف . وفوت بهم مطيف . فلا معنى لتقاعدها
عنهم . ولا وجه لتباعدها منهم . فلوخرجنا صدمناهم . وأقدمنا
عليهم وهزمناهم . وخرجوا يوماً قبل العصر . في عة كالليل
خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلأوا وانضموا والتظلموا
وتقدموا . وأقدموا للطوارق حاملين . وللجمالات مطرقين . وعلى
الفرق مجتمعين . وللجماعات مفرقين . وبالرهق جالين . وبالجد
مرهقين . وللعقود حالين . ومن الغمود سالين . وللمناصل
منتصبين . وللطوائل مقتضين . وللسيوف مجريين . وللسيول
مجريين . وبالزغف ملتئمين . وفي الحتف مقتحمين . وبالقنطاريات
طائرين . وبالزيارات زائرين . من كل مغوار وار . ومحضار
ضار . وفجار جار . وجبار بار . وعدو عنود . وكند
كنود . وداوي ذي دوي . وباروني غوي . ومن كل مصمم اذا
وتر . مصم اذا وتر . مصم اذا نعر . مصر اذا نعر . هائج اذا
استعر . مائج اذا نخر . متمر اذا زار . متذمر اذا
زجر . فتنابوا وتواثبوا . وتجاولوا وتجاوبوا . وبنوا من متارس
المنجنيقات . وجذوا من مغارس الجنويات . وبنوا امرهم على ان
الناس ناسون غارون . وان اهل البأس في خيمهم هاجعون
قارون . فتلقاهم منا كل ضارب للهام . ضار بالحمام . وجار الى
الأقدام . ملب للصوت . محب للموت . مشتهر باغناء . مشته
للقاء . مستهتر بالبلاء . ماض بالمواضي . متقاض بالقواضب
القواضي . وكل ابيض بالبيض ضراب والبيض رضاض . واغلب
المغلب قضقاض والى الحرب نهاض . وكل معتقل رماحه . معتقد
مرحه . معتقد مزاحه . مهتز لطرب الشهادة . معتز بأرب

السعانة . متمن للمذون . متجن على الحذون . مضرم نار الحديد في
ماء الوريد . مغرم في تفريق العدى بجمع الحديد . مفرغ ماء الطبيب
على نار النجيع . مبلغ تلبية الهدى الى الصريخ السريع . قد تلاثم
باللام . وتلفع باللاثام . وتقنع بالزرد . وتدرع بالجلد . وتجوشن
بالصبر . وتخذشن بالزبر . وصال بالقضب . وجال بالهضب . وطال
بالهندي على الفرنجي . وخاض من دم الشرك في البحر اللجي . فلم
يسمع الا انين الحنية . لحنين المنية . ورنين الأوتار . من كنين
الأوتار . وهفيف السهام . لذفيف اللهام . وصليل بنات
الغمود . من غليل ابناء الحقود . وهمهمة الابطال . وغمغمة
الأقيال . وزئير الضرغام . وزفير الضرام . وقـرع الطـبـيا
بالظبا . ووقع الشبا على الشبا . وضجة الحديد من
الحديد . وعجة الشديد . وجعجة رحي الحرب . وقـدقـعة اداة
الطعن . والضرب . وجرجرة الفحول . وزمجرة النحول . وهديل
حمام الحمام . وهدير قـروم الايدام . ووعوعة ذئاب
الوغى . ومعمعة التهاب اللظى . ودعدة صاع المصاع . وجلجلة
سباع القراع . وصلصلة الزبر . ولولة الزمر . وحييلة دعاة
النصر . وهيضلة رعاة الكفر . ورفرفة المريشات
الراشقة . وهسهسة الطعنات الفاهقة . وهزهزة اعطاف
المران . وزهزهة اصوات الشجعان . ونعير الغالبيين . وصخب
السالبيين . ولجب الجالبيين . وزحير الطالبيين . ونهيت (٦)
الأسود . وقصيف الرعود . وهدة الأركان . وهدهدة
الرعان . وقهقهة الأقران . وقرقرة كوم البكاء . وصرصرة بزاة
الغزاة . وكشيش صلاص الضلال . ونشيش مـراجـل
الرجال . وهزيز ريح الياس . وهـزيم رعد المراس . وارنان
المعاجس . وارزام القناعس . وهيعة الصارخ . وصيحة
النافخ . وزعقة المستفزع . ونعقة المستنزع . وشـعـشة
الخرسان . وزهزمة النيران . وهينمة الاجل . وجمجمة الزجل
وتـكـبير المؤمنين . وتهليل المؤمنين . وصرير ابواب الجنان
للشهداء . وصريف انياب الجنان للاعداء . والدعاء الى
اللقاء . والنداء الى الارداء . وارتفعت الاصوات . واشتبهت

الاحياء والاموات . ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار في
الخطب . واروهم في مرايا البيض وجوه العطب . ولوا
مدبرين . بعد ماتولوا مدبرين وجذونا تشلهم . وجدونا
تفلهم . ولتوتنا ترضهم . وليوتنا تفضهم . وعادوا الى
البلد . عادمي الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نواذب . وايدي الردي
بهم لواغب ومنهم لواغب . وبخل الليل . وعمهم الويل . واسرنا
منهم مقدمين . ثبتوا على الدوت مقدمين ، وممن اسر فخر قومص
عظيم . بل شيطان رجيم ، فترك في قيد اسار ، ليكشف عن حاله
بالنهار . وكان الملك الظاهر غازي . لم يحضر فيما تقدم من
المغازي . فرأى ان يحقق اسمه بقتله . فضرب عنقه بحد
نصله . وكان للمركيس شبيها وفي الفرنج وجيها . فظنوا انه هو
للشبه . وبات اهل الكفر بالعمى والعمه . ثم عرف ان المركيس في
نفسه لم يذكا ولم يذكب . ولما عطب اشياعه لم يعطب . وندم على
ماقدم . ومن تقدم على غرة تندم .

ذكر ما دبروه من الرأي ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد . وارتدع الجلد . وارتج العدو ولج . ضجر
العسكر وضج . واجتمع امراء . يحبون الافلات . ولا يكرهون
الافوات . وقالوا مطاولة ما نقصر عنه تعب . ومزاولة مالايزول
تصعب . ومحاولة الممتنع محال . ومطال غريم هذا الافتح
مطال . وما يتسع لنا في هذه الحلبة الضيقة مجال . وهذا السلطان
جلد على المصابرة . مجد في المكابرة . لا يكثر بالكارت . ولا يدخل
سمعه حديث الحادث . ولا يبالي بمن بلى ، ولا يفكر فيمن ولي أو
ولى ، ولا راحة له الا في التعب ، ولا يعلم له نصيب سلامة الا من
النصب ، وكل ما جرى الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم
يردعه ، وقد قيل اذا لم تستطع شيئا ، فدعه ، فكيف السبيل الى

استعطافه ، وما التدبير في استسعافه . وبم ننتـوسـل
ونتوصل . واذا عرفناه ان الداء يعضل . والخطب يشكل لعله
يحتوي الاقامة ويرحل . فاطلع على ما اسروه ، ومرب به ما
امروه ، وهمه ما به هموا . والله ما به الدوا . فراسلهم بالهيبات
وواصلهم بالصلات . ورغبهم فيما عند الله من الزلفى ووعدهم بكل
ما على املهم اوفى . وقال لهم كيف نخلي هذا المكان . وما استفرغنا
في شغله الامكان . وما استنفدنا في مضايقته الوسع ، ولا احسنا
بعد في محاصرته الصنع ، ولا زحف اليه الجمع . ولا حفز منه
المنع ، ولا اصابنا من مكر اهله مكروه ، ولا ورد الصبر منه بشفاه
شفاهه مشفوه ، وكيف تجري بنا الخيل عنه قبل التجريب ، وهذا
الارب ما يخطر بخاطر الاريب ، وما عذرنا الى الله والى المسلمين
اذا تركناه ، وكيف نقول فائقنا هذا القنص وما ادركناه . والفرصة
اذا فانت لا تدرك ، والبغية اذا واثت فحقها تملك ، ونواظر الناس
الى ما سيكون منا في صور صور ، وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها
الا نور . ومن لا يتعب لا يسترح ، ومن لا يحترق من الوجد لا
يقترح . وان تجدوا تجدوا . وان تردوا عن المنهل العدى
تردوا . وان تصبروا تصيبوا . فارجعوا الى الله وانيبوا . وهذا
الراجل متواصل . والغرض به حاصل . ونحن نقسمه على المجانيق
ونوبها . ونلزم كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها . وهذا البرج
قد ارتفع . والوسع قد اتسع . وقد امتلات بالرجال طبقاته . وتوالت
منها في الكفر شقاته . والنصر قد ان أن تطيب نشقاته . والمركيس
ابعد الله قد قرب ان تخونه ثقاته . ورأينا طول الارواح . لا للتناول
الى الرواح . وفي التثبيت على المقام . التوثب على المرام . ثم اخرج
المال وصبه من اكياسه . وفرقه على ناسه . وانفقه في اهل باسه .
واصل البذل وهجر العذل . وملا الايدي بالغنى . وروح للرجاء
نجح المنى . وامر فامتثل وقال فقبل . ونادى فسمع . وحشر
فجمع . وعادت عادة الحصار . واسعدت سعاة الانصار .

ذكر فتح حصن هونين

وورد الخبر عن هونين انها هانت . وينا امرها ودانت . وان طريق فتحها بانث . وانها عنت فان الطاف الله اعانت . وانها بذلت ماصانت . ولم تبق للكفر على ماكانت وان شدتها لانت . وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه . وامده بمددي جنده وعطائه . فلبث الى هذه الغاية . يصبها بسهام الذكاية حتى طلب اهلها الامان على الوفاء بما يشترطون . ويشطون منها ولايشطون ، قال ما قالوا امهلونا حتى نعلم مايكون من صور . ونكتشف هذه الامور ، فان اخذتموها اخذتم هذه . وشفعنا امر السلطان بنفانه . وان خليتموها فياهوان هونين . ونحن نجعل على هذا عدة من الاصحاب مرهونين ، فندب السلطان بدر الدين الدردم الياروقي وهو من اكابر عظمائه ، واكارم امرائه ، وامره باستنزالهم واستنزالهم ، والامان لذنائهم ورجالهم ، فمضى ورجبهم في الامن والسلامة ، وخوفهم عقبي الحسرة والندامة ، وقال لهم انتم بين حصنين هما تبنين وبانياس ، وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم وبان الياس ، واذا ايتم التسليم عدتم سلامتكم ، واقمتهم قيامتكم . واستباحكم السلطان واستباحكم . وكرهكم واباكم . وحل بالقتل حباكم . وقل شباكم . فما زال يرغب ويرهب حتى رغبوا ورهبوا . واخذوا الامان على ان يذهبوا . ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم . ولما قتلة اهلها مستقيم . والى ما عند الله من نصره مستقيم . وتسلمت هونين بما فيها من عدة ونخيرة . وقوة وميرة . والات وادوات كثيرة . وتسلمها بيرم اخو صاحب بانياس . واستشعر الفرنج منها الياس . وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها . وبرج بالقلوب برحها من عمل صيدا: قلعة ابي الحسن . وشقيف ارنون . ومن عمل طبرية والغور: صدف . وكوكب . وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اميرين . من خواصه كبيرين . وقد ضيقا على من بهما من العلوج . ومنعا من

الدخول والخروج . واقام السلطان على صدور محاصرا . واللين الحنيف ناصرا . وليد الشراك بمطاولته قاصرا . يقاتلها بكل سلاح . ويقابلها بكل كفاح . حتى كادت تستكين . وشدتها تلين وابيتها تدين وسريها يبين . وكان قد دخل كاذون . وظهر من سر الشتاء المكذون . ووقبض البرد الايدي عن الانبساط . واعدم الهمم دواعي النشاط . وعادت العزائم المتوهجة تبرد . والصرائم المتأججة تخمد . والنخوات المتحركة تجمد . والحميات المتيقظة ترقد . والضرام المحتدم يخبو . والحسام المخدّم يذبو . والطباع تتكره . والسباع تتأوه . ومناوبة القتال تختل . ومعاينة النزال تنحل . فلحاهم السلطان على ملاح . وعرفهم ان في الصبر الفلاح . وامرهم بالمقام والاستقامة على الامر . وانه لاظفر الا مع الصبر . وان الظلم تنجلي عند تجلي الفجر . وكان في الأمراء جماعة منتجون منتخون . أبت أمانتهم في حمية اللين أن تخون مقيمون على الكريهة ولاكراهة منهم للمقام . ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويؤثرون بانفسهم في طاعة الله وموافقة السلطان . وعصيان الشيطان في مفارقة المكان . فاذا ارجف بالرحيل رجفوا . وسخفوا رأي المشير به وضعفوا . واضطربوا واضطرموا وتذمموا وتلوموا . وقالوا كيف نترك ماحويناه . ونعوج ماسويناه . وننشر كفرنا طويناه ونهجر خيرا ذويناه . ونداوي توحيدا شفينا . ونشفي اشراكا ادويناه . وماللراحة اليوم طالب . الا وهو غدا بالتعب مطلوب . ومن امسى وهو الآن غالب . يوشك اذا ولى ان يصبح وهو مغلوب . وهذه صورة صور قد تشوهت . وموارد قوتها شففت . واذا تخلينا عنها وخليناها ترفهت واستفهرت . واذا حلمنا عنها سفهت . وهبت من غشية خشيتها وتنبت . وتارك المصابرة مصاب . والاخذ بالمتابرة مثاب . فمنهم الامير طمان بن غازي مااطمان يوما في الغزو ولاسكن . وعز اللين جريدك الذوري كم جرد على اعناق المشركين سيفه الذي به تمكن . وهما همaman مقدمان مقدامان . من عادت هما الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولايريمان . وجماعة اخر بهما يتشبهون . وبالكريهة لايتكروهون . واما الباقون فانهم احبوا البقاء . وابغضوا اللقاء . واتقوا الالتقاء . وابوا الا الباء . وقالوا قد

لغبنا . وما بلغنا . وجرحنا ، ومارجنا . فلورحنا استرحنا . ثم
عجنا ورجعنا . ومانحن باول واضع للاصر . راجع عن الحصر .
معتف للعقل . مستعف من الثقل عامل بمحض الحزم . عالم بوقت
العزم . هذا وقد علم ماعرا من ضروب الكروب . وثلث ما برى من
غروب الحروب . وبقدر ما هدم من مباني البلد هدم اكثر منه مباني
الجلد . فقال السلطان بل نجد في القتال اياما . ونقدم بأسا واقداما .
ونزحف بجميع رجالنا . ونصدقهم في نزالنا . ونقاتلهم من جميع
النواحي . فان تعذر لاح العذر للاحي . واصبح العسكر وقد
استعد . وامتد قبالة البلد من البحر الى البحر والنصر استمد .
وركب الامراء باجنادهم ووقفوا . واثمر لهم ورق الحديد الاخضر
فقطفوا . وتناوبوا في الزحف . وتعاقبوا على الحذف . وكلما ترجلت
طائفة قاتلت ثم رجعت . وجاءت الطائفة الاخرى فصدقت وقرعت .
وصارعت وصرعت . فلم ير اشد من ذلك اليوم . في وقم القوم .
واجترأ اصحابنا . وراض جماهم اصحابنا . وخاضت خيلنا في
البحر خلف منهزميهم . واقدم من احجم منا لاحجام مقدميهم .
فحينئذ طارت للحين من السهام زنايبرها . واسعرت الحرب بضرام
الضراب مساعيرها . وامتلات السعير بقتلاهم وقالت هل من
مزيد . وفتحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من شهيد .
وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة . وملت الاجنحة . وانهاضت
قوادم الانهاض . وانفضت الجموع من اقواء القوى والانقاض .
وبات الناس على ضجر وضجاج . ولجب ولجاج . فلو عاونا البلد
بمثل ذلك اليوم اياما . لذلنا من فتحة مراما لكنهم اصبحوا على سأم .
والموا بابداء الم . وقالوا: قلت كثرتنا . فلو اقبلت عثرتنا لانجبرت
كسرتنا . وفينا الجريح والطيح . وحتى متى لانستريح . وقد توالى
الامطار فلامطار . وعلينا هذا الحصار صار . وكانت الجراحات
كثيرة . والاحتياجات بها مثيرة . ومنع البرد من العمل . وامتنع سد
الخلة وتسديد الخال . ومازالوا يرسلون السلطان ويشيرون
بالرحيل . ويقولون لا تتعب على تحصيل المستحيل . ولا تنهض الايام
في ابرام المستحيل . ودعنا نستجد دعه . ونسترد قوى عند لطف الله
مودعه . ونشتغل بفتح الايسر وهو اكثر . ونؤخر التشاغل بما لعله

يتعسر . وكان السلطان في تلك المدة . انفق اموالا كثيرة على تلك
الالة والعدة . وما مكن نقلها . ولا مكن من نقلها ثقلها . ولو ابقاها
لقوي بها الكفر . واشتغل بسببها الفكر . فرأى نقضها . وفك
بعضها . واحرق منها ما تعذر حملها . وشئت بعد التجمع شملها .
وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا . وجرت اعاجيب ما تكاد
تحكى . وسر ذلك الرحيل قوما وساء قوما فأضحك وابكى . وتأخر
السلطان وتباعد عن قرب صور الى المنزلة الاولى ويديده على
جميع الاحوال طولي . فشرع العسكر في الانصراف . وتزود للانفكاه
والانكفاف . واخذ الجمع في الافتراق . وانتشر في الافاق . وذهب
من ذهب على مواعدة في المعاودة . ومسارعة في الرجوع الى
المساعدة . وودع الملك المظفر تقي الدين من هناك . واوعد بوعود
عونه الاشراك . وسار على طريق هونين الى دمشق مغذا . وسارت
معه عساكر الموصل وسنجار وبيار بكر ، وكل طير منهم اشتاق الى
وكره . وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعباً كثيراً . وان هذا
الهدو الذي مالوا اليه يصير لحديث حركتهم مثيرا . وبقي السلطان
يتلهف على ما تركه . ويتأسف على الافتح الذي ما دركه . والنين
اشاروا بهذا الرأي يسهلون الصعب . ويهونون الخطب . ويقولون
نمضي ونعود . وتساعدنا السعود . وتنجدنا الجذود . وتتجدد
الجدود . ويورق العود . وتصدق الوعود . واذا اقبل الربيع . اقبل
الجميع . وطلب الزمان . ووفى الضمان . وامكن الاسعاد وساعد
الامكان . وما زالوا بنا حتى رحلنا . وعلى الرأي الرائب منهم
احلنا . ولو اقمنا لقمنا . وقمعنا العدو ووقمنا . لكن الله قدر وقدره
محتوم . وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم . واراد ولا مرد
لمراده . وقضى ولا محيد لما قضاه في عباده . وان تبقى صور في تلك
الحالة للكفر وكرا . وللمكر مكر . وللشرك شركا . ولنار جهنم
دركا . وقدمنا عن صور الارتحال . آخر شوال . غرة كانون الثاني
وعم البرد في القاصي والداني . وتوحدت السماء من حوامل
السحاب . وتوحدت الارض من سوائل المذائب . والنكب الرياح
عواصف عواصف . قواصف قواصف . والسحب الدلاح (٧)
هوامل هوامر رواعد رواعف . والبرد قارس . والماء جامد جامس .

والشتاء شتات بقات . وما مع مقامه وثباته مقام وثبات . وسرنا
عبايد في لبايد . وبين جليد وجماميد . على الناقورة وطريقها .
والاثقال قد ازبحمت في مضيقها . والاحمال تتواقع . والاجمال
تتقاطع . والسبل تذسد . والسائلة ترتد . وسالكت الخيل الجبل .
وقطع العسكر طريقه الى المخيم ووصل . وتأخر الثقل . الى ان
تخلص . وتقدم من سبق وتملص . ووصلنا الى عكا في ثلاث
مراحل . وقد غطى بحر عسكرنا الساحل . وخيم السلطان على باب
البلد بجانب التل . نامي الفضل . دائم الفكر في تدبير الامر وتدمير
الكفر . واثقا من الله بانجاز النصر

ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه

ويوم رحيلنا من صور نعي محمود أخو جاولي . وكان من جملة
الامراء اعف ولي ولي . وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد . وقضى
صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد . وسبب ذلك ان السلطان لعلمه
ببيانته وأمانته . وبأسه وبسالته . ويقظته ونهضته وحزامته . وكله
بحصن كوكب الذي على الغور . وكانت فيها جمرة الاستبارية
القريبة الجور البعيدة الغور . وقد تمنعوا بشدتهم . واشتدوا
بمنعتهم . وهو حصن لايرام . وركن لايضام . ومعقل لايسامى
ولايسام . وذروة لا تفرع . ومروة لا تفرع . وعقيلة لا تفرع . وبكر
لا تخطب . وقلعة لا تطلب . ولما ملك الساحل . وهلك الباطل . ونظمت
الحصون في سلك الحصول . وظفر الاسلام بالفتح المأمون
والمأمول . وافتتحت طبرية وأعمالها . وتملكت أغوار تلك البلاد
وجبالها . تمنعت قلعتا صدف بالداوية . وكوكب بالاستبارية . وتعذر
فتحهما . وتعسر منحهما . وقف أمرهما . وأعدى البلاد ضرهما .
فرتب على صدف جماعة يعرفون بالناصرية . من أهل الابية والنخوة
والحمية . ومقدمهم مسعود الصلتي أصلت سعادته منه سيفا

إصليتا . لا يلفت عن لقاء العدو ليتا . ورتب على كوكب هذا
محمودا . وكان بهما أمر الحفظ محمودا . وذلك بعد الكسرة . وصحة
النصرة . فأحاطا بالحصنين واحتاطا . وظهرت كفاية كليهما بما
تعاطى . وكان الحفظ مستمرا . والاحتياط مستقرا . حتى أنس
محمود بضعف أهل الحصن . وظن أنهم في غاية الوهن . وسكن إلى
سكونهم . وأغمضت عينه لتوهم إغماض عيونهم . واسترسل فيما
حزب . واستسهل ما صعب . وأخل بالحزم . وخلا من العزم .
واحتقر عدوه . وحسب من العجز هدوه . وكان مقامه بحصن قريب
من كوكب يقال له عفر بلا . وقد أقام به جاما جامعا فيه ما أمر
وحلا . وكان ذا دين متين . ومكان من الذسك مكين . وهويسهر
أكثر ليله متهجدا . وقد جعل منزله مسجدا . وأصحابه من حوله .
يحفظونه بقوة الله وحوله . فلما كان آخر ليلة من شوال . وهي ليلة
نات أهوال . مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة . ليلاء قتماء . بارية
مقشعرة . أنوارها بائثة . وأنوارها جائئة . وهزيع جنحها
دجوجي . وهزيم ودقها لحي . وسحبها سحم . وأقطارها دهم .
وصبيرها صيب . وصنبرها مشيب . لا يفرق فيها السماء من
الأرض . ظلمات بعضها فوق بعض . خرج أهل كوكب وقت
السحر . والناس رقود والحراس هجود . والجنود جمود .
والأنفاس خمود . والهمم ركود . والسيوف اسرار . أضمرت
الغمود . والعدم قد بنا منه الوجود . فما أحس محمود المحمود .
وأصحابه الهمود الا بالفرنج وقد سلكوا اليهم . وبركوا عليهم .
فقصروا عن الامتناع . ولم يقدرُوا على الدفاع . فجاءتهم السعانة .
وفجأتهم الشهانة . وبقي الأمير حتى استشهد محصورا . وكان
أمر الله قدرا مقدورا . ونقلوا إلى القلعة ما وجدوه من سلاح
ومتاع . وخيل وكراع . فلما عرف السلطان ما أصابهم . احتسب
عند الله مصابهم . وأحمد إلى الجنة مأبهم . فندب إلى كوكب صارم
الدين قايمز النجمي الصارم المخدم . والحازم المقدم والعضب
البتار . والندب المغوار . والأسد الأسد . والأحمى الأحمد . في
خمسائة فارس من ذوي النجدة . والبأس والشدة . فسد الطريق
بمضايقتها عنها . ومنع من الدخول إليها والخروج منها . ولم يزل

عليها مقيما . ولحصرها مستقيما . إلى أن يسر الله فتحها . وسهل
للآمال فيها نجاحها . وسنذكر ذلك في موضعه . وكيف أشرق صبح
النصر من مطلعته .

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من صور

استأنن الملك الظاهر والده في العود إلى حلب فأنن له وودعه . بعدما
أمره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله وأتبعه . وودع الملك
العادل وأوجه إلى مصر . مستقبلا الظفر والنصر . وأقام الملك
الأفضل بعكا مستقلا بالأراء . ومستتهلا بالآلاء . مستبدا بتدبير
أسباب الهدى . مستعدا لتدمير أحزاب العدى . وأقمنا بالخيم
لخدمة السلطان ملازمين . ولإقامة شرائطها مداومين . وكل يطلب
أننا في الانصراف . ويستقيم على نهج الانحراف . حتى خف من
عنينا من الجند . وذهل علينا عبء البرد وتناوحت الهوج . وتراوحت
الثلوج . ورجت الدروج . ونجت الذلوج . وارتجز عجاج
الودق . (٨) وارتجس نجاح البرق . وجفت الحرجف . وطفح
الأوطف . وتقطعت الخيام وتقلعت الأوتاد . وتجللت بإبراد الجليد
من البرد الآكام والوهاد . ومال بل وقع عمود السرادق . ودام
تواصل البوارح والبوارق . وبخل السلطان إلى المدينة . وسكن بها
في كنف السكينة . مستقيما على المحجة المستبينة . مقيما للحجة
المتينة . وشرع في إعداد العدد . واستمداد المدد . وأبرام معاقد الحل
والعقد . واحكام قواعد الدين والمجد . وأحياء سنة السماح
والفضل . وأعلاء سناء الاحسان والعدل . وإفانة الكرام واکرام
الوفود . وإعانة ما بدأ به من إفاضة الجود . وإجازة الراجين .
وإجارة اللاجين . وإسعاف العافين . وإبعاد العالين . وإنشاء أهل
العلم . وإغناء ذوي العدم . وإنجاح المقاصد . وإنجاز المواعد .

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل آفاق من: الروم، وخراسان، والعراق . عاكفين على بابه .
قاطفين جني جنابه . واقفين لرفع حجابيه . مستسعين لنعمائه .
مستعطفين لابائه . متعرضين لثوابه . متضرعين في خطابه .
وكلهم يهنئه بما أقره الله بفضيلته . وخصه بنجح وسيلته .

وأقدره عليه وقد عجز عنه الملوك . وهداه الى سبيله وقد تعذر
بهم اليه السلوك . وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون
الاولى . وتقاشرت عنه أيديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولي .
فما منهم إلا من يعترف بيمينه ويغترف من يمه . ويقر بحكم النزول له
وينزل على حكمه . ويخطب الصداقة في الصدق . ويحقق المظاهرة
لاظهار الحق . ويتقرب بالوفاء والوفاق . ويتباعد عن الشقاء
والشقاق . ومن جملتهم رسول صاحب الري قتلغ اينانج بن
بهلوان . ورسول قزل ارسلان المستولي على ممالكهمذان .
واذريجان، واران . وهو عز الدين الطالبلي الطالب للعز . الراغب في
الفوز . فما من يوم يمضي . وشهر ينقضي . الا ويصل منهم رسول .
ويتصل به سول . وتتجلى غمة . وتتجلى نعمة . وتتجه بشرى
وتستبشر وجوه . ويكف مكر ويكفي مكروه . ونظر في احوال عكا
فرتبها . وفي أمورها فهذبها . وفي مضارها فأذهبها . وفي منافعها
فقربها . وولى عز الدين جرديك بها واليا . وأعاد عطلها بفضل ولده
الملك الافضل حاليا . حاليا . ووقف بها وقوفا . واجنى المستحقين
منها قطوفا . وأسدى معروفها . وأعطى ألوفها . وأرغم من الاعداء
أنوفا . وكانت فتوحه لهم حتوفا . ووقف نصف دار الاستار رباطا
للمتصوفة . وللاوفيين من أهل الطريقة والمعرفة . ونصفها مدرسة
للمتفقه . وللطلبة المتعفة المتزهة . فجمع بين العلم والعمل .
والنجاح والامل . وكتب الرزق لهم إلى كتاب الأجل . واتخذ لطلب
مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضي . وأتى بكل ما يحبه الله

وبه يرضي . فلم يبق سنة الا خلدها . ولأمنة الا قلدها . ولا أجرا
الا أجراه . ولا هدى الا أهده . ولا أمرا الا أمره . ولا دارا الا
أدره . ولا فريضة الا أداها . ولا فضيلة الا اتاها . ولا فرصة
صواب الا انتهزها . ولا حصة ثواب الا أحرزها . ولا رمم فواضل الا
أدشرها ونشرها . ولا أمم فضائل الا حشدها وحشرها . وماترك
قارئها الا قرأه . ولا راويا الا أشبعه وأرواه . ولا حافظ حديث الا
حفظه من الحدثن . ولا محدسن صنعة الا اصطنعه بالأحسان .
ولناظم مدائح . الا نظم له المنائح . ولا موافيا بقريض إلا وفى
قروضه . وأعجز عن القيام بحملي حمده نهوضه . وتقدم إلى الوالي
بالتردد في الأعمال . وتفقد الأحوال . وسد الخلة وتسديد الاختلال
وتعليل السقم وتسقيم المعتل . وتحليل العقد وتعقيد المنحل .
فاستقرت بولايته الولاية . واستمرت لرعيته الرعاية . ودرت أفاريق
الآفاق . ودارت أسواق الارزاق .

ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من
دار الخلافة إلى الرسالة في العتب على أحداث ثقلت .
وأحاديث نزلت . ووشايات أثرت وأرثت . وسعائيات في
السلطان عثت . في الأحوال . وشعثت . وذلك في شوال .
ونحن على حصار صور ونزاع ونزال .
ذكر السبب في ذلك .

لما تم الفتح الأكبر . وخص وعم النجع الأظهر . وقطع دابر
المشركين . وحط أقبال المسلمين أوزار إدبار الكفر بحطين . أمرني
السلطان بأداء كتب البشائر إلى الآفاق . وتقديم البشرى به إلى
العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم . وملك عظيم .
وسمو وسيم . فلا يجب أن يكون مبشر دار الخلافة . بما أنزله الله
لنا من الرحمة والرأفة . الا من هو عندنا أجل وأجلى . وأعلم

وأعلى . وأجمع لفنون الفضائل . وأعرف بأداء الرسائل . فلا يوجه
بهذه الكرامة الا الكريم الوجيه . ولا ينبه لهذه المقامة الا القويم
النبيه . ولا يرفع العظيم الا بالعظيم الرفيع . فان الشريف يتضع
شرفه بمقارنة الوضيع . فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت . وموهبة
ميسرة بدرت وندرت . فنحن نعمل بها بشيرا . ونؤخر للاجلال كما
ذكرت سفيرا . وكان في الخدمة شاب بغدادي من الاجناد . قد هاجر
للاسترقاد . وتوجه بعد وصوله . ونبه بعد خموله . فسأل في
البشارة الى بغداد . وزعم انه يداوم اليها الاغاذ . وشفع له جماعة
من الاكابر حتى خص بأشرف البشائر . فقلت هذا لا يحصل له
وقع . ولا يصل اليه نفع . والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير .
وفي هذه النصرة الكبرى كبير . فان الرسول من يندب للتفهم
والتفخيم . ويرتب في الامر العظيم للتعظيم . ثم سار المندوب .
وشغلت عن ارسال سواه الفتوح والحروب . ولما فتح البيت المقدس
أرسل ببشارته نجاب . ونفذ بها كتاب . ووصل البشير الجندي .
فلم تجل به على كفو الجلالة من الهدى الهدى . وحقره . وما
وقروه . فانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به
من الرقة والعين . وذقم على السلطان ارسال مثله . وانه لم يعصب
المنصب في تلك الرسالة باهله . وتسمح المندوب بكلام اخذ عليه .
وبدرت منه أحاديث نسبت اليه . وقال في سكره . وحالة ذكره . ما
يعرض عن ذكره . فخيّل وموه . وتذكر وتكره . وظن أن لكلامه
أصلا . ولقطعه منا وصلا . وانتهت الى العرض الاشرف مقالاته .
وعلمت جهالاته . وتجنني على السلطان بارساله . وطرق الى هداه
ما أنكروه من مقال المذكور وضلاله . ووجد الاعداء حينئذ الى
السعاية طريقا . وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقا .
واختلقوا اضاليل . ولفقوا اباطيل . وقالوا هذا يزعم انه يقرب
الدولة . ويغلب الصولة . وانه ينعت بالملك الناصر نعت الامام
الناصر . ويدل بما له من قوة والعساكر . فاشفق الليوان العزيز
على السلطان من هذه . وبرز الامر المطاع بارسال اخي وانفائه .
وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد . يكفل لنا في كشف سر الامر
بالمراد فان اخاه هناك . مطلع على الاسرار . وهو منتظم في سلك

الاولياء الابرار . وعول عليه الديوان العزيز في السفارة . ورد معه جواب البشارة . وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتب . ومكدرات موارد القرب . والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنه . والمعاتبة مع شدتها للعواطف الامامية لينة . ونشر العتاب في طي العتاب . وروح الارضاء في شخص الاغضاب . وبرد الموهبة في برد المهابة يرد ظن الخطأ الى يقين الاصابة .

وشرف من الديوان الاخ ، فسار وهـ وبيـ ونـ وقـ
أصبح خيلا ، وأسحب من التشريف والانعام نيلا ، وألحف من نور الالهة العباسية نهارا وليلا ، فوصل السير بالسرى وقطع الوهاد والذرا وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائعة وشارة رادعة وشعار مهيب . وشرع مصيب . وهيبة روعة امامية ، وهياة عصمة عصامية وفرند نبوي لاينبو ، وزند وري لايكبو ، ولسان في الصرامة جري ، وجنان بالشهامة حري . وبلاغة بابلاغ . مالميس بلاغ . وفئة وافية وصيفة بصياغة كل غريبة قول ، ورغيبة طول . وكافلة كافية وسني نور وقار يستعير منه سنير . وثبات خلق يتخلق به ثبير ، وكان قد عاد المندوب نادبا عاليا . جاحدا للنعمة شاكيا . ذاكر انه عدم الحفاظ . ووجد الاحفاظ . وأكثر الكلام فما حرك شمام . وقال أخو العماد قد وصل بكل عتب ممض . وخطب مقض . وغضب مفض . ولفظ فظ . وحض على غير حظ . ومعه الملامات المؤلمات . والظلمات المظلمات . فقلت له : اسكت واصمت ، وبمالك من رسم الوصم مت ، ولا تدخل هذا الباب واخرج ، وليس هذا بعشك فادرج . وقلت للسلطان سمعا وطاعة لأمر الديوان فان اظهر سر العتب لك من غاية الاحسان ، فقال : نعم ماقلت ، وقد طلت بارسال أخيك وطلت وما أسعني اذا شرفت بالعتاب . واسعفت بالخطاب ، والمملوك يذفعه التأليب . ويزعه التهنيب . على أننا لم نأت الا بكل ماوقى الهدى . وأضعف العدى . وكف الكفر . وأننى الدين . ومازلنا في طاعة أمير المؤمنين مجدين . أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت . أما استأنفنا بها تاريخ الدولة العباسية بعد ان كانت سنين بسواها أرخت ، أما استخلصت اليمن

وللدعي بها داع ، وللهدى فيها ناع . وللضلال منها راع ، أما
أرحت من رق الشرك الساحل . أما ازحت عن حق الملك
الباطل ، أما فتحت البيت المقدس والحققة بالبيت الحرام ، والحقته
رداء الاكرام . واعدت الى الوطن منه غريب الاسلام . أما رعت الغرب
بغرب عزمي . ووزعت الشرق بشرع حكمي ، وما تعبدت الا
بالعبودية للدار العزيزة . وهذه الفطرة متمكنة مني في الفريزة .
فأهلا وسهلا بالرسول . وبالسول وحبا ومرحبا بالاقبال
والقبول . وما أتى الا بالحب والحبور . ولامرار الامور . ولاظهار
سر السرور . والبارق يشام اذا رعد ، والصادق يرام اذا
وعد ، وما أسرنا بالواصل وأوصلنا بالمسرة ، وأبرنا بالجد واجدنا
بالمبرة . وسمعت منه كل ما هدى سمعي . وابدى لمعي . وجمع
شملي . وشمل بالعز جمعي ، ولما قرب اخي واصبحت لقدمه
انتخي فأمر السلطان الأمراء على مراتبهم باستقباله ، وتقديم
لجلالة قدمه باجلاله ، ثم ركب وتلقاه بنفسه ، وخصه من تقريية
بأنسه ، ولم يزل حتى اراه مواضع الحصار ، ومضار
الكفار ، ومواطن اقدام ذوي الاقدام . ومواطن بسالة اهل
الاسلام . ثم نزل وانزله بالقرب وعقد له بالحباء حبي
الحب ، وسفر وجهه لوجاهة السفير . وأحل محل التوقير
والتوفير ، وتبلغ له صبح التبجيل . وتأمل منه نجح التأميل . ثم
حضر عنده . وقد اخلي مجلسه لي وله وحده : وأدى الأمانة في
مشافهته ، ووجه مقاصده في مواجهته واحضر التذكرة وقد جمعت
المعرفة والتذكرة ، فقرأتها عليه بفصولها وفصوصها . وألزمته حكمي
عمومها وخصوصها . ووقفته على ظواهرها ونصوصها . وكانت
في الكتب غلظة عدت من الكاتب غلظة وخيلت سقطة ، وجلبت
سخطه ، وقال ان الامام أجل ان يأمر بهذه الالفاظ الفظاظ .
والاسجاع الغلاظ فقد أمكن ابداع هذه المعاني في أرق منها لفظا
وارفق وأوفى منها فضلا وارفق . ومعاذ الله ان يحبط
عملي ، ويهبط أمني . وامتعض وارتمض . ثم اعرض عما عرض
ورجع الى الاستعطاف . وانتجع بارق الاستسفاف . وقال اما
ما تمحله الاعداء وعدا به المتمحلون . وتذفق به المنقولون وتسوق

المبطلون • فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفة • وماهزرت منذ
اعتززت اعطاف العز الا لما يعزني من العاطفة ، وان شرفي بالنعمة
السالفة ، يوجب أدفي من هذه الأنفة ، وأما النعت الذي انكر ونبه
على موضع الخطاء فيه وذكر • فهذا من عهد الامام المستضيء
رضوان الله عليه وجري لتحققه مني على الالسة . ومتي عد سيئة
ماعد من الحسنه ، والآن كل ما يشرفني به امير المؤمنين من السمة
فانه اسمي الذي هو اسمي واشرف . واطراً وأطرف وأرفع
وأعرف . ومازاده ذلك العتب الاخلاص ولأه ، وخصوص اعتزاز
واعتزاء . ثم قال كل ما اعتمده من نصرة الدين وقهر اعداء امير
المؤمنين فإنما طلبت به وجه الله ورضاه وما تعبت به سواه . فاني
افترض الطاعة الامامية للدين لا الدنيا ، وما اتقوى فيها الا
بالتقوى . وما في عزمي الا استكمال الفتوح لامير المؤمنين وقطع
دابر المنافقين والمشركين . واذا عادت عواطفه عطفت علي في الحسن
العوائد وقطفت الفوائد ، وصفت الموارد ، ووفت المقاصد ، وبعد
الاباعد ، وبعد الحاسد الحاشد ، وهجر هجر الساعي ، واجرى
اجر الداعي . وعلم جهل الواشي ، وعذر زعر الخاشي . وجرب غش
الغاشي . وخرب عش العشي . وذوت هموم ذوي الهمم ، وأوليت
كرامة اولي الكرم ، وما زال السلطان مدة مقام أخي عنده ، يوري
في اعظامه زنده ، ويأمر بإكرامه جنده ، فكنت اشفق من تكررات
البين بعود الانس والوصلة والى الوحشة والبين ، وان جماعة من
الأكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا له : قد نسب حقك الى البطلان .
ورميت بالبهتان ولمحت طاعتك بعين العصيان . فكيف خفت
وما عفت . والفقت ومما انفقت . ورغت ومما غرت .
وصبرت وما سبرت • وأغضيت لما اغضبت • وأعتبت لما عوتبت •
وراقبت ومما راقبت

فقال تذلي للديوان العزيز تعزز به آيين . وتوسلي إلى مرضاته
توصل بالله فيه استعين . فتواضعي ترفع ، وتخشعي
تورع ، وحبل حبي متين ، ومكان قربي مكن . ومما قلت له
واوضحت له سبله ، انا كنا بطاعة امير المؤمنين نطول ونصول

ونزاول بها الملوك وعنها لانزول ، وهذه فضيلتنا التي رجحت .
ووسيلتنا التي نجحت وكنابها مسعوبين . وعليها محسودين . وقد
شملت بها برركاتها . وكملت حسناتها . وصفت مشاعر
يمنها ، وضفت مدارع حسننها ، فلا تلتفت الى من يلافك ، ولا تثبت
لمن لا يثبتك ، واعرض عمن تعرض لذهب الخلاف ، ولذوره اجتلي
واجتني ، ثم ندب مع أخي من سار في خدمته لزيارة القدس ، وامر
بأن يقف به على مواقف الطهر التي طهرت من أهل الرجز
والرجس ، ثم ودعه واودعه من شفاهه كل مافي النفس وبالع في
ابداء التضرع والتذرع واظهار التخشي والتخشع ، وانشأت عنه الى
الديوان كتباً معه وبعده ضمننتها كل ماحلا وجلا جنة وجده ، وكل
ما يبطل سوق المتنفذين ويعطل نفاق المتسوقين . ويهجن خلق
المختلفين . ويزيل تالفيق الساعين . ويزيح سعاية الملقين . ويتعرف
الى العوارف الغزر بالشكر ، ويستعطف العواطف الغر
بالعذر ، ويجتهد في استفراغ المجهود للاستغفار ، وينفض عن وجه
البشر ما عليه من الغبار ، وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار الرضا
ومضى مامضى وقضى من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى .

وفي هذه السنة استشهد الامير شمس الدين بن المقدّم بالموقف في
عرفة لابداعه رسماً ماعرفه ، فذهب غلطا وعطب فرطاً . وذلك ان امير
الحاح طاشتكين اذكر عليه ضرب الطبل فامتنع ، فندب اليه من به
بأصحابه أوقع ، فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت ذفره ، ولما نمي
الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال لاشك ان
طاشتكين طاش ، وقصد بعد الايناس الايحاش ، وعد الديوان
العزیز هذا من ندوب طاشتكين حتى عزله واعتقله بجرائمه بعد
سنتين .

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الأيمن انشأتها الى سيف الاسلام اخي السلطان باليمن ،

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله
علاؤه ، وظاهر الآءه وضافر نعمائه ، وأظفر بالانجح
رجاءه ، وأضعف حساده ، وأعز أوليائه وأذل أعداءه ولا زالت أيامه
بالإيمان مسفرة ، ولياليه بالحاسن مقمرة ، ومكارمه بالمحامد
مثمرة ، وعهود مواليه بشكر النعم محكمة ، ومعاهد معاليه بقهر
الذقم مقفرة ، ودالة على البشرى بالفتح الأكبر ، والنجح
الأزهر ، والنصر الأشهر ، والعصر الأبهـر . والفضل الأكثر .
والافضال الأوفر ، واليوم الأنور ، واليمن الأنضر ، والفجر
الأسفر ، والفخر الأظهر والجد الأشم الأشمخ ، والمجد الأبلج
الأبلغ (٩) ، والعز الأسمق الأسمى . والنور الأنم الأنمى .
والظفر الأجل الأجل . والوطر الأحـل الأحلى ، والشرف الأسنم
الأسنى . والعزم الأغـم الأغنى ، والسعد الأجد الأجدى . والصيت
الأبدى الأبدى ، وهو الفتح الذي تفوح بمحابه مهـاب الفتوح . وتبوح
بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح . وتروح وتغدو غواـدي
النعم وروائحها الى روض الهدى المروح . وتلوح تباشير بشرائه وفي
لوح الدهر لكل مؤمن يتلقاها بالوجه السافر والصدر
المشروح ، وتتوح ناعية الكفر في كل ناحية ولكل نادبة للأسى على
قتيلها واسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس
الذي غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنة ، وطال في اسره سجنه
واستحكم وهنه ، وقوى نكره وضعف ركنه ، وزاد حزنه وزال
حسنه ، وأجـدت من الهدى أرضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوـفة
وفارقه امـنه ، واشتغل خاطر الاسلام بأسبيه وساء ظنه ، وذكر فيه
الواحد الأحد ، الذي تعالى عن الولد ، وإن المسيح ابنه وأربع فيه
التثـلث فعز صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهيـمـه ودرج
الملوك الأقدمون على تمنى استنقائه فأبى الشيطان غير استـتـيـلائه
باسفار صبح امرنا واشراق مطالع نفاـنه ، ونخر الله هذه الفضيلة

لنا ولهذا العصر . وأنزل على نصـلنا نص النصر . وأطلع الليل
عزـمنا فجر الفخر ، ووقفنا لوصل اسباب الاسلام وقطع دابر
الكفر ، وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع اهل
التثليث ، وأصرخنا الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث ، وخرجنا
من دمشق في المحرم ، في العزم المصمم . والرعب المجهر الى الكفر
واللباس المقدم . وكنا اشفقنا على طريق الحج . من قصد الفرنج
فشغلناهم عن القصد بقصدهم . وتصدينا لجهادهم بردهم عن
المراد وصدهم ، وأقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ،
وقدمنا الطلائع الى المناهل ونظمنا سلك امدادهم في ذلك
المسلك ، حتى وصل الحاج سالما . وذل الكفر عن قصده
راغما ، ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا
الى الكرك في الامراء والمفرين الخواص . وشفعنا للجهاد في سبيل
الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا العساكر والجموع
للجهاد من جميع الجهات . وترقبنا توافيهم للميقات ، وأمرنا ولنا
الملك الافضل ان يقيم برأس الماء ، ويكون في خدمته جميع الامراء ،
وسرنا الى الكرك والشوبك فاخبرنا عماراتها ، وأحرقنا
غلاتها ، وقطعنا ثمراتها ، وأزعجنا ساكنيها ، وأخفنا
أمينها ، وأجلينا عنها فلا حياء . وأقمنا النوائح عليها في
نواحيها ، ووصل اليـنا ونحن بالقريتين العسكر المستدعي من الديار
المصرية ، فقويت به قلوب الامة المحمية ، واجتمع بالخيم الافضلي
برأس الماء من وصل من العساكر الشامية والفراتية ، والجزرية
والموصلية والنيار بكريـة ، فـانـتـهـز ولنا هناك فرصة
الامكان ، وانهض الى الكفر سرية سرية من اهل الايمان ، فساروا
سارين . واغاروا غارين ، واخذوا ونهبوا . وسبوا وسلبوا فلم
يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، واخذت دون
خروجهم الى السعة المضيق ، فثبتوا ثبوت الجبال للرياح
العواصف ، وشرعوا الى عرانيـن الكفر اسنة الرماح
القواصف ، وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين بن زين الدين ومعه
مملوكنا قايمـاز النجمي صارم الدين ، فلقيا بصدريهما صدور
العوامل ، وحملـا في عسكرنا على الفارس والراجل ، وحصل

الفرنج منهم في دائرة الردى ، وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من
الفرنج القتل والأسرى ، وعاد المسلمون بالمسرة العظمى والبرة
الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشري ، وشكرنا الله
على نصرته الأولى وقلنا هذه مقدمة الأخرى ، ولما قضينا الوطر من
تلك البلاد ، ووفينا باحراق اقوات اهل النار بالنار حرق
الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر وتناصرت لدينا
دلائل الظهور وتظاهرت امارات النصر . عدنا الى الشام . وقد
تكاملت به جموع الاسلام . وزخر بحر الفضاء بأمواج
الاعلام . وطفا على اتباع لجه حباب الخيام وقد فض الفضاء ختام
الافتام . وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غرام الرغام . فخيمنا بعشرا
(١٠) شهرا . وقد أعدنا بشهر بنات الغمود سرها
جهرها . وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنا بذل المهج لها
مهرها . وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا . ونادوا في بلادهم
فأسمعوا . واجتمعوا على صفورية من صفر . وحشروا في تلك
الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سدقر . وأخرجوا صليب
الصليبوت . وقائد اهل الجبروت . فتهافت الى شعلة ناره
فراشهم . وتوافى الى ظلة ضلاله خشاشهم . وقاموا وقيامه رعبهم
قائمة . وسوابج جردهم في بحر العجاج عائمة . وطلائعهم سارية
وسراياهم طالع . ومقدمات رعيهم منا السائرة لجذوبهم وقلوبهم
مقضة خالعة . فلما تكامل منا الجمع . وأخذ بعجاجة وعجيجه على
الافاق البصر والسمع . عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم
العرض . ويدلوا مشاهده لتتزل الملائكة (والله جذود السموات
والارض) (الفتح ٤٧) في رايات خافقة كقلوب الأعداء . عالية
كهمم الأولياء . وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء . وسار في
كتائبها نازل القضاء . وسحب نيل الارض بمثار نفعها . على
السماء . وقطعنا الاربن . وتأيد الله مواصل . وقدره باقدارنا
على الأعداء كافل . فمما الممنا بطيرية حتى فتحناها
بالسيف . وبخلناها بخول المغير لا بخول الضيف . وتسلمنا
المدينة . ونارنا قلعتها البكر الحصينة . وذلك يوم الخميس الثالث
والعشرين من شهر ربيع الآخر والخميس يوم الخميس . وأسد

الوغي قد اتخذت من وشيخها العريس . هذا والملك العادل عنا غائب . ومعه ايضا بمصر كتائب . وتوفيق الله له مصاحب . وكنا عزمنا قبل قصد طبرية . ان نلاقي الفرنج على صـفـورية . في مركزهم ومجتمعهم . ونلابسهم في مخيمهم . فحين نزلنا من الثفر بالاقحوانة (١١) . وتمسكنا من الله بالاستجد والاستعانة . ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في مجمعهم . واشرفنا عليهم في موضعهم . فما برحوا من مكانهم . ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم . وارتدنا في صحراء لوبية موضعا للمصاف واسما . وفضاء لمازق الجمعين جامعا . وبتنا هناك باطلاب الابطال ميمنة وميسرة . ووجدنا بتأييد الله اسباب الظهور وميسرة . ووجدنا في خـواصنا والجندارية . ونزلنا في العدة المجردة على طبرية . واخذ النصابون ساعة النزول في الذقب . فصرع قائم سورها للجنب . وبخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مدلهمة معتمه . وارجاء المدينة مظلمة . فاشتعلوا واوقدوا . وبخلوا الدور وتفقدوا ما لم يفقدوا وكانت بها حواصل من زفت وكتان علق بها النار . فاحترقت تلك المساكن والبيار . وتحصن اهلها بقلعتها . وتمنعوا بمنعها . فاصبحنا على حصرها . وسلكنا جدد الجدد في امرها . فجاءت رسل الامراء . ان الفرنج قد تحركت . وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية تملك . وادركهم الندم كيف تركت وما ادركت . وانها قد عبت جنودها . وشبت وقودها . ولبت نداء جموعها . وصبت عليها ماء دروعها . وغاضت في غدران سوابغها السابرية . وفاضت ببحار سوابحها الاعوجية . وان جمرهم قد استعر . وان بحرهم قد زخر . وانهم قد اتوا في عديم وعديم . وحدهم وحدهم . وخيلهم ورجلهم . وطلهم ووابلهم . وفارسهم وراجلهم . واحزاب ضلالهم وابطال باطلهم . وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبرية . وسبقنا بفضيلة فتحها البرية . غاروا على العقيلة السبيه . واشعلت نخواتهم نار الحمية . وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنية . ولما عرفنا قربهم . قصصنا حربهم . وزحفنا اليهم . واشرفنا عليهم . والجب

الساري كالجبل الراسي . وقد افاض الحديد من قلبه على الحجر
القاسي . ولعلت بوارق بيارقه . وراعت طوارق طوارفه . وبرقت
قوانس قوامصه . وارتعت فرائص فراصه . وأمكنك فرائس
فوارسه . وباح الحديد على عوابسه بوساوسه . وماجت بحار
سلاهبه . واشتعلت نيران قواضيه . وشدت الاجادل دون صوار
صوارمه . وسدت بعرض افواجه فجاج مخارمه ، وقرنت الالفات
بلاماته . وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته . فاغتتما الفرصة في
اللقاء . وهجنا الى الهيجاء . واسرعت الاعنة . واشرعت
الاسنة . وزقع النقع . (١٢) أوام الجور . واجاب الصدى دوي
الدو . وجال الجاليش . وطار السهم المريش . وعصفت رياح
السوايق . واستعبرت عيون البوارق ، ولقيناهم في عرمرم
عارم . ومجر جارم . وعوامل جوارم . وصواهل
صلادم . وضراغم ضوار . وجوارح جوار . واسود قد اعتقلت
اساود . وجياد قد حملت اجاود . وسوايح قد اقلت
بحورا . وصقور قد ركبت صقورا . ووقفناهم نهار يوم الجمعة
وساكنهم لا يتحرك . وبازلهم لا يبرك . وصافهم لا ينفذ
وجدارهم لا ينفذ . وبنيانهم مرصوص . وطائرهم عن الطيران
محصوص . حتى نخل الليل . وقر في الوادي ذلك السيل . وبات
الفريقان على تعبيتهما . واجابة داعي الموت بتلييتهما . واصبحنا
يوم السبت واهل الاحد على حالهم ولم يريموا موضوع
قتالهم . ومازالت الحملات تتناوب . والاسلات (١٣) تتواثب
وتتناوب . والسواعد بقرع الظلي سواع . والرواعف في زرع الطلي
رواع . والمنايا تئن . والبيض تصافح البيض صافحها . والذكور
لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاحها . والنوابل في
اشاجع الشجعان ذواب . والصوارم لجوامع النيران
شواب . وضمائر الغمود قد باحت باسرارها . ونواظر الجفون قد
تخلت عن غرارها . ولما احسوا بأسنا . وامرار امراسنا
والهجير يتلظى وقد قد عليهم بناره . والا وام يتوقد ولايتوقى
احراقهم باواره . مالوا الى طلب الماء . واخذوا طريق البحيرة
للارتواء . فأخذنا عدامهم ووقفنا امامهم . وحلأناهم عن

الورد . والجأناهم الى الردى بالرد . فاعتصموا بتل
حطين . وصرنا بهم محيطين . وتحكمت فيهم قواضي
القواضب . ونشبت من الذشاب بهم نيوب الذوائب . وكان جمعهم
جمرا وقد وقد . فصب عليهم السيف نهرا فخمدا . وفضوا
بالفضاء . وفرشوا بالعراء . وعب دأماء الدماء . وغصت الفجاج
بالقتلى والاسراء . واسر الملك واخوه . والابـردنس الكركي
ومؤازروه . ووجوه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية
وأعوانه . وصاحب جبيل واعيانہ . وهذفري بن هذفري وابن
صاحب اسكندرونة وصاحب مرقية . ولم يقلت الا ابن بارزان
والقومص (١٤) . وتم لهما من الورطة المخلص وكان كلاهما
ملهما عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاحتياال . فاما القومص
فانه لما مر بطرابلس ادركه الموت في برجه المشيد . ونقله القدر المبيد
الى عذابه المؤبد . وذل ذلك اليوم اهل الجبروت . وحيز صليب
الصلبوت . وبار وباد اولياء الطاغوت . وهلك عبدة الناسوت
واللاهوت . ومك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت . وقدمنا
الابرنس وضربنا رقبتة وفاء بالندر . وعجلنا به الى النار مأوى اهل
القدر . وألحقنا به الداوية والاسبطارية . وادرنا عليهم صبرا
كؤوس المنية . وروينا ظماء الظبي من نجيعهم . وقربنا سيد الافلا
من صريعهم . وعنا الى طبرية فتسلمنا قلعتها . وحللنا عقدتها
وفرعنا ذروتها . وافترعنا عذرتها . ثم سرنا الى عكا ففتحناها
بالامان . واعلنا بها شعار الايمان . واستقربنا بعدها البلاد
الساحلية من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها
امتنعت بسورها . ولم يبق في كأس الكفر غير سورها . وانها
وجدت فسحة في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها . وكذفت من عد
المحاصرة الاتها . وكنا لما فتحنا عسقلان بدأنا بالنزول على القدس
وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب . فـرجف
بها قلب الكفر ووجب . وظن اهلها انهم يعتصمون . وانهم من
بأسنا يسلمون . فنصبنا عليهم منجنقات هدت احجار الاسور
بسورة احجارها . وانن ركوعها بسجود الابراج في اجبارها .

ووفت الصخور باصراخ الصخرة . وعثرت تلك القل لاقالة مادام
بها من العثرة . وكشف النقب وثقب الاسوار . ورمت الجنادل
جوانب ذلك الجدار . وعلم الكفار لمن عقبى الدار . وايقنوا بالقتل
والاسار . فخرج مقدموهم متذللين بالاذعان . مبتهلين في طلب
الامان . فأبيننا كل الالباء . الا سفك الدماء من الرجال وسبي
الذاري والذساء . فخوفوا بقتل الاسراء . واخراب العمران وهدم
البناء . فأمناهم على قطيعة موازية لاثمانهم لو اسروا او سبوا .
فأمدوا . من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا . ومن وفى منهم
بالقطيعة خرج بحكم العتق . ومن عجز عن ادائه بخل تحت الرق .
وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من
التقوى الى تأسيسه . وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص النصر
قياس قسيسه . وفتح باب الرحمة لاهلها . ~~ودخلت قبة الصخرة~~
لفضلها . وبشرت الحياة بها مواضع سجودها . وصافحت ايدي
الاولياء اثار القدم النبوية بتجديد عهودها . وشوهد مقام المعراج
وموطىء براقه . ورئي نور الاسراء ومطلع اشراقه . وبنا المسجد
الاقصى للراكم والساجد . وامتلا ذلك الفضاء بالاتقياء الاماجد .
وطنت اوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس . وجلت
هدى الهدى من الصخرة المقدسة جلوة العروس . وزارها شهر
رمضان مضيافا لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح .
وشفى الله بسقيا هذا الفتحة ماكان دهم القلوب لاجلها من تبار
التباريح . فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس . مفدى منا كلاهما
من المهج والانفس بالانفس . وانه من المساجد الثلاثة التي تشد
اليها الرحال والرجال . ويضيق عن وصف شرفها في حلبة البيان
المجال . وهو للحرمين ثالث ولا تثلث في حرم توحيده . فتجدد جد
الاسلام بتجديده . ولما فرغ البال من تدييره . وقضينا حق تقديسه
وتطهيره . صرنا الى صور . ونازلناها بعسكرنا المنصور . وفي
صور سؤر الكفر وبقيته . وقد تحصن بسورها ومنعته شر ذمته .
وهي مدينة حصينة . متوسطة في البحر كأنها سفينة . وقد نصبنا
عليها المنجنيقات فنكأت فيها . ورمت من اعاليها وهدمت من
مبانيها . ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشابها . وان اجمحت علينا

فنصرة الله وعوائد تأييده لنا تؤنن بأصحابها . واذا تسلمناها
تسلمنا بأن الله كل بلد للفرننج باق . ومالهم من عذاب الله الواقع
بهم واق . ثم رأينا ان حصار صور يطول . وان مسألة بيكار
(١٥) العسكر فيها تعول وان فتحها لايفوت . وله وقته الموعود
ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر ومل وأعيا وكل . وقد بخل
الشتاء . وبرد الهواء . وجاءت السماء وتواترت الانواء . وتواصلت
الانداء . ولا بد من استئناف جمع العساكر في ايام الربيع .
واستمداد النصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع . ورحلنا
عنها بعد ان رتبنا حولها . في الثغور المجاورة لها . من يديم شن
الغارات عليها . ويواظب على النهوض اليها . وفسحنا لاجنادنا في
الاستراحة مدة شهرين الى النيروز . فان في تلك الايام تتوفر
العزائم على المبارزة والبروز . وقد جرت المواعدة على المعاونة .
والمعاونة للمعاونة . والمعاهدة للمساعدة . فليس في الفرنج من
يقااتل الان على الخيل . والنهار عليهم في اظلام الليل . والعز
متقلص الظل عنهم والذل صافي النيل . وقد حزب حزبه من حربنا
مثير للحرب والويل . وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة . والمعاقل
المبينة . وهي طبرية . عكا . الزيب . معليا . اسكندرونة .
تبنين . هونين . الناصرة . الطور . صفورية . القولة . جينين .
زرعين . دبورية . عفريل . بيسان . حيفا . صرند . صيدا . قلعة
ابي الحسن . جبل جليل . بيروت . جبيل . مجدل . مجدل يابا . مجدل
حباب . الداروم . غزة . عسقلان . تل الصافية . التل الاحمر .
الاطرون . بيت جبريل . جبل الخليل . بيت لحم . لد . الرملة .
قديتا . القدس . صوبا . هرمس . السلع . عفرا . الشقيف . ولم
نذكر ماتخللها من القرى والضياح والابراج الحصينة الجارية
مجرى الحصون والقلاع . ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها
اعمال وقرى ومزارع . واماكن ومواضع . وقد جاس المسلمون
خلالها . واسترعوا ثمارها وغلالها . وقد كنا عند قصدنا البلاد .
وعرضنا للجهاد الاجناد . كاتبنا اخانا الملك العادل سيف الدين ان
يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب . وينتظر كتابنا بنصر هذه
الكتائب . فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا . والظفر الذي

اضحك الاولياء وازعج الاعداء وابكى . وتلا عليه (قد افلح المؤمنون)
(المؤمنون ١) (وقد افلح من تزكى) (الاعلى ١٤) كان وصل
الى السواد في سواده وبياضه . وبحار جيشه وبراضة . وورد من
مورد النصر الى حياضه . فجاش بجيوشه . وجاز العريش
بعريشه . وزار دار الداروم بدمورها . واجفلت قدامه البلاد في كل
من اعتمد عليه بامورها . ووصل الى يافا ففتحها غزوه . ونال
العسكر منها بالنهب والسبأ حظوه . ثم حضر مجدل يابسا
وحصرها . وطلبت منه الامان فانظرها . وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك
الجانب . ماضي العزائم قاضي القواضب . وان يستفتح من البلاد
مايتعجل فتحه . ويقدم من الرجاء مايتيسر نجه . الي ان نفتح ما في
جانبنا من البلاد وننسلمه . وننتهز فرحة الامكان فيما نحن بصده
ونغتدمه . وقد كنا انهضنا الى كل بلد من الناصرة وصافورية .
وحيفا وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي سلما . ورأى من كان فيها
سلامته غنما . ورضي بالغرم رغما . وتسلمنا نحن تبنين وبيروت
بالامان . بعد ان قاتلنا اهلها قتالا شديدا الجاهم الى الازعان .
فاما صيدا فان صاحبها اذعن الى التسليم . بعد ان بات منا بليلة
السليم . واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر . ورأى
خلاصه فيما تعجله من الخسر . وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك
العادل على عسقلان . وهان لنا كل ما استصعب منها ودان . وظهر
لنا منها وجه الفتح وبان . واصبنا فوائدها لمارمينها بمصائب .
واصمينا مقاتل الاسوار بسهام قسيها . وعاقبناها بحيالها
وعصيتها . واقتدنا بخزائم الكرة انف الطاعة من عصيتها . وصافحنا
ببيض الصفائح يد الرضا من اييها . وياشرت سهام المجانيق
بسواكها ثنايا الشرافات فهتمتها . ونهضت احجار الرماه الى
احجار البناء فهدمتها وهدمتها . وغنى فيها معول الذقاب . ولما ايقن
اهلها بالعطب . لاذا بالضراعة والطلب . وخرجوا مسلمين
مستسلمين . وانقادوا مستكينين مذعنين . واسلم البلد واسلم
وجدع انف الكفر وارغم . وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه . وقر
منه الاسلام القريب في مسكنه . وعند ذلك تسلمنا غزة . واعدنا اليها
العزة . واتينا على الرملة ولد والنطرون . وفتحنا بيت جبريل وجبل

الخليل وجميع تلك المعازل والحصون . ثم ختمنا فتوحات هذه السنة
بفتح الارض المقدسة . والحمد لله على نعمه المفرجة للكروب
والطافه المنفسة . وقد جعلنا هذه البشارة القدسية . بما هناء الله
من الموهبة السنيه . وسناه من المنحة الهنية . لملوكنا حسام الدين
سذقر الخلاطي وامرناه ان يسير فيها من اصحابه . من يقوم فيها
بحق منابه . والمجلس السامى يشيع ميامنها ببلاد اليمن . ويجلو
عروسها البكر في حسننها الحالي وحليها الحسن . ويشكر نعمة الله
التي خصنا بها وعمت الامة . ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم
النعمة . لازل المجلس مشكور الشئمه معالى الهمة . منصـور
العزمه . ان شاء الله .

ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسماية

والسلطان مقيم بـكا وريب الربيع رضيع . وشي الروض
وشيع . وصنيع القدر نصيع . وشمل الظفر جميع . وفضاء الروض
وشيع . ومراد المراد مريع . ونسيم الاسحار لاسرار الازهار
منيع . واريح الجو العليل في شفاء غليل الجوي شفيح . والدهر قد
ثمل وافاق . والزهر قد شمل الافاق . وللمحاب مهاب . وفي الشعاب
اعشاب . وخدود الشقائق محمره . وثغور الاقاضي مفتره . وعيون
الترجس مصفره . وشفاه المنابع مخضرة . واحداق الحدائق
الناضرة ناظره . ووجنات الجنات الزاهية زاهرة . وعذبات المنابت
متموجه . وحافات المناهل متدبجة . وجباه الغدران متغضنه .
وجفون النوار متوسنة . والافنان مدورقة والورق متفنه . وخذ
الخبري مورد . وحد العراد مجرد . وعرف البهار قد تأرج . ووجه
الجلنار قد تضرج . وعذار البنفسج قد بقل . وعذر الزمان قد قبل .
وشارب النبت قد طر . وهارب البرد قد فر . وسر الصيف قد سرى
وسر . وطبي الطيب قد حفل ودر . وتقاضى السلطان غريم عزمه

بدين الدين . وان ان يصحر ليث بأسه الخادر من العرين . فأبرز
مضاربه . وجهر كتائبه . وضرب سرادقه . وعرض فيالقه . ونشر
بيارقه . وحشر رواعده وبوارقه . وانفق خزائنه . وانفقد دوائه .
وبذل في صون الدين ليناره . واشعل في حفظ ماء الهدى على العدى
ناره . وسار على سمت حصن كوكب . وعن قصده ماتنكب . ونزلنا
عليه في العشر الاوسط من المحرم . ومامنا الا من له بقتال العدى
فيه لهج الحب المغرم . ولعزمه وهيج الهيب المضرم . ووجدنا كوكب
في سمائها كأنها الكوكب . وظن الفرنج انها لاتنكب ولا تنكب . وهي
من المصاعيب التي لاتبرك ولا تتركب . فأحطنا بالحصن وخيمنا
حول . واستمددنا قوة الله وحوله . وزحف اليه الرجال . وتناوب
عليه القتال . وركب اليه السلطان ورازه . واستصعب احتيازه .
ورأى ان مقاتلته تطول . وان مسألته تعول . وان محاولته في
مطاولته . ومصابه في مصابرتة . واضاقته في مضايقته . وان مافي
هذه الحال اقتضى تعذرا فتنضاض عذرتة . ولا مطمع الآن في فرع
ذروته . ولا قرع مروته . وكان في خواصه . واهل استخلاصه . لم
تتجمع عساكره . ولم تتموج زواخره . فاقام هناك بالتدابير مستغلا
وللاشغال مدبرا . وبلاستظهار متأيدا . وبتأييد الله مستظهرا .
حتى رتب على قلعة صفد خمسمائة فارس . من كل محرب للحرب
ممارس . وسلمهم الى طغرل الجاندار . لمرابطها بالليل والنهار .
ووكل بكوكب قايماز النجمي في خمسمائة مقاتل . من كل ناصر للحق
والباطل خاذل . وكان سعد الدين كمشبه الاسدي بقلعة الكرك
موكلا . وبحفظها مكفلا .

ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرئذس الكرك في الشرك . بمعتكر يومه في
المعترك . وافتتاح الفتح بحتفه . وبسط كتف الانتقام عليه بقبضه
وكفه . وانه اخذ رأسه . وقطعت انفاسه وقلعت اساسه . وكانت

زوجته ابنة فليب صاحب الكرك بالقدس مقيمة . ولحفظ معاقليها
مستديمة . وحصل ولدها هنفري بن هنفري في قبض الاسار وقيد
الفسار . وغمه الانكساف والانكسار . فلما يسر الله فتح البيت
المقدس . واصبح الاسلام عالي اليد والكفر راغم المعطس . خرجت
صاحبة الكرك متعرضة للخضوع . متضرعة بالخشوع . وبرزت
مسكينة مستكينة . متعطفة مراحم السلطان مستلينة . رافعة
عقيرتها بالابتهاال . شافعة في فك ولدها من الاعتقال . معفرة خدا
من شأنه التصعر . مسفرة عن وجه من عادته التخدر . حاسرة
خسرى . باسرة لحزنها بأسرى . والدة تزداد ولدها . والهة دخل
الرعب خلدها . مطلقة ميسورها . مستطاعة مأسورها . ثانية عطف
العطف لواحدتها . رانية بعين الذل في خلاص ساعدها . سائلة في
فلنة كبدها . جائلة بجذوة كمدتها . باسطة يدها . نائرة خرزات
دموعها . عائرة بحزازات ولوعها . خافضة جناح استعطافها .
ناهضة في نجاح استسعافها . راجزة بنوحها . عاجزة عن بوحها .
وخرجت معها زوجة ابنها ابنة الملك . كأنها من بنات الفلك . بايا
صبح وجهها اليق (١٦) في ليل شعرها الحالك . مشرقة من
اوجها . مشفقة على زوجها . محترقة على فداء الحليل . مقترحة به
شفاء الغليل . خادرة قد اصفرت من مطالعها واصحرت . حادرة
عبرة في مدامعها طحرت (١٧) . ناهدة متنهدة . واجدة متواجدة .
معتزة متذلة . مهتزة متململة . باكية متلهفة . شاكية متأسفة .
مستدعية مستعنية . عاطية مستعطية . ساكية عبراتها . راكبة
عثراتها . خامشة وجناتها . خادشة بشراتها . وحضرت الملائكة في
زوجها الملك خاطبة ولقرمها النذب نادبة . قد أذعنت وعنت لفكاك
عانيها . وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبانيها . فاكرم
السلطان وفادتهن . ووفر افادتهن . وقرب ارادتهن . وقرر
زيادتهن . ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم
من مال القطيعة . ووصلهن بصلاتة الرفيعة . وخصهن بمالاق بكرمه
من حسن الصنيعة . ووثقهن بنجح الذريعة . وأما الملائكة فانه مكن
محلها . وجمع بالملك شملها . وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها
على تسليم قلعتي الشوبك والكرك . وبخولهما في معاقلنا وخروج

اصحابهما منهما في الدرك . فاستحضر ابنها هذفري من دمشق اليها واقرب رؤيته عينيه . وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعادل . ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل ، فمضت اليها مع ولدها . حسنة الظن بأهل بلدها . فلما وصلت قاطعوها . ودافعوها عن حصونها ومانعوها . واخلفوا ظنهم وخالفوها . حيث ما ألفوها كما ألفوها . وجنحوا وجمحوا . واجتروا عليها واجتروحوا . وعصوها وأقصوها . وعددوا عليها الذنوب واحصوها . وأفدشوا لها في خطأ الخطاب . وأودشوها بالتثني عن صوب الصواب . وسبعوها وسبوها . والى موافقة الاسلام نسبوها . وكلما لاينتهم خاشنوها . وكلما قاربتهم بايذوها فوجدت ذبوة نوابها . وعدمت إصحاب أصحابها . وذكرتهم بحقوقها . وحذرتهم من عقوبتها . ولاطفتهم فغلظوا . واسترضتهم فاحفظوا واسترعتهم العهد فما حفظوا . ونبهتهم لأمرها فما استيقظوا . وانفصلت عنهم خائبة مخفقة . هائبة مشفقة . تخشى من رد ولدها الى السجن . وعودها من الاصحاء الى الدجن . ومضت الى الحصن الاخر . فحصلت منه على صفقة الخاسر ، فانها لما المت بالشوبك المت من شوب كدرها واملت نفعها فعادت بضررها . ولقيت من نوابها ذوائب . وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب . فأبت بالامل الخائب والعمل العائب . والخوف الصادق والرجاء الكاذب . فلما رجعت قبل السلطان عذرها . وازال ذعرها . وأعلمها بان ولدها محفوظ . وبالرعاية ملحوظ . وبالعناية به محفوظ . وهو في حصن السلامة الى ان تتسلم الحصون . واذا بذل مصونها بذلنا لك منه المصون . فسكنت الى الوعد . وسكنت بعكا في ظل الرغد والرغد . ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا . الى صور . واستودعت السلطان ابنها الماسور . وأمد السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعده في الحفظ واليزك . فأقام على كل قلعة من يكفي لحاصرتها . وفي بمصايرتها . ويلبث في مقابلتها . ولايعبث بمقاتلتها . فانها تبقى على قوتها مالم تقو (١٨) من قوتها . وتدوم على طغيانها مالم يذل عز طاغوتها . فلما رتب

السلطان هذه المراتب . ورب هذه المآرب . أقام حتى وثق
باستمرارها وتحقق حق استقرارها .

ذكر مادبره في عمارة عكا

اختلفت الاراء في امر عكا فانها كانت مدينة متخرقة . وبيوتها
متفرقة . وسورها غير معمور . ومعظمها بلا سور . ورأوا أن في
إبقائها خطرا . وأن في إخلائها ضررا فمن اصحابنا من اشار
بخرابها وحفظ الحصون . وبناء قلعة القيمون . ومنهم من قال اذا
صينت عكا ملك البحر . وهلك الكفر . وكانت على البلاد الساحلية
قفلا . وكانت بها بلاد الكفر غفلا . فمن قائل بإبقاء برج الداوية
لحفظ ميناها . ومن قائل نختصرها من أبنائها . ومن قائل نجدد
سورها . ونحكم أمورها . ونبقيها بحالها . ونعمرها بكمالها . على
أن أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح أقالها .
وأجالوا الفكر فيمن يجلي غوائلها . ويحلي عواطلها . ويتوحد
بتدبيرها . ويتفرد بتعميرها . ويجتهد في تسويرها .

ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان: ما أرى لكفاية الأمر المهم . وكف الخطب الملم . غير
الشهم الماضي السهم . المضيء الفهم . الهمام الحرب . الذقاب
المجرب . المهذب اللودعي . المرجب الالمعي . الراجح الرأي .
الناجح السعي . الكافي الكافل بتذليل الجوامع . وتعديل الجوانح .
وهو الثبت الذي لا يتزلزل . والطود الذي لا يتحلل . بهاء الدين
قراقوش الذي يكفل جاشه بما لا تكفل به الجيوش . وهو الذي أدار
السور على مصر والقاهرة وفات وفاق الفحول بأثار مساعية
الظاهرة . فنامره أن يستنيب هناك من يستكفيه لتمام تلك العمارة .

ونؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والامارة . وكوتب بالحضور .
لتولي الامور . وعمارة السور . فوصل متكفلا بالشغل . متحملا
للثقل مذشرح الصدر بالعمل . مذفسح السر والامل . مبتهجا بالامر .
ملتيجا بالشكر . وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب
العمارة والاتها وأدواتها . وانفارها وأبقارها . ورجالها وعمالها
وعمارها . ومهندسيها ومؤسسيها . وحجارتها ومعمارها .
والاسارى والصناع . والنحات والقطاع والمال الكثير للنفقة والذهب
الابريز والرقعة . ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب . وحضر
الموكب وشرف باسني الخلع وأعطى الملابس والمركب وفوض اليه
وقلده . واسعفه من عنده واسعده . وقوى جانبه . واعذب مشاربه
وأوضح مذاهبه . وانجح مآربه . وأجد جده . وكثر مدده . ووفر
عدده وعدده . وخصه بعطاياه . واستخلصه لوصاياه . فتوجه الى
عكا وشغله متوجه . وعزمه متدبه وسره مترفه . وفكره في رياض
الهدى متنزه . وامره ماض وحكمه قاض . والله عنه راض . وقام
بما أقيم له . ونهض بالعبء وحمله . ومشى بكفايته عمله . وشرع
في التعمير والتسوير . وتسوية الأمور بحسن التدبير . وسياتي
شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه . وما ظهر من حسن اياتك
واحسانه .

ذكر وصول رسول سلطان الروم قليج أرسلان وغيره
من الرسل .

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد . واستعلائه في
الجهاد . وتارجت الارحاء بعرف عرفه . وأرخت السير بمحاسن
وصفه . عنت الامصار لمصره . وأعنت الاملاك لملكه . وانقادت
الامراء القادة لأمره . وعادت مهاب المحاب تفوح بما له من الفتوح .
وشروح ايراده واصداره تحل في صدر الزمان المشروح فتهيبه
بالضراعة كل عظيم . وتأهب له بالطاعة كل اقليم . ورهبه ملوك
الاطراف . وتعلق باستزادة الشرف منه اهل الاشراف . فكاتبوه

مستسعين . وخطبوه مستعطفين . وراسلوه بالتحايا . وواصلوه بالهدايا . ورغبوا في امتراء خلاف الامتزاز . والاتشاح والاتحاف بحاف الاتشاح . وخطبوا الوصلة . وطلبوا الصلة . وكل يطلب لبلده منه امانا . وليده وقدمه من تمكينه وتأييده امكانا ومكانا . ويتوصل ويتوصل . وبتلطف ويتطفل . ويرسل ويسترسل . ويترجى مواهبه . ويتخشى عواقبه . ويديم التردد للتودد . والقصد لبلوغ المقصد . فما يعود رسوله الا بسوله . ولا يقبل عليه منه الا بقبوله . ومن جملة الملوك المتقربين بالوداد . المتسببين الى حصول الاتحاد . سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان . فانه بذل الاذعان . وسأل الاحسان . وأدى في المودة الامانة . وأبدى للرغبة الاستكانة . واستنهض في سفارته السفير الالب . وندب الندب . وأنفذ أكبر أمرائه . وأعظم سفرائه . وهو اختيار الدين حسن بن غفراس . وكان في دولته مقدما . وفي مملكته محكما . وعند اهل ولايته معظما . وقد استعلى عليه واستولى . واستبد بالتدابير عليه كانه بملكه أولى . ولا تصرف له في ملك ولا مال الا بتصريفه . ولا تعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه . فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد . وتشبيد المقاصد . وتجديد العهود . وتأكيد العقود . وقدم مكرما وأكرم قادما . وخدم حاضرا وحضر خادما . وقبل البساط وبسط وجه القبول . وتمثل له الشرف فتشرف بالمدلول . وحيا تحية المماليك للملوك . وحفظ الادب ولم يتنكب فيه عن النهج السلوك . فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب . والبر والتقريب . وأعزه بنزوله في ذراه . وأعز بنزله وقراه . ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه أمله . وواصله من الجميل بما راققت تفاصيله وجمله . وشفع رسالته بالاصغاء . ورفع مقالته عن الالغاء . وسمع ما جاء به وأجابه . وأبعد باناء مآربه مارابه . وشافهه بشفائه . وأرواه بروائه . وأولاه لولائه . وعرفه بالتعريف الى الآئه . ونصبت له خيمة مسرده . شهادات الاقبال الناصري لها مصدقة . ووجوه الكرامات بها محدقة . وسحب المبرات لها مفدقة . فأقام أياما بيا من مقيمه . ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيمه . فلما استقام أمره استقل . واستدر له بارق البر من سماء السماح

واستهل . ومارام حتى نال مارام . ووثق لاحكام المواثيق الاحكام .
ووصل في تلك المدة أيضا الصلاح قتلغ أبه . وهو اتابك قطب الدين
سكمان بن محمد بن قرا أرسلان وافيا موافيا . باحسان الخطبة
وخطبة الاحسان . راغبا في تميم الوصلة . وتعميم الصلة . أخذا
لصاحبه ملك بيار بكر عهدا محكما . وعقدا من الميثاق مبرما .
وقد أحضر قضاة بلاده شهودا . واقتضى لصاحبهم بحضورهم
عهودا . وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل . ومثت بكثرة
الشوافع والوسائل . وكان خائفا على آمد فانها من فتوح
السلطان . وهبها لأبيه نور الدين بن قر أرسلان . فاشفق من
استرجاعها بالحق بعد وفاة والده . ورأى الامن عليها وعلى جميع
بلايه من أكبر مقاصده . ورغب في المصاهرة للمظاهرة . وان يفتح
بها باب المزاورة للموازرة . فأواه الملك العادل الى ظل هذه
المواشجة . وثبت بعقد المزاوجة حكم الممازجة . فتم أمنه . وعم
يمينه . وزاد قربه . وزال رعبه . وجلس السلطان . وحضر عنده
الامائل والاعيان . ووكلني وكان وكيل أخيه الغائب . في انشاء العقد
مع وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد باركانه . اعتضد ملك بيار
بكر بمكانه . وسار صاحبه بالمدار مصدوبا . وعاد نيله بالفخار
مسدوبا . وقال له: قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركك فالى
سواه لاتركن . وما من كبير أو أمير الا وقد وصل منه أكبر أمرائه .
لينتظم بعهد السلطان في زمرة أوليائه .

ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

واقمنا على كوكب الى اخر صفر . ننتظر منها بمن كفر الظفر . ثم
رأينا انه يطول حصرها . ولا يفوت أمرها . وان الفتح يبطل . وان
كان السهم لا يخطئ . فأمر الامراء الموكلين بها وبغيرها من
الحصون . بالمقام عليها وابتدال سرها المصون . ورحل السلطان
نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العزيمة . سامي اللواء . هامي

الانواء • نامي الانوار في مطالع المضاء • ودخل اليها يوم الخميس
سادس شهر ربيع الاول • بالصدر الارحب والباع الاطول • وتلقاه
اهل البلد بوجوه لاقباله متهلة • والاسنة بالدعاء له مبتهلة • وعيون
لانواره مجتليه • وقلوب بولائه ممتليه • واسماع لامره مستمعه •
وأيد إلى الله في نصره مرتفعة • وصدور بايامه مذرحة • وأمال في
انعامه مذفحة • ونفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة •
واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة • ودخل المدينة • وأدخل
اليها السكينة • فوجدت الروح بسلطانها • وعادت الروح الى
جثمانها • وقرت به عيون أعيانها • واقرت له بحسنها واحسانها •
وابتدا بالجلوس في دار العدل • وبحضرة القضاة والعلماء من اهل
الفضل • واسترفع قصص المتظلمين • واستمع غصص المتألمين •
وكشف الظلمات المظلمة • وفصل الحكومات المستحكمة • وقرأ كل
قصة • وقرأها بكل حصة • وحقق الحقوق • ورتق الفتوق • وأقام
للشرع السوق • وأتم لرجال الرجاء بعدله الوثوق • وحل بانصافه
كل مشكلة • وطب باسعافه كل معضلة • واصبحت سماء السماح •
وأصبح جماع النجاح • وأعدى المستعدي • وأروى الصدي •
وحيا الحي وأورى الردي • ومجد المجدي • ومهد الحق حتى قيل
هو المهدي • فما انقضى ذلك اليوم • وانفض اولئك القوم • الا عن
مظلوم أجير بالحق • ومعلوم أجري من الرزق • وعالم أعين • وظالم
أهين • وهاد زين • وعاد شين • ومختل سدد • ومنحل عقد ومعتل
شفي • ومعتز كفي • وما حل جيد • وأمل زيد • وركن حق شد
وشيد • وخن باطل أبير وأبيد • وراح أنى فوزه • ولاح أسني
عزه • وجلس يوما آخر للأكابر والامائل • والاكارم والافاضل •
فاضاء النادي وفاضت الايادي • وغدق الندى وصدق الهدى • وكر
الكرم • وفر العدم • وحفل الدر ودر الحفل • وشمل النظام وانتظم
الشميل • وصان العلماء بالبذل • واعان بافضاله أعيان اهل
الفضل • وفاز بالحمد وحاز الثناء • واجاز الشعراء واكرم
الكرماء • وروح الرجاء • وأولى النعماء • ونعم الاولياء وتقاضاه
عزمه بالحركة لاستفاضة البركة • واستضافة المملكة الى المملكة •
فلم تستقر به دار • ولم يدر به قرار • ولم يثبت في جفنيه غرار • ولم

يبت الاوبين جذبية لحب لقاء العدى اهل النار نار . وكان الصفي
ابن القابض قد استجد للسلطان على بعض أبراج القلعة دارا .
وأذهب في نضارتها ذهباً ونضارا . وهي متطاولة بين البروج مطلة
على المروج ، مشرفة على موازاة الشرفين ، كاشفة غطاء النظر عن
الغوطتين . صحيحة البناء ، فسيحة الفناء . بهية البهو . شهية
الزهور . مجدة لأهل الجد ذكرى اللهو . فرشها بماء الورد .
وفرشها بالورد . وبسط بسطها وعلق ستورها . وأعلى نورها .
وحبر حبورها . وسرى سرورها . وسنى انواع نمارقها . وأسمى
أنوار مشارقها . وتوصل الى حضور السلطان بها وجلوسه .
وذهبت تباشير بشره بقطوب الزمان وعبدوسه . واحضره كل مقرظ
بقريض . وكل مؤمل بتصريح وتعريض . وكل ناشد ضالة رجائه
بنشيد . وكل قاصد جلاله ارجائه بقصيد . وكل مغرد مغرب . وكل
مطر مطرب . وظن ان السلطان تروقه تلك الحلية والحالة . وتلك
الجلوة والجلالة . وتلك البقعة المؤسسة . وتلك الرقعة المقدسة .
وذلك المشرف العالي . وذلك المشرف الحالي . وانتظر نظره
استحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع مكانه . فما اعاره لحظا .
ولا لمحة بطرف استطراف . ولا منحه حرف استعطاف . بل اعرض
بنظرة عن تلك النضارة . وأغضى عن تلك الغضارة . وغضى عن تلك
الغضاضة . واشتغل عن تلك الرياض بالرياضة . فالعاقل من
لا يتخذ من دار الدوائر معقلا . ولا يجد في منازل الدوازل منزلا . ولا
يركن الى فناء الفناء لييب . ولا يسكن في غار الغرور اريب . وكيف
يبنى العمران والعمر الى الهدم . والغم في الدنيا الدنيئة عين الغرم .
وقال السعيد من يبني دار الآخرة . وينجو من امواج الدنيا
الزاهرة .

ثم صرف في تلك الايام الصفي عن ديوانه . وابقاه في شغل الخزانة
على مكانه . وسمعه يقول في بعض محافله . وقد أجرى له حديث
من يفرح بمنزله ؛ كان من ذنوب الصفي عندي انه بنى لي تلك
البنية . فدل على انه لم يوافق منه الامنية . وقال ما يعمل بالدار من
يتوقع المنية . وما خلقنا الا للعبادة . والسعي للسعادة . وما يخطر

لنا في هذه الدار خلود بالخلد . ومالنا والمقام في البلاد والبلد .
وما جئنا لنقيم . وما نروم (الا) ان لانريم . وما تحركنا الا
للسكون . وما سهلنا الا للعود الى الحزون . فما يجنى ثمر الراحة
الا من مغرس التعب . وما يجنى نصيب المغنم الا من مغرم النصب .
فأين الاين . الذي تقر به العين . وما يحصل السكون في المسكن .
ولا يكمل الوطر في الوطن . لاسيما والدين يطالبنا بسينه . والكفر
يستقرب منا حين حينه . والبلاد سائبه . والبلاء هائبه . فلا تفوح
الفتوح الا بهبوبنا . ولا ينزل النصر الا بركوبنا . وغدا للحزم
متمما . وللعزم مصمما . ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق
بالغرب الماضي ، والحد القاضي . والجمع الوافر الوافد . والجمر
اللافح الواقد . وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد اقبل
بقبيله . ووصل برعيه . وقدم بجده . وا قدم بحده . وانه حل بحلب ثم
سار عنها مسارعا . وجاء معه الجيش للنجدة والجدة جامعا .
فأرهب العزم السلطاني خبر وصوله . وحل بالشد للرحيل عقد
حلوه . وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل . والنباهة
والذبل . متأخرا في بيته بدمشق لشكاة اقام في غبرها . واستقام
مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال اثرها . والسلطان بنجح
سعيه متبرك . وبنصح رأيه متمسك . وبطوله عالم وبقله عامل .
وبعبارته قائل . ولا شارته قابل . فأراد السلطان ان يقدم بلقائه
الاجتماع . وبرأيه الانتفاع . ويستنير بذوره . ويستشير في
اموره . ويفاوضه في تفويضاته . ويقلده في تقليداته . ويتبرك بميامنه
ويتيمن ببركاته . فانه طالما اجتلى سني السعاده من مطالعه .
واجتنى جني الارادة من صنائعه . واقتتح الاقاليم بمفاتيح اقلامه .
وجاءه بالوجهة في بينه وديناه باسعافه واسعاده . وكان قد خرج
الى جوسق الشرف الغربي الاعلى . ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى .
فأصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الاول على
الرحيل . فقصده لابرام ما وجده في مملكته من الامر السحيل . واقام
عنده في الجوسق الى الظهر . مستظها به على الدهر . حتى كشف
مهمات مهماته ورشف شفاه مشافهاته . وانتجى معه في الاراء
والاراب . وانتجع لربه من رأيه صوب الصواب . وارتجع سر الغيب

ممن عنده علم من الكتاب . ثم استودعه الله وودعه . ودعا له الاجل
الفاضل وشيعة . وبات تلك الليلة مخيما بالعراة . محتما بالسعادة
راجع السيادة . ناجح الارادة . ثم سلك في جبل يبوس الى عين
الجر الى الدلهمية . على البقاع . وهو مطيع امر الخالق ومتبعه
والخالق تابع امره المطاع . واتى بعلي بك المحروسة . وخيم بمرج
عدوسه . واقام حتى امر امرها . وادر درها . وقسم لها من عدله .
وعدل بها من قسمه . وحكم فيها بفضله . وأفضل عليها بحكمه .
وكشف الظلم والمظالم . وصرف المكاره . وصرف المكارم . ورفع من
المعالي المعالم . وأجرى رسوم الاجر والمراسم . وامر الرعاة برعاية
امر الرعية . وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهة
الشرعية المرعية . ثم رحل على سمت اللبوة . معصوم النبوه .
مصون الكتيبة من الكبة والكبوة . ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر
قد توجه . وشرع النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه ، وقد
كحل عتير العسكر طرف الجوالامره ، (١٩) وقد آن لعين الشمس
الراقدة من الهبوة ان تعاد الهبوة وتتنبه ، وزرع من الزراعة من
السمر المركوزة والبيض المهزوزة نبات الخط . وقتاد الخرط وضاق
ذلك الفضاء الواسع بحط رحال الرهط .

ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامع
من الاداني والاقاصي ، ونزل طائعا على العاصي . وخيم على قدس
(٢٠) وخيمه قد تقدس ، والدين بدنوه تأنس ، والكفر بقدمه
تعكس ، وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه ، على قهر الشرك
ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحف
على الليل برايات انواره ، والفجر قد فجر انهاره نهاره ، وسرنا
بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ، فلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب
مقبلا ، ولما راه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة واكرم ملقاه ، ونزلا

فتعانقنا ثم ركبا وتوافقا وتساوقا ، وخيمنا بقرب مخيمه ، وجثمنا
وحططنا هناك رجالنا ، وخططنا برجاله رجالنا ، وتساعد الجندان ،
وسعد الجندان وجد السعدان ، وانتظم الجمعان ، واجتمع النظامان
واتحدت الكم ، وأتأتى الهم ، وسأل السلطان ان يوازره ويزوره ،
ويحضره بحضوره حبوره ، فساق معه الى سرادقه وارتفع في
صدره . ورفع من قدره . وصار العسكران مختطين . وجلسا
مذسطين . ووقف الامراء والعظماء سماطين كالسمطين . وقرأ
القرء واورد الشعراء . وتجادب بينهم اطراف الطرف والاداب
الفضلاء والعلماء . وكان مع عماد الدين شاعره السنجاري ابن
الهائم . ومن عادته ايراد المدائح في مثل تلك المواسم . فأشد
مدحا . وشد منحا ثم بسط السماط . وسمط البساط . ومدت
الموائد . وعادت العوائد ونضد الخوان . وكونت الالوان . ولونت
الالوان . وصفت الجفان . واحضر الطهارة من كل حاجة وباجه .
وخروف ودجاجة . وحلوحامت (٢١) وحامز وحامض . وتفه
(٢٢) وقابض . ومطبوخ ومشوي . ومصنوع ومقلي . مطاب
مذاق مذهه ومحضه . وطالت الايدي في بسطه وقبضه . فلما رفع من
ناديه القرى . وفرع بأيديه الذرى . قدم ما عده للهدايا . والتحف
السنايا . من الجياد المقربة . والثياب المذهبة . والعدد المعجبة .
والاسلحة المذربة . وكل مايروق ويروع . ويضئ ويضوع . تم انفض
النادي عن ندي منفض . وسدي لبكر الشكر مفتض . وعين
السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده . وانه يستضيف فيه
خواصه وامرائه وجنده . فوسع سرادقه . ووشع نمارقة . وضرب
بيت الخشب له لحسب بيته . واسميت الحسنى بحسن سمته
وسمته . واحتفل بحفله . واجل لاجله . وارجت ارجاء النادى
بالند . وراق مد النواظر النواضر في ذلك الرواق الممتد . وبسط على
البسط ما حضر من الياسمين والورد . وفاح النثر . ولاح البشر ،
وفرش الثرى . وشرف البرى . ورفع الحجاب . وشرعت القباب .
وتوجهت الاسباب . وتنزهت الالباب . وتضوعت نوافع النوافج .
ووضحت مناهج المباهج . ووضعت المطارح والمساند . والاسرة
والوسائد . وجاء عماد الدين في خواصه وامرائه وصحبه . فتلقاه

الاطباق . ونظفت الآفاق وبسط المكان . وسمط الخوان . ونبهت
اجفان الجفان للقدور الرقود . وشبهت المراحل لغليانها بصدور
ذوي الحقود . وتزيد مقال المقالي الذشاشة . وتزينت مقار المقاري
بالبشاشة . ومادت اعطاف الموائد بالالطاف . وتهادت اكناف
السرادق بموشي الافواف . وهناك المسموط والمسلوخ . والمخطوب
المطبـوخ . والمقلو المقلوب . والمحبو المحبـوب . والاغنية
والحمان . والاشوية والحملان . والالبان والالوان . والجوابي
والروابي . والصواني والاوني . وقد صفت البوارد . وصفت
الموارد . وتذوقت الطهارة . وتذوقت المشـهـاة . وحلت
الاطعمة . وعلت الاسئمة . وجاش جاش الجاشذكير الرابط .
وعاش اخوان الخوانسلار الغابط . وتداولوا وتناولوا الذوات
والحوالات . والحلاوات والحالات . وكان يوما مشهودا . وحوضا
مورودا . وروضا معهودا . ورواقا ممدودا ورواء مودودا . وجمعا
مسعودا . وصنعا محمـودا . ولما فرغت الموائد . وبلغت
المقاصد . احضر السلطان لعماد الدين هداياه . وحياه بأحسن من
تحاياه . من خيل صفون . وحصن كحصون . وعراب جياذ من
طوائف الطريفات . وسـوابق سـوابج من العتاق
الاعوجيات . والمذاكي المنسويات . من كل مطهم مطهر
الخيم . وكريم من نسل الكريم . وصافن صافي الاليم . ومعرب
مقرب . ومجنب مكرب . وسكب مشذب . وفيض سلهب . وبحر
جموم . وطرف لهموم . وسرحوب شيعظم . ويعبوب صلدم . واجرد
قؤود . وضامر قيدود . وأقب نهـد . وجواد ورد . ومسح رفل
طمر . واشق امق غمر . ومفرع طمـوح . وعتيق غير
جموح . وهيكل عال . وعنجوج نيال . فاختر منها كل طرف . قد
حط من قدره اذا قوم بألف . من كل اشهب قرطاسي . واشعل
سوسني . واغر صنايبي . وادهم غيهبي . واحم احوي . واشقر
مدمي . وابرش مدبر . وكمين مضمر . واخضر واديس . وسمند
اغيس . ثم احضر له ما يناسبها من التحف اللائقة . والطرف
الرائقة . والعد الرائعة . والاسلحة المانعة والسابريات السابغات
والدروع والزريات . والرؤوس والرانات . والخـ

والترائك . والبواتر البواتك . والدلاص الموضوعه . والنصال
المسذونة . ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريرية . والملمح
والديقي . والمصمت والمغربي والعراقي . ومن نسج تـونة
وتنيس . كل ثمين ونفيس . وما شاكلة من انواع الطيب . على
الذمط والترتيب . ثم انصرف وعرف حمده متضوع . وعرف جده
متدوع . وشدو شكره وعطف فخره مترنم مترنح . وامره متحبر
متربح . ووده متـرح متـرجح . ودعاؤه صالح . وثناؤه
صاح . واسانه داع . وجنانه واع . وعهده راع . وسعده
ساع . وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس . والتناجي
بما في النفوس ، والتدبر فيما يقدم ويؤخر . ويقرب ويقرر . ويورد
ويصدر . وتكررت المشاورة في الموضوع الذي يبتدأ بقصده . ويوفي
العزم فيها الجهاد حق جهده . واتفقوا على عرقا وعرقها
وعقـرها . والنزول بعقـرها . وانها اذا ملكت ملكت
طرابلس . واسفر عن صبح فتحها الغلاس . واقام العسكر اياما
على قدس . وبقيس النصر قد تأنس . ولسنا الظفر قد
توجس . واتي العرب . واتي الارب . واجتمعت الجيوش
وجاشت الجموع . وأن الليل العزم المدلج من صبح النجح
الطلوع . ونبتت الفيوض من النعيم وفاض الينبوع . واينعت ثمار
المبار وطابت الينوع . ثم رحلنا اول شهر ربيع الآخر الى البقيعة
تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربا والوهاد . وصوبنا الى
الجهاد هوادي الجياد . وادينا قطاف الطاف الله لاجتناء
الاجناد . وكانت الاعشاب بالشعاب واصية . والشوائب من
المشارب قاصية . والقضب للقرب في طاعة الله عاصية . وطار
الرب . وثار العجم والعرب . وخاف الكفر . وطاف الذعر . وقال
نفر الشرك نفر . ولانستقر . وتشاوروا وتشاوروا . وحاوروا
وتحاوروا . كأنهم في قبور حصونهم اموات . لا ترتفع لهم من
الوهل والوله اصوات . واجمعنا على دخول بلد الساحل على
التجريد للتجريب . وجوس خلال البعيد والقريب . ثم تجرد العسكر
عن الاثقال . وتجراً على اخذ اهبه القتال . وسار السلطان ومعه
عماد الدين زنكي . وسيفه بصقاله يضحك وبدم الكفر

يبكي . ومظفر الدين كوكبوري . وهو الذي حين يوارى صارمه
المشهور في نجيع العدى لزند الظفر يوري . وصحبه من فرسان
العرب كل فارس معرب . ومن شجعان الاكراد كل فاتك
محررب . ومن فتاك الاتراك كل قسور قاسر . ومن صيد الصنايد كل
كسروي كاسر . وكل كمي كميث . واكديش على اكديش . وقارح
على قارح . وخضم على سابح . وجري جار جارح . وبهمة
وبطل . وجبل على جبل . وفحل على فحل . ونمر نكل وورد على ورد
ومرد على جرد . وحلس وحلبس . وباشر بالوت معبس . واهيس
اليس . واحمي احمس . وغشمشم همام . وايهم مقدم . وباسل
ذي باس . وعاسل عاس . ورثباك على رثبال . ومشتمل على
شكال . وبحر على بحر . وصقر على صقر . وركبوا
سلاهبهم . وجذبوا جنائبهم . وجروا على الساحل سيولا . وجروا
بالذوابل نيولا . وطار ابليلس طرابلس بخوافي الخوف . ودام
الجوى في رعب اهلها بدم الجوف . وما سارا الا من خف في
نهضته . ونهض بخفته . واحس حصن الاكراد بالاكراد . وصفت
على صافيتا بوارق البوار . وقطع عرق عرقا وعقرت . وتعمرت
العريمة وتعرفت . ومزعت تلك الاعمال ومزقت . وارهقت
وازهقت . ونفرت انفارها . وبقرت ابقارها . وملئت بالدوائر
ليارها . وسيقت مواشيها . وحشيت بالنيران اوساطها
وحواشيها . ونزل السلطان على حصن يحمور فما قدروا
يحمونه . وابتذل مصونه واستخرج مكدونه . وفتح
ومتحه . ومساه بالدمار وصبحه . واقام في تلك الديار عشرة ايام
يجوسها ويدوسها . وقد حيزت له نفائسها ونفوسها . ثم رحل
بمغنمه . وقفل الى مخيمه . وعاد العسكر مسرورا
منصورا . محبورا موفورا . قد اطلع من تلك البلاد على
العورات . واضطلع بالغنائم في تلك الغارات . ونكا منها في الاعمار
والعمارات . وانقضى شهر ربيع الآخر وذلك المرح يموج بالعساكر
موج البحر الزاخر . وقد وصل قاضي جبلة يحث على
قصدها . ويحض على انجاز وعدها . ويحرض على اعذاب
وردها . ويحقق ان الظفر في هذه السنة يبتدىء من عندها . ويقول

ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها . وكثرة
ناسها . وتدرعها بلباس ياسها . واستعدادها للحصار . وتجذبها
عن الاصحار . يذهب الزمان . ويفوت الامكان . وهذه جبلة وما
وراءها من المعاقل . قنيصة الحابل . وفرصة للمتناول . ولهنة
للأكل . ونغبة الناهل . وامنية للعاقل . لم يفتقر عذرة امنها
ذعر . ولم يفتأ سورة نفعها ضر . ولم يقرع باب يسرها عسر . فان
سلكنا سبيلها . ملكنا سلسيلها . وان جزنا ساحتها . حزنا
راحتها . وان استقدنا ملكها ملكنا قيادها . وان اعتدنا حواءها
حويها عتادها . وان افتتحنا بها فتحناها والمسلمون بجبلة
مجبولون على التسليم . مؤملون ان يتبدل شقاؤهم مذكم بالنعيم .
فعرفناه بصحة نصحه . ورفعناه بحجة نجه . واصفى السلطان
الى قوله . واصفى له ورد طوله . واقبل عليه وقبله . واجزل له
العطاء واكمله . وكان قد وصل له مقدمو جبل بهرا . فدوفر لهم
رواتبهم واجرى . وخلع عليهم وشرفهم . واسعدهم بالماهوب
واسعفهم . فندبوا الى اتباعهم . وكتبوا الى اشياعهم . واجمع
السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر الجحافل . ورحل يوم
الجمعة رابع جمادى الاول . حافل الجحافل سامي القسطل . ماضي
المنصل . فسرنا في اجام مؤتشفه . واكمام معشبه وحزن
وسهول . وشعاب وتلول . ومعالم ومجاهل . ورواب
وهو اجل . ومغايض وغياض . وارتفاع وانخفاض . حتى خرجنا
الى ساحة الساحل . ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي رسوم تلك
النواحي الموحل . ومعنا احمال واوساق . واثقال
واسواق . وازواد وامداد وعدد واعداد . والخيول عرمرم . والسيل
عرم . والمجر لجب . والغيل اشب . والاسد في عريس من الاسل
العراص . والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص . وقد
نشأ العجاج كعجاج النشاص . فانحلت بحلولنا معاقد
المعاقل . واعتلت باستيلاء فحولنا عقائد العقائل . وحلت لخطبه
سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل . ونحن في استباحة
واستباء . واصطلام واصطلاء . وارتياد وارتياء . وقتك
باعاء . وسفك لدماء . وبتك لرقاب ذوي الفجور ، وهتك لحجاب

ذوات الخدور ، ننال من العدو كل نيل وتديبر عليه في داره دائرة كل
ويل • فما نقطع الا وايا يغيظ الكفار ، ولانحضر الا نانيا نزيدهم
به الدمار ، وسرنا الساحل الساحل ، في ثلاث مراحل ، حتى
وصلنا الى أنطرطوس يوم الأحد سادس الشهر ، فاحدقنا بها من
البحر الى البحر ، وزحف اليها الناس ، وحفز عليها
الباس ، وخاب رجاء رجالها وخب نحوها الياس ، وقابلتنا
ساعة ، فلم يجد اهلها للدفاع استطاعة ، وودخلت من جوانبها
وتخلت من مذهبها واصابتها نوائبها ، ونابتها مصائبها وفل
غريبها وجب غلالها ، وسبي من أخذ من نسائها
وأطفالها ، واعتصم من نجا ببرجين اعتصما بالامتناع ، وهما
هناك من أحكم القلاع ، وفي أحدهما الداوية جمرة الكفر ، ومعهم
مقدمهم الذي اطلق من الأسر ، وفي البرج الآخر المنهزمون
الناجون ، والفارون اليه اللاجون ، فنزل على هذا البرج مظفر
الدين بن زين الدين ، فأبدى لمن استتر فيه وجه التأمين ، وحركهم
الى الخروج بالتسكين ووثقوا بأمانه ، وأمنوا بميثاقه • ومكن كل
منهم لسلامته من تسلم مكانه ، فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه
وهده ، وحل من احكامه ما الكفر شده ، وركب النقب على ركنه
العالي ، ونكبة في ذلك اليوم بما تنكبت عنه نواكب الليالي ، وخرب
الى اساسه سوره ، ورمي الى البحر صخوره ، وامتنع برج الداوية
بدائها الدوي • واتبع مردتهم في التمردد هوى طاغوتهم
الغوي ، وأقام العسكر حتى نقض اسوار أنطرطوس
وقوضها . وربضنا بها الى أن عفينا ربضها . ولما امتنع البرج
تركناه ، وما كانت فيه فرصه لو ادركناه ، وكيف كنا نشتغل بفتح
برج عن البلاد ، وللفرص أوقات هي لها بالمرصاد ، ومن يسالك
الجدد الاحب لا يعرج على بنيات الطرق ، ولا يستغني مدلج الليل
بالدراري عن الفلق ، ورحلنا عنها رابع عشر الشهر ، شاهرين
على الأعداء سيوف القهر ، ونزلنا على مرقية وقد خلت من أهلها
وتخلت • وتشعثت عمارتها واختلت ، وكان جوازنا الى جيلة على
الساحل تحت حصن المرقب ، وهو معقل للاستبترية عالي
المنكب ، سامي المرقى والمرقب ، ضيق المذهب عسر المطلب ، فلم

يكن بد من عبور ذلك المضيق ، وسلوك تلك الطريق ، وقد صفت الفرنج في البحر المراكب ، وسدوا المذاهب ، وردوا الراجل والراكب ، وفوقوا الجرح الجرح ، وسددوا الزنبورك للقرح والطرح ، فعرس العبور ، وكثر العثور ، وامتنع الجواز ، ووجب الاحتراز ، وأعوز الظهور وظهر الأعواز ، وذلك ان صاحب صدقية ، رام ان يكشف عن الفرنج البلية ، فجهز اسطولا بجهازه مستطيلا ، وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبئا ثقيلا ، واتفق وصوله في تلك الايام في ستين قطعة ، تحسب كل واحدة منها قلعة أو تلعة ، من كل شيني من شأنه شن الغارة ومن عادته العادية تشيعث العمارة ، مع طاغية يقال له المرغريط . قد عرف منه التوريط ، من أرجس الطواغيت ، وانجس العفاريت فوصل الى طراباس بطوله واسطوله ، وصوله وصوله ، فما أحلى ولا أمر . ولانفزع ولاضر ، ولا استقل ولا استقر ، ولانقض ولا أمر بل صار على الفرنج وبالا ، وحدث لهم بما يسومهم من مؤونته امحالا ، وماخفف عنهم بل زادهم على الثقل اثقالا ، ووجد الكفر في اوان توانيه فلم ينتفع ولم يرتفع شان شوانيه ، وصار الى صور ثم رجع الى طراباس وتردد في البحر وتلد وأبلس ، وتفرقت جماعته ، وتجنبت شجاعته ، واضطرب في البحر اشهرا ، ولا يظهر له رأي ولا يرى له مظهرا ، فتقطعت اقطاعه . وتتابع في الفرار اتباعه ، حتى عاد في عدة يسيرة ، وشدة عسيرة ، وكان هذا الطاغية قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة في البحر من جوانبه ، قد ضيق الطريق ، ولم يطرق المضيق ، فأمر السلطان بحمل الجفاتي الى هناك وتصفيها ، والستائر وتأليفها ، والتراس وترصيفها ، واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم وازائها ، الكماة النخية . والرماة الجرخية ، حتى تباعدت تلك السفن ، ودب اليها الوهن ، وتمت عليها المحن ، وأنحت الأحن ، ورحل العسكر فعبر آمنا وأمن عابرا ، وسار ظاهرا وظهر سائرا ، وجزنا على مدينة يقال لها بلنياس ، وقد أجفل عنها الناس ، ونزلنا في ارضها ، وخيمنا في طولها وعرضها ، وأنسنا بنهرها وزهرها في الأرواء والرواء ، وحبسنا على نواضر رياضها

نواظر الارتضاء ، وبتنا ونفحات النادي مريضة ، وجنابات الوادي مريضة ، والذسيم العليل ليل ، والعزم الصحيح دليل ، ورسم العدو محيل ، ولقدح الفوز من تأييد الله لنا مجيل ، واصبحنا على الرحيل مبكرين ، (فساء صباح المنذرين) ، (الصافات ١٧٧)
وسرنا وسرنا في سرور ، وسفرنا في سرفور وجمعنا في اجتماع ، وجبنا في ارتفاع ، ونهجننا في اتساع ، وركننا في امتناع ، وعارضنا نهر عريض عميق ، مافيه طريق ، وهو مطرد من الجبل الى البحر ، فازبحم العسكر عند ذلك النهر ، وتواقعت الاحمال والاثقال عند العبر ، وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر ، وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر ، واستتبع من عسكره بعد الزمر والزمر ، ونزل عشية الخميس على بلده . وعانت الاثقال في تخلصها من الشدة الشدة ، وتكامل نزولها حين انتصف الليل ، ووصل الى القرار السيل ، وهذه بلدة كاسمها بلدة على شاطئ هذا النهر ، وساحل البحر ، حصينة البناء ، مصونة الفناء قد حصنها الاسبتار ، وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها سبلوك الطرق ، بتعميق ذلك النهر المخترق ، والفينا بلدة خاوية على العروش . حاوية للوحوش . خالية من الانس والانس ، (وكأن لم تغن بالامس) (يونس ٢٤) ، وقد انزعج اهلها ، وتشئت شملها ، وتخوف امذوها وعدم السكون ساكنوها .

ذكر فتح جبلة

وأشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وقد اشتهر موسم النصر ، واشتد على الكفر رهق القهر ، وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمة ، وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة ، فلما بصر مسلمو البلد بما وضع في الجد من الجدد وسنح من الظفر المتصافر المدد ، خرجوا مستسلمين مسلمين مستسلمين

بعز الاسلام معتصمين ، وعلت على السور الرايات الناصرية
المنصورة ، والتهجت بحمد الله الاسن الشاكرة وابتهجت القلوب
المحبورة ، وتحصن الكفرة من الحين ، ولجأوا في التحين الى
الحصين ، فمن لاذ بالحصن الذي على المينا ، قال انه بحصانته
ومنعته يحمينا ، وعان معظمهم الاكثر بحصن البلد وهو المعقل
الاكبر ، وتوسط لهم قاضي جبلة في اخذ الامان بعد قبض
الرهائن ، على ان يعيدوا من استرهضوه ، في انطاكية من
أهله ، ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا الينا كل مالهم من سلاح
وعده ، وخيل ونخيرة وغلة ، وتســــلــــمنا الحصــــين يوم
الخميس ، وعادوا مأهولين من الاسلام بالانس ، وكرمت بالكرام
جبلة جبلة ، ونذت عنها بالفئة المقبلة ، الفئة الشقية
المختبلة ، وسعد أهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشدة
بالرخاء ، وافضى اليأس بهم الى الرجاء ، وفاؤوا الى
الوفاء ، وانتقل أهل الجبل الى جبلة طائعين بعد
العصيان ، مصافحين بالمصافاة بالايمان أيمان أهل
الايمان ، وكان حصن بكسراثيل قد تسلم من قبل ، واتصل بفتحه
الحبل ، فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا لقاضي
جبلة مدعنين بايمانه مؤمنين ولدعائه ملبيين ، ولبقائه محيين *
ونجوا من العار والتبار ، وضيم الكفار ، وتناجوا بالاستبصار
والاستغفار والاستنفار ، وأضت تلك الولاية لاحسانها والية ، وتلك
الناحية على سكانها حانية ، وتلك المدينة لأهل النين دائلة
دانية ، وتلك الجنة العذبة الجني لورد دم الجنة من شوك القنا
جانية ، وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم اساس الاساءة
بانية ، وتلك الهضبة راسية ، والتربة كاسية والرتبة
سامية ، والريوة رايية والذروة عالية ، والحالة حالية ، واقام
السلطان بها اياما حتى أزال شععتها * وأزاع خبيثها ، ورأب
صدعها ورب ربعها ، وشاد ركنها ، وشد حصنها ، حتى أزال
كفرها ، وجبر كسرهما ، وجد بها جذبها ، وحض بها
خصبها ، وبالعدل عمرها ، وبالفضل غمرها ، وبالرعاية ملاحها

والرعية كلاها ، وبجل قاضي جبلة وشرفه • وحبس عليه ملاكا نفيسا
ووقفة ، وصرفه في املاك آبائه ، وحكمه في ولاية حكمه وقضائه .

ذكر فتح اللاذقية

ورحل ثالث عشري الشهر يوم الأربعاء منشور اللواء ، منصور
الاولياء • مشكور المضاد ، عالي القدر قادر العلاء ، ناجح الآراب
راجح الآراء ، وسار برعب الى العدو يقدمه • وعزم على الفوز
يصممه ، وأمر لأمرار الأحكام يحكمه ، وجد على تدبير الدين
يقفه ، وحد في تدمير المارين يرهفة ، وسعادة تؤيده وتأييد من الله
يسعده ، وسطوة على الكفار يرسلها ، وجذوة في أهل النار
يشعلها ، وجيش للوثبات يذشطه ، وجاش بالثبات يربطه ، وهيبة
تروع الخواطر ، وهيأة تروق النواظر ، وبتنا تلك الليلة بالقرب من
اللاذقية معرسين ، وبات الكفرة مبلسين ، قد لاذوا من حصن
اللاذقية بجبل عاصم • وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد
فاصم ، والخوف عليهم مستول • والذعر فيهم مستعل • والأفئدة
منهم خافقة والانية بهم متضايقة ، والمهيج في سوق الردى
نافقة ، ونحن طول الليل من السوابغ في جر النيل ، ومن السوابق
في اجراء الخيل ، ومن نشاط العزم في اهتزاز ، ومن احتياط الحزم
في احتزاز ، ومن انتخاب الأجواء والجياد في انتقاء ، ومن انتقاد
العناق والرقاق في انتقاء ، ومن انتهاض الرياح بالهواضيب في
انتهاء ، ومن اقتضاب الأرواح بالقواضيب في اقتضاء ، والمقربات
تسرج والسريجات تقرب ، والمقانب تكتب والكتائب تقنب
والصوارم تنتضى • والصرائم تقتضى ، والقوارح تضم ، والقرائح
تخر ، والضوامر تجرى • والبواتر تعرى ، والصلاد تلجم •
والدلاص تستلام • والحنايا توتر • والمنايا تؤثر • والجاليشية
تعبي ، والجاوشية تلبى .

حتى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح . والمتجر مربح .

والمفخر متوضح . ولجاش فرح . ولجيش مرح . وقرح العدو
مقترح . وزند الفتح مقترح . وباب السماء لنزول ملائكة النصر
مفتتح . وأحدقنا بالقلع وقلعنا الاحداق . وخطنا بابر السهام من
موقها أماق . وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق . وانهضنا اليها
الحجار والنقاب والزراق . وأطرنا النشاب الى أوكار المقل .
وأزرناهم رسل النصال بكتاب الاجل . وسمعنا من ضوضائهم زجل
الوجل . ورأيناهم تغلي من صدورهم بنار الحقود مراجل الغل .
وأشرفوا من الشرايف قلقين متقلقلين مابين تلك القل . وجدوا في
القتال . وشدوا على الرجال . وسدوا مذاهب الاهواء بالاهوال .
وهناك في الزنبورك بورك . فانه بالجرح دورك . وقلنا للكفر اخرج
لندخل الى دورك . وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك .
وطالما سكنت دارنا فاخرج . ودرجت اليها فادرج . ومازلنا نقاتلهم
بسوانا بياض النهار . ونغطي سني يومنا بليل الغبار . ونرفع من
السور حجابة بالحجار . حتى فزنا بتمكن النقاب والحجار .
وأخذت عليهم النقوب . ووقذت منهم القلوب . وبلغ النقب من
الشمال في الطول ستين ذراعا . واربعة أذرع في العرض اتساعا .
وهي ثلاث قلاع متلاصقات . على طول التل متناسقات . كأنهن على
رأس رأس راسخ . وذروة أشم شامخ . فسهل الله لنا فرعها .
وشرعنا نستاصل أصلها وفرعها . وناوبنا عليه القتال . وجاوبنا
بالنصال النصال . وأوضعت بنات الكنائن بظعائن الضفائن .
وأثارت من مكان الاحقاد كوامن الدفائن . ودام الرماء . ومريت
الدماء . وانتجع النجيع . ووقع ذلك الرفيع . فاستبطيء السريع .
وتخطي الصريع . وأبصروا مالا عهد لهم بمثله . وعايذوا ماعاذوه
من غريم الموت المطل في مطله . وفتح الحنف بابيه . وحفز الزحف
اصحابه . وكشر الشرك نابه . وصادف الكفر لدمه المطلول مصابه
ومصابه . ونفر الناس اليهم . واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم .
والاجل يظهرهم والوجل يخفيهم . وهم من وراء أسوارهم . بدواء
في بوارهم . ووبل النبل هام . وأهل الجهد في ضراب وضرام .
وجمر الجمع في التهاب والتهام . ووقع منهم الزمع . ومنافيههم
الطمع . حتى ازحم على التل الصغار والكبار . واستشعروا منا

وزال منا الاستشعار . وكان لي مملوك صغير قد زحف . وأرهق
وأرهف فقبل خده سهم . فرجع وإذا وجهه طلق لاجهم . وهو
بقرحه فرح . وللفرح بالشهادة مقترح . وقد عدله الجرح . وحسنه
القبح . فلما عرفوا أنهم مدركون . وأنهم يؤخذون ولا يتركون .
صاحوا الايمان . واستماحوا الايمان . وذلك في يوم الجمعة الخامس
والعشرين من جمادى الأولى عشية . وكان فتح ذلك المعقل من الله
مشيه . فانه موضع ما فيه مطمع . ولم يكن للكفر غيره مفزع .
وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوه . وكان ذلك الافتح صلحا
أشبهه غدوه . وطلع السنجق المنصور . وانجلت الظلمة وتجلي
النور . وأشرق الفلق وزهق الديجور . وبدا الفجر وباد الفجور .
وسرت القلوب وأقبل السرور . وسلموا القلاع بما فيها من عدة
ونخيرة . وأسلحة وخيل ودواب كثيرة . وأمدوا على أنفسهم
وأموالهم . وانصرفوا بذنائهم ورجالهم . وذريتهم وأطفالهم .
وخفوا من أثقالهم . وبخل جماعة منهم في عقد الذمة . وتمسكوا
بحبل العصمة . وانتقل الباقون الى انطاكية . وايقنوا انهم وجدوا
بعد رسوم السلامة العافية العافية . ورتب السلطان جماعة من
خواص مماليكه . وأخرج من القلاع أهل الكفر وأسكنها التوحيد
مصنونا من الاشراك وتشريكه . ثم ولى بها سنقر الخلاطي
مملوكه . وقد عرف حسن سيرته وأحمد سلوكه . فتولى الرعاية
كافة بالرعاية والكفاية . وانتهى الى غاية في نهى أولى الفواية .
واقام جاليا للغاية . عالي الرأي والراية . وركب السلطان الى
البلد وطافه . وهز إلى إحسانه أعطافه . وأبنى الى عدله قطافه .
ووفر الطافه . وأصفى نطافه . وامنه بعد ما أخافه . ورأيتها بلدة
واسعة الافنية . جامعة الابنية . متناسبة المعاني . متناسقة
المغاني . قريبة المجاني . رحيبة المواني . في كل دار بستان . وفي
كل قطر بنيان . وقد أبى الله أن يكون للكفرة منها جنان . أمكنتها
مخرمة . واروقتها مرخمة . وعقودها محكمة . ومعالمها معلمة .
ودعائمه منظمة . ومساكنها مهندسة ومهندمة . وأماكنها ممكنة .
ومحاسنها مبينة . ومراتبها معينة . وسقوفها عالية . وقطوفها
دانية . وأسواقها فضية . وأفاقها مضية . ومطالعها مشرقة .

ومرابعها موزقة . وأرجاؤها فسيحة . واهواءها صحيحة . لكن
العسكر شعث عمارتها . وأذهب نضارتها . وأزعج ساكنيها .
وأخرج قاطنيها . وملك دور المشركين للموحدين . وطهرها من
رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من عدة من الامراء الزحام على
الرخام . ونقلوا منه أحمالا الى منازلهم بالشام . فشوهوا وجوه
الاماكن . ومحووا سني المحاسن . وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة .
نفيسة قديمة . بأجزاء الاجزاع مرصعة . وبألوان الرخام مجزعة .
وأجناس تصاويرها متنوعة . وأصول تماثيلها متفرعة . وهي
متوازية الزوايا . متوازنة البنايا . قد تخيرت بها أشباح الاشباه .
وصورت فيها أمواج الامواه . وزينت الاخوان الشيطان . وعينت
لعبد الصلبان . ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها . وشوهوا
أعلامها . وحسروا لثامها . وكسروا أجرامها . وأهدوا الاسى لهد
أساسها . وأفاضوا عليها لباس ابلاسها . وحكموا بعد الغنى
بافلاسها . وافتقرت وأفقرت . وخربت وتربت . ثم لما طابت
النفوس . وتجلى عن البلد بفتح البوس . عاد الى هذه الكنيسة
بالأمان القسوس وهي متشوهة متشعثة مستمسكة بأركانها
وقواعدها متشبهة . ولقد كثر أسفى على تلك العمارات كيف زالت .
وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت . ولكنما زاد سروري بأنها
عادت للاسلام مربع . ولسروحه مراتع . ولجموعه مجامع .
واشموسه مطالع . فلو بقيت بحليها وحالتها . بعد ما تبدلت رشداه
من ضلالتها لشاقت وراقت . وكما أفاقت فاقت . وشأت البلاد اذا
شاءت . لكنها ساءت لما أساءت . ثم أعادها الاسلام الى أحسن
حاله . وجلالها في السناء أسنى جلاله . ورغب في إعطاء الجزية سكان
البلد من النصارى والارمن . حبا للوطن وسكونا الي السكن . فأض
مأمول الجني مأهول الجنب . وعاد بتجار البحار مملوء الرحاب .
وتبدل بالابدال الاخيار . والارباب الابرار . من بعد الكفار الفجار .
والاشرار أهل النار . وكانت شواني صقلية . قد قابلت في البحر
اللاذقية . طمعا في امتناعها . وطلبا لنياه عنها ودفاعها . فلما
خابت خبت نارها . وباخ أوارها . وقصدت لجهلها اخذ مركب من
يخرج من أهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها . فامتنعوا عن

الانتقال . وأمنوا بعقد الذمة على النفس والمال . وكان السلطان يوم
الرحيل من اللاذقية راكبا عند ميناها . وقد حصل من ترتيب العمارة
مناها . فطلب مقدم تلك الشواني أمانه . ليصعد ويشاهد سلطانه .
فأمنه حتى صعد . ولو أسلم ذلك الشقي لقلت سعد . ولما حضر
الكافر عفر وكفر . وتروى ساعة وتفكر . وأحضرنا الترجمان .
وأدى عنه البيان . وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم . وملك
رحيم . وقد شاع عدك . وذاع فضلك وقهر سلطانك . وظهر
احسانك . فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فأمنت وأفضلت
عليها وأحسننت . لما كنت قيادها . اذا أعدت بلادها . وصاروا لك
عبيدا . واطاعوك قريبا وبعيدا . وان أبيت غير الغيرة والاباء .
ودمت على اوراق الدهماء واهراق الدماء جاء من وراء السبعة
البحار من يسد فضاء السبع الطباق . وأفاق للتناصر على دفع هذا
الخطب نصارى الآفاق . وثار الروم لروم الثار . وخرج الفرنج
أنفارا للاستنفار . وسار ملوك ذوي الاقانيم . من سائر الممالك
والاقاليم . واتي الآتي . ولايقاوم القدر المأتي . وهؤلاء أهون
منهم . فاتركهم واصفح عنهم . فقال السلطان: قد أمرنا الله بتمهيد
الارض . ونحن قائمون في طاعته بالفرض . وعلينا الاجتهاد في
الجهاد . وامثال أمره فيه بالانقياد . وهو الذي يقدرنا على فتح
البلاد . ولا تكثر الاساد بكثرة النقاد . ولو اجتمع اهل الارض .
ذات الطول والعرض . لتوكلنا على الله في البقاء . ولم نبال بأعداد
الاعداء . فلما سمع ما فهمه من نجهه . ذهب بعد أن صلب على
وجهه . وركب بكربه وكر بركبه . ولم يغن خطابه عن خطبه .

ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى . والهدى في
نصره بين أنصاره يتهاذى وقد تيقنا أن الفتح لا يتمادى . وان العزم
عن الفداء بالمهج في سبيل الله لا يتفادى . وأخذنا على سمت
صهيون . وهو حصن يفوق الحصون . ويفوت العيون وطلبنا كما

يطلب الدائن المديون . ونحن للكفر مميتون . وللإسلام محيون .
وكان الطريق اليه في أوبية وشعاب . ومنافذ صعب . ومضايق غير
رحاب . وأوعاث وأوعار . وأنجاد وأغوار . وقطعنا تلك الطرق في
يومين . ووصلنا ليلة الثلاثاء بليلة الاثنين . وخيمنا على صهيون
يوم الثلاثاء التاسع والعشرين . ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي
قلعة على ذروة جبل في مجتمع واديين . بها محيطين من جانبين .
والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق . والقلعة ذات
أسوار خمسة كأنها خمس هضاب . ممتلئة بذئاب سفاب . وأسود
غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء من نواحيها الاربع .
وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامتع . ونقل السلطان
خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في محاصرة القوم .
وقامت أسواق الاقواس للمزون في مغالة السوم . وتوفرت سهام
السهم من المقل . وتبدت بنات الكنائن من الدم القانيء حمر
الحلل . وأسقطت حوامل المنجيقات أجنة الصخور . وكشفت صدور
الكنانيات أكنة الصدور . وظهر سرا لاسراء . وكثر مرء الرماء .
وزخر دأماء الدماء . وطارت الحجارات . وحجرت الطيارات .
ودارت حميا الحمام على أولئك . واستنجدت ملوكنا الملائك .
وأدامت اليهم المجانيق والجروح والقسي الرمي المتدارك . وأقام الملك
الظاهر غازي صاحب حلب منجنيين . ونهـج بهما من جانب
الوادي الى رديء الاعادي طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد
العالي . والجد الوالي . والعزم الماضي . والحزم القاضي . والسعي
الناجح . والرأي الراجح . والبأس البالغ . والسطو الدامغ . فانه
اتصل بنا قبل الوصول الى جبله من طريق حماه . وقد استصحب
الكمة الحماة . ومعه الرجال الحلبية . والمنجنيقية والجرجية .
والجاندارية والخرسانية فأظهر على صهيون اليد البيضاء . وكسب
الذكر والثناء . وأنار في فضاء الفضائل وأضاء . ودام القتل على
المكان من جانبه . ومن جانب السلطان . والملك الظاهر في تظاهر
ملكه . وتضافر سلكه . وريعان اقباله . وعذفوان جلاله . وشباب
رهان مجاراته . وشبا برهان مباراته . وابراق عوده . واشراق
سعوده . وغرة عزته . وميعه منعته . وصدر تصدده . وشرخ تأمره

وتشمرة • وقد وصل في أول نشاطه • ونشوء اغتباطه • وفتاء
فتوته • ورواء رويته • وارتقاء ارتفاعه • وايفاع يفاعه • وترعرع
سنه • وترعرع ركنه • وتسامي سيادته • وتراقي سعادته • واجد
لعز العزم الجد • وأعد لري الرأي العد • واستلذ في سبيل الله
نصبه • ورفع المنجنيق ونصبه • وجعل لرجاله نوبا • ولأحواله
رتبا • والقم أفواه كفاته حبرا • وأجرى في الحق من الحجارات
الجاريات من منابعه نهرا • ورجم الحصن الزاني رجم الحصن •
وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر • قلله درالمسيء المحسن •
ومازالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي • والحنايا بسهام المنايا
تصمي • حتى قتلت مقاتلة الحصن • وهان بمادب فيه من
الوهن • وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة • وطما
بحر العسكر بأمواله الزاخرة • وازبحم الناس في الزحف كأنهم في
الحشر بالساهره • وهاج الشباب • وماج العباب • وتسابق ذوو
الجرأة والقوة • وتلاحق ذوو الحمية والنخوة • وكان في قرنة الخندق
عند خرقة الى الوادي موضع لم يكمل تعميقه • ولم يتم توثيقه •
فتطرقوا من تلك القرنة الى القنة • وتسوروا السور وتسلقوا •
وتقلعوا الى القلعة وتعلقوا • وتملكوا الذروة • وامسكوا العروة •
واستولى على أهلها الرعب • واستشرى بهم الكرب • فتعادوا الي
القلة • وتقادوا من الخوف لامن القلة • وملكت عليهم ثلاثة أسوار •
بما فيها من متاع وشوار (٢٥) • ونعم وأبقار • وصاحوا
الامان • وبذلوا الانعان • ونادوا مكنونا من السلامة وتسلموا
المكان • فما امنوا على المال والنفوس • حتى قررنا عليهم مثل قطيعة
القدس • واغلقت دونهم الأبواب • وسير إليهم النواب • وما استقر
خروجهم حتى استخرج منهم القرار • وجبي الدرهم والدينار • وعم
الكبار والصغار الصغار • وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار •
ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله • وسائر ماحواه من ذخائره
وأمواله • الى الامير ناصر الدين المذكورس بن خمار تكين • اسد
العرين وامير المجاهدين • المقدام الهمام • والمطعام • فالقى الثغر
سداده بسداده • وامرع به مراد مراده •

ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة العيد • ويوم الاحد قلعة الجماهريين •
ويوم الاثنين حصن بلاطنس وندب الى كل حصن من تسلمه .
وسلكه في سلك الفتوح ونظمه .

ذكر فتح حصني بكاس والشعر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية ، ومشية
الله جارية على موافقة ماله من المشية . ونزل على العاصي في طاعة
الله والنصر قد نزل . والكفر قد اتخذ . يوم الثلاثاء سادس
الشهر . وبحور السوابح في غدران السوابغ مائجة على ذلك النهر .
وحكم السلطان في القهر ماض بانن الله على الدهر . وتسلم حصن
بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور ، وشكا الشريك نكاية حد
بأسنا المشكور . وحول خيمة خفيفة الى الجبل ، لحصار قلعة
الشعر • وهي قلة شامخة من أعلى القل • على هضبة منقطعة .
عالية مرتفعة • ومن نواحيها واد • خاف من العمق غير باد • في
أعماق ووهاد • وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها •
واخذ من العوادي موثقها • فما اليها طريق ولا عليها طروق •
ولا فيها للطمع علوق • ولا للسهم اليها مروق • ولا للزحف فيها
مقطع • ولا للذر نحوها مطلع • ولا للطير في مراحها وكر • ولا للمكر
في افتتاحها مكر • ولا للوهم في توقلها مجال • ولا للفهم من تصورها
منال • ولالها بمن يحتفل بها احتفال • وما عليها للنازلين عليها
قتال ولا نزال • ولا يتغير لها مع تغير الاحوال حال • وصعب شغل
الشعر • واشتغل فكر الكفر • ولم ير السلطان طريقا غير الرمي
من المنجنيق • لعله ينال جميعها بالتفريق • وداومها بالحجارات
أياما • ولكم سددها مرمى ومراما • فلم تعبأ بأعبائها • فإنها

ترامت عن رمائها • وابت الا ثباتها وثبتت على ابائها • وأعيا
اعضال دائها • واستفحال بلائها • وخام الرجاء بالارجاء عن
ارجائها • ولو لم يضجر حاميتها لضجر راميتها • وسدئ سائمتها
لتساميتها • لكنه وهي جلده • وهوى خلدته وخار قلبه • وحار لبه •
وخاف من الاقامة • وخاب من السلامه • وارتاح الى الراحة •
وسما الى السماحة • وعاج الى الانزعاج • وعاد لداء خوفه في
الاستئمان يطلب العلاج • ودعا الى الدعه • والخروج من الضيق
الى السعة • فبيننا نحن في ترو وتفكير • وتخير للرأي وتدبر •
ونقول هذا حصر يشدد • وأمر يمتد • وعمل يصعب • وأمل
يتعب • ومعقل لا يختل ومعقد لا يحتل • ومقصد لا يدرك • ومورد
لا يملك • ومكان لا امكان لفتح • ورجاء يطول الزمان في تطلب
نجه • اذ خرج من الحصن من يضرع في الأمان ويمتري ضرع
الامن • فشكرنا الله على تسهيل المتوعر • وتيسير المتعسر •
وتحصيل المتعذر • وتلقيح الرجاء من الياس • وتذقيح مناط حكم
الصحة عند اضطراب علة القياس • وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم
الثلاثاء • وسألوا في مهلة ثلاثة أيام والارجاء • ليخبروا صاحب
انطاكية ويستأننوا • ويقبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن
ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك
مقفر والشجر شاغر • والكفر صاغرو فسم القهر منا لهم فاغر •
والاسلام قد ثلم ثغر من هو له مئاغر • والحصن البكر مفتزع •
والدين المتأصل بشعب النصر متفرع • وطلع العلم الى ذلك العلم
الطالع • وانتقم الهدى الضليع من الضلال الظالع • وكأنما عذبات
ذلك الراية مقال الداعين ، وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع
الواعين ، وعاد الحصن أهل بأهل الاحصان ، وصافح بأيدي الأيد
ايمان ذوي الايمان • فابتسم عن النصر ثغر الثغر • وفرغ القلب من
شغل الشغل ، وسلم هو وحصن بكاس ، الى غرس اللين قليج
الساقى عدوه الموت بكاس الباس • وانتقل السلطان يوم السبت الى
مخيمه والاقبال جاثم في مجثمه • وسرى ولده الملك الظاهر الى قلعة
سرمانية ، وأرهق فيها الفجرة الجانية ، واستطلق منها البررة
العانية • وقطف مجانيها الدانية ، واخلى مغانيها الغانية ، وماقطع

قرارها حتى قرر عليها قطيعه . وكلفها ماكانت له من المال
مستطيلة • ولم تزل عاصية بطوعها فصارت كرها مطيعه . ثم خرج
حتى خربها عاليها • وعطل حالها • وانجلى ثاويها • وانتأى
جالها • وبقيت دمنة دائرة • ودمية عائرة . ورسمها عافيا • ورقما
خافيا • وربعا باليا • وصقعا خاليا • وعادت دارا دارسة •
مستوحشة بعد أن كانت آذسه • وكان فتحها في يوم الجمعة الثالث
والعشرين . فأخلى الله من السباع الضواري ذلك العرين • ومن
زواد أطفاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية • في أيام
الجمع الخمس المتوالي • بآء فيها لنصر أهل الجمعة بذل أهل
السبت أهل الأحد واصبح التوحيد على التثليث قاهر الأيد . ظاهر
اليد •

ذكر فتح حصن برزية

وسرنا الى قلعة برزيه • وسرنا سار • ودرالظفر لنا دار . وهي
احصن القلاع وافرعا • واحسن التلاع وارفعها . واسمق
الرواسي واسماها واسئم الرواسخ واسناها . وكان السلطان سبق
اليها واشرف عليها . ثم استدعي الذقل واستحضر . وجمع بالفضاء
تحتها العسكر . وذلك رابع عشري الشهر يوم السبت وقد تهيأت في
العدو اسباب الكبوة والكبت . ثم تجرد يوم الاحد في العدد
والعدد . ورقى الى الجبل . مع ابطاله النبل ، فرأيناها قلعة شماء
في الذرى . لاتكاد من سموها ترى . وهي على سن من الجبل عال .
مترامية في السماء ارتفاعا ، وقيل قدر علو ثلاثة فكان خمسمائة
ونيفا وسبعين ذراعا . فأحدقنا بها وبالجبل . وقطعنا عنها متصلات
السبل . ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح . فلم تصافحها
صفائحها . وأبدت لنا صفحة الصفح . فقد بعد مرام مرماها .
وحارت الاوهام فيها وقلنا ماأعلاها وماأسماءها . وتحاجزت عنها
الحجارة فلها من اجازتها بها الاجازه . فما بلغت الى القلعة
قلائعها . ولاطلعت الى التلعة طلائعها . هذا والنجم يلامع بلامعها

وتقارن طوالعه طوالعها . فكأن الصخور سلم نحوورها . فإن
سورتها تنكسر دون الوصول الى سورها . ولما رأى السلطان انه
لا وصول الى نيقها بالمنجنيق . وان الاشتغال به يطيل زمان
التعويق . مال الى الزحف . ولاحف جموعه في ذلك الحف . وذلك في
السابع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء . فقسم الناس ثلاثة
اقسام على السواء . وجعل الذوبة الاولى لعماد الدين صاحب
سنجار . الليث الهصار . والغيث المدرار . والبحر الزخار . والسيد
الحلاحل (٢٦) . والملك العادل في صحابه الصباح ، كفاة الكفاح
وعفاة الصفا . ونفاة الهام . بثبات الاقدام في الاقدام . وشفاة
الاوام بعة الانتقام من الاقوام . واساة ذوي الاساءة باحسان
الحسام . وكساء عرى العراء أربية القتام . ورقاة اراقم اللهازم
وسقاة حوايم الصوارم . والمزاق في حومة الردى رداء المأذق .
والسباق في حلبة الهدى بهوادي السوابق . من كل شارب ماء الوريد
بشفاء الشفار . وضارب هام المريد ببتار التبار . ولاسع بحمة
الحمام في الاسل العاسل عاسل . ولايس لباس الباس كالاسد
الباسر باسل . ومعتقد للدين . للربيني معتقل . ومعتقد على العدو
بعادي معتدل . ومجتاب لبوس البوس على الموت العبوس مجتاز ،
ومجتب لحب المذون لرهون نفائس النفوس محتاز . فانقضوا على
الهضب . وعضوا على العضب . ودام الصفا يد هذه . والصدى
يقهقه . والزاحف يتقدم ويتقهقر . والحافز يخفى ويظهر . والرجال
تتعالى . والحجار تتوالى ، والمصاعد ترقى . والمصاعب تلقى .
والمضايق تولج . والبوائق تخرج . والاكام تفرع والرجام تقرر ،
والصخور تربيد . والجلاميد تميد . ومازالت هذه الذوبة تنازل
وتقاتل وتناضل وتطاول . وترمي وتدمي . وتصمي وتصمي . وترد
وترد . وتصد وتصيد . وتصدم وتصدم . وتقدم وتحجم . وتصعد
وتصعد . وتحمل وتخرج . وتذكو وتنطفئ . وتبدو وتختفي حتى
كلت وملت وانحلت وتخلت . وكانت غلبت . لولا انها لغبت ،
وسمت . لولا انها سئمت ، والغيت هذه الذوبة خاصة ، لاهل
الحصن خاصة ، فانهم تولوا بأجمعهم القتال . ولم يقصدوا للتناوب
الاستبدال . ولما ظهرت في الذوبة النبوة ، وكاد جوادها تناله

الكبوة . تقدم السلطان بنفسه في الذوبة الثانية . والسطوة الدانية . والعزमे النارية غير الوانية . وخف في الثقال من الرجال . وزحف الى الجبل بالجبال . وتضافروا فتطايروا في الاوعار كالاولع . وجروا كالسيول في تلك المسائل . وجروا زيول السوايغ ، على تلك الهواجل . وترقوا في ذراها . وقرروا على قراها ، وتلبسوا بجوانبها ، وتوجسوا من مئاعبها ، وتدرجوا في مدارجها ، وعرجوا في معارجها ، وخرجوا في مداخلها، وبخلوا في مخرجها ، وصارت الجروح تجوزهم . والجروح لاتحوزهم . والسهم تعبهم . والاكام تسترهم . والنخوة تحميمهم . والحمية تنخيهم . وقد نشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم والتحذير من توريطهم وتفریطهم . فمن انقبض بسطه . ومن اعرض ضبطه . ومن اقبل اغبطه ، ومن ادبر أسخطه . ومن تقدم قرظته . ومن تقاعس احفظه ، ومن تناعس أيقظه ، وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا . وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا . فمنهم من تمكن من الطلوع . ومنهم من تكمن للولوع . وتقلبوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع . وعرا اهل الحصن العناء والعياء . وعمهم البلاء . وأدركهم الشقاء . فانهم مازالوا يقاتلون يومهم من غير مناوبة جميعا . فمنهم من صد صديعا . ومنهم من صار صريعا . وظهر فيهم الفتور . وبدا منهم القصور . وجاءت الذوبة الثالثة تالية . واقدمت امدادها متوالية متعالية . وعادت الذوبة الاولى لنشاطها . وزادت في انبساطها . فبلغوا وغلبوا والتهموا والتهبوا . وتعلقوا بالسور . وتسلقوا كالنسور . وطلعت القلعة . وقلعت الطلعة . واقتضت العذرة . واقتضيت النصره . وأعان القدر فقدر الاعوان . ونتجت بالفتح البكر الحرب العدوان . وان اهل القلعة لما ايقنوا انهم ملكوا . طلبوا الامان حتى لايهلكوا . فلما سمع اصحابنا بالامان صياحهم . وعرفوا للضراعة التياحهم والتياحهم . كفوا عنهم انتظارا لما يأمرهم به السلطان . واشفاقا من سبي من يشمله الامان ، وكان جماعة من دهاة الخواص . عارفين بطرق الاقتناص . فظهروا ان السلطان امن اهل القلعة . وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة . وجمعوهم في مواضع وكنايس .

واحرزوا الذفوس والنفائس . وعاد عنهم من حضرهم . على ظن ان
السلطان امنهم وحظرهم . وبقي اولئك الافراد بهم متفردين .
ولتجريدهم للسبي متجربين . وصار ما بالقلعة ومن فيها لهم كسبا
وسبيا . ومارأوا لحق من شاركهم في السعي رعا . وحرموا
ما ارتفقوا به وحرموا الرفقاء . وحازوا دون الغانمين النهب
والسباء . وملك واحد مائة وحاز الري وحلا عنه رفقة ظمئة . ولما
تسنى ذلك الفتح وتها . وتسهل ذلك الصعب وتها . عاد السلطان
الى خيامه . وعادت الايامن بأيامه وكانت صاحبة حصن برزية اخت
زوجة الابرنس صاحبة انطاكية وقد سبيت وخبثت فما زال يطلبها
حتى أظهرها وأحضرها . وكانوا بعد هتك سترها ستروها . فمن
عليها بالاعتاق من الارقاق . وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق .
وأحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأدخلهم معهم
في الاطلاق . وجمع شملهم بعد الشتات . ووصل حبلم بعد البتات .
وشعبهم وقد تصدعوا . واشبعهم وقد تجوعوا . وحظرهم وقد
استحلوا وكثرهم وقد استقلوا ، وحرمهم وقد استبيحوا . ومنعهم
وقد استميدوا . وأحياءهم بعدما هلكوا ، وعصمهم بعد ما هتكوا .
وحواهم وأغناهم وقد افترقوا وافترقوا . وجبرهم ونعشهم وقد
انكسروا وعثروا . وسير معهم الى أنطاكية من أوفدهم على ستها .
فسرت باختها . واعلنت بمقتها من سر مقتها . واذاعت من مضمر
بغضها بمظهر حبها . وجاءها الفرح في غمها والفرح في كربها .
وتشكت لأخذ بلدها . وتشكرت لترك أختها وولدها ، وانعم السلطان
بهذا الحصن على عز الدين بن المقدم . الكريم المكرم والمقدام
المقدم . والعظيم المعظم . والماجد المجد . ابراهيم بن محمد . فإن
هذه القلعة لثغرافامية الجارية . في اقطاعه متاخمة . وهي لها في
السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة .
وسرت هذه البشرى وسارت ودرت هذه النعمى ودارت .

وطارت كتب البشائر . وسرحت على جناح الطائر وفيما كتبت ان
هذه البشرى بما اجده الله من الفتح العزيز . والنصر الوجيز بفتح
حصن برزية الذي برزت له الارض في قشب اثوابها . وتفتحت له

السماء لتنزل الملائكة من ابوابها . بل سافرت به عرائس الايام في
حلى ايامها . واشرقت منه اقمار الليالي في انوار محاسنها . وهذا
الحصن لا يمكن وصف ما هو عليه من الحصانة . وكان حجره في
حجر حضن الحضانة ، وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون ،
وسلبنا اهل الكفر بها من السلامة والسكون ، وفتحنا كل مرتج لم
يكن فتحه مرتجي . ولم يجد من حصل في أسر الدهر به مخرجا .
حتى أتت ايامنا ، وبنى فيه مرامنا . فجاءه عصرنا ، وفجأه امرنا .
ووصل الينا ما هو في الازل نخرنا . وكمل بهذه الفتوحات فخرنا .
وذلك انا فتحنا من حدود طرابلس الى حد انطاكية . وسبقنا بماء
الحديد الجاري في انهار دم اهل النار ، مفارس الهدى الزاكية .
وجلونا بها ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكية . وهذه
الحصون التي فتحناها . والمعقل التي استبحناها ، لو وكلنا الله
الى اجتهدنا في فتح احدها . لتعذر ولو أنجدت عساكر الدنيا
بمدها . لكن الله سهل ويسر . وفتح ونصر . وانزل الظفر ، وان
حصن بزيه لم يكن عليه قتال . ولا للوهم فيه مجال . ولا منصب
عليه لمنجنيق . ولا مسلك اليه لسالك طريق . وحضرنا لحصره ،
متوكلين على الله في امره غير طامعين في فتحه . ولا راجين لنجحه ؟
فانقاد جماعه . وانخفض جناحه ، وساء صاحبه ، وكل سلاحه ،
وتوكل الرجال في ذروته توكل النجوم في الافلاك . ولنصر الله اهل
التوحيد على اهل الاشراك . وفتحناه بالسيف عذوة . ودجا يوم المثلث
عليه يوم الثلاثاء ضحوه . فاننا لما توكلنا على الله في منازلته .
واستعنا به في مقاتلته . نظر الله الى النيات . واعان ذوي العزائم
والثبات . فتعلقوا في الجبل . وتسلقوا الى القل . وسعوا الى الاجل .
في طلب تسني الامل . فكان كما قال الله تعالى : (وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر) (القمر ٥٠) حتى من الله بالظفر . واصفى
الورد والصدر من الكدر . وقد بقيت انطاكية ومالها بقاء ، ولا لها في
الاعتصام رجاء . وقد نقصنا اطرافها . واستبحنا اكفافها .
وشفهن نطافها . وعضدنا من رؤوس اهلها بحدود الصوارم
قطافها . ولم يبق من معاقلها الا القصير ودريساك وبغراس . وقد
تقدم اليها الفاتحان الرعب والباس .

ذكر فتح حصن دربساك

ورحل السلطان وقد نجحت اماله . ورحجت اعماله . وحل اقباله
واقبل جلاله . وعبر عند شقيف دركوش الى شرقي العاصي . وقد
دانت له المقاصد العواصي القواصي . واقام اياما على جسر الحديد
الجساره . شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الربح
وللمشركين من الخسارة . ثم قصدنا دربساك . وجدنا بتأييد الله
في حصره الاستمساك . ووجدناه حصنا مرتفع الذرى . ممتنع
الذرا ، قد جاوز الجوزاء . وناجت ارضه السماء . وكان عش
الداوية بل عزيمتهم . وطالما اطلال في التعدى أيديهم وعرائنهم .
وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون .
وركزوا بسكنى هذا المعقل الى السكون . فلما اشرفنا عليهم اشرقوا
على المذون . ونزلنا عليه يوم الجمعة ثامن رجب . وقلب الكفر قد
وجب . ووفرت المنجنقيات سهامهم من سهامها . وصوبت اليهم
مددات مراميها ومرامها . وراميناهم بها ليلا ونهارا . وارسلنا اليهم
امثال قلوبهم ووجوههم احجارا . وكنا لا نذر في ارضها التي هي
في السماء من الكافرين ييارا . وتركنا ناسه بالحجارة صرعى .
واسمنا من نحورهم ووجوههم بيض النصال في حمر المرعى .
واصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب وقد شارف الفرنج الشجا
والشجب . ووجه نجاتهم قد احتجب . وقد وقع بالنقب برج من
الصور الخارج . وظهر فيه عروج الدارج ودروج للعارج . فطلبوا
على مراجعه انطاكية الامان . وان ينزلوا ويتركوا بكل ما فيه
المكان ، فأجيبوا الى ذلك على قطيعه . وردوا ما كان للاسلام معهم
من وبيعة . وتسلم الحصن بما فيه ثاني عشري الشهر يوم الجمعة
واصبح بهذا الافتح جماح الحصون الممتنعة .

ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكرة يوم السبت الى بغراس وقد ضايقنا الاعداء وضيقنا منهم وعليهم الذفوس والانفاس . وهي قلعة من انطاكية قريبة . وانها في الشدائد لدعائها مجيبة . ورايناها راسخة على رأس راس . شامخة على عاص عاس . ارضها في السماء . وجوازها على الجوزاء . متوغلة في الشعاب ، متوقلة على الهضاب . منسحبة في السحاب . مضربة بالضباب ، مربة على الرباب . متعلقة بالنيرين . متساقة الى الفرقدين . محاذة الى الذرين . ولا مطمع نحوها لطالع . ولا مطلع فيها لطامع ، ولا مطمع للامح . ولا ملمح لطامح . وهي للداوية وجار ضباعها . وغاب سباعها ودار دوائرها . وغار مغاورها . وغيل غوائلها ومنزل نوازله وجعبة نبالها . وهضبة رثبالها ، ومذب ذئابها ، ومذب ذبابها . وكوارة زنابيرها . ومغارة خنازيرها . ومرقب صدورها . ومرقد لسورها . ومكندس وحوشها . ومعرش جيوشها . فخيمننا بقربها في المرج . وقد انارت من مشرعات اسننتنا في ظلماء نقع خيلنا مشعلات السرج . وتقدم من العسكر جمع كثير . وجمع غفير ، وخيم بين انطاكية وبينها . ووكل بها ناظر يقظته وارقد عينها ، فأقام على سبيل اليك . ودخل في حفظ جانبها في الدرك . وسار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا . ويسومها من الغارات عسفا وليس بينه وبينها الا النهر ، ومقابل رجسها منه الطهر . وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجبل . ووقف بازاء الحصن وقوف المشتاق على الطلل . فنصب عليه المجانيق من جميع جهاته . وصبوب لقم الحجر الى لهاته ووافق أمره بالاذعان على خلاف نهاته . وقلنا للمقيم به خذ الامان وهاته . وما زالت الحجارات تناوبه ، وصدى الصفا بالذكاية يجاوبه . والصخور فيه تتواقع ، والبلايا اليه تتابع . فما شعرنا الا بانفتاح بابه . وألجأ جماعة اصحابنا عليه جماحة الى اصحابه . وخرج مقدم الداوية يستأنن في الحضور . ويسأل الامن من المحذور والحل من

المحذور . ويقول انما قنينا بغراس بغراس القنا . وبنينا على حصونها من القنطاريات أحصن البنى . والمعقل لا يحميها الا معتقلوها . والبلاد لا يحفظها الا اهلوها . وما في هذا الحصن الا مقدمان . ومالنا بمقاومتكم يدان . وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان . وتسلمت القلعة كما تسلمت اختها دربساك بالامس . وسلمها الداوية طائعين فعجبنا من انقياد اولئك الشمس . وابادوها لنا وكانوا يغارون عليها من طلوع الشمس . وأنار في مطلعها سني السجق المنصور . وأذن المتطاول فيها من تطاولنا بالقصور . وذلك في ثاني شعبان . وسر النصر فيه شاروبان . وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سليمان . وكان صاحب حصن عزاز . وقد حاز الغنى به وفاز . وما كان في الامراء الا كابر من لا يدعي سواه الاعواز فالزمه بهما ليعتني بحفظهما ، وحضه من عصمتهما على حفظهما ، فتسلمهما بنخائهما . واطلع من النفائس على مستودعات ضمائرهما وكانت حينئذ انطاكية قد اسعر غلتها سعر الغلة . وقل ساكذوها لما كانوا فيه من القلة . والفراة تساوى اثني عشرة ديناراً . والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا ، وحزنا ما في بغراس خاصة من الغلة ، سوى ما فيها من تفضيل الاقوات والجملة . فكان تقدير اثني عشر الف غراوة . فحصل سليمان من منبج هذا الملك على غزارة عن غرارة . فقلت كأني به وقد نقل هذه الغلة الى انطاكية وباعها ، واعرض عن متاعب الاخرة وحوى من الدنيا متاعها . وانهب الغلة بذهب يغله . ويستحلي مر هذا السحت ويستحله ، ثم يستعفي من حفظ الثغر ويشير بتخريبه . ووقع لي فيه من الظن ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه .

ذكر عقد الهدنة مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالسر المصون . عول على قصد انطاكية فإنها كانت مريضة على شفا

ورسم قوتها قد عفا . وخلق ثيابها قد اشفى . والدهر قد انتقم منها واشتفى . ووجه الفلاح عن اهلها قد اختفى . فلو صدقها وقصدها لحص (٢٧) دعائهما وحصدها ، وكان الابرز صاحبها قد عجل بارسال اخي زوجته . يسأل في سلم يعود ببقاء بهجته وسلامة مهجته ، وعقد الهدنة على بلده وأمن على مافي يده وذلك لثمانية اشهر من تشرين الى آخر أيار . ووافق من السلطان الاختيار لكون انقضاء الهدنة قبل ادراك الغلة وأوان حصادها . فلا يقدر الفرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لكامل الغبطة لنا في الحرب ووفور الربح . لكن العسكر الغريب مل الاقامة . وأبدى السامة . واراد السلم . وقيل بهذه المدة من الهدنة لاتزداد انطاكية قوة ولا تستجد جده ولا يرجى لها عدة منجدة ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عده . واما حصونها فقد حصلنا على عسلها . وقتلنا نحلها . واما هي فنعمل فيها بقول الله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (الانفال ٦١) وشرط على صاحب انطاكية اطلاق من في الاسر من المسلمين . واستوفى رسولها على عقد الهدنة اليمين . وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقذ للاسارى منقذا ، وللاوامر منقذا . وعلى المقاصد مستحوزا ، وسار السلطان ثالث شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب ، وفاز من الفتوح بما طلب ، واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وسلب وخب

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي
وعساكر البلاد . وعود السلطان الى دمشق بنجاح
المراد

ولما رحل من بغراس وقف لعماد الدين وداعه لوداعه ، وشيعه بكرامة كرام أشياعه ، وخصه بعد ماسير له من الخيل والخير بخلع خواصه وأتباعه ، وأناله منه حسن اصطفاؤه وحسنه اصطناعه ، ولم ينفصل منهم الا من وصل بصلة ، وخلعة

مجملة ، وحرمة مكملة ، ووعد جميل يرغب في العود ، وجود جزيل
مذسكب الجود ، وذلك سوى ماغنموه من كسب وكسبوه من
غذم ، واستطلاقوه من رسم واستجزلوه من قسم ، وملكوه من رق
سبي . وادركوه من حق سعي . وأجدوه من غرض . وأدوه من
مفترض . وأحيوه من حسنة النصر ، وأماتوه من سيئة
الكفر ، واستضافوه من فتح ، واستفاضوا به من نجح . وسار
السلطان في عسكره ، حامدا الله في مورده ومصدره ، وارتاح الى
العبور على أرتاح ، وامتار لها اليمن بافتقادها وامتاح ، ووصل
الى حلب وحلب احتفالها بوصوله حافل ، والملك بها للاهتزاز
بقدمه في ملابس البهاء رافل ، وبخلناها وقد خرج كل من بها
للتلقي ، مستبشرين بالاقبال المتضاعف المترقي ، وشاهدنا من
النظارة عيونا للمحاسن ناظرة ، ووجوها ناضرة ، وقلوبا
حاضرة ، وألسنا شاكرة ، وأيديا في بسطها الى الله للابتهال
بالدعاء متظاهرة ، واقتضت حركتنا الى الشهباء لساكنيها سكون
الدهماء ، وأقام بقلعتها أياما يسيره ، وألفى ولده الملك الظاهر أسر
احسانا وأحسن سيرة . وقام به وبالعسكر مدة المقام ، واتسقت
الأمور بأوامره على النظام . ولم يرحل الا وقد خص عوامنا
وخواصنا بالانعام الخاص والعام ، وأبان عن كل منقبه ، وأعان
بكل موهبة ، فما رآه والده مذحل بحلب الا في أجمل حلية وأكمل
حاله ، وأجلى بهجة وأبهى جلاله ، وقد أجد لعينه ولذفسه قرة
وقرارا . وأعد لعزمه ولحزمه استنصارا واستبصارا ، ثم انفصلنا
عن حلب منقطعين الى مواصلته بالدعاء ، قاطعين طرقنا المتصلة
بدليلي الشكر والثناء ، وتذكينا طريق المعرة ، بسالوك طريق
المعرة ، وأوفيناها بالمبرة الموفية المبرة ، وتيمن السلطان بزيارة
الشيخ الفقيه الزاهد التقي . ابي زكريا المغربي . وهو مقيم في
مسجده ، عند قبر عمر بن عبد العزيز ومشهده ، وقصده السلطان
على فراسخ ، ولقي منه في الحلم والوقار الطود الراسخ واهتدى
بسجايه ، واقتدى بوصايه ، ووصلنا الى حماة . وبتنا بها ليلة
واحدة ، ولم نر رعيتها لما شملها من الرعاية جاحدة ، فان الملك
المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، قد كشف عنها

بأياته الكروب ، وملك القبول من أهلها والقلوب ، وأعاد لها
بالعمارة العمرية عمرا جديدا ، ومد عليها من مهابته ومحبتة ظلا
مبيدا ، وكانت قلعة حماة لاتعد في القلاع المعدودة المحمية ، ولا تذكر
مع المعازل المرعية المرضية ، وهي ذات تل متبطح ، غير مترفع
ولامتسحف ، فلما تولاهما تقي الدين قطع من التل ما كان
متواطيا ، وأتلع من التلعة جيذا عاطيا ، وعمق خندقها في الصخر
وحصنها على الدهر . وبنى فيها الدور المرخمة ، والأروقة
المهندسة المهندمة ، وحصنها وأعلاها ، وحسنها وحلاها ، وزينها
بكل زينة ، وأعاد حماة ذات قلعة حصينة ، فاضلة في الشام كل
مدينة ، فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة ، وسر بما رأى لها من
الحصانة والرفعة ، ووقف الملك المظفر لعنه ، وجرى في الخدمة على
رسمه ، وحضرنا وأمير المدينة النبوية معنا ، والسلطان قد أجالسنا
بحضرته ورفعنا ، والنادي قد جمعنا ، والشادي قد
اسمعنا ، والأغاريد تطرب ، والأناشيد تعرب ، فما ان فصلنا تلك
الليلة الا عن علم نشر ، وشرف انتشر ، وفضل سني . وعدل
احيي . ورسم نائل للسماح واجري ، وزند سائل بالنجاح
أوري ، وسني جد أعلي ، وجني جود أحلي ، وقرأ لذوي الحاجات
القصص ، وأزال من الظلمات الغصص ، وأنال لذوي الخصاصات
الحصص ، وأصبحنا على الرحيل ، ووصلنا العنق بالذميل
(٢٨) ، وعبرنا مغنين على حمص وزدنا في الوصول الى دمشق
على طريق بعلبك الحرص ، وجئناها قبل شهر رمضان
بأيام ، وركنا الى ما أذنسنا به من مقام ، وتجمع بنا شملها ، وتهلل
باستهلانا أهلها ، وقلنا نصوم مع القوم ، ونقيم مدة الصوم ، فما
لبث السلطان ولا مكث ، ولا نقض عهد عزمه على الغزاة
ولا نكث ، وقال لانبطل الغزوة ، ولا نعطل هذه الشتوة ، وقد بقيت
صافد وكوكب وأخواتها ، وبطول مضايقتها فنيت
أقواتها ، وقواتها ، ففتنهم فرصة فتحها التي لا يؤمن
فواتها ، وخرج من دمشق في أوائل شهر رمضان . وحد عزمه
رميض . ولبارق سعده وميض ، وفضله مستفيض ، ووجوه الأيام
لأيايه البيض ببيض ، وإسان الدهر في ذكر سيره وتسجير ذكره

مفيض ، وجناح الكفر بجناح رجائه ورواج مناجحه
مهيض ، وحديث اقدامه القديم والحديث طويل عريض .

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصن الكرك ، وذلك ان
مدة غيبتنا في بلاد انطاكية ، لم تعد من محاصرتها المضايقة
الناكية ، وكان الملك العادل اخو السلطان مقيما بتبنين في
العساكر ، محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر ، مقويا
للأمراء المرتبين على الحصون ، حافظا على الدهماء بحركته في
الأمور عادة السكون ، وكان صهره سعد الدين كمشبه الأسدي
بالكرك موكلا ، وبأهله منكلا ، وقد غلق رهنه وبقي داؤه
معضلا ، وأمره مشكلا ، حتى فنيت ازواجهم ونفدت
موادهم ، ويئسوا من نجدة تأتيهم ، وأمحت عليهم مصايفهم
ومشاتهم ، فتوسلوا بالملك العادل ، وأبدوا له ضراعة
السائل ، وتذرعوا بوسائل الرسائل فما زالت الرسائل
تتردد ، والاقتراحات تتجدد ، والقوم يلينون والعادل يتشدد ، حتى
دخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم ، وسلموا الحصن وتحصنوا
بالسلامة ، وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة ، وكتبت
عن السلطان في بعض البشائر ، ما ألهم بحلاوته عن أرى
(٢٩) الشائر ، وهو انا لما عدنا الى دمشق رأينا ان
لا نستريح ، ولا نثني عن كسر العدو عز منا الصحيح ، فقلنا نغتم
هذه الشتوة ، ونستكمل الحظوة ، ونواصل بالغزوة
الغزوة ، ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب
قلوبا وعساكر ، وأبقت لاهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر ، وببين
صدق هذه العزيمة ، والاستمرار في الجهاد على الشيمة ، وردت
البشرى بأن حصن الكرك عاد إليه بعد الجماع الأصحاب ، وخرج
منه الفرنج وبخله الأصحاب ، وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث
نفسه بقصد الحجاز ، وقد نصب اشراك اشراكه منه على طرق

الاجتياز ، فأذقناه عام أول كأس الحمام ، وملكنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام ، واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام ، وتم بجل هذا البيت أمن البيت الحرام ، وقد كان هذا الحصن نذب الدهر في ذلك الفج ، وعذر أهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا ، وساق الى عقائله الرجال مهرا ، فالحمد لله على ما قدر من الحسنى ، ويسر من النعمى ، حمدا يكون لما قدر ازاء ، ولما يسر جزاء والحمد لله الذي انجز صادق عداته ، في كاذب عداته .

ذكر محاصرة صدد وفتحها ، وادراك السعي فيه ونجحه

وقطعنا مخاضة الأحزان خائضين في بحار المرات المتواصلة ، راكضين الى مضمار المبرات الحافلة . والسلطان سائر والجنة تحت رايته مفتوحة ابوابها ، والنصرة فوق ألويته مشدودة اسبابها ، في اطلاق ابطال اذا أوعاها الفجر لم يسعها الى عشائه ، واذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه . ونزلنا على صدد . والصبر قد نفذ . والنصر قد وفد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وقد ، وجاء الملك العادل وظاهر اخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشد بال رأي والحزم ما الزمان أرخاه ، وبعث كل ذي عزيمة على التصميم ونخاه ، وشرعنا في مراومة القلعة ، ومساومة السلعة ، وجثت المجانيق لاجتثاثها وحديثها بألسنة أحداثها ، ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وسمت الى هضاب تلك الابراج الراسيات ، وأمطرت عليها حجارة ، ولم نعطها من العذاب الواقع بها اجازة . فما رفع بها الحصن الراسي رأسا ، ولا الحجارة مست منه ركنا ولا النقبوب باشرت أساسا ، ودامت المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها ، والنقب لم يكشف نقب السور عن وجوه فرنجها ، ودمنا عليها ، الى ثامن شوال ، ونوعنا في افتتاحها الاحتياي ، حتى انن الله في الفتح

فسهل ماتصعب ، وحضر ماتغيب ، وظهر ماتحجب ، وتيسر ماتعسر ، وامكن ماتعذر ، وتأتى ماتأبى ، وأجاب نداء الاسلام ولبى ، وعلموا ان صفد ان لم تخرج من ايديهم دخلت ارجلهم في الأصفاد ، وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالأساد ، ونزلوا من سماء العز الى ارض الهوان ، فأذعزوا للضراعة وتضرعوا بالاذعان ، وأخرجوا اسارى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الامان ، وصارت صفد المسلمين صدفا ، وكانت بالمشركين هدفا ، وعادت للاسلام سدا ، بعد ان كانت للكفر ردا ومردا ، وطالما مكث فيها المشركون و (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (البقرة ١١٦) (لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) (مريم ٨٩ - ٩٠) ، ولقد كانت مارنا للكفر جدع . ومرفقا للشر قطع . وناظرا للعدو غص . وقد شخص ، وجارحا له هيض وقد قنص ، ويذا للباطل شلت ، وقد امتدت ، وعقدة للضلالة حلت وقد اشتدت ، وتخلصت الداوية بادوائها ، وتملصت بأسوائها ، وصاروا في صور ، وأبدوا بعد استطالتهم القصور .

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس
عليهم التدبير

لما عرف من بصر من الفرنج ان صفد لنا صفت . وانها على الفتح الذي يشفي اشفيت . قالوا لم يبق لنا الا كوكب . وان صلاح البين عن قصدنا لا يتنكب . وقد أقوت من القوة . وهي تهى ان لم نعالجها بالنجدة المدعوة . وقد ضعف رجاؤها لضعف رجالها . وقل ظهورها لظهور اقلالها . وهذا أوان انجائها وانجاءها . وهي مشرفة على العدم فدبروا في انجاءها . فاذا قوينها وحميناها بقيت عدة في العواقب . وعصمة من الذوائب . فقال مقدم الاسبتار هي كوكبنا المتلالي . ومذكبنا العالي . ومعقلنا المحكم . ومعقلنا المبرم

وحصننا الحصين . ومكاننا المكين . ولنا منه المربع المربع . والمنبع
المنيع . والمحل المحلى . والمعلم المعلى . وهي قفل من البلاء على
البلاد . وموئل من الخطوب الشداد . ولعلها تثبت إلى أن توافينا
من البحر ملوكتنا . وتعود الى عادة الانتظام سلوكتنا . فما تبطل
جداتنا . وما تخطي نجداتنا . واجمعوا على تسيير مائتي رجل من
النخب . المعين لدفاع الذوب . من كل جرخي نخي . وكمي
أكمي . وجهم جهنمي . وسقر سقري . ووعل جبلي . وبطل باطلا .
وكلب كلب . وذئب سغب . وعاسل معاسر . وباسل باسر .
ومغوار مغو . ومتلوم متلو . وزمر متزمر . وزمر متزمر . وسبع
ضار . وشواظ من نار . وجمر من الجحيم . وحام من الحميم . من
شياطين يجزون الجزون . ويمزون المزون . ويشيذون الشؤون .
ويهدون الهدون . ويحزون الحزون . ويفوتون الفتون . ويظنون
بالله الظنون . وقالوا لهم: كيف تمضون وطريق السلامة مخيف
وطارق الاسلام مطيف . والشجامنيف . والشجب مضيف . فقالوا
نحن نســـــــــــــــــير ونصـــــــــــــــــير في ضـــــــــــــــــمـــــــــــــــــائر الكهـــــــــــــــــوف
اسراراً . وعلى اجياد الاطواد أزراراً . وفي اوكار المغارات اطياراً .
وفي اعماق السيول اكداراً . وعلى ظهور الريود اوزاراً . نسري ليلاً
ونختفي نهاراً . والليل للعاشقين ستر . ولكم ادلج من الوتر . والنهج
وان يعد فهو في قرب عزمنا فتر . ومن رام النفيس الخطير رمى
نفسه في الخطر . وطار الى الوطر . وغرب الى الغرر . ثم عزموا
على ما زعموا . وعملوا بما عنه عموا . وخطروا الى الخطر .
وحاولوا بما لهم من القدر مزاولة القدر . وتوكلوا في الاكم . وتوغلوا
في الاجم . وتبطنوا في الاوبية . وتمكذوا في الاقنية . واحترسوا
بالكمون . واحترزوا من العيون . وتحركوا على السكون . وكادوا
يصلون الى الموضع . ويحصلون على الطمع . ويدركون الطلاب .
ويهتكون الحجاب . ويعيدون الى الحصن روحه . ويأسون بعد
الياس جروحه . فعثر بواحد منهم بعض المتصيدين فتصيده . وقاده
وقيده . واتى به الى صاحبه صارم اللين قايماز واستغرب من
الافرنجي هناك الجواز ، فأخبره بالحال . وان بالوادي مكن
الرجال . فركب اليهم في اصحابه . والتقطهم من سرر الوادي

وشعابه . وركب الشجاع مسعود في طلب اولئك الاشقياء . وانتشر
الناس في تلك الاكفاف والارجاء فما نجا منهم ناج . ولا نجح راج .
ولا عاش عاش . ولا حصل عاثر بانتعاش . فما شعرنا نحن على
صدف الحصار . والسلطان مطل من بيت الخشب على من حوله من
الانصار . حتى وصل صاحب قايمان بالاسارى مقرنين في
الاصفاد . مقوين في الاقياد . وكان بهم مقدمان من الاسبتار . وقد
اشفيا على التبار . فان السلطان ما كان يبقي على احد من
الاسبتارية والداوية . فاحضرا عند السلطان للمنية . فانطقهما الله
بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما . وقالا عند دخولهما . وامام
مذولهما . ما نظن اننا بعد ما شاهدناك يلحقنا سو . فعرفت ان
بقائهما مرجو . وانتظرت امر السلطان فيهما . وايقنت انه يبقهما .
فمال الى مقالهما . وامر باعتقالهما . فان تلك الكلمة حركت منه
الكرم . وحقنت منهما الدم . واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفر
من التدبير . واتعاس من جردوه بالتدمير . وفتح الله علينا صدف
ثامن شوال . فشكرناه على ان مدد النصر متوال . وسلمت القلعة
الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال .

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجئنا الى كوكب . ووجدناها في مناط الكوكب . كأنها وكر
العنقاء . ومنزل العواء . قد نزلتها كلاب عاوية . ونزعت بها ذئاب
غاوية . ونزت فيها سباع ضارية . وحميتها بحميتها وابتت النزول
على امنيتنا ولو بنزل منيها . واختارت العطب على العطاء .
وامتدت خاف الخلف والشقاق للشقاء . وابتت غير الالباء . وبصرت
بالامر فصبرت على الضر . واصرت على تحمل الاصر . وترامت
على التعامي بالمصائب . وتعامت عن المرامي الصوائب . وقالوا لو
بقي منا واحد لحفظ بيت الاسبتار . وخلصه الى الابد من العار .
ولا بد من عود الفرنج الى هذه البيار . فنتجلد للاضطبار . ونشد
للانتظار . فقاتلوا اشد قتال . ونازلوا . احد نزال وفوقوا الجروح

المصمية . وصوبوا الصخور المربية ورفعوا المنجنيقات الموجية .
وتواترت زيارات الزيارات الموترة . وتناوبت نواشب الزنبوركات
المطيرة . واجترأوا على الاجتراح وجرى سيل الجراح . ودمنا في
الدم . ورد الوجود الى العدم وتجرت الرمال . والتجريد للقتال .
وايتار الحنايا . وايتار المنايا . والرمي في المنجنيق . والجمع
والنفريق . والرقع والتخريق . والنقب والتعليق . والحفر
والتعمية . والحصر والتضييق . والهدم والرد والردم . والصد
والصدم . وكان الوقت صعبا . والغيث سكبا . وتكاثر السيول .
وتكاثفت الوحول . ودامت اليم لدموعها مريقة . وبقيت الخيم في
الطين غريقة فلا لمركب مبرك ولا مربوط . ولا لسالك مسالك ولا
مسقط . وكنا في شغل الشاغل من ثقل الاوتاد وتوتد الاقدام .
وهي الاطناب ووقوع الخيام وكأن الخيم مناخس الانداء .
وعدمت الانوار لوجود الانواء . وفقد ماء الشرب مع سيل الماء .
والروايا ما نهضت . ولا نزعت ولا غمضت . والرواحل في الطين
باركة . وللحياة فاركة . والعلف تاركة . والمطية مطينة وسبل السيل
مستبينة . وقد كشر البرد بالبرد عن اسنان عضاضة بالذرد .
والطرق زلقة لزقه وهي مع سعتها ضيقة . والمثوق (٣٠) ثقل .
والقلق عقل . وما ثم الامانيط بالطين . وصعب علينا بصعوبة هذا
الامر امر اولئك الشياطين . فنقل السلطان خيمته الى قرب المكان .
لتقريب وجوه الامكان . وبني له من الحجارة ماصار له
كالستارة . فحضرت بين يديه والسهم تعبرنا ولا تذعرنا .
والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهرنا والنقاب قد قلع وعلق .
والجرخي قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند . وانجد الجد .
ونزلت الاثقال والخيم الى اسفل التل . فحفت الثقل بنقل الثقل .
وطاب المقام بالغور . وسهل بالسهل . وتحولت الشدة الى اللين
وتحالت الى الطيب عقد الطين . وما زال السلطان ملازما للحصن .
وهناك ظاهرة له منه اسباب الوهن . حتى علق بعض جدرانها .
وطرق الهدم الى بنيانه . فتسلمه بامانه . وذهب سكون ساكنه .
فاخرجهم راغمين . واحرجهم غارمين . وتركوا الحصن بكل ما
فيه . واصبحوا بعد مقاتلته للعفو والمعافاة معتفيه . وذلك في

منتصف ذي القعدة . وانتصفت الايام بحل تلك العقدة . ورجعت
اليالي بالسكون الى طيب الرقده . وعرضت القلعة على جماعة فلم
يقبلوها . وخلوها وابوا أن يلوها . وتخلوا عنها بهمم واهية فدوليتها
قايماز النجمي على كراهية . بعزيمة عن مهامها لاهية . وانتقل
السلطان الى المخيم بالقضاء . وحمد الله على قضاء التوفيق
وموافقة القضاء . وودعه الاجل الافضل على عزم مصر بعد ما
استكمل لنا مقامه بصدق الكلمة وجد اعتزامه الفتح والنصر. ثم تحول
السلطان الى ارض بيسان . وأزال البؤس . وزاد الاحسان .
واقام بقية الشهر في تمهيد مجد يقيم في باقي الدهر . واطهر من
الافضل ما لم يكن مستورا. وأعطى الأمراء والاجناد في إنفصالهم
دستورا . وسار معه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة واضح
الحجة لائح البهجة . وأوجها الى القدس في طريق الغور وزارا
للبركة . وتبركا بالزور . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في
قبة الصخرة وخص ذوي الخصاصة بعميم المبرة . وعيد بها يوم
الاحد الاضحى . وأضحى بعد ما ضحى ، وقد اصحب مراده
وأضحى. وسار يوم الاثنين إلى عسقلان للنظر في مهامها ونظم
أسباب أحكامها . وتدير أحوالها . وترتيب رجالها . وأقام أياما
يوضح الجدد. ويصلح ما فسد ويذهب من الذفع ما فقد . ويخدم من
الشر ما وقد . فاذا وجد شعثا له . وان الفى نشرأ ضمه . وان
صادف فتقا وثقة . وان لقي حقا حقه . وان عثر على باطل عفى
اثره ، وان بصر بأمل خصه بعرفه وأثره. ثم ودعه اخوه الملك العادل
واستقل الى مصر بعسكره ورحل السلطان على صوب عكا موقفا في
مورده ومصدره . فما عبر ببلد الا قوى عدده . وكثر عدده وواصل
بالرجال مدده . وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من
بيسان لعارض مرض سلبنى الامكان ، والحمد لله الذي وفر حصنة
الصحة وحول المحنة الى المنحة وكمل الشفاء بعد الاشفاء واهدى
عند اليأس أرج الرجاء .

ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم • والنهج قوي • وهو يوب
اسباب حفظها • ويسبب ابواب حفظها ، ويهذب مراتب مصالحها
ويرتب مذاهب • مناجحها • ويعدل جوانح امورها • ويذل جوانح
جمهورها ، ويقوي ما وهى • ويسري ما هوى ، ويحلي من الشان
ما عطل ، ويعلي من المكان ما سفل • ويعيد نظم ما انتكث • ولم ما
تشعث ، ويجيد كل مادعا إلى بعث مامات منه وبعث • ومكث بها
لا يريم القصر إلى ان وصل جماعة من مصر ، فأمرهم فيها بالاقامة
محافظة على الحماية المستدامة • فأمر بهاء الدين قراقوش باتمام
بناء السور ، واحكام احكام الامور • وولى الامير حسام الدين
بشارة بعكا واليا ، ولم يزل لآثار الدولة في ايثار العدل تاليا • ثم
خرج السلطان وسار على طبرية • وبخل دمشق مستهل صفر • وقد
استكمل الظفر ووجه الدين به قد سفر • وعز من آمن وذل من
كفر • وحزب الهدى قد انس ونفر الضلال قد نفر ، وجلس على
سرير السرور • ولبس حبير الدبور وبدأ بحضور دار العدل فدر
عدله للبادي والحاضر واقام سفور بشره للمقيم والمسافر • وأفاض
الفضل • ومحا الحل • وأعلى أعلام العلماء • واحلى احلام
الحلماء • وأمضى أحكام الحكماء وقضى باكرام الكرماء • واسدى
المعروف واعدى الملهوف • وانكر المناهي ، ونهى عن المنكر وطهر
حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر • واقام مدة الشهر • واولياؤه
جناة النصر واعداؤه عناة القهر ، وايامه مسفرة ولياليه مقمرة •
ومغارس ايديه ثمار المحامد مثمرة • ومجالس اعاليه في بيار
الشدائد مقفرة • والملك بزهوة زاه زاهر • والدين ببهائه مباه باهر
والافاق منيرة والانوار مفيدة • والدولة حق مدال وحقيقة وللجاء
واي جده والجلود وفي عهده وللسماح سماء تهمع • وللمراد مراد يمرع
والوجود بالبشر بهجة ، وللانسنة في الشكر لهجة • وللشريعة شرعة

واضحة والحق سنة لستر الباطل فاضحة • والصنائع راجحة
والذراع ناجحة .

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولي العهد
عدة الدين ابي نصر محمد ابن الامام الناصر لدين الله
أبي العباس أحمد امير المؤمنين

بتاريخ اوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر
الجلالة ، ومربع الامامة • وموضع الكرامة • ومطلع الهدى ومنبع
الندى • ومشرق نور الايمان • ومشرع فيض الاحسان • ومرجع
المرجين • ومفزع المتجيين ومنجي الناجين • ومنتجي المناجين
ومهبط الوحي • ومصعد الامر والنهي • ومقصد نجاح السعي ،
ومخفض جناح الرحمة • ومقطف جني النعمة • ومجرنيول
المناقب • ومجري سيول المواهب • ومزار املاك السماء • ومدار
افلاك العلاء • ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك الفرض • وموطن
التنزيل • وموطيء جبريل ، ومقام الخلافة . وموام الرأفة . ومحمل
الامانة . ومحل البيانة . ومطاف الطائفين . ومعرف الواقفين .
وموقف العارفين . وقبلة المقبلين . وموئل المؤمنين . وكعبة
القاصدين . ومثابة الوافيين . ومعفر وجوه العظماء . ومكفر ذنوب
الكرماء . ومعصب السيادة القرشية . ومنصب الوراثة النبوية
والسدة الشريفة الناصرية . ودار السلام . وقبة الاسلام . فابتهج
السلطان بوصول الرسول وأيقن بحصول السؤل . وسر سره . وأبر
بره . وصدر بنشر الانشراح صدره . وقدر على الاتسام بالتسامي
قدره . واحتفل بأسباب التلقي والحتف باثواب الترقى . وسأل عن
الرسول المندوب . للسلطان الخ طوب .
ف قيل هو ضياء البين عبد الوهاب بن سكيته . وصل بالضياء
والسكينة . والاحوال الحالية المزينة . وكان وزير الخلافة يومئذ
معز الدين بن حديده • فعين لهذه الرسالة ابن سكيته حين عرف

اراه السدينة • فتلقاه يوم دخوله الى دمشق السلطان واولاده •
وكان يوم مشهودا حضره اعيان البلد مائل العسكر واشهاداه •
وانزله في دار الكرامة • ورتب له وظائف الإقامة • ثم جلس له في يوم
سعد صباحه • وبدأت في جبهة الدهر البهيم غرره واوضحاه • وملات
طرفي الزمان والمكان افراحه • وجاء على وفق الآمال اقتراحه •
وختم باليمن والاقبال رواجه • وورد بكل ما بهج الاولياء • وأزعج
الاعداء • وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أعزه • وثنى
عطف تباهيه وهزه • ورسا له طودا بالوقار في ايراد الرسالة •
وجلالة في مهيب المهابة انوار الجلالة • وتلفظ له بالتفضل • وتطوق
منه بالتطول • وبشر بان امير المؤمنين فوض ولاية عهده • الى ولده
عده الدين ابي نصر محمد من بعده • واخذ بذلك العهد على من
حضره من اعيان الامة • وحفظ عليهم بتوليته ماؤلاههم الله به من
النعمة • واستظهر بما خص به من هذه المرتبة • وامر بذكر اسمه
ونقشه في الخطبة وعلى السكة • وعاد الاسلام به ظاهر الشوكة •
والشكة. وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر •
ولم يبق من الامراء والامائل والافاضل إلا من حضر • واحضر معه
الدنانير ونثر • وتولى ذلك الملك الافضل فاعطاه به ملكه وبهاء
فضله • وحصل الاسلام من ري رأيه على نهله وعله • ونذب
للرسالة الى الديوان العزيز ضياء الدين الشهر زوري القاسم بن
يحيى • لينشر به ما كاد يعفو من سنن الموافاة ويحيى • وسيرت
معه الهدايا • والتحف والطرف السنيا • وأسارى الفـرنج
الفوارس • وعددها الكوامل النفاؤس • وتاج ملكهم السليبي
والصليبي • والملبوس والطيب • واضفيت على رسول الامام ملابس
الاكرام • وقفل ناجح المرام • واصطحب الضيآن لاضاعة مطالع
الايمان • بسفارة سافرة عن سني الاحسان • وبشارة شائرة جني
النحل من نحل الجنان • واهتزت الاعطاف • واعتزت الاطراف •
وابتسمت ثغور الثغور لسدادها • وانتظمت امور الجمهور
لسدادها • وسرت القلوب • وسريت الكروب • وخزي الحاسد
الحاشد • وقوي الساعد المساعد • وواصل في طريقة الاغذان • حتى
وصل الى بغداد • فتلقى الرسول بالسول • وقوبل بالقبول •

وخرج اليه الموكب الشريف واضيف له الى تالد جده القديم جده
الجديد الطريف . ودخل البلد وأسارى الفرنج على هيئة يوم
قراعتها . راكبة حصنها في طوارقها وبيارقها . وادراعتها . وقد
نكست بذودها واتعست اذوقها . وهيئت على هيئة فتوحنا حتوفها .
ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها . ثم عطف به الى دار
الكرامة فنزلها . والى الوزير ابن حديدة قد عزل . وأقام في بيته
واعتزل . وتصدر في الدست للنيابة . وسماع الخطاب والاجابة . من
له المجد الاثير الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الانشاء .
وقد خص بتولي الحل والعقد والاخذ والاعطاء . فتولى سماع
الرسالة وجوابها . وأولى صوابها ووالي صوابها . وسياتي في
موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال . وجرى به القول . وكيف شغلت
العوائق وعاقبت الاشغال .

فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان الى الديوان العزیز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال . وأداه من فرض
الاعظام والاجلال . وقام به من الامر الذي قام به امر الدين
والدنيا . وبادر اليه من استثمار طاعته التي دامت لها من نعمة الدار
العزیزة في إزكاء مغارسها السقيا . وحل حبا الحب لما حل من
حسبائها . وعقد خنصر النصر لعزائمه على ما اعتقده من ولائها .
وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع أمره من إسعادها . واستجد
عهد الجد المورق المونق بما جاد ثراه من ثرات عهادها . ونهض من
الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين . وأبرم من عقد عبوديته
الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين . ووثق لما وافق
المراضى الشريفة ففاز بما حاز من شرف الرضا . واقتضى بين الدين
الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما قضى . وسبق الى ما سبق
به جواد صدقه في جواد قصده . وافتتح فريضة طاعته في حلاوة

عبدويته بتلاوة فاتحة حمده . وأنهى الى نهاية النهى . وأطاع
ما أطاق فيما أمر الله به ونهى . وما وضع الكتاب من يده حتى رفع
بالدعاء يده . وسأل الله لولانا وسيننا أمير المؤمنين وأفد النصر
ومدده . وان يعضده بولده ولي عهده المطاع بأمر الله عدة الدنيا
والدين . ويقر به عيون المسلمين . فقد فاضت البركات . وأضت
الحسنات . وأضاءت الكرامات . وراضت جماع الاماني المبررات
المبرات . وهاضت جناح الكفر الفتكات المربيات . وعمت الميامن .
وتمت المحاسن . وتمت النعم الظواهر والبواطن . وضمت بسكون
الدهماء اهلها المعاهد والمواطن . وصدحت المنابر . وصدقت
المفاخر . وصدعت الأوامر . وصدفت الفواقر . وصدمت قلوب أهل
النفاق من بواعث الرعب والبواعث البوادر . ونقشت صفحات
الدرهم والدينار . ونعشت عثرات الاخيار الاحرار . وفرشت مفوقات
الانواء والانوار . وعرشت اسرة المبار والمसार . ورفعت رغبات
الابرار . وسمعت دعوات الاسحار . ونزل النصر . وفضل
العصر . ووجب الشكر . وشجب الكفر . ورحب الصدر . واصحب
الدهر . وسحت سماء السماح . وصح ارواء الارواح . وتضوع
نشر الانشراح . وتوضع صباح الصلاح . وطال جناح النجاج .
وطاب جني الافراح . وعظم القدر . ونظم الامر . وحسن الذكر .
وأمن الذعر . واهتزت اعطاف الاسلام . واعتزت اطراف الشام .
وتبلجت ايا من الايام . وتروجت اماني الانام . وأرجت أرجاء
الرجال . وثبتت باسناء الاسناد رواية أمالي ري الامال . وقرت
الاعين وابتهجت بالسعد الطالع . وأقرت الألسن والتهجت بالحمد
الجامع . وقرت الأنفوس وانتهجت بوسعها سنن العز الواسع .
ونابت هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في نفع الاوام
(٣١) ونقع الانام مناب المنابع . وأرخت السير وسيير
التواريخ . وخلقت ملطفات البشائر ليوجب تفخيما وتضخيما
التضميخ . وشرق المغرب من بشر البشرى . وانارت مصر من
حسن هذه الحسنى . وبسمت بسمه الشرف منابر الاقاصي
والاداني . موافقة لمنبر المسجد الأقصى . وتطرزت الفتوحات
الفاضل عصرها . الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب . وفاحت في

مهـاب المحـاب نفحات هذا الزمن الأظهر الأطيب . وعاد الزمان الى
اعتداله . وعاد العدل بزمانه . وتاب الدهر من عدوانه . وآب إلى
احسانه . ورجع الدين إلى سناء سلطانه . وفجع الكفر بعبد
صلبانه . وبطش الايمان بايمانه . واستخلص من الشرك بلدانه
بلدانه . وتقاضى الربيع بقروضه . وضافت ضيوف فيوضه . وعتب
العزم على ربوضه . وحض الخط . على نهوضه . وحدث الحب على
اقامة ســـــــــــــــــنن الجهـــــــــــــــــاد وفـــــــــــــــــروضه . فقـــــــــــــــــد
درت افـــــــــــــــــويق الآفاق . وذرت أشعة الاشرار . وافترت نضرة
الحدايق لنظرة الاحداق . وراقت أوراق الألوية كالتواء
الأوراق . وأزهرت البيض والسمر كازهار الرياض . وأنف غرار
الجفون في الاغماد من الاغماض . وتيقظت الاقدار للاقدار على
ايقاط عيون البيض لاجراء دم الشرك المطلول . وتنزل البركات في
انتجاع المراق من تجيع المارقين لا تزال نص النصر على النصل
المسلول . وقد آن ان ترعى الحشاشات منهم على رعي
الحشيش . ويطير الى اوكار المقل طير السهم المريش . وترتع
ثعالب العوامل في عشب الكلى . ويطن ذباب المناصل في لوح
الطللى . وترن رقاق المرهفات في الرقاب رنين الخطب على
الاعواد . وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على
رؤوس الأطواد . وتحمل اشجار القنا بثمر الهمام . ويجيش
الفضاء المعشب بزهر الجيش الهمام . ويقطف ورد الموت
الأحمر . من ورق الحديد الأخضر . ويوقف حد الهندي الأبيض
على قصر بني الأصفر . ويجري في ورد الوريد جــــــــــــــــد اول
البواتر . وترمي من الحصون العاليات الى حصون العدا جنادل
الحوافر . وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر والظهور المضافر
ضوامن الضوامر . وتتلى عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان
الجو بالفتخ الكواسر . ويعبق ثوب الدارع من ردغ الثواب بسهك
الماني . وتعلق في ملتقى التقى الفات السهمري . بلامات
السابري . ويظهر الحق بخذلان الباطل . ويحل بأيدي الأيد ما بقي
مع الفرنج من معاقل المعاقل . ويفرق بحر المجر الجرار ما تخلف

من ساحات الساحل . فلم يبق به من المدن المنيعه الا صـور
وطرابلس . ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بعون الله
تدرس . وأما انطاكية فانها بالعراء مذبذبة . وعند الاتجاه اليها
مأخوذة . على انها بوقم قومها عام أول موقوذة . وحدود العزائم
اليها عند انقضاء هدينتها مشحونة . فانها قد نقصت من
اطرافها . ودخل عليها من اكنافها . وجدعت بفتح حصونها
عرانيتها . وضيق على أسدها وسيدانها المحصورة المحشورة فيها
عريتها . فهي نهزه لمفترض . وطعممة لمقتنص . وسلعة
لمسترخص . وبلغة لمستفحص . وقد خرج الخادم ليدخل البلاد .
ويستأنف بجهده الجهاد . ويستقبل الربيع بربيع
الاقبال . ويستنزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لأوقات
النزال . وهو يرجو ببركة هذه الأيام الزاهرة من الله ان يجد جند
ارضه بجند سمائه . ويوفق الخادم لتصديق امه في تطهير الارض
من انجاس اجناس المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجافل
حافلة . واسراب الكفر بين يديها جافلة . ومعاطف الاسلام في
لباس الباس رافله . ونصرة الله بانجاز عدائه في قمع عدائه
كافله . والحمد لله الذي وفق عبد مولانا أمير المؤمنين في طاعته
لنصر أمره . وإخلاص الولاء في سره وجهره . واقتناء كل مذقية
حقق بها فضل عصره . وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره فما
يفتح مرتجا الا بتقليدها . ولا يستنجح مرتجى الا بتأييدها .

ذكر خروج السلطان من دمشق لاجل شقيف اردون وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق . وقد اطاب لناشق الآمال من نشره النشق . ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم الجمعة . بالمحبة المجتمعة والمهابة الممتنعة . متوجها الى شقيف اردون . ليقر بفتح العيون . ويصدق في استخلاصه الظنون . وأتى مرج برغوث . وأقام به الى يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث . ثم رحل على سمت بانياس . وقد اوقع رعبه بين اهل الكفر البأس . وأتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف . وجمع على من به من آلات الحصار اسباب التخويف . وذلك يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول في أواسط فصل الربيع . وأقام في ذلك المرح الوســــــــــــــــيع . والروض الوشيع . وأسمننا الخيل في اعشاب واصية . ورتعنا في الطاف من الله دانية غير قاسية . وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط . وقد أكمل في حفظه الاحتياط . فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طائعا . وأمره سامعا . ولرضاه تابعا . وفي موضعه شافعا . وعلى حصنه خاشيا ولاجله خاشعا . وسأل ان يمهل ثلاثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله ، وأظهر انه محترز من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله . وحينئذ يسلم الموضع بما فيه . ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه . ويخدمه على اقطاع يغنيه . وعن حب أهل بيته يساليه . فأكرمه وقربه . وقضى اربه . وأجابه الى ما سأل . وقبل منه عزيز ما بذله بذله . وأمهي (٣٥) غرب رغبه وأمهله . وأخذ له وما خذله . وخلع عليه وشرقه . ورفعه في ناديه بنداؤه وعرفه . واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينه . ووجد اليه سكونا وعنده سكينه . فشرع ارناط في ازالة حصنه ، وازالة وهنه . وتــــــــــــــــرميم مــــــــــــــــســــــــــــــــمــــــــــــــــته . وتتميم مستحكمة . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله . وتدبير احواله . وتكثير امواله . ونحن في غرة من تحفظه . وفي سنة من تيقظه . وفي غفلة

من حزمه . وفي غفوة من عزمه . وكان يبتاع من سوق عسكرنا
الميرة . ويكثر فيه الذخيرة . وقد صدقنا كذبه . وحققنا
اربه . وانهي الى السلطان ما هو مشغل به من عمارة
يجدها . وذخيرة يعدها . وثلمة يسدها . وقوة يشدها . وميرة
يستمددها . وكان بالمذكور سيد الظن . شديد الضن . لا يقبل ما
فيه يقال . ولا يظن به عذورا يقال : فلما كثر فيه القول . وتمكن من
مسأله العول . لم يرد ان يبدي له ما قيل . ولم يصدىء بالتغير
عليه وجه جاهه الصقيل . فأمر بالانتقال من المرج الى سطح
الجبل . وتحويل الخيم اليه والثقل . وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر
جمادى الآخرة وأظهر ان المرج وخيم . والمقيم به سقيم . وأم الدهر
فيه بالصحة عقيم . وكان المقصود ان الشقيف من عيانه
يقرب . واخباره عنه لا تعزب . فلما علم صاحب الشقيف
بقربه . شرع في ازالة ما في قلبه . وجاء الى الخدمة . واستمسك
بالعصمه . وذكر انه متعزز بـذل الطاعة . وبـذل
الاستطاعة . وتضرع خاضعا . وتعرض خاشعا . وذكر انه تخاف
له اهل بصور . وانه كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور . وانه
يتربص وصولهم . ويأمل عنده حصولهم . وشرع في تقرير هذا
الحديث . وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده الذكر الذكيث . واقام
يوما وعاد الى حصنه . وقد وجد من السلطان دلائل امه . وكانت
المدة قد بنا انتهاؤها . وقرب انقضاؤها . فانها الى آخر هذا
الشهر . ولم يجد بدا من التسليم او الغدر فعاد بعد ايام . باكتئاب
واغتمام . وحضر عند السلطان فقال ما اظهر به
الابتهاال . واستزاد الامهال . وذكر انه رقيق الامتنان . وعتيق
الاحسان وانه العبد القن . وقد دخل عليه الوهن . وغلق به الرهن
وانه يبقي أهله معتقلين بصور إن خرج منه الحصن . ومن انشأ
غرسا سقاه فأيقاه . وأشكاه فأزكاه . وأسماه فانماه وقد
اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرفيع . ولا تضع الصنيع . وسأل
ان تكون المده سنه . وان يتبع الحسنة في حقه حسنه . وان يرخي
بطوله طوله . وان يشفي بشفاء ألمه أمله . فراقه قوله . فرق له
طوله . ثم افكر في أمره . واستمر في فكره . ففادر على عزيمة

غدره . وجاهر بسر شره . بعد ان ماطله وطاقوله . وزاوله على ما
حاوله . واقام اياما يريده . ويخصه من الكرامة بما يجده . ثم
كشف له الغطاء . بعد ان اجزل له العطاء . وقال له قد قيل عنك ما
لا نظنه فيك ولا نعلمه منك . فجحد ما عنه رقي . وانه كيف يلقى
بالكفران ما من الانعام لقي . وانه لم يسعد بامهاله في الشقيف
شقي . ثم سأل في ندب من يوثق بأمانته . ويؤمن الى
وثاقته . ليدخل الموضع ويلمحه . ويحضر بوصف ما شاهده
ويشرحه . فرجع المندوبون بخبر ما أبصروه . وذكروا أن الحصن
قد غيروه . وانه قد استجد في سوره باب . واستمدت له من احكام
احكامه اسباب . فاستحكم به الارتياح . وعرف ان السرح قد
حوته الذئاب . فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم . وقيل لعله يحسن
فلا يحوج الى عقابته ويسلم . ثم قيل له قد بقي يومان من المدة
المضروبة . والمهلة الموهوبه . فتقيم عندنا حتى تنتهي المدة
وتنقضي . وتسلم الحصن وتسلم وتمضي . فأبدى ضرورة
وضراعه . وقال سمعا وطاعة . وكان له ملقى وملق . وفي لسانه
زلق . وما عنده من كل ما يفرق منه فرق . وقال انا انفذ الى نوابي
في التسليم . وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم . فأظهروا
عصيانه . وقالوا يبقى مكانه . فقال قد بقي من المهلة يومان فماذا
العجلة التي يفوت بها الغرض . ويطول منها المرض . فصبر عليه
الى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة وهو آخر مدته . وأول
شدته . وأوان انقضاء عدة عدته . وقد رتب على الشقيف يزك يمنع
الخروج وال دخول . والصعود والنزول . ويضايق غريمه
المطول . قبل ان يمتد حصاره ويطول . وحمله جماعة من الامراء
ووقفوا به ازاء حصنه . فناداهم في درك امره . وفكاك
رهنه . فخرج اليه قس قاس . بأسرعن باس . فصادته في حادثه
بلغته . ونافته في كارثة بغلته . وتحاورا في السر . وتشاورا في
الشر . وكأنما امره بالتجلد . وصبره على التشدد . وعاد القس
الشقي الى الشقيف . وترك صاحبه عانيا بالعناء العنيف . فقيد
وحمل الى قلعة بانياس . وبطل الرجاء فيه وبان الياس . ثم
استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالح في تخويله . على

ان يبلغ المراد في شقيقه . فلمما لم يفد خطابه . ولم يجد عذابه . سيره الى دمشق وسجنه . وألزمه شجاء وشجته . وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل يوم الاربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن . ورتب له عدة من الأمراء . وامرهم بملازمته في الصيف والشتاء . الى ان تسلمه بعد سنة بحكم السلم . وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم .

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الاحوال وما كان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الاسر ، وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر . وقد تواصلت الينا امداد البحر . فثرينا للثار ، وأعرنا من هذا العار . وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور . وفارقوا بالاستطالة القصور . وجرت بين المركيس المقيم بهما وبين الملك مراسلات . وحالت بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من دخول البلد . ولج معه في اللد . واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر . وانه منتظر لما يبرمونه من الأمر . ويصله من الأمر . ثم اتفقوا على ان يقيم بصور المركيس . ويدوم منه لملكهم التأسيس ولذلكهم التأسيس . وانهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم . يتساعدون علي رم ما تشعث من احوالهم . ويتعاقدون على حل اشكالهم . ويتعاضدون في تسديد اختلالهم . ويقصدون بلدا اسلاميا من الساحل . ويقيمون عليه بالنوازل اقامة المنازل . والمركيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد . وبجميع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد . فأجمعوا على هذا الرأي . وبلغوا في الفى الي هذه الفاي . وشرعوا فيما شرعوه . وفرعوا ذروة الاصل الذي فرعوه . ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى

الاولى من اليك . ان جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر الى المعتك . وانهم على قصد صيدا الحصر . وقد جسروا على عبور الجسر . فركب السلطان في الحال فيمن خف من ثقال الرجال واقتال القتال . وأطلاب الابطال . وانجاد الاجناد . واجلاد الجلاذ . والباذلين المهج للجهد في الجهاد . ووصل الى الملتقى والشغل قد فرغ . والسيول قد بلغ . والصدمة قد وقعت . والوقعة قد صدمت . والثورة قد انثارت . والسورة قد اسأرت . فان اليزكية لما شأهدت جأهدت . وتعأهدت علي لقأأهم وتعأهدت . وخألطتهم . وبأسطتهم . وواقحتهم وواقعتهم وجألدتهم وجأولتهم وجأاردتهم وجأولتهم ورددتهم مقلولين مخذولين . وصدتتهم منهزمين مثلومين . وقسرتهم وكسرتهم واسرت سرائهم . وبزت بزأتهم . وقنصت عقبانهم . وقصمت شجعانهم . وصأدت صيدهم وفرست فرسانهم . ووقع في الاسر من سباعهم سبعة . وغودرت للذسور من اشلاء المارقين بالمازق شبعة . واستشهد من المماليك الخواص ايبك الاخرش . وقد كان شهما بالوقائع يتحرش . وثبتا بالروائع لا يتشوش وانيسا بالحوادث لا يتأودش . وكما كمشا بالكوارث لا يذكش . واذفصلت الحرب قبل وصول السلطان . وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان . وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب اليك . وقال لعلهم يعودون الي ذلك المعتك . فذستدرك ما فرط من استئصالهم واجتأأهم . وقد ندم الفرنج على ما ندر من اجترائهم وانبعأهم . واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر . والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوي الظهر . وركب في ذلك اليوم . ليطلع من الجبل على القوم . ولم يكن له نية القتال . فلم يستصحب معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه . وظنوا ان السلطان انما ركب للقتال وعلى عزمه . وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه . ثم ظنوا ان وراءه عسكرا في الكمين يحميه . واذ السلطان بعض الأمراء الى الغزاة الرجالة ليعودا فما قبلوا . وحمل عليهم العدو فأسروا وقتلوا . وختمت بشهادة اولئك السعداء ذلك العشية . ودفنت من الله في استشهادهم

المشية . وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة
اردتهم وردتهم . وصدقهم عن الجراءة وصدتهم . وتزاحموا على
الجسر . ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوما علينا
ولنا . جنى المنا واجنى املنا . وللحرب رجال . والحرب
سجال . ولم يكن لأولئك الغرباء بقتال الفرنج دربه . واقدامهم على
العدو له قربه . فخاضوا من الدم في اللجج . واعتاضوا الجنة من
المهج . وممن لقي الله بالشهادة . وختم له بالسعادة . الامير غازي
ابن سعد الدولة مسعود بن البصارو . وكان شابا لنار الحرب
شابا . ولدين الرب رابا . ولما شاهد ما تم من الغزاة . انقض في
اصحابه على الفرنج انقضاض البزاه . فدعته جنته . الى طعنة
لبتها لبته . فاحتسبه عند الله والده . وكدرت عليه مواريده . وأوجد
جمعنا الاسى على فقد ذلك الواحد . وساء عدم الساعد . وبتنا نشكر
مساعي ذلك المساعد . وضاعت القلوب . وفاضت الكروب . وألم
البوس . وألمت النفوس . وهذه وقعة ندرت . وواقعة بدرت .
ونذير حدث وحادثة انذرت . فلم يصب الكفار من المسلمين مذ
اصيبوا غير هذه الكرة . واذاقونا بعد أن حلا لنا جني الفتوحات
مرارة هذه المرة . فايقلطنا من رقدة الفرة . وأخذ الناس
حذرهم . ونذروا وعقدوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا الى الله
وقالوا بهذا وعد الله حيث قال : (فيقتلون ويقتلون) (التوبة ١١١)
وعبادهم هم الذين يتبعون امره ويمتثلون . ثم قويت عزمة السلطان
على قصدتهم في مخيمهم . وكبسهم في مجثمهم . وعبروا الجسر
اليهم . والاحداق بهم من حواليلهم . وشاع صيت هذا العزم
وصوته . وسارع الناس الى موسمه . وخشي فوته . وتسامع اهل
البلاد . بتصميم عزيمة الجهاد . فتباشروا وتبادروا . وتسابقوا
وتسارعوا واتوا من كل فج . وجاءوا من كل نهج . وسالوا في كل
واد . وجالوا في كل بقاع ووهاد . ووافيت مطوعة دمشق
وحوران . يجرون الى مرا الموت . ويجرون المران . وتوافد من بالمرج
والغوطة . على الحالة المغبوبة . وقالوا هذا اوان احضار الضوامر
المربوطة . واجتمعت بمرج عيون . جموع مرجت العيون . فخافت
الفرنج من هذا الجمع . واناقت على القمع . وتعكست الى سور

صور . وعاین اولئك البور البثور . وتحرزوا وتحرسوا . وتوجلوا
وتوجسوا . فاقتضت الحال تأخير قصدهم . ليتمكن على غرتهم
حشدنا من حصدهم . وعاد العسكر الى الخيم وسار السلطان الى
تبنين . صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين . لتفقد
احوالها . وتأمل اعمالها . وعرض رجالها . ثم سار منها الى عكا
جريدة . ورتب في عمارتها ولايتها احوالا سيدة . ووصى رجالها
بالاحتياط والتحفظ . والاستظهار والתיقظ . واسرع عودته الى
المعسكر . عظيم المفخر كريم المعشر . — وفق المورد
والمصدر . مقرظ المنظر والمخير . وأقام الى يوم السبت سادس
جمادى الآخرة . وبحر مخيمه يموج بامواج العساكر الزاخرة .

ذكر ما تم من استشهاده عدة من امراء العرب

وانتهى الينا ان الفرنج ينتشرون في الأرض . وينبسطون في
موضع القبض . ولا يتحفظون في الرفع والخفض . ويحتطبون
ولا يحاطون . ويحتشون ولا يختشون . ويجذون ثمارة
الحيل . ويجذون على ما يصادفونه بانواع الغيل . وهم في غرة من
غارهم . وفي جزارهم تعود عليهم بخساره . وفي غفلة تجر
عقله . وفي ضله ترفع عليهم من العذاب ظله . وانهم اذا خرجوا
للاحتشاش والاحتطاب . وانتشروا لضم الاعشاب من
الشعاب . خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد . وتحفظهم من
متعد . ونفذ السلطان الى خيل تبنين . وامرهم بأن يصبحوا اولئك
الملاعین . فاذا خرجت الخيل اليهم تطاردوا قدامها ووصلت بها
الكمين . وذلك يكون في صباح الاثنين ثامن الشهر
المذكور . وواعدهم على هذا السر المستور . ونفذ الى عسكر عكا
ليكن في موضع عينه . ولا يظهر مكمنه . حتى يكون من وراء
القوم . مستعدا لما ينالهم من الوقم . وسار السلطان ليلة الاثنين
على الموعد . مصدقا للمقصد . وصادف خيل تبنين قد اغارت واثارت
وابرت وابارت . فعبر تبنين وكمن بين صور وبينها . وعين اليزكية

وأوقف عينها . ورتب ثمانية اطلاب من الابطال . وكمن بتلك
الارجاء كماء الرجال . وانتخب من كل طالب عشرين
فارسا اجوادا على الجياد . واجلادا في الجلد على الجلال . فامرهم
بان يتراءوا للفرنج حتى تصل اليهم وتحمل عليهم . وهم يفرون
قدامها . ولا يقرون امامها . ويجذبونها الى قرب الكمين ويوقعونها
عليه . ويوقعونها اذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به امروا . ولما
حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا . وانفوا من ان يقال عنهم
فروا . بل جالوا فيهم وكروا . واتصل القتال واشتد . واحتدم
المصال واحتد . وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات
الصفاح . وفارت غمرات الكفاح . وثارت غبرات البرى . ودارت
عثرات الثرى . وانحلت عرى اللمم . وانحطت ذرى القمم . وعدم
كل قرن قراره . وكل جفن غراره . ودام نهارنا يجري بانهار الدم
انهاره . وعرف من بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وان الاسد قد
اعتركت . وان البرك قد ارتبكت وابتكرت . فتواصل انجادا
للانجاد . وتواصل امدادا بعد الامداد . فلما رأى العدو ان المدد
يكثر والعدد يكثف . وان عساكرنا لا تتوقى ولا تتوقف . صمم
العزيمة . على الهزيمة . وعلم ان النجاة عين الغنيمة . فثنى
اعطافه . وضم اطرافه . ورد احلافه . وجرت بين الفريقين
مقتله . عادت ارض المعركة بها وهي مثقلة وكان قد حمل العرب
على وعد العود الى الكمين . والرجوع الى اسد ذلك العرين . ولم
يكن لهم بالطريق خبرة . ولا عبرت من الطوارق بهم . ولم
عبره . فتطاردوا بين يدي الفرنج في واد ما له نفاذ . ولا لسالكه الى
منهج ملاذ . وراهم العدو فعدا وراهم . وسار بجمعه
ازاءهم . فلما انتهوا الى الجبل ادركوا . ولم يقدروا ان
يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا . واقبلوا على الله فقبلوا . وهم الامير
زامل بن تيل بن مري بن ربيعة امير النقرة . وسري
الاسره . والامير حجي بن منصور بن دغفل بن ربيعة . والامير
مطرف بن رفيع بن بردويل بن مري بن ربيعة وآخر معهم . فهؤلاء
اربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع . وقدر لهم في رياض
النعيم رتوع . وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز . وانتقلوا من العز

الفاني الى الباقي من العز . وكان معهم من الممالك الخواص . من
ذوي الجد والاخلاص . تركي عربي النخوة . غضفري السطوة .
فلما حصل في المضيق . وأيس من الطريق . نزل عن فرسه على
صخرة بنحوه . ونثل بين يديه كنانته . فارعا لذروه . وقداوتر
قوسه وسدد اليهم سهمه . وقبل قضاء الله وحكمه . وحن الى منيته
من حنيته . واصاب منيته من اصماء العدو في المصايب
بامنيته . فوقفوا عنه بعيدا حين خافوا قربه . ومازالوا يطعنونه
ويرمونهم حتى ظنوا انه قضى نحبه . فأصبح . وقد نزل دمه ، وترجع
على وجوده عدمه ، ولما قيل انه استشهد وطلب ليلحد ، رمق وبه
رمق ، وهو في دمه غرق ، فحمل على أنه من الأموات ولم يرج له
فوات الوفاة ، فأحياه الله بعد ان أماته ، وجمع أعضائه عليه وقد
شارف منها شتاته ، وأنشأه خلقا جديدا ، وأوجده في أجله
مزيئا ، وهو أيبك الساقى زاده . ماجرى اجترأ على
الاقدام ، واجراء الى مضمار الحمام ، فما سمع بعد ذلك هيعة الا
طار اليها ولا أبصر للكفر ضيعة الا أغار عليها .

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها

وصل الخبر يوم الأربعاء ثامن رجب ، ان العدو قد
ركب ، وأجلب بخيله ورجله ، وطار بجراد جرده . ودب دباه في
رجله ، وسرحت نثابه ونجت كلابة ، وجاش عرام جيشه
العرمرم ، وطاش الى أهل الجنة بأهل جهنم ، ونوى القرب من
النواقيير ، وأضرم بنار السعير مساعي المساعير ، وهو على قصد
عكا يجري الى المدى برأي جمعه المدامير ، وأن ذفرا منهم
ذفر ، وسبق الى النواقيير وعبر ، ونزل باسكندرونة ، واستباح
طرقها المصونة ، وهناك من المؤمنين رجال يجمعون طرف
الثغر ، ويضمون نشر الأمر ، ويضمون نحر الكفر ، ويجيون غارب

الشر ، ويجوبون جانب البحر ، ويطوفون للحراسة ، ويطولون بالحماسة ، فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها وعاقروها وقسارعوها ، وأهلكوا عدة وملكوا عدة ، ولما تكاثرت أعداد الأعداء ، استظهروا بالانكفاء عن الأكفاء ، وتدافعوا بعدما دافعوا ، وتراجعوا بعد مراجعوا ، واطلع السلطان على خبرهم وعرف نفور نفورهم ، فكتب الى العساكر الدانية بالذو ، وللعدو على العدو فتوافدوا للميعاد ، وتوافوا للاعتضاد ، وتوافروا للجهاد ، وتوافقوا في انشاء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الأحد ، وافية المدد . وافرة العدد ، ونزلت على عين بصة ، ولقد شاهد دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب المغتصة .

ووصل أوائلهم الى الزيب . واجابوا داعية الصليب ، فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل ووصل العنق بالذميل . وكان النقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحه في الاوبية جري السيل ، وسرنا على جب يوسف الى المنية ، أخنين بالحزم تاركين للونية . وجئنا عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا ، وبتنا بها تلك الليلة وسكنا ، ثم اصبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الفروبة . واطلع منها على الاسرار المحجوبة ، واشرف على العدو النازل ، وينا حزب الحق من حزب الباطل ، وكان عدة من الأمراء ساروا على طريق هونين ، وللفرنج مقابلين مقاتلين ، فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم ، ونزلنا في ارض صفورية بالانفال ، وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني للقتال ، وكان من رأي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ، ولم يزل رأيهم بذور فطنته وطيب فطرته أنكى وأزكى ، ان يسايرهم في الطريق ، ويواقعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ، ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا صعب نزالهم ، واتعب قتالهم . واذا نبتوا تعذر حصدهم ، واذا ثبتوا تعسر قصدهم . واذا لصقوا ببطن الأرض صاروا كالجراد ، واذا خلقوا في جواد طاروا كالجراد ، فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يتمكن احتياطهم . فقالوا له بل نستقيم على السنن

القويم ، ونطلبهم طلب الغريم ، وما هون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم اذا اقبلنا ، والطريق قبالتهم وعر ، وللمقصر عن التناول فيه عذر ، فدمضي على اسهل الطرق ، ونسد فلقهم بالفيلق ، وتبين لنا بالعافية ان الراي السلطاني كان اصوب فان نزالهم عند نزولهم صار اصعب ، ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر ، محتاطين بالانحصار . محيطين بها للحصر . وضرب الملك العتيق كي خيمته على تل المصلبة ، وربطت مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالاجام المؤتشفة ، وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا بعثا دخلها على غرة من العدو ، وتواصلت البعوث اليها التي هي على التزايد والنمو ، حتى استظهرت بقوتها . وقويت باستظهارها . فلما اجتمعت العساكر . واتصلت بالاول والآخر . كي جيشه طلبا طلبا ، وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا ، وسار بهياته وهيبته ، وانزل العسكر على تعبيته ، ونزل بمرج عكا على تل كيسان في ذوي اختصاصه ، وقد نصب من خيامه عليه اشراك اقناصه ، وامتدت الميمنة الى تل العياضية والميسرة الى نهر الماء العذب ، فدارت رحى الحرب ودام كر الكرب ، وطاب طعم الطعن والضرب ، وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب ، ووافى للانجاد عسكر الشرق ماضي الغرب ، وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين للمكابرين ، قد احطنا بالعدو وهو وبالبلد محيط ، واستشطنا منه وهو مستشيط ، واحدقنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلها ، ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها ، ورتبنا بالزيب والنواقر رجالا يصدونهم عن سبلها ، ودمنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم ، ونراوحهم ونغاديهم ، ونعاودهم ونبايهم ، ونقدم بعوايينا على عوايينهم ، ونصدهم ونصدمهم ، ويوجددهم البحر ونعدهمهم ، وما زالت مراكبهم تتواصل . ومناكبهم تتناول ، وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون ، متراقدون متراقدون ، قد لقعوا وجه البحر بنقب السفن ، وجذبوا بالقلوس على ثجبه عران الرعن ، والقوا على تياره بسط البطش . وحملوا على البحر أوزار النجس . وتبالهم وتعسا . فانهم زادوا على

رجسهم رجسا ، وبقي القتال بينهم وبين اليزكية ، كل بكرة الى العشية ، الى أن وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ، ومظفر الدين كوكبوري الأسد الغضنفر ، فاستظهرنا بهما وبعمسكركهما الدهم ، ووصل مقدموا الرجال في الجمع الجم ، واستدارت الفرنج بعكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التحرس والتحرز ، ومنعوا من الدخول والخروج ، ولج أولئك العلوج في ضبط طريق الولوج ، وذلك في يوم الأربعاء والخميس آخر رجب لانسلاخه ، والاسلام ينابينا باستصراخه ، وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهل رأياته ، واستقلت آياته ، وعز عزمه ، وعلا حكمه ، ومامنا الا من اسرج الجرد وجررد السريجات ، وعاج بالاعوجيات . واشرف بالمشرفيات ، وبرز باعتقال الرينيات ، وربان العقيليات ، وأزكى المذاكي وقرب المقربات ، وقد سن سنان لده ، وجن جنان قرنه ، وساف سيفه ردع الدم ، وضاف جوده مضيف العدم ، وأقبلنا والنصر مقبل ، والظفر متهلل ، والميمنة والميسرة باليمن واليسر ممتدتان ، والقلب له من التأيد والتمكين جناحان ، واتفقت الآراء واجمع الامراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة ، عند قبول الدعوات المرتفعة ، ومناب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلاده ، واجماع الالسنه والقلوب في الضراعة الى الله في نصره المجاهدين من عباده ، وأحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم ، وكدر عليهم صفوفو مشاربهم ، وفل مضاء مضاربهم ، وهم في مواضعهم واقفون . وعلى مصارعهم عاكفون ، وفي مواطنهم ثابتون وعلى مواطنهم ثابتون كالبنيان المرصوص مافيه خلل ، وكالحلقة المفرغة ماإليها مدخل ، وكالصور المحيط ماعليه متسلق ، وكالجبل الأشم مافية متعلق ، فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا منهم فلم ينزحوا وحملنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها ، وأنخنا لهم مطايا المنايا فهان عليهم ان يمتطوها ، ودامت الحرب قائمة ، وبيمة الدم دائمة ، وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه ، وخلف نظامه حتى نخل الليل وحجز ووعد النصر مانجز ، وحزب الحق ماعجز . فأصبحوا يوم السبت على الحرب كما امسوا . وزادوا على ماجرى امس

وأهلوا عنه وأندسوا ، فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس
الظهر ، وأصبحت شمس الجمهور ، واستضاف نورها مستفيض
النور ، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة ،
كانت لمن قدامهم من الفرنج مبيدة ، وفرشوهم على تلك
التلول ، وردوا مضاربهم من قلهم بادية الفلول ، وانهزم الفرنج الى
تل المصلبة نحو القبة ، وثبتوا عند الوثبة ، وأخلوا ذلك
الجانب ، وخالوا تلك المذاهب ، وقلعت خيامهم . وقطعت أطماعهم
عنها ، وانفتح لنا طريق عكا . ودخلها الرجال . وحملت إليها
الغلال ، ونقلت إليها الأحمال ، وبذل العسكر اليها
وخرج ، وانكشف ضيق حصرها واطلع السلطان على الفرنج من
سورها ، وشرع في تدبير أمورها ، وخرج عسكر البلد للموازنة على
قتال العدو العادي ، وترك الهوادة في قصر القصر ، والهوادي
والفرنج قد رهبوا ، ولو قدروا هربوا ، ولكن اصحابنا رأوا أن
انفتاح باب البلد غنيمة ، وانهم أي وقت ارادوا كانت منهم عزيمة .
ومن العدو هزيمة وتوقفوا على الاتمام ، وتقدموا عن مقام
الاقدام ، ولو أنهم استمروا في الحرب على هياتهم وهيبتهم ، لباء
الاعداء لنجحنا بخيتبهم ، فان الصدمة الاولى أخافت
وحافت ، ونافت بقاء القوم وعلى هلكها انافت ، ولكننا تركناهم
حتى عادت اليهم الأرقام ، وعاود فرقههم الافراق ، وابصروا ما بين
ايديهم وما خلفهم . وازالوا فيما بينهم بالموافقة خلفهم . واثبتوا في
مستنقع الموت أرجلهم . ورأوا أن الوقت قد أمهلهم . وقال أمراؤنا
هؤلاء قد سهل أمرهم ، وخمد جمرهم ، وقد حص رياشهم
حصرهم ، وهم في قبضتنا أي وقت اردنا ، ولقصدهم
تجربنا ، وقالوا نصبر الى الظهر ونمضي ونسقي الخيل ونعود
وحيئنذ يشغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجود . فانصرفوا على
 وعد العود ، وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود . وبلغ العدو ريقه ،
ووجد الى الجلد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه ، وضم عن الانتشار
راجله ، وزم رامحه ونابله ، ووقفوا كالسور من وراء الجنويات
والقنطاريات ، وقد صوبوا الجروح وفوقوها ، وجمعوا
العدد وعلى الرجال فرقوها ، كأنهم في الدروع أراقسم ، وفي المجان

علاجهم ، وفي النهوض قشاعهم ، وفي الضراوة ضراغم ، واختلقت
الآراء مع العلم باحتراسهم وتستترهم بتراسهم ، فمننا من يقول
نصحبهم بالزحف ، ونزورهم بالحتف ، ويترجل الأمراء فيتبعهم
الأصحاب . وتنشب من أساننا في تلك الخنازير من الذشاب الأظفار
والأنياب ، ويتصل الطعان والضراب ، فننسفهم ولو أنهم
جبال ، ونطفئ نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال .

ومنا من يقول يدخل راجلنا الى البلد . مستعدا بالاهب متأهبا
بالعد . فاذا زحفنا اليهم . واوجفنا عليهم . خرج من في البلد من
العسكرية والراجل . ونازلناهم من امامهم ومن ورائهم بالنوازل .
فلا تطرف لهم بعدها عين . ولا يبقى للدين بعد درك الثار منهم بين .
ومنا من يقول لابل ذفرج عنهم . ونبعد منهم . فما دمنا على هذه
المضايقة والمصابرة . والمحاqqة والمحاصرة . والمكابدة
والمكابرة . فانهم يتيقظون وينتبهون . ويتحفظون ولا ينهون
ويتحرزون ويتحربون ويتوجلون ويتوجمون . فاذا ارخينا طولهم
واوسعنا املمهم . استرسلوا بعدما استبسلوا . واستقبلوا الدعة
بعدها ما استقلوا . واطمانوا فطمعوا . واذا ابطأنا تسرعوا واغثروا
بانا على غرة فأغاروا . وظهرت لهم اثار ركوبنا عنهم فظهروا
وثاروا . فحينئذ حينهم يحين ، وشينهم يشين . واذا ظهروا ظهرنا
عليهم . ومتي اصحروا اصحرنا اليهم . وان بارزوا بارزناهم .
وانجزنا عدة امانينا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول : هؤلاء في عدد
الزمل . وكثرة الرمل . وظلام الليل . وعرام السيل . فما يقمهم الا
العدد الكثير . ولا يقمعهم الا الجمع الجم الغفير . والمصلحة ان
نستنفر العساكر ونستحضر لآبادتهم البادي والحاضر .
ونستجيش الحجاقل ونستثير الفارس والراجل ونلقاهم
بامثالهم ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم . وازواهم عن قريب
تفرغ . وامادهم في الصبر تبلغ . وامدادهم تنقطع . وانجاهم
تمتنع . وموادهم تقل . وجوادهم تضل . ولراكبهم في الشتاء
شتات . ولحباثلهم وحبالهم انبتات ، فاما ان يضطروا الى
الانفصال . واما ان يؤنن فناء ارزاقهم بحلول الاجال . ويهون علينا

حربهم في تلك الحال . (وكفى الله المؤمنين القتال) . (الاحزاب ٢٥)
فهذا عسكر الاسلام . وجند مصر والشام . وفي الاقدام به خطر .
وفي المباشرة بحربه غرر . والمصلحة العامة تلحظ . ورأس المال
يحفظ ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل ونستدفع بحقها
الاباطيل . ونستكثر من مراكبها . ونستدعي على هذه الافاعي
بعقاربها . ونستطيل على الشنأة المستطيلة بشوانيتها . ونعدو على
عوادي الاعادي بعواذيتها واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر .
وصلت لنا اسباب النصر . وحينئذ نقاتلهم برا وبحرا . ونوسعهم
بمضايقتهم فيهما قتلا واسرا . وما زالت هذه الاراء بيننا متداوله .
وخواطرننا في تدبيرها متجاوله والحرب بيننا وبين الفرنج جاربه
وزناد الهيجاء لاشغال نارها واريه . وفي كل يوم نتصافح
بالصفاح . ونتكافأ بالكفاح . وننطق فيهم بكلام الكلوم . ونلحق
منهم الموجود بالمعدوم . ولطلائع وقائع . وللسهام افواق فائقة .
وللحماس اسواق نافقة . وسرايانا في كل يوم وليلة تسري وتأسر .
وتبري وتأبر . وتكسب وتكسب . وتسبي وتسلب . والسلطان يباشر
ذلك كله بنفسه . وهو يدأب في يومه لغده مجتهدا في الزيادة على
امسه نائبا عن اعوان المسلمين وانصارهم . ساهرا لهم في ليلهم .
قائما بأمرهم في نهارهم . والعين الساهرة في سبيل الله
قريه . وتعب يوم واحد لله في اليوم الآخر نخيره

ذكر وقعة تمت يوم الاربعاء سادس شعبان

وركب الفرنج اخر يوم الاربعاء سادس شعبان بأجمعهم . وتقدموا
من موضعهم . واشتاقوا إلى مصرعهم . وفارقوا الحزم في
تسرعهم . وخرجوا عن رجالتهم . وتجردوا بخيالتهم . وحملوا على
الواقفين من اصحابنا حملة الرجل الواحد . فتحرك الصف الثابت
الساكن امامهم كالبنيان اذا تحلل من القواعد . وتراجع عنهم
المسلمون استدراجا . وملأت الارض السماء عجا وعجا . وزخر

بحر الحرب على أمواج امواج . فما قربوا من خيام اليزك . الا وقد
اعتكر جو المعتكز وعساكرنا قد أوجفت عليهم . وزحفت
إليهم . وأردتهم بعقابهم . وردتهم على أعقابهم ووصلت الى
رؤسهم فقطعت رؤوسا والحف بأسها ذلك الجمع بؤسا . وثنت وجه
الكفر عبوسا . وولوا مدبرين . وأدبروا مولين . والجريح بالقتيل عابر
عائر . والذمر الباسل باسم بالموت باشر . فلما جن الليل رجعت بما
جنته الخيل . وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ . وهمة
متنبهة للتدفع . وحراسة وحماية . وسياسة ورعاية . فلما
اصبحوا عادوا الى عادتهم في اللقاء . وهاجوا بعابيتهم الى
الهيحاء . هذا وابواب البلد مفتوحة . والصدور بطروق الظهر اليها
مشروحة والفرنج قد ندموا على ما قدموا . وعدموا بصيرتهم بما
صدموا . وعادوا لايفرطون ولايتورطون . وينقبضون ولاينبسطون .

ذكر وفاة حسام الدين طمان

انقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل
العياضية . ليكون به في الجهة المرضية . فان هذا التل بازاء تل
المصلبه منزلة العدو . وهو مشرف عليهم للعلو . وضربت خيام
الميمنة ممتدة الى البحر ، وخيام الميسرة الى النهر ، واتسع مجالنا
وضاقت الدائرة على الكفر . وكان الامير طمان صاحب الرقة
مريضا ولم تزل وجوه الايام الغير في سبيل الله باحمرار بيضه
بيضاء ؛ وهو الحسام الفاضل . والهمام الباسل . والقرم البازل
والندب الحلال . والمحترق لحمية الدين . والمقترح لحماية
المسلمين . ولما وافت وفاته . وفاته رجاؤه ولم يرجأ فواته . أسف
على عمره . وأسى على أمره . وحزن كيف لم يقتل شهيدا . ولم
يستشهد في الجهاد سعيدا . وقال : قدموا حصاني حتى اشهد الحرب
واستشهد ، واجاهد الى ان اقتل واجهد ، فاني ارى موتي على
الفراش عبثا . وقد عرفت مني شجاعة لاجبنا ، وتوفي عصر الاربعاء

ثالث عشر شعبان ، وبواه الله الجنان ، ويشربه رضوان . وكان قد توفي بالقرب الامير النذب . فارس الحرب . ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب . حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتجب فذبت مضارب الدين باغماد الحسامين . وحلت الهموم لاجل اجل الهمامين ، فوجمت النفوس ، وامت القلوب وفاضت لغروب فيضها الغروب .

ذكر واقعة للعرب . أربت لنا بالأرب

انتهى الينا ان الفرنج . يتطرقون ويتطرقون . ويأمنون ولايتخوفون . ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ، ويصلون الى طرفي النهر ، وهم لمن يحلق عليهم من فوقهم تحت القهر ، فانتدب جماعة من العربان ، وضراغم فارسة من الفرسان ، فاغاروا وهم غارون ، وساروا الى جمعهم وهم بتجمعهم سارون . وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشروهم الى حمى حمامهم . وحملوا اليهم حين حملوا عليهم رؤسا ، وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوسا . واحضروها عند السلطان فاجتابوا بها خلع الاحتباء ، وبعثهم على الحمية والاباء ، وذلك يوم السبت سادس عشر الشهر . وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر . هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم منتقي وفيهم منتقل . وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق . والارواح في مساق ، والمصاع على اتساق ، وكم قتل من حزب العدو واسر . وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحزبان ، وكل الغربان . فتوافقا على الامان . وتوافقا يتكلمان . وربما اقدموا ثم نكصوا . وغذوا ورقصوا . واذا لغبوا لعبوا . واستراحوا الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ماجري وغرائبه ، وملح ماتم وعجائبه ، ان الطائفتين في بعض الايام . ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام ، فقال واحد من الفرنج الى متى هذا القتال . وقد فني الرجال ، فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا . وليكونوا في

امانكم واماننا ، فبرز منهم صبيان . ومن البلد احران . فقاتلوا مليا ، والافوا نار الحرب صليا ، ثم وثب احد الصبيين المسلمين . على احد الصبيين الكافرين . وضرب به الارض . وقفز عليه وانقض . وقبضه كسيرا وجذبه اسيرا ، فافتداه بعضهم بدينارين . وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى جنتين . والعدو من كفره وفكره الى نارين ، ومن الاتفاقات النادرة ، وامارات السعادة الظاهرة . انه اقلت من بعض مراكب الفرنج حصان . له عندهم صيت وشأن . فلم يقدروا على ضبطه ، كما عجزوا عن ربطه . ومازال يعوم في البحر وهم حواليه . حتى دخل مينا البلد وتسارع اصحابنا اليه . واهدوه الى السلطان ، وعده العدو من امارات الخذلان ، ورأيناه لنا من دلائل النصر والاحسان .

ذكر الواقعة الكبرى

واصبح الفرنج يوم الاربعاء العشرين من شعبان . وقد رفعوا الصلابان ، وزحفت اسودهم في غاب المران . وطارت بهم خيولهم عقبانا على عقبان . وجرت بالجمال منهم رياح . وجالوا دون التل كأنهم له وشاح . وخرجوا على التعبيه . وشفعوا نداء الكفر بالتلبية . وشفعوا بالتبرية للتربية . وتقدموا معتزمين . وعزموا مصممين . وثاروا ثورة الشيطان . وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل امام الفرسان ، وزحفوا اطلابا ، ودبوا دبیب الليل الى النهار ، وهبوا هبوب الخيل الى المضمار ، واجروا سيول السوابق الى القرار . وجروا زيول السوابق الى الغوار ، وتحركوا وهم هضاب ، وتدرکوا وهم غضاب . ومازالت ميسرتهم تكثر وتكذف . وتعطوا (٣٣) وتعطف . وتفور وتثور . وترود وتدور . وتهم وتهمهم . وتدمدم وتدوم . وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته ، وطلب من الله نصرته . وثبت قلبه وقلبه ثابت . وحزبه في صف الحرب ثابت . ورعبه لكبة العدو كابيت . وهو يمر بالصفوف . ويأمر

بالوقوف . ويحضر علي حظ الابد . ويحدث على الجلال والجلد .
ويذهب للوثوب . ويندب الى الندوب . ولما شاهد شروق بروقهم .
وخروق مروقهم . وكثافة ميسرتهم . وحشو وحشود كثرتهم . انهض
رجال القلب لتقوية ميمنته على الحرب . وكان الملك المظفر تقي الدين
من الميمنة على الجناح ، في جمع يعثر بعثيره واراد الصباح ، وكلما
تقدموا تأخر يستجرهم . ويحذر مكرهم ومكرهم . فعرفوا انه لا قبل
لهم بمقابلته ، وان هذا ليس ميعات مقاتلته ، فتركوه واستقبلوا
القلب وزخر بحرهم وعب . وحملوا حملة ذوي حملة منها
الدو . واسود منها وجو الجو . ووصلوا الى جموع ديار بكر
والجزيرة . وغاصوا في لجتها بغدران السوابج والسوابغ الغزيرة ،
وكانت من القلب الى الجناح للطيران وجبالها على الرياح الجريان
فعرفوها بالغر . واستضعفوها لدى الكر . والما بها فما ألت .
وهموا بها فما همت . واندفعت ومادفعت . وتراجعت وما رجعت .
وتعكست وماعكست . وادبرت وماتدبرت . ولكونها غير عارفة بقتال
الفرنج هابت وماهبت ولايت (٣٤) ومالبت . ورابت وماربت .
وجاؤوا الى القلب وقلوبه . وحاربوه وحربوه وخربوا حربه .
وخرقوا حجبه . وهناك استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة .
واسنودورهم نحو الاسنة . منهم الامير مجلي بن مروان . وكان
مجليا في المروة . والظهير اخو الفقيه عيسى وكان ظاهرا الفتوة .
واخرون اعترفوا بذنوبهم فرحضوا بماء الشهادة دون حوبهم .
وصعدوا الى مخيم السلطان . طامعين في استطالة حزب الصليبان .
وكنتم في جماعة من اهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم . ووقفنا على
الدل نشاهد الواقعة وننتظر مايكون من القوم . وماظننا ان القوة
بهى (٣٥) . وان الواقعة الينا تنتهي . فلما خالطونا في المخيم .
وباسطونا في المجثم . وكنا على بغال . بغير أهبة قتال . استدركنا
امرنا . واخذنا منهم حذرنا . ورأينا العسكر موليا . والمهزم عما
تركه من خيامه ورحله متخليا . فوافقنا في الاندفاع . والفينا
الاستضرار في المال عين الانتفاع . فوصلنا الى طبرية فيمن وصل .
ووجدنا ساكنها قد اجفل . فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على
شرقية . وكل منا ذاهل عن شبعه وريه . مفكر فيما يكون من امره .

منكسر القلب لما تم على الاسلام من كسره . لا يالف مبيتا . ولا يلفى بيتا ، ممسك بلجام فرسه . قد انن ضيق نفسه بضيق نفسه . ومن المنهزمين من بلغ عقبه فيق . وهو غير مفيق . ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج على طريق . واقمنا بموضعنا على الخوى والخيول واقفة بلجمها والطوى . والغمض غير طارق . والفرق غير مفارق . والقلوب مرتاعة مرتابه . والادعية الى الله مرفوعة مستجابة . وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده . وعدا جنده . وان الكفر حاد فله وفل حده . وان الميسرة ثبتت فثاب اليسر . والاسدية انتصروا فأسد النصر . وكان هذا الصدى يقوى . والصدأ يروى . والبشرى تسري . والبرد بها تجري . والناس بين مصدق ومكذب . وذاهب في مذهب من الظن مذهب مذهب . حتى عبر سحرا علينا خادم اسمه صافي . وقد ورد مورد الظفر الصافي . فنادى أين العماد . فقد جاءه من النصر المراد . فأسرعنا إليه . واجتمعنا عليه . فقلنا ما الخبر . وكيف ضفا الظفر (٣٦) . وصفا الكدر . وقدر السلطان وتسלט القدر . والى اين انت سار بالنبا السار . وفي اية دار تنزل بمنزل النصر الدار . فقال: أنا بشير دمشق بالنبا العظيم . والخبر الكريم . فقلنا: اهلا ببشائر البشائر وطائر الاوطار . والسائر بالمسار والاخ البار بالاخبار . والصديق الصادق . والموفق الموافق . ومرحبا بالخصي الخاص لما مر حيا فحل بالخبر الفحل فحلا . وكم ام للنجح املا وجلا وجلا . فأبنا محبورين مجبورين . وثبنا مثابين مأجورين . وندمنا على ماندمنا في الهزيمة . وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمة . ولقينا السلطان وقد فتك وقتل . وجد وجدل . وانتقم من القوم ومن مقامه ما انتقل . وقد شل الجموع وجمع الاشلاء وادام الاجراء حتى اجرى الدماء .

ذكر حصّة النصره بعد صحت الكسره وكيف ادا لاله الاسلام واذل الكفر بتلك الكره

لما تمت الكسره . وعمت الفتره . وكرت الكره . وامرت تلك المره .
وصل جماعة من الفرنج الى خيمه السلطان وشيم من عارض
اعتراضهم شؤم شيمه الشيطان . وجالوا جوله . وخالوا دوله .
وصالوا صوله . ثم رأوا عنهم انقطاع اشياهم . وعدموا اتباع
اتباعهم . فشرعوا في اندفاعهم . وهابوا الوقوف على اجتماعهم .
فانحدورا عن القتل . وقد جاؤوا بقوة العز فآبوا بضعف الذل .
واستقلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم . وحكموا في رقابهم اسياهم .
ورددوهم وأردوهم . وعدوا على شركائهم في الشرك فأعدوهم . وكان
في ميسرتنا عسكر سنجار والاسديه فما زالوا ومازالوا . بل وصلوا
وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنه الفرنج فكأنما مرت بالجبال
الرياح . وخالطوها فودعت أجسامها الأرواح . وعاد من كان من
الميمنه الاسلاميه بالبعد . حاد المضاء ماضي الحد ، مثل تقي الدين .
وقايماز النجمي والحسام بن لاجين . ومن ثبت من أبطال
المجاهدين . فكروا على ميسرة الفرنج فشلوها وانهلوها من دماها
وأعلوها . ولفوها وقلوها . ولقوها وأقلوها . ووضعوا فيها
السيوف . وأوضعوا اليها الحتوف . وأوسعوها قتلا ذريعا .

وما بطأ الوقت حتى صار مقدامها ضريعا سريعا . فلم يفلت من
الاعداء إلا أعداد . ولم ينج من الاقها الا احاد . وامست لنا الحرب
فراشا . ولارض المعركة فراشا . وتبعها اصحابنا حتى كلت
سيوفهم وكلوا . وملت لتوتهم وليوثهم وملوا . وفرس زهاء خمسة
الاف فارس من كل ممار ممارس . ومستوحش بالموت انس . وممن
اودى في الاقدام مقدم الداويه . ولم تحمه من الحمام ناره الحامية
لنار الحميه . وحكي عنه انه قال بعرضنا في مائة الف وعشرة الاف .
احلاف الحاف والاف اتلاف بلا تلاف فلما عجزوا . وبالخندق

احتجزوا . وقف عنهم اجنادنا . وبلغ المدى فيهم جهادنا
واجتهادنا . ومن العجب ان النين ثبتوا منا لم يبلغوا الفا فردوا
مائة الف . واتاهم الله قوة بعد ضعف . وكان الواحد منا يقول قتلت
من المثلثين ثلاثين واربعين . وتركتهم بالعراء عراة مصرعين .
ولاشك ان الله انزل المسومين . وكل يتحدث بعد ذلك مما شهده .
ويعهد الينا بما عهده . وحكى بعضهم قال كنت على فرس قطوف .
ماله منة سير ولا وقوف . وانا منهزم من فارس مدجج . في بحر
الحرب ملجج . وهو على جبل يجري به جري الريح . وينادي بشعار
المسيح . وقد لز بقربي حصانه . وهز لصلبي سنانه . فما شككت
انه يشكني بلهزمه . ويفكني بمخذه . وايسر من البقاء . واذست
للشهادة واللقاء . واستعنت بالله واستعنت . وتشاهدت مما
شاهدت . ثم ابطأت على صدمته . وخطأتني خدمته . فالتفت فاذا
هو وحصانه ملقى كلاهما . وما وجدت بالقرب احدا اقول انه
ارداهما . فعرفت انه نصر الهى . وصنع رباني في مذاق الايمان
شهى . وفي افاق الاحسان بهى . فايقنت ان النصر ماملكت ، الا
الملائكة نصرت . وان الظهور ماسر الا لاسرار لله ظهرت .

ذكر مكاتبة انشأتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله في هذه الواقعة من الألفاظ

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها . وشكر
الطاف الله الخفية وابداء سرها . ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها
واشاعة نشرها . وذكر فيها ما لفرنج عليه من اجتماع راجلها
وفارسها . والاحتماء بخنادقها ومتارسها . وان لنا كل يوم فيهم
نكاية بالغة . وسطوة دامغة . وثعالب عوامل في دمائهم والفة .
ومضارب مناضل لرؤوسهم فادغة . ونيوبهم عواسل ماضغهم
ماضغة . ونيول نغم عليهم في تقليص ضلالهم سابغة . وايدي ايد
لصفحات البيض بنجيعهم القاني صابغة . وضمائهم وضوامر عن كل

شغل سوى شغل الجهاد فارغه . وهمما وعزائم لا ترى عن وقم
القوم اهل الزيع زائفة . وما برح الفرنج في برج شديد . وامر غير
سديد . وظل للذل مديد . وضيق حصر في كل يوم جديد جديد . حتى
ضاقوا انفسهم وانفاسهم واخفق رجاؤهم . وظهروا بأسهم ووقع
بينهم بطول المقام بأسهم . فاجمعوا امرهم على انهم يجدون في
اللقاء . ويهجيون الى الهيجاء ، ويلقون الالوف بالالوف .
ويصدمون الصفوف بالصفوف . ويعرضون نحورهم ووجوههم على
الاسنة والسيوف . ويكسفون بشبه التذليل ادلة التوحيد .
ويكشفون الضر عنهم بالجد الجديد . والحد الحديد . وبرز ذلك
الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان . ورفعوا الصليبان
واشروا الخرصان . واتبعوا الشيطان . ورتبوا الرجال . وطلبوا
الفرسان . وحملت لهم اطلاب تضم ابطالا . وتضمن بباطلها للحق
ابطالا . وتأمل لشمليها المتفرق اجتماعا . وترجوا للصليب السليب
ارتجاعا . وعصفت رياحها الهوج . واقبلت بحار سوابجها
وسوابغها تموج . وكاد ان يثبت للشيطان قدم ، ويراق للايمان دم .
فانها خرقت حجاب الصف . وفرقت شمل الجمع الملتف . وزاغ
جنان الجبان وهمه وهمه . وادبر موليا وعزمه زعمه . فظن من
لايقين له ان الاسلام قد اسلم . وان نصر الله الموجود قد عدم . وان
الكفر المتأخر قد تقدم . وان الصبح المتبلج قد اظلم . وهناك عرف
اهل الثبات . وثبت اهل العرفان . ورقصت المرات على اشاجع
الشجعان . والتفت العنان بالعنان . والتقى السنان بالسنان .
وخطبت الصوارم على منابر الطلى . ورتعت اللهازم في كلا الكلي .
وفتحت اليغالق مغالق الحتف . وزحفت الفوارس الى فوارس
الزحف . وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلاب . ووصلت
ضرب الاعناق بقطع الرقاب . وما زالت تشل الفرنج وتفلهم . وتحل
بعقدهم الوهن وتحلهم . وتروي ظمأ الظبأ من ورد وريدهم .
وتخضب شيب البيض بدم طريدهم . حتى فرشت بعد ان سلبت
اشلاؤهم بالعراء عريا . وجرحت خيولهم وخيالاتهم فلم تستطع
اجراء ولم تطوق جريا . حتى تذلمت وتذلمت بنجيعهم صفحات
الصفاح . ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح . واعرب

حديث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح . وقتل من مقدميهم
ومقدمي مقدميهم زهاء خمسة الاف . زهى الاسلام بما اتسع من
عطن عطبيهم . وحسن منقلبه بسوء منقلبهم . وعاش بما شاع من
قتلهم . واشتغل العسكر المنصور بشغلهم . وطاب القلب المهموم بما
تم من ماتم الكفر وعرس الدين . وقصم الهدى متن الضلال المتين .
وهمت الرواعف الفوارع بحمل هامات الحاملين . وانجلي الغبار
عن كل قتيل مالعائره من مقيم . ولا لقاؤه من مقيم . وعادت اعلام
الاسلام ظاهرة . وأيمان باطنة قاهرة . وهدي الهدى على النصر
مزفوفه . وعيون العدا عن النظر بالعمي مكفوفة . ولم ينج ممن حمل
من حمل رأسه . ولم يقدم من اولئك الرجال الا من فقد رجاءه .
ووجد رأسه . وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف
واصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف . وتراءت وجوه الفتوح لنا من
خلال تلك الحتوف . ودخل الليل عليهم . ووقفت العساكر حوالهم .
وهم وان وهذوا لما اصابهم من الكسره . واخطأهم من النصره .
وحل فيهم من الرزء . وسخر بهم الشيطان في موقف الهزء . وفجع
كلهم بالجزء . ونقص منهم العدد الكثير . وركد من ربحهم ذلك
العاصف المبير . فانهم في حشد كالدبى . وجمع اغص الوهاد
والربا . وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت الحبا .
وودوا لو وجدوا مهربا . وتفرقوا ايدي سبا . وقد عادوا وتحصنوا
وتصبروا . وتخبروا المقام على الحين حين تحيروا . واوسعوا
الخنادق وعمقوها . واحكموا المتارس ووثقوها . وندموا على
الحركة . فانها افضت بهم الى الهلكة . وانهم ماداموا رابضين .
وعلى يد الصبر قابضين . يتعذر الوصول اليهم . والدخول عليهم ،
وتطول ايام الاحاطة بهم من حوالهم . وفي تلك الحركة التي حلا بها
للاشجعان طعم الطعن . وغلب فيها للجبناء وهم الوهن . وتجافى عن
الثبات من محبي الدنيا جنب الجبن . ارتاع عسكر الشرق من ذلك
الغرب واختار المتسللون المتفللون منهم البعد على القرب . وماثبت
الا عسكر سنجار فكله محرب مجرب للامور . سيد ساد للثغور .
ومجاهد الدين يرذقش قد صدق نعتة بالمجاهدة للدين . وجلا ظلمة
الوهم بنور اليقين . وقرت عين طمان بالجنة باقدام الولد . وماذا

يقال في شبل ذلك الاسد . وانما الغرباء هابوا . وكانوا قد ضجروا
من الحضور فهابوا . والفرنج الان في ذل وخسر . وفي عسر بغير
يسر . وفي حصر بغير حصر . والمرجو من الله سبحانه ان يقدر على
قطع دابرهم . واهلاك سائرهم عن اخرهم . وتحريك همم المؤمنين
في تسكين سائرهم . وتخريب عمرهم وعامرهم . وانزال دوائر
السوء بمنازل دوائرهم . ومادام البحر يمدهم . والبر لا يصددهم .
فبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب بادائهم واسوائهم ملازم .
وتدبيرها الان في التدمير على هذه الجموع . وسوقهم الى مصارعهم
في ورطة الوقوع . فأتين حمية المسلمين . ونخوة أهل الدين . وغيره
اهل اليقين . وما يقضي عجبنا من تضافر المشرك على شركه .
وتظاهرة في اتساع مسلكه واتساق سلكه . وقعود المسلمين
وتقاعدهم وتعاضلهم في تعاضدهم . وانحلال عقود تعاضدهم . فلا
ملبي فيهم لمناد . ولا موري منهم في اجابة داع لزند . فانظروا الى
الفرنج اي مورد وردوا . واي حشد حشدوا . وأية شالة نشدوا .
وأية نجدة انجدوا . وأية اموال غرموها وانفقوها . وجدات جمعوها
وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها . ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم .
ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم واكابرهم . الا جارى جاره في
مضمار الانجاد . وبارى نظيره في الجد والاجهاد . واستقلوا في
صون ملتهم بذل المهج والارواح . وآمدوا اجناسهم الانجاس بانواع
السلاح مع اكفاء الكفاح . وما فعلوا ما فعلوا . ولا بذلوا ما بذلوا .
الا لمجرد الحمية لمتعبدتهم . والنخوة لمعتقدهم . وليس احد من
الفرنجية يستشعر ان الساحل اذا ملك . ورفع فيه حجاب عزهم
وهتك . يخرج بلد من يده . او تمتد يد الى بلده . والمسلمون بخلاف
ذلك قد وهذوا وفشلوا . وغفلوا وكسلوا . ولزموا الحيرة . وعدموا
الغيرة . ولو انثنى والعياذ بالله للاسلام عنان . او خباسنى ونبا
سنان . لما وجد في شرق البلاد وغربها . وبعد الافاق وقربها . من
لبن الله يغار . ومن لنصرة الحق على الباطل يختار . وهذا اوان
رفض التواني . واستدناء اولي الحمية من الاقاصي والاداني . على
انا بحمد الله لنصره راجون . وله باخلاص السر وسر الاخلاص
مناجون . والمشركون بانن الله هالكون . والمؤمنون آمنون ناجون .

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر فصد عن قصد المباكرة لمناجزة اهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى عادة المضاء . وزادت مضاربه من مادة الصفاء . وامر بمواراة الشهداء . ومن جملتهم الفقيه ابو علي بن رواحه . وكان غزير الفضل قد اكمل الرجاحة والسجاجة . وهو شاعر مفلق . وفقيه محقق . من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق . فطرفه الاعلى يوم مؤته مع جعفر الطيار . وطرفه الاقرب يوم عكا في لقاء الكفار . ومنهم اسماعيل الصوفي الارموى المكبس . وكان سيدا عفيفا عاريا من العار لا يتدنس بالاشبه ولا يتلبس . ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلाम في الخزانة امين على البيت وآخرون صودقوا عند التل فجاءتهم السعادة . وفجأتهم الشهادة . وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة . وذهب قبل الرجعة . واجمع السلطان وذوو الآراء انه يصبح القوم . ويباكر في طلب ارواحهم السوم . وقال هؤلاء قد اضعفنا قوتهم . واعجزنا قدرتهم . وفثنا سورتهم . واخمدنا فورتهم . وقتلنا مقاتلتهم . وادوينا داويتهم . فان تركناهم بلعوا الريق . وبلغوا في الاحتراز والاحتباس الطريق . فنحن نوافيهم غدا . ونوفيهم ردى . ونكيلهم بصاع المصاع . ونذرهم بباع السباع . ونقيهم بذراع اليراع . ونوسعهم قرى القراع . ونذيقهم حر الحرب . ونسقيهم في طعم الطعن شرب الضرب . ونعين من عيونهم للأسهام سهاماً ، ونتخذ لارواح النصال من اجسامهم اجساماً . ونفرقهم بماء فرند الهندوانيات . ونحرقهم بنار زند اليمانيات . ونوجد من عدمهم النصر ، ونطيب من نذفهم النثر . ونقطع دابرهم . ونلحق بأولهم آخرهم . فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم . واجراء هذا الحكم . تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب . لما ناب من الامر وراب . وذلك ان غلمان العسكرية وصحابها . واوباش الجمع وأوشابها . ظنوا تلك الفورة هزيمة . فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها غنيمة .

وانهزم من انهزم من الجند . وثبت من ثبت من اهل الجد . فمن عاد الى رحله وجده منهوبا مسلوبا . وكان ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقى خطوبا قمضوا وراء الغلمان . ويلوا بسوء دين السودان . واصبحنا واذا العسكر غائب . والعازم عازب . والقاصم قاص . والطائع عاص . والجمع متفرق . والثابت قلق . والامن فرق . والغني معدم . والجريء متندم . فهذا خلف ما نهب من ماله ذاهب . وهذا لمن طلب الطريق باثقاله طالب . ففتقر ذلك العزم وتأخر ذلك الحكم . وانتعش الفرنج في تلك المدة . وانتشلوا من تلك الشدة . واستطالوا بعد الاقصار . وفرغوا شغل الحصار . وجاءتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم . وبنت ما هدم فكمل بالمدد . ما نقص من العدد . ولولا ان الله تعالى قدر بقاءهم لكنا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم . فان الفرصة أمكنت . والحصنة تعينت . والجو خال . والضوء عال . والحال جميلة والجمال حال . فقضى الله بما قضى . وعرانا المضض بما مضى . وبقيت هناك تلك الجيف منتنة منبئة مبيته . وتلك الجثث محينة مجتثة . تعرفنا ان نشورها من حواصل الذسور . وان قدرها بطون الضباع والذمور . فشكونا نتن رائحتها . وشكرنا يمن جائحتها . فعجل السلطان حملها على العجل الى النهر . ليشرب من صبيدها اهل الكفر ، فحمل الى الماء اكثر من خمسة الاف جثة . بعثت الى النار قبل يوم البيعة ، فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى من اقبل بمن ادبر . وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر .

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من
الثقل واستدراك ما حذب من الخلل

تقدم الامر الى المقدمين والامراء . بعد النداء واعلام الجهلاء ، باحصاء كل ما نهب . واحضار كل ما سلب . وانه من لم يرد ما اخذه اخذ بالردى . واعتدى عليه بمثل ما اعتدى . فاحضر كل ما

عنده وبذل في الكشف جهده . وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان . وضائق عن كثرته سعة ذلك المكان . وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع يقين من شعبان . فكل من عرف من ماله شيئاً اخذه بعد احلافه . وحلا في مذاق الشكر قطاف الطافة . وسعى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه . وشفى العلل والغلل بالنهل والعلل من اشفاقة . وقمش ذلك القماش . وحصل من ذلك الويل الرشاش . وصبح بعد العري والعشار الارتياش والانتعاش . وكتب الى الولاة بالامصار والنواحي . والاقطار والضواحي . بحث البحث وجد الكشف . واستخلص كل ما يوجد ويؤخذ بالرفق والعنف . وتراجع الناس . وتتابع الايناس . وعادت مضارب العزائم الى مضائها . وقضاة القواضب الى اقتضاياها . وغار الآنف وأنف الغيران . وتسلبت العزم وعزم السلطان . وثار الحنق وحنق الثائر . وطار العلق وعلق الطائر . وطلبت الطلى نكاح بنات الخلال الذكور . واشرب للشرب نبات الاسل الى ماء النحور . وحمي ذوو الحمية للتقاضي . وقالوا حتى متى التراخي بالتغاضي

ذكر مجلس عقد ورأي عليه اعتمد وصواب افتقد وقد

فقد

وحضرا أكابر الامراء عند السلطان . يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقالوا علموا أن هذا عدو الله وعدونا قد أجلب بخيله ورجله . وأناخ بكل كل كله . وقد برز بالكفر كله إلى الاسلام كله . وجمع حشده وحشد جمعه . واستنفذ وسعه . وإن لم نعاجل الآن فريقه . والبحر قد منع طريقه . أعضل دأؤه . وتعذر غدا لقاؤه . فانه إذا سكن البحر . واستسهل ركوبه السفر . تضاعفت أعداد الأعداء . فظهر الأعداء من الأعداء . وخرج الداء عن قبول الدواء ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها . ولا قوة نستحضرها . وما يلي بهذا المعشر إلا معشرنا . وما بازاء عسكر الكفر إلا عسكرنا .

وما في المسلمين من ينجدنا . وما في بلاد الاسلام من يعيدنا .
وعساكرنا حاضره . وعزائمننا للتواني حاضرة . وعيون أسنتنا إلى
الفتك بالعدا ناظره . وما يعوزنا إلا حضور أخينا الملك العادل سيف
الدين . ولا بقاء للنقاد إذا أصحر منه ليث العرين . فالرأي كل
الرأي في المناجزة . قبل وقوفهم على محاج المحاجة . ثم قال ليشر
كل منكم برأيه . ولا يقدم على قول ورأيه من ورأيه . فتجاذبوا حبل
الاضطراب . واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراب . وركب كل
منهم هواه . وأعلن بما نواه . ومنهم من قال هذا ثالث عشر تشرين
الثاني لا الأول . وقد دفعنا إلى الخطب الاعضل والتعب الاطول .
والنائب الأعصى والناب الأعصل . وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين
يوما . وما طعمنا في هذه الليالي نوما . ولا سمننا لطارق طيف
غمضا . ولا شمننا الا لبارق سيف ومضا . ولكم قد ذقتنا المنايا وقد
دخلنا لهواتها . وكأن أبا الطيب عنانا بقوله . « وكأنا خلقوا على
صهواتها » . وقد كلت الضوامر . وفلت البواتر . وملت العساكر .
وهذا الشتاء قد أقبل . والعدو قد استقل . والشر قد استفحل . وما
يتأتي قلعه الا لمن يتأتى . وبالصبر يدرك الأريب ما يتمنى . وهم
بالمصابرة مصابون . ونحن على المثابرة مثابون . وهؤلاء لا يتمكن
منهم إلا بالجمع الجم . والسيل لا يغلبه غير الخضم . والصواب أن
نصابرهم . هذه الشدوه . ونستجد لنا ولخيلنا القوة . ونتأخر عن
هذه المنزلة . لتحصيل هذه المصلحة المؤملة . وذوكل بهم مناوبة من
يمنعهم من الخروج . وإذا انقضى البرد نرجع إلى معالجة هؤلاء
العلاج . ونعيد السريجات إلى سلها والسلاهب إلى السروج .
والصواب الأخذ بالاحتياط . وتقديم الكتب والرسل إلى الاطراف
والاوساط . ومكاتبة دار السلام . واعلام الامام عليه أفضل
السلام . بما دفع إليه الاسلام بالشام . فان المسلمين لا شك ينجدون .
ويقومون بالنصر . ولا يقعدون . ولا يترك استنفار التركمان .
وترغيبهم بالبر والاحسان . واستدعائهم بالعطايا . والتشريفات
السنايا . ويذفد إلى بلاد الشام القاصية والدانية . في تحريك الهمم
والعزائم الوانية . إلى ان تمتلىء بالجموع ساح الساحل . وتغلى
بنار الحميات بها مراجل الراجل . فحينئذ ينتهي أمد المصابر .

ونصمم على المكابرة مع المكاثرة . ونبايهم ونفاتحهم قبل انفتاح
البحر . ونغابهم ونراوحهم على اقتراح القهر . وننسفهم ولو أنهم
جبال . وننزفهم ولو أنهم بحار . ونعدمهم حتى لايطرق جفن بلد
منهم خيال . ولايلم بجفن طارق لهم غرار . ومازلنا في مشاورة
ومحاورة . ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة . حتى تنخل الرأي
وتمخض . وخالوا أنه تبين الصواب وتمحض . ومالوا إلى الدعة .
والخروج من الضيق إلى السعة . ومن نزال الحرب . إلى المنزل
الرحب . ومن المعتكز المعتكر . إلى المبرك المبتكر . فلم تعجبنى هذه
الحالة . ولم توافقتي هذه المقالة . وقلت لعمرى أتيتهم بمصلحة .
ولكنها غير مترجحة . فان الفرنج إلى الآن لم يتمكنوا من الحصار .
ولم يحدقوا بجميع الأسوار . فإذا رحلنا وتنحينا عنهم أرخيننا
خناقهم . وأطلنا إلى مرادهم اعناقهم . وباب عكا من جانب البحر
مفتوح . والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مغبوق مصبوح . والطريق
إليها سابلة . والنخائر إليها في كل يوم داخله . والفرنح عن قطع
الطريق عاجزه . وعزائمننا على مصابحتها ومماساتها لها دون
قصدها محاجزه . فإن تأخرنا تقدموا . وإن هونا احكموا . وإن
نقضنا أبرموا . وإن قعدنا قاموا . وإن بعدنا حاموا . ومتى رمناهم
تحفظوا . ومتى نمنا عنهم تيقظوا . وما دمننا نشغلهم فانهم لحصر
البلد لايتفرغون . وإلى أمد الأمل لايبلفون . فقالوا هذا أمر هين .
وما ذكرناه صواب متعين . ووجه الصلاح فيه بين . وما مقصودنا
إلا أن ينتشروا ويخرجوا من مضاربهم ويصحروا . فإذا أنسوا
بالرجاء لم يئأسوا من الأرجاء . أرخيننا لهم حبل الأنظار . حتى
استمروا على الانتشار . وحينئذ نصبحهم على غرة . ونعاجلهم كرة
بعد كرة . وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث . ونصدهم
بالباعث الباغث لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متكرها لما أبدوه
من الرأي الملتاث . لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث .

ذكر الرحيل إلى الخـــــروبة . عند خيم الأثقـــــال المضروبة .

كان السلطان مع ما ألم به من الألم . غير مبد وجهه الملال
والسأم . وهو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطوف . ويقف
مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف . ويعود وقت الظهر . وعليه
أثر الضر من الصبر . فليم على فعله . وخصه الطبيب بعذله .
فانتقل الى الثقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان ، وخلي المنزل
الأول وأخلي العسكر-----كر ذلك
المكان . وتقدم إلى من بعكا باغلاق الباب . وسلوك نهج الاحتراس
والاجتناب . وجرى الامر على ما كنت قلته . وتحقق من الخذل ما
خلته . فإن المركيس رحل وشغل الجانب الذي كان خاليا . ورخص
عنده ما كان من سوم خوفه غاليا . وشرع الفرنج في حفر خندق على
معكسهم حوالى عكا من البحر إلى البحر . وأخرجوا ما كان في
مراكبهم من آلات الحصر . وفي كل يوم تأتينا اليزكية بخبرهم . وبما
ظهر من أثرهم . والجد في تعميق الخندق وتتميم محتفـرهم .
والعسكر هاجم . كأنه واجم والظن فيه راجم . وشر الكفر ناجم .
وما فينا لعود الامر عاجم . وقلت يوما للسلطان يركب العسكر إليهم .
ويركض عليهم . فلعله ينال ظفرا . ويقضي من كسر العدو وطرا .
فقال ما يعمل العسكر شيئا إلا إذا كنت معه راكبا . ولعمله شاهدا
مراقبا . ولقد صدق في مقاله . فانه كان أعرف برجاله . فإنهم كانوا
يبذلون معه المهج . ويخوضون من بحر الحرب اللجج . ويوسعون
لهزم العدو المازق اللجج . وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم .
وأهملناهم بل أهملناهم . حتى عمقوا الحفور . ووثقوا من ترابها
السور . وملأوه بالاستائر . ومنعوه من الطير الطائر وبذوه
وأسسوه . وستروه وقرسوه . ورتبوا عليه رجالا . ولم يتركوا
لواغل مجالا . وتركوا فيه أبوابا وفروجا . ليظهروا منها إذا أرادوا
خروجا . ولما فرغوا من هذا الامر اشتغلوا بالحصر . ونحن نقول

لامبالاة بهم ولا أكثراث . وما أسهل إذا عزمنا عليهم لأصولهم
الاجتثاث . وبسيول سيوفنا نغسل تلك الأخباث . وأي وقت
قصدها هم وجئناهم وجأناهم . ونكأنا قرحهم ونكبناهم . وما
فوارسهم لنا الا فرائس . وما خنادقهم لهم الارموس دوارس . وما
حفروا الا قبورهم . وما دبروا الا ثبورهم ومتى قصدها هم كذبت
ظنونهم مدونهم . وامتلات باشلائهم خنادقهم . وأظلمت عليهم
بغربنا مشارقهم . وبيتتهم بوائقهم وتبت علائقهم .

ذكر رأي رائب عن النظر في الغاي غائب أسفر عن
داء دائب وأبان عن غرارة بغرائب .

وقع لبعض الاكابر فثنى عليه خنصره . ووكل باتمامه سمعه
وبصره .

لما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكة . وضمت
أشلاءهم المعركة . وشوهدت على الربا حجب نحوهم المهتكة .
وخمدوا وخملوا . وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الاكابر انه
لم يبق للقوم انتعاش من تلك المعائر . وانهم قد عدموا القرار .
وعزموا الفرار . ولو قدروا على النجاة لخلصوا . ولو فتحنا طريقهم
ما تصبروا ولا تربصوا . وقال السلطان: ارحلوا عنهم حتى تروا ما
يكون منهم . فانهم يرهبون ويهربون . ويبعدون إلى صور ومن
بعدها من عكا لا يقربون . فمال قروم إلى مقالته . وتخيلوا مثل
خياله . وأشار بقطع طريق البلد . والصدر عن ورد الرصد . والجد
في تعمية الجدد . وان يفتح لهم ما سد من الطريق . ولا يعوقهم فانهم
كلاب تعوي من التعويق . ولما بلونا رأيه . وتلونا آيه ، أخلف ظنه .
وبدا وهنه . وما زاد الفرنج الانباتا ولم نعرف لشملمهم على ما توهمه
شتاتا . وكنا نتحدث بذلك الرأي القائل . ونقول ما أعجب قبولنا
لقول هذا القائل .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث . وتجدد للعزائم من
البواعث .

أقام السلطان بالمخيم لاصلاح مزاجه . وايضاح منهاجه .
ومداراة أله . ومداواة سقمه . فوهب الله له العافية . وكمل له
عصمته الكافية . ومنته الشافية . ونعمته الوافية . وأبدى له الطافه
الخافية . وقوي قلبه على المقام . بنية الانتقام . وصرف الاجناد
الغرباء ليرجعوا في الربيع . ويستريحوا في مراتبهم لوقت الرجوع .
وأقام في مماليكه وخواصه . ورجال حلقتهم المنصورة من ذوي
استخلاصه . ورتب بالذوبة على الفرنج يزكا ضمنه دركا . وأدار
بهلاك القوم منه فلكا . وكان في مماليكه كل مقدم مقدم . وكل همام
همام . وكل ليث ذي لوته . وكل حدث محسن له حسن أحداثه .
وكل ضيغم ضاغم . وكل أسد عرين ليس الاعرنين قرنه براغم .
وكل ريبال ذي بال . وكل بطل من ولاية الهيجاء غير بطال . وكل
مغير للنصر مريخ . وكل مسيء إلى العدو لكأس الحمام مسيخ .
وكل تركي للرما غير تارك . وللأصماء غير فارك . قوسه في ظفر
الهدى مؤثر على الوتر . وسهمه من مقل العدا طائر إلى الوكر .
وسيفه في رداء الردى حال بدم الكفر . وكل حميدي في الروع حميد .
وبالحرب عميد وكل هكاري على القرن عكار . وفي الوغى كزار .
وللقنا جرار . وكل زرزاري بالأسد زار . وللبسالة كاس ومن الغار
عار . وكل مهرانى في القتال ماهر . وللرجال قاهر . وعلى الأبطال
ظاهر . وكل كمي كميش واكديش . فما خلا يوم من وقعه . وما
صار من بارزهم إلا إلى صرعه . وما عاد من نجا من زنابير
سهامهم إلا لبسعه . وما حصلت شفاه شفارهم من طلاء من طاولهم
إلا على لطفه . وما تبقى على لتوتهم ليت . ولصوتهم في النزال كل
صباح ومساء حيت . وبلي الفرنج منهم بالمبير والمبيد . واعتاق بهم
مراد العدو والمريد . وما زال هذا دأبهم في الركوب . ومباكرتهم
ومراوحتهم إلى مواقف الكروب . فكم أقروا منا أعينا بأيديهم .
وثبتوا عدل النصر بتعديهم . وصدوا شر الشر بتصديهم . وحركوا

ما سكن وهداً من عزائم الهداة بتهديهم . وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان أخذ أصحابنا بعكا مركبا للفرنج إلى صور مقلعا . واجتلينا به من سني النصر مطلعا . وكان المركب محتويا على ثلاثين رجلا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة حلوة . وغنيمة صفوة . ونشوة أعقت صدوة . وصحيحة استصديت ضدوة . وقوة من وهن العدو . ومحبة فكت رهن السلو . فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم . وانخفض اغتباطهم . وفتـرت عزمتهم . وقصرت همتهم . وخمدت فورتهم . وركدت ثورتهم . فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتفشوا . وتنفعوا وتنعشوا . ودب الروح . وشب المروح . وتحرك الساكن . وتدرك الضامن . وصاروا يخرجون ويخرجون . ويقتلون ويجرحون . ويمسسون على القتال ويصبجون . ويكافحون ويدافعون . ويقارعون ويواقعون . والعسكر في المنزلة هاجم . وجم جمعه واجم . واليزكية زكية . والعيون زكية . والذوب راتبة . والعدة المعنية المعينة في كل يوم راكبة .

ذكر وصول ملك الألمان

ونمي الخبر بوصول ملك الألمان إلى القسطنطينية في عدد بهم دثر . ونظم من خيله ورجله ونثر . وهو على قصد العبور إلى بلاد الاسلام . وقطع بلد الروم والأرمن إلى الشام . وانه في ثلاثمائة ألف مقاتل . من كل سالب باسل . وطالب باطل . وجهم جهنمي . وأشقري سقري . وأنمش أفعواني . وصل صليبي صلائي . وأرقش حذشي . ومستعر سعيري . ومحرب لظوي . ومغوار ناري . وضار بالقرن ضار . وجار للدرع جار . وكل ذئيب عاسل . ذاب بعاسل . وأزرق لأبيض مشتمل . وأصهب لأسمر معتقل . وكل جحيمي جاحم . وجمري فاحم . وحربي بحري . وبار بري . وقاطع في طريق الوصول . وراحل بقصد الحلول . وناز إلى النزال . وصال بنار الصيال . ومشمر على الموت متمرن . ومتحين إلى المذون متحين . وفيهم ستون ألف فارس مدرع مقنع . ماله سوى السوء

من مقنع . وأنه مع الالمانى ملوك وكذود . وكل شيطان لربه كذود .
وكتب صاحب قلعة الروم مقدم الأرمن . وهو في قلعته على الفرات
ومن أهل الذمة في المأمن . يبدي تنصحا وإشفاقا . وتخوفا على
البلاد واحترافا . ويقطع بان الواصلين في كثرة . وان الناهضين
الى طريقهم في عثره . وابرق في كتابه وارعد . وابدع بخطابه
وابعد . ولا شك انه الى جذسه النجس مائل . وبملاءة اهل ملته
قائل . ولما وصل هذا النبأ وقيل انه عظيم . وورد هذا الخبر وخيل
أنه أليم . كاد الناس يضطربون . على أنهم يصدقون ويكذبون .
ومن طرف كل حبل من الراي يجذبون . وقلنا ان وضع هذا الخطر .
وصح هذا الخبر . فالسالمون يقيمون لنا ولا يقعدون . ويغضبون لله
ولا يرضون انهم لا يعضدون . على أن الله ناصرنا . وموازنا
ومظاهرننا . وحققنا باظهار القوة لمن استودش التأنيس . وبثنا
بالارسال الى بلاد الروم عيونا وجـواسيس . وندبنا رسل
الاستنصار . وبعثنا كتب الاستنصار الى جميع الامصار والاقطار .
وقلنا ما هذه المرة الامرة ولا يسيغها الا كل مرءى ابي . وما هذه
الكرة مثل كره . ولا يحضرها الا كل كميث كمي .

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع
ابن تميم . ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم . وقال له
ما احتاج اوصي . وانت تستوفي القول وتستقصي . وجعل له الى كل
الذي طرف في طريقه رسالة . وأودعه اليه مقاله . فسار من عتدنا في
شهر رمضان مغذا . يبذ خيل العزم بذا . ويجذ حبل السير جذا .
ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله
الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد . وذكر انه قد بلغ
المراد . وانه استجدى واستجاد . واستفاد واستزاد . وانه استكمل
للعدة الاستنجاز والعدة الاستنجاد . فما هذا الرسول الرائع .
وربما تعرضت لتلك الحوائج الجوائح . وإذا اختلفت الحديث حدث

الاختلاف . ومتى الف غير ما القى الفى الائتلاف . فما هذا العجل . ومم الوجل . فصدقه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . عن كل ما ابان عنه واعرب . وكتب الى والده . بذكر مقاصده . وقال انا لا اقدر على صد من للخدمة تصدى . ولا رد من بثوب الرسالة تردى . وأنت تمضي الى السلطان . بما اوضحته من البرهان . وهو يحكم ويحكم . ويعقد ويبرم . ويقول فتسمع . ويأمر فتتبع . ولعلك تعود سريعا . وتجد شمل ما افته جميعا . فوصل ضياء الدين الشهر زوري وهو مغتاض . وسجايه السجاح غلاظ . وتغير علي . ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي . فانه كان مخاللي ومخالطي . ومجالسي ومباسطي . فازلت عنه كل ظن . واعتذرت اليه بكل فن . فما بسط عذر . ولا قبض زعر . فاني على اسبابي ببغداد خائف . ودون رضا كل سائر اليها واقف . واسترضيته فما رضي . ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي . ثم اجتمع بالسلطان وندمه على ما قدمه . واعلمه بما علمه . وقال له الشغل قد فرغ . والمقصود قد بلغ . والسؤال قد اجيب . والسؤل قد اصيب . والمخطوب بزمامه نحوك مخطوم . وكل ملك سواك لاجلك من رضاع رضاهم مفطوم . فكن للامام يكن لك . واقبل امره ليقبلك . واجتمع بالسلطان دوني . واتفق بجماعة شاركوه وافردوني . وقرروا معه سرا امرا . وحذروه ان يصير جهرا . ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي ابرموه غير مبرم . وأن الرأي الذي احكموا . غير محكم . ومازلت أؤكد الأمر حتى يؤمن انتقاضه . واتعرض دون الرأي حتى لا يمكن اعتراضه . وأيقن ان الامر ما فيه خلاف . وان الوعد ماله اخلاف . فما فعل الرسول يتلث ولا امهل يتمكث . بل جعل على المجاز لا الحقيقة مجازه . وزعم فيما دبر نجاحه ونجازه . وسلك فيما تقرر نهج العجب . واسرع العودة على النجب . فلما انفصل عن السلطان . بما وصله من الاحسان . جمع السلطان الامراء على المشورة . ووقفهم على المعنى والصورة . وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهر زوري بشهر زور . واستدعيت عسكره المنصور . وربما قدم الينا الحضور . فيكمل لنا النصر والحبور . فقالوا هذا راي رائب . وشاو شائب . وأمر عنه الصواب ناء . وكيف تعد

الامام بما لا يقرن بوفاء . وكيف ينجز هذا الوعد . وينجح هذا
القصـد . ودونه ايحاش من هو في طاعتك . فكنت تبذل ما يدخل في
استطاعتك . اما صاحب الموصل طلبها فمنع . وصاحب اربل عنها
دفع . ومملوكك بها لمن يجاوره خائف . وكل ايوائي لحدها وحققها
خائف . وما من هؤلاء الا من بذل عنها اموالا واحوالا . والتزم من
الجنود والنقود انجادا خفافا وحمولا ثقالا . فاذا عرف انك
اخرجتها لمن له الامر . دخل عليهم الضر . ومالك مالك الامر امركم .
وابدوا في انقطاعهم عنك عذرهم . وانقطع الواصل . وارتفع
الحاصل . وما جاءنا من المذكورين فارس واحد . ولا ساعد على ما
نحن فيه بعدها مساعد . اما هذا بكتمر في خلاط . قد جمع
الاخلاط . وجهر بالعداوة . واقام على الغيابة والغباوة . فقال
السلطان الخليفة ملك الخليفة . وهو مالك الحق والحقيقة . فان
وصل اليـنا اعطيناه هذه البلاد فكيف شهر زورو . وسيحدث الله بعد
الامور الامور . ولما وصل ضياء الدين الشهر زوري الى بغداد .
صادف بها القاضي بهاء الدين بن شداد ، فلم يسفر أمر سفارته عن
سداد ، وقيل له جواب ما أتيت فيه مع ضياء الدين نسيره ، وننـدبه
فيما نتخيره ، وشرف بهاء الدين وأعيد ، وزين ضياء الدين
وزيد ، وذكر ماجرى فتم الاعتداد وتم الاحماد وسيأتي ذكر ما آلت
اليه نوبته حين كانت أوبته .

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخي السلطان
والاستظهار بمجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة
الايـمان .

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال . في
جيش وآل . وجمع حال . وشوكة رائعة . وشكة رادعة . وشارة
سارة . وديمه من البأس داره . وعدة منتخبة منتخبه . وعدة منتقاه
مهذبه . من كل أجدل على مرقب . وأجود على جواد مقرب . وصاف

عتيق على صافن عتيق . وطود ونيق على نيق (٣٧) . وصقر على
سوزليق . (٣٨) وبحر على سابح . وجذع على قارح . ومن كل
رئبال على تنقل (٣٩) . وأغر محجب على أغر محجل . ومن كل
أبيض ضرب بالبيض ضراب . وكل أسمر باسل بالاسمر سلاب .
وكل أروع يحمل يراعا ، وكل شجاع يعتقل شجاعا . وكل أحمى
أحمس . وكل أفرى أفرس . ومن كل أسد خادر . وقصور قاسر .
وضيم ضاغم . وقمقام واقم . وليث به لوته . وحدث له في الشهامة
أحدوته . واحضر معه من سودان مصر كل زمر كأنه العيسى عابس .
وكل مغامر للموت مغماس . وكل غريب حلكوك . وكل سرحان
صعلوك . وكل ضرغام غريفي . ومقدام ريقي . وكل خارح لئار .
وكل مارج من نار . وكل أسود سالخ . وكل رأس في الشر راسخ .
وجاؤا بالغبسة القبطية . والترسة اللطية . والصلال القفطية .
والالال الذوبية . والحراب الحربية والصعاد الصعيدية . والصوارم
المذروبة . والصرائم المشبوبة . والاسنة المسذونة . والصوابغ
الموضونه . والسراحين السارحة . والثعابين الجارحة . والتماسيح
المزدرية . والشياطين المتوقدة . والزانات واليزنيات . والهنديات
واليமானيات . وكان يوم وصول العادل مشهودا . لم يترك في كل ما
يراد من القوة مجهودا . واقبل في روع ظاهر . وضوع باهر . وبشر
ذائع . ونشر ضائع . وحبور تام . وسرور عام . وهزة وطرب .
وعزة وأرب . وقلنا سيف الدين المنتضى . وناصر الاسلام المرتضى .
وغياث الانام المرتجى . وسلطان جيوش المسلمين المجتبى . لقد
نص النصر . وكف الكفر . وسلم الاسلام . ونام الانام . وأمن
الايمان . وتسلط السلطان . وحليت الاحوال . وفرغ البال . وبلغت
الآمال . ونيل رجاء الرجال . وأزيل إبطاء الابطال . وورث زناد
الأجناد . ورويت ظماء الصعاد . فما بعد اليوم . الأبعد القوم .
وادرك ما استقام من النهج . وهلاك من أقام من الفرنج . ونزل
الملك العادل في مخيمه . وقدم اليمن بمقدمه . وتقدم السلطان إلى
راجل دمشق والبلاد فحضر . وضايق الفرنج به وحصر . ولم يخل
العدو في كل حين من حين . وفي كل وقت من وقت . وفي كل شأن من
شين . وفي كل بقعة من وقعة . وفي كل صدق من صدقه . وفي كل ليلة

من بليه . وفي كل سحرة من كبسة بالنكاية فيهم مليه . والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي . ومن جهده في القتال لا يخلي . والفرنج على البلاء صابرون . وللعناء والعناد مكابرون . لا يبرزون ولا يبارزون . ولا يجاوزون خنادقهم وهم فيها محتاجزون .

ذكر فصل إلى الديوان العزيز واشتمل على مجاري الاحوال .

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل . ومجاوله أهل الغواية بالغوائل . ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد أمواجه إلى الساحل . وقد نزلوا على عكا المحروسة . ببراياتهم المذكوسة وأرائهم المعكوسة . وحشودهم المجموعة وجموعهم المحشودة . وظلال الضلال الممدودة . وأقدام الاقدام المصدودة المسدودة . وقد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه . وبسط الكفر جناحه . وحصل الشرك على قروحه وعدم اقتراحه . وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت . والروعات التي وقعت . أكثر من عشرين ألف مقاتل . من فارس وراجل ورامح ونابل . فما أثر ذلك في نقصهم . ولا أرت الا نار حرصهم . وما قلل حد حديثهم الحادث . ولا قلل عدد كثيرهم الكارث . ولا غضوا عيون أطماعهم . ولا فضوا ختوم اجتماعهم . ولاردوا وجوههم عن مواجهة الردى . ولا قطعوا أملهم عن الوصول إلى المدى . ولو قطعوا بالمدى . وهم لمواضعهم ملازمون . وفي مصارعهم جاثمون . وعلى الموت صابرون . وإلى الحمام سائرون . وبالخنادق من البوائق محتمون . وبالطوارق معتصمون . وعندهم انهم للبلد محاصرون . وهم على الحقيقة وان كانوا لكثرتهم غير محصورين محصورون . وإن جندنا لهم المنصورون . والعساكر الاسلامية فيهم كل يوم نكاية شديدة . وفتكة مبيدة . ووقعة ناكية . وجمرة ناكية . وصدمة صادعة . وخدمة رادعة (٤٠) . ولما امتنع الدخول عليهم . وتعذر

الوصول إليهم . جمع را جل البلاد . وحشد إلى حشودهم ذوو
الاستعداد . حتى نقاتل الراجل بالراجل والفارس بالفارس .
ونفترع بجمع جمعهم بكر الفتح العاذس . وقد وصل الأخ العادل
وفقه الله للمراخي الشريفة . بالجموع الكثيرة الكثيفة . ولعل الله أن
يجعل حذف هؤلاء الفرنج فتحا لأبواب الفتح . ويعجل الليالي آمال
المسلمين بطلوع صبح النجح . وليس هذا العدو بواحد فينجع فيه
التدبير . ويأتي عليه التدمير . وإنما هو كل من وراء البحر . وجميع
من في بيار الكفر . فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيرة .
ولا خطة صغيرة ولا كبيرة . الا جهزت مراكبها . وأنهضت كتائبها .
وتحرك ساكنها . وبرز كامنها . ونفضت خزائنها . وانفضت
معادنها . وحملت ذخائرها . وبذلت أخايرها . وثار ثائرها . وطار
طائرها . ونذلت كنائسها . واستخرجت دفائن نفاسها . وخرج
بصلبانها أساقفها . وبطاركها . وغصت بالآفواج فجاجها
ومسالكها . وتصلبت للصليب السليب . وتغضبت للمصائب
للمصيب ، ونادوا في نوابيهم بأن البلاء بهم بلادهم . وأن أخوانهم
بالقدس أبارهم الاسلام وأبادهم . وأنه من خرج من بيته مهاجرا .
وبحرب الاسلام مجاهرا . ولتعبده مستردا . ولجده في النخوة لدينه
مستجدا . فقد وهبت له ذنوبه . ونهبت عنه عيوبه . ومن عجز عن
السفر . سفر بعدته وثروته من قدر . وبذل البدر لمن بدره . فجأؤوا
لابسين للحديد بعد أن كانوا لابسين للحداد . وتواصلت منهم
الامداد بالامداد . وتوالت أنجاد الانجاد . فهم على النقص
يزيدون . وعلى الأبد يبيدون . وبالمهج يجودون . وعن اللجاج في
حوض اللجج لايعودون . وهؤلاء الواصلون في البحر القاطعون
أثباجه . المكاثرون أمواجه . فأما ملوكهم الواصلون في البر فقد
تواترت أخبارهم . بأن خلت منهم بيارهم . ورمتهم إلى أغراضهم
البعيدة أوتارهم . وبهم يستفحل الشر . ويعضل الأمر . ويصول
الكفر ويجول . ويتناول الشرك ولكنه لايطول . فان لبن الله من
خليفته ناصرا لايسلمه . ورازقا لايحرمه . وما تمسك بحبل طاعته
إلا من فاز قدحه . وحاز السناء مدحه . وأسفر صبحه . ووفر
نجة . وبدا علوه . وباد عدوه . والخادم بقوة رجائه في العوارف

الامامية . والعواطف النبوية . وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة
الناصرية . الى أن يفرق الجمع . ويجمع للفريقين القمعيين .
ويعيد البر بحرا من دماء وافدي البر والبحر . ويقطع بقطع دابرهم
دابر الكفر .

ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء
سادس عشر ذي القعدة في المراكب المستعدة المستبدة
بالباس والشدّة وكانت عدته خمسين شيئا .

كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب إلى مصر .
بتجهيز الاسطول وتجهيزه حياله . وتزجيه أمور رجاله . وتكثير
عدده . وتوفير عدده . وإصلاح شؤون شؤانيه . واسناء رواسي
سواريه . فتولى حسام الدين لؤلؤ الشيخ أمره : وشرح لايراده
وإصداره صدره . وأنفق من ماله . ما جمع به شمل رجاله . وهذا
لؤلؤ قد اشتهرت في الكفر فتكاته وشكرت في العدو نكاياته ، وقد تفرد
بغزوات لم يشاركه فيها أحد . ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد .
ما سلك نهجا الاملاك . ولا طلب غاية الا أدرك . وهو ميمون الذقبيه .
مشكور الضريبة . وهو الذي رد الفرنج عن بحر الحجاز . ووقف
لهم على الطريق المجاز . ولم يترك منهم عينا تطرف . ولم يبق لهم
دليلا يعرف . وغزواته مشهورة . وفتكاته مذكورة . وأمواله
مبذولة . وأكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلولة ، فتولى
الاسطول . وجمع به الطول والطول . ووصل به للفرنح من
شوانيها على وجه البحر عقارب تدب ولوا سب سواب ما تغيب وما
تغب . وسفن حمالة ومقاتلة . وبطس للأزواد والميـــــرناقلة .
فصدمتها مراكبنا بمناكبها . وملأت معاطنها بمعاطبها . واستطال
الاسطول المنصور على أساطيلها . وجاء حقه بازهاق أباطيلها .
وطلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما . وقذفت لشياطين
الكفر رجوما . واقبلت سواريه بالرواسي . مبرمة الأمراس محكمة

المراسي . وقطعت اللجة بأشباه أمواجها . وسدت فجاجها
بأفواجها . ونكست أعلام الاعلاج عن أثاجها . ووافت أساودها
السود بالأسود . وسدت عقبانها الأفاق بأجنحة الرايات والبزود .
وطارت بقوادم المجانيف وخوافيها . وزارت بجوارح المقانيف
وعوافيها . فجاءت فجأة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب .
وتطوي اللجة كطي السجل للكتاب . قصبتها وصدعتها . وردتها
وردعتها . فكانما نعت غربانها ببين أحبة الكفر أعاديها . واناخت
ظعائن الضفائن على شواني . شوانيها . وعادت قوامص الفرنج
فيها قنائص جوارح جواربيها . فأول ما ظفر الاسطول المنصور .
بشيني للفرنج عظيم الشأن . عاد طاغ بأهل الطغيان والعدوان فقتل
مقاتلته . وتبع ما يليه . ف وقعت بطشته الكبرى ببطسه كبيرة .
تشتمل على ميرة لهم ونخيرة . وأمتعة كثيرة . وتفرقت سفن الفرنج
أيدي سبأ . وأصلد زندهم وكبا . وعادوا محصورين محصورين قد
دفعت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم . وايقنوا أنهم تورطوا في
مهالكهم . وسيرت بوصول الاسطول كتب إلى الأقطار . وبشر
المسلمون بما حصل به من الاستظهار .

ذكر فصول انشأتها فيها

منها فصل:

ولما رأينا أمدادهم في البحر متضاعفة . وجموعهم متكاثفة .
استدعينا الاسطول المصري المنصور فجاءها فجأة . وامتد اسطرا
على طرس البحر أعيت متأملها قراءة . وأقبلت جواربه جوارح من
قنائصها القوامص . وصدمت شوانيه شواني الشناة فعادت
مراكبهم وهي نواكص . وطارت غربانا ببين أحبة الكفر أعداء
الاسلام ناعبة . وأطردت على طرائد الفرنج فطردها غالبية لا

لا غبة . وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمرة . وألهبت في الماء
على أهل النار كل نار للنكال مسعره . واذق طعنت طرق الفرنج
البحرية فاستطالت بها أساطيلنا فذهبت وجاءت . وعملت ما
شاءت . وتبعتهن مرارا وبالفنائم فاءت . وأعشت أعين الرائيين كلما
تراءت . فضاقت بها العداة ذرعا . ولم تجد من بعدها مطمعا ولا
مرعى .

فصل من كتاب

صدر الكتاب بورود الاسطول المصري بالسطو الشديد والبأس
القوي . فارتاع الكفر من وصوله وصوله الرائع . وذل جمع الكفر
لعزه الجامع . وجاء بكل شيني شاني . لشائن الدين واجيء مفاجع
للعدو بالهلاك مفاجيء . مفرق لمراكب الشرك المجتمعة . مضيق
شاهج مضارها المتسعة . فطحن مناكب مراكبها . ووسع معاطن
معاطبها . واستولى منها حالة ورويه على عدة للملاقة مستعدة .
ولامداد اعانتها ممن وراءها مستعدة . وقتل من فيها من الرجال .
وغنم ما وجد فيها من العدد والأموال .

فصل من مكاتبة أخرى:

وصل الاسطول المنصور في كل شيني شاني للشرك شائن . زائد
لبهجة الاسلام زائن . زائر بكل أسد زائر . سائر بكل مقدم إلى
مقام الاقدام سائر . وكانت الفرنج قد جهزت مراكبها . وأرهقت
غروبها وسنمت غواربها . وملاحتها برجال أيديها على قوائم
القواضب قواضب . وأرجلها على الثبات في روابي متون سفنها
روابض . وهم على انتظار الاسطول ليطاو لوه . ويلقوه وبالمدافعة
ويجاو لوه . فلما وصل وصال . وراع أمره وهال . وجلا عليهم

الاولجال والآجال . بتوا المراسي والحبال . وانهزموا بسفنههم وأننت قوتهم بوهنهم . واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والنخائر والاحمال مملوءة وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت وقوة .

والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها . وأعرب عن حقها وحقيقتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الرجال والنخائر والعدد .

ولما اشتد البرد وتوالت الفيوث . وتبحرت السهول . والوعوث . وحالت الاحوال ولاحت على خلاف المراد الاحوال . وتعذر الخروج إلى تلك المروج . وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج . وزال حكم النزال . واستقال من استقل بالقتال . شرع السلطان فيما هو أنفع وأجدي وأنجع وأنجى . وأرجع بالاحتياط والحزم وأرجى . وهو تقوية عكا بالميرة والنخيرة . والاسلحة الكثيرة . والرجال الحماة . والابطال الكماة . فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الامثلاء بأجنادهم . فدخلوا اليها بعددهم وأزوادهم . واستظهر البلد أيضا برجال الاسطول ورؤسائه وقواده . فما دخل أحد فيه الا بزيادة في زاده . وكانوا زهاء عشرة آلاف بحري حربي . على الجري إلى الموت جري . فامتلا البلد بكل منتخب منتخ . مرخص مهجته الغالية للاسلام مصرخ . وانتفع بهم في جذب المنجنيقات . والرمي في العرادات . والحذف بالنقاطات . والاحراق بالزراقات . والزرق بالحرقات . والقاء القوارير . وانكاء المساعير وتطريح النار . وتطويح الاحجار . ومواصلة القطاعات . والزيارة بالزيارات . وتوتير الجروح والزنبوركات . وتطهير الناوكات . النواكي من مقاتل العدو الى الوكنات . ومناشبة الفرنج في كل وقت بالاخذ والوقد . والجد في الجد والجد . وطروقهم ليلا على سبيل التلصص .

وسوقهم على وجه التصيد والتقنص . وكبسوا ليلة سوق الخمارات
والسواهر . وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر واستنصروا بذلك
واستبشروا . واجترأوا منه على ما أجروا . وكذلك من عندنا يدخل
اليهم الرجال متسرقين . ويأتونهم من كل جانب مجتمعين
ومتفرقين . فمن قدر على حسان أخذه وأخرجه . ومن تعذر عليه
إخراجه عقره وبعجه . ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه
بمد مديته . ويسلبه سكوته بسكينه . ويجعله أن لم ينجذب معه من
حينه على يقينه . فيقوده بخطام القهر . ويجذبه بخدام الأسر .
ووقع القوم من هذا في بلاء ميل . وعناء عن حب الحياة مسل . فقد
كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز . وشق عليهم الاحتراز
والاحتراز . وتحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق . وازداد فرقهم من
كل فريق . وأعدت الحال من الليل إلى النهار . والمكابرة والجهار .
حتى كان رجالنا يختفون بالحشيش في أجراف الانهار . فاذا
صادفوا فارسا ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الاسار .

ذكر حال نساء الفرنج

وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنة . متحلية
بشبابها وحسنها متزينة . قد اجتمعن من الجزائر . وانتدبن
واغتربن لاسعاف الغرباء . وتأهبن لاسعاد الاشقياء . وتراقدن
على الارفاق والارقاد . وتلهبن على السفاح والسفاد . من كل زانية
نازية . زاهية هازية . عاطية متعاطية . خاظية خاظية (٤١) .
متغنية متغنية . متبرزة متبرجة . نارية متلهبه . متدقشة متخضبة .
تأدقه . فاتقه . راقعة خارقة . مارقة رامقة . قاسرة سارقة . فارجة
فاجرة . فاتنة فاترة . مشتهاة متشهوة . ملهاة متلهية . متفنة
متفتية . ناشية منتشيه . متشوقة متسوقة . مقترحة محترقة .
متحلبة متعشقه . حمراء مرجاء . نجلاء كحلاء . عجزاء هيفاء .
غناء لفاء . زرقاء ورقاء . متخرقة خرقاء . تسحب غفارتها .

وتسحر بنضارتها نظارتها . وتثني كأنها غصن . وتتجلى كأنها
حصن . وتميس كأنها قضيب . وتزييف وعلى لبتها صليب . وهي
بائعة شكرها بشكرها . باغية كسرهما في سكرها . فوصلن وقد
سبلن أنفسهن . وقدمن للتبذل أصدونهن وأذفسهن . وذكرن أنهن
قصدن بخروجهن . تسبيل فزوجهن . وأنهن لا يمتنعن من العزبان .
ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان . وتفرين بما ضربنه
من الخيم والقباب . وانضمت اليهن أترابهن من الحسان الشواب .
وفتحن أبواب الملاذ . وسبلن ما بين الافخاذ . وبحن بالاباحة .
ورحن إلى الراحة . وأزحن علة السماحة . ونفقن سوق الفسوق .
ولفقن رتوق الفتوق . وتفجرن بينابيع الفجور . وتحجرن بنزو
الافحول منهن على الحجور . وعرضن الامتاع بالمتاع . ودعون
الوقاح إلى الوقاع . وركبن الصدور على الاعجاز . وسمحن
بالسلعة لذوي الاعواز . ودمن على تقريب خلاخلهن من الاقراط .
ورمن فرشهن على بساط الذشاط . وتهدفن للسهام . وتحللن
للحرام . وتعرضن للطعان . وتضرعن للاخدان . ومبدن الرواق .
وحللن حين عقن النطاق . وصرن مضارب للاوتاد . واستدعين
النصول منهن إلى الاغماد . وسوين أراضيهن للفراس .
واستنهضن الحراب الى التراس . واستنقذن المحاربيث إلى
الحرث . ومكن المناقير من البحث . وأنن للرؤوس في دخول
الدهاليز . وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز . وقربن
الاشطان من الركايا . وفوقن النبال في أعجاس الحنايا . وقطعن
التكك . وطبعن السكك . وضممن الاطيار في أوكار الاوراق .
وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك . ورفعن الحجر عن
المصون . وترفعن عن ستر المكنون . ولففن الساق بالساق . وشفين
غليل العشاق . وكثرن الضباب في الوجار . وأطلعن الاشرار على
الاسرار . وطرقن الاقلام إلى الادوية . والسيول إلى الاوبية .
والجداول إلى الغدران . والمناصل إلى الاجفان . والسبادك إلى
البواتق . والزنانير إلى المناطق . والاحطاب إلى التنانير . وذوي
الاجرام إلى المطامير . والصيارف إلى الننانير . والاعناق إلى
البطون . والاقذاء إلى العيون . وتشاجرن على الاشجار .

وتساقطن على الثمار . وزعمن أن هذه قرية ما وفوقها قربه .
لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبه . وسقين الخمر . وطلبن
بعين الوزر الأجر . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية . وعجبوا
كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية . وأبق من الممالك الاغبياء
والمدايير الجهلاء . جماعة جذبهم الهوى . واتبعوا من غوى .
فمنهم من رضي للذة بالذلة . ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في
الذلة . فان يد من لايرتد لا تمتد . وأمر الهارب اليهم لاتهمه يشدد .
وباب الهوى عليه يستد . وما عند الفرنج على العزباء إذا أمكنت
منها الأعزب حرج . وما ازكاها عند القسوس إذ كان للعزبان
المضيقين من فرجها فرج . ووصلت أيضا في البحر . امرأة كبيرة
القدر . وافزة الوفر . وهي في بلدها مالكة الأمر . وفي جعلتها
خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم . وغلمانهم واشياعهم . وهي
كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة . زائدة بما تنفقه فيهم على
المعونة . وهم يركبون بركباتها . ويحملون بحملاتها . ويثبون
لوثباتها . وتثبت ثباتها لثباتها .

وفي الفرنج نساء فوارس . لهن دروع وقوانس . وكن في زي الرجال .
ويبرزن في حومة القتال . ويعملن عمل ارباب الحجا وهن ربات
الحجال . وكل هذا يعتقنه عبادة . ويخلن أنهن يعقدن به سعادة .
ويجعلنه لهن عادة . فسبحان الذي اضللهن . وعن نهج النهى
ازلهن . وفي يوم الوقعة قلعت منهن نسوة . لهن بالفرسان أسوة .
وفيهن مع لينهن قسوة . وليست لهن سوى السوابغ كسوة . فما
عرفن حتى سلبن وعرين . ومنهن عدة استبين واشترين . وأما
العجائز . فقد امتلات بهن المراكز . وهن يشدن تارة ويرخين .
ويحرضن وينخين . ويقلن أن الصليب لايرضى الا بالاباء . وانه
لابقاء له إلا بالفناء . وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء
فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء . فهن
للغيرة على الملة مللن الغيرة . وللنجا من الحيرة ناجين الحيرة .
ولعدم الجلد عن طلب الثار تجلدن . ولما ضامهن من الامر تبلهن
وتبلدن

ذكر ما أهده عز الدين مسعود

ابن مودود بن زكي بن أفسنقر صاحب الموصل
من النفط الأبيض والرماح والقراس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة .
وتقوية النجدة . بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدّة . سير من
أحمال النفط الأبيض مع عزة وجوده ما وجده . ومن القراس
والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده . وشاع الاعتداد .
وذاع الاحماد . ودل ذلك على اتشاج الوداد . والامتزاج والاتحاد .

وكتبنا في شكره

وصل السلاح . وتم للاسلام من قـروح الكفر الاقتراح .
واستجيدت القراس والرماح وفارقت للقائها أجسام الاعداء
الارواح واتصل بالنفط الواصل إلى أهل النار الاحتراق . وطفت
وضربت منهم النحور والاعناق . وقد هدا بما أهده النصر إلى
الهدى . والردى الى العدا . وأجود الاكارم وأكرم الاجاود من جاد
بما أجدى . واهدى ما هدى . وعاد من المكرمة بما بدا . لأخلى الله
المجالس من يد يتخذها . وأياد يسيرها وينفذها . ومحمدة
يستخلصها لنفسه ويستنفذها . وحمية للدين يقيم بها حماة الشرك
ويقذها . ونخوة للاسلام تمهي حدود الهمم النابية وتشحذها . وما
طلب من العدة ما طلب إلا للحاجة الحاقة . والضرورة الشاقة . فان
الحروب المتطاولة المدد . أتت على جميع العدد . فالسمر متحطمة .
والبيض متذلّة . ووجوه الصفايح بلثام النجيع متألّمة . وعيون
النصال عن حواجب القسي إلى مقل الاقران راقمة مارقة . وحمام
الحمام في مريشات السهام بكتب الكبت من حنايا المنايا السادقة

سابقة . وقد أفنى المصال النصال . والنضال النبال . والرماء
الافواق . واللقاء العتاق . والمصاع المناصل . والقراع الذوابل .
والصيال الصواهل . وعمل الجهاد الدائم العوامل . فلا ضامر الا
وهو وإن كان غالباً لاغب . ولا صارم الا وهو في دم العدو الفائض
ناضب . ولا جارح إلا وهو مجروح . ولا قارح الا وهو مقروح .
ولا جامع الا وهو مصحب . ولا باشر الا وهو مقطب . فباية عدة من
هذه العدد انجد . غار الحمد وأنجد . وتأسس الشكر لانعامه
وتمهد . ومن العجب أن العدة تفنى ولا تفنى العداة . وتذمو على
الحصاد وكأنها الذبات . ويتسارع الى أمدادها الموت والهلاك
ويخالفها في إبدالها الحياة . فان البحر يمدهم . والكفر إلى الردى
يردهم . وكلما اخلاقتهم الايام فان الليالي تجدهم . وما جمعهم
القدر إلا ليفرقهم . وما حمل أهل النار في الماء الا ليغرقهم في دمائهم
وبنار البواتر يحرقهم .

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره . وقدم عليه قطب الدين
ولده وسيره . فقال السلطان هذه أيام الشتاء . ولا ينتصف فيها من
الأعداء . ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع . واستنهاض
الجموع الى شمل النصر الجميع . فكتب بتأخيرته . والتمهل في
تسييره . فتأثر قلب عماد الدين برد ولده . ورجوعه بعد المسير من
بلده .

فكتب اليه السلطان من مكاتبة

كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس بامرته . والتقدم بتجهيز
العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسرور سره وانشراح صدره .

وعرف مسير قطب الدين ادم الله له مضاعفة العلاء . وأقر بانواره
عيون الاولياء . وظن انه لم يقدم حركته المقرونة بالحسنات . ولم
يقرب من عبر الفرات . اشفق عليه من التعب . ليكون عسكره
مستريحا عند الطلب . فإن الحاجة اليه في الربيع ادعى . ومصلحة
الاسلام في ذلك الاوان أولى أن تراعى . ولو عرف أن الركاب
القطبي قد دنا . لبشرته السعادة بنجح المنى . ولاستقبله بالنفوس
والارواح . وتلقته القلوب بالقبول العبق بذشر الاشرار . وان
اشتعل القلب بما فاتته من حظ من الاستسعاد بوفوده . فقد بشر
أمله بنضارة عود نجحه عند عوده ونجاز وعوده .

وفي آخر هذه السنة ندب الرسل الى الاقطار والامصار .
للاستنفار والاستنصار . وبث الكتب وكتب بالبحث . وحث الرسل
وأرسل بالحث . وبعث المرسعين لاستبطاء البعث . وانهض للتبليغ
كل بليغ . وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ .
وسرح عدنان النجاء الى سيف الاسلام باليمن . وشرح في الكتاب
اليه ما جرى من حوادث الزمن . ووصفت له جلية الحال . وما نحن
عليه من دوام القتال . وطلبت منه الاعانة بالمال . واستعين
واستنجد . واستلين واسترقد . وحض على حظه من انجاد
الاسلام . وان يكشف بسني طلوعه من الاظلام . وأرشد الى نهج
السماح . وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح . وتجريد
الجرد العتاق . وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد
الانفاق . وكوتب قزل ارسلان بهمان . بما دنا منه عزمه ودان .
وحكم على كل ملك بحجة الايمان . وهدى إلى محجة الاحسان .

ذكر وصول رسول سلطان العجم ركن الدنيا والدين
طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
بالالتجاء الى ظل السلطان وارتجاء ماله من فضل
الاحسان.

ورد من عند طغرل سلطان العجم . أمير من خواصه هو أيلدكز
أمير العلم . ف ضرب له من الخيم الخاصة سراق . ووفرت في
الضيافة له المنافع والمرافق . ومضمون رسالته أنه خائنه من امرائه
ومماليكه العامة والخاصة . وخصته في سفراته ونكباته الخاصة .
وأن عمه أخا أبيه من أمه قد استولى على ممالكه . وضيق عليه سعة
مسالكه . والجاه الى هذا الالتجاء . وهو بقوة من هذا الجانب
قوي الرجاء . وقد وصل الى حد مملكته بقرب اربل . واراد الوصول
الى الموصل . لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب بن
قفجاق . ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق . وعز الدين حسن من خدم
دولتكم . والمستمسكين بعصمتكم . والمستوثقين بذمتكم . وانا عنده
مقيم . وعلى سنن الأمل مستقيم . فان استقدمتني اليك قدمت . وان
أمرت أمراء أطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ما عدمت .
وانا الآن هزيل عامك . ونزيل إنعامك . ووصل معه كتاب بخطه . قد
بث حزنه فيه بشرحه وبسطه . وأبدى الاستكانة . واستدعى
الاعانة . واردف رسولا برسول . وكرر سؤالا فيما التمسه من
سول . فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل . وانه
لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فكتب إلى زين
الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهر
زور بالتوفر على خدمته . والارتياح لمصلحته واشاعة معونته . ثم
ندب كبيرا للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل ارسلان وهو جمال
الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبد كونه نسيبي . ليكون
القيام بهذا الامر من نصيبي . وسعى في المصلحة والمصالحة .
والمصافاة على صفة المودة والمصافحة وحفظ حرمة تضرعه
وتذرعته . وسياتي ذكر ما آل اليه الامر في موضعه .

وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة سحرة
يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة . ولقد
كان من الاعيان . ومن مقربي السلطان . ومن أهل الجد في نصره
الايمان . فنقله الله الى الجنان . وحمل من يومه الى القدس فدفن
به . وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين أبي سعد
عبد الله بن محمد بن أبي عصرون بدمشق يوم الثلاثاء حادي عشر
شهر رمضان . وهو شيخ المذهب الذي لم يخلفه مثله . ودفن معه
فضله . وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .
وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة يوم الجمعة
النصف من شعبان منها وكان من الأبرار الأخيار . والعظماء
الكبار .

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة
الخروبة . وكل من الملك العادل والملك الأفضل والملك المظفر في خيمته
المضروبة . وعكا محصورة . وجموع الفرنج الى حصارها
محدشورة . وعلى تعذرها عليهم محسورة . وخرجت هذه السنة
والحصر مستمر . والسلطان في ملازمة القتال مستقر . وحيا النصر
في الاحيان مستدر . وقد تسنت للاسلام مباحج . ووضحت للسعادة
مناهج . وبانت للقتال مداخل ومخارج . وانقطعت بين الوشيح
وأرخام الارواح وشائج . واشتدت لتباريح الأشواق الى لقاء
الاعداء لواعج . وتالفت في الاقدام مقدمات ونتائج . ولناجح المنى
منا في مدى الرجاء مدارج . ولخطباء الظبا في منابر الطلى معارج .
وللجهاد جهات . وللعزمات أزمات . واتفقت حسنات وحسنت
اتفاقات . وكانت لنا مسرات هي لأعدائنا مساءات . ووقعت
عجائب . وأعجبت وقائع . وأبدعت غرائب . وأغربت بدائع .
 واجتمعت كتائب . ونابت نوائب . وصفت تارة وكدرت مشارب .
وساعدت الاقدار . وتباعدت الاكدار . وهلك من الفرنج المحاصرين
في الوقائع عدد لايقع عليه الحصر . ولكم أسفر صبح أصحاب فيه
جماح الظفر وسفر النصر . وسيرد حديث كل حادث بمفرده . ويجدد
ذكر كل متجدد بمجرده .

ذكر وقعة الرمل

كان السلطان يركب احيانا للصيد . بعد ان يحذر على ما يظهر للعدو من الكيد . وهو لا يبعد من الخيم . ولا يقرب من مسائل الليم . وركب يوما في صفر على عادته فتصيد . وطاب له قرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسرة . على الحالة المحتاطة المستظهرة . فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر . وتسامع أصحابنا بهم فزحفوا اليهم . وحملوا عليهم وطردهم إلى خيامهم . وأخذوا عليهم من خلفهم وأمامهم . وما زالت بينهم حملة وحملة . وشلة وشلة . وسلة وسلة . وركضة وركضة . ونفضة ونفضة . ومشقة ومشقة . ورشقة ورشقة . وجذبة وجذبة . وضربة وضربة . وشدة وشدة . وردة وردة . وضمة وضمة . ولة ولة . وأصحابنا ظاهرون . وبالمراد ظافرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلائع . وللفرنج في كل كرة على الرمل مصارع . حتى فني النشاب وبقي الانتشاب . وشاع نداء الاصحاب باستدعاء النشاب . والفرنج لا يعجزهم الا الرماء . ولا يهتكهم إلا الاصماء . ولا يذفرهم الا رنة الاوتار . ولا يندرهم الا أنة القسي بالدمار والبوار . فلما أندسوا بخلو الجعاب . تجاسروا على الدنوم من ذلك الشعاب . وحملوا حملة واحدة ردوا بها أصحابنا الى النهر . وكادت تعبت بهم يد القهر . فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان . وشرعوا الى نحو ذلك الذئاب ثعالب الخرصان . واستشهد جماعة من الشجعان استحلوا طعام الطعان . وشاقهم جني الجنان . وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعدوا فرسانا . وصرعوا اقرانا . فنزلوا بعد فرسهم . لسلب لبسهم . فمرت بهم الحملة في الاوبة . وأعجلتهم عن الركبة والوثبة . وأظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان . واجتمع في مراكزها الفريقان . وكثر التأسف على من فقد . وكان الحاجب ايد غمش المجدي ممن استشهد . وزاد التلهف على فدوات الفرصة . وكيف أغفل ذلك القنص عن تلك القنصة . فان العدو صار عرضة للصرعة في تلك

العرصة . ومن نوادر هذه الواقعة . وطرائف هذه الدفعة . ان مملوكا للسلطان يقال له سرا سنقر . وهو يتناول في كل معترك ولا يقصر . عثر به جواده . وثبت على الجراة فؤاده . ورجله عثاره . وأسلمه أنصاره . فقبض من أسره شعره ليجذبه . وسل آخر سيفه ليضربه . ف ضرب يد قابض شعره فسيبه . واشتد سرا سنقر يعدو ناجيا وللخلاص راجيا . وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه . وفاتهم بعون الله فلم يدركوه . وهذا قذفته المذون من لهاتها بعد ازدراده . وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده .

ذكر فتح شقيف أرنون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف أرنون . واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون . وصاحبة ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل . وباب خلاصة دون فتح شقيفه مقفل . وذلك أن الشقي في الشقيف فني زاده . وعز اجتهاده . ومرد عليه في الحفظ مراده . وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده . فسلمه على أن يسلم صاحبه . وتخلص في النجاة مذهب . وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه . وتركه للاسلام بما يحويه . وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور . ولبس من التشريف والتسريح حبير الحبور .

ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها

كان السلطان اغتتم هيجان البحر . وحضور مراكب الاسطول من مصر . فمزال يقوى عكا بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها في المراكب . وقد ملأها بالنخائر والاسلحة والكمات المساعير والحنة المحارب . فلما سكن البحر . وأمن غائلته الكفر . عادت مراكب

الفرنج الى مراسيها . ودبت عقاربها وأفاعيها وشدت مراكبنا في
موانئها . وانقطع عنا خبر البلد . وامتنع عليه دخول المدد والعدد .
فانتدب العوام للسباحة . وحملتهم السباحة لهم بالرغائب على
وضع المنهج في ميزان السماحة . وعلموا انهم اذا سبحوا ربحوا .
واذا سلموا فراحوا فرحوا . حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد
على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم . ويحملون كتباً
وطيورا . ويعودون بكتب وطيور . ونكتب اليهم ويكتبون الينا على
أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الامور . ويودع المكتوب
والمكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور . وكان في العسكر من
اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنزل في منزلته . وعمل لها برجاً من
خشب . وهرادي من قصب . ويديرها على الطيران من البعد .
ويوردها لشبيعتها وريها احب الحب واعذب الورد . وكنا نقول ماهذا
الولع بما لا ينفع . والوله بما لا ينجع . حتى جاءت نوبة عكا
فذهفت . وشفت الغل ونقعت . واتت بالكتب شارحة سارحة .
ووفت بمفاتيح الغيب بالبشرى مفاتحه . فصرنا نحبو صاحب
الطيور بالاطراء . ونخصه بالمدح والثناء . ونامر به بالاستكثار .
ونطلبها منه مع الليل والنهار . حتى قل وجودها عنده لكثرة
الارسال . وكنا نعرف بها جليلة الاحوال . ونعلم ان الله علمه ذلك
البر . والهمه ذلك السر . فانه اطلع على ما يدفع اهل الاسلام .
فحمى حمى هداهم بهداية الحمام . فانها امينة على الاسرار ضمنية
بالاسفار . قميئة بكرامة الاحرار . مصونة من بين الاطيار . جريئة
على الاخطار . بريئة من الاعذار . معدوبة من الانخار . مودوبة مع
الاخيار . وحمام البلد اليها مع العوام محمولة . وعقود الاكياس
عليهم محاولة . والضرورة تحمل على تحمل الضرر . والغرارة تبعث
على الانبعاث الى الغرر . والفقر يدعو الى ركوب الخطر . وفيهم
من سلم مرارا من القوم . فاجترأت نفسه وأنس بالعوام . ولقد عطب
عوامون . بالامانة قوامون . فما ارتدع الباقون . وما قالوا انهم لما
لقي رفاقهم لاقون

ذكر ما دبّره السلطان عند اندسار الشتاء واندكسار البرد في الانتهاء

ولما اندسر الشتاء واندكسر . وانتشى الربيع وانتشر . أمـر
السلطان عساكره بالعود فتوافت أمداد أجوادهم توافي أمداد
الجود . فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن
محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة . وهو بأكمل العدة
وأحسن الاهبة . وسابق الدين عثمان صاحب شيزر . وهو الذي
ببسالته يقسر الليث القصور . وعز الدين ابراهيم بن المقدم المقدام .
الهام بن الهمام . والكريم بن الكرام . والاسد الضرغام والسيد
القمام . ووفد معهم جموع من الاجناد والاعيان . وحشود من
العرب والتركمان . ففاض بهم الفضاء . واكتسى برياشهم العراء .
وكثرت الجنود . وانتشرت البزود . وحلقت عقبان الالوية . وتلاحقت
ذؤبان الالوية . ولعت بوارق البيارق . وارتفعت عوائق البوائق .
وحملت بواسق السوابق . وثبتت وثائق العلائق . ونبتت شقائق
العقائق . ونظرت أحداق الحدايق . ويسرت طرائق الطوارق .
واعجبت أزهار الرايات وانتهت غايات الغايات . ونزلت بحسن
الصنيع نصوص النصول . ودارت بيد الربيع فصوص الفصول .
وعلت الاعلام . وحلت الاحلام . ومضت المواضي ومضت .
واقترضت القواضب القواضي وقضت . وعريت البيض من الحل .
وغربت السممر بالكلية . واشتاقت لدات اللدان الى العناق . وتناقت
شفاه الشفار الى لثم الاعناق وتحدث في المجارة باجراء العتاق .
وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاب . وأعجم عن جمجمة
الجماجم اعراب العرب ، وحمي عزم البطل . ومحي رسم الملل .
وعاد الجد الى جدته . والحد الى حدته . وخرج البرد من عدته .
وفاز النصر بعدته . وجلت بنت الغمد في زي الهند وري الفرند .
وقطف ورد الورد للشد الى الورد . وقال الناس إلام ننتظر . وعلام
نصبر ولم لاندشتغل وكيف لاندشتغل . وحتام القعود . ومم الركود .
ولماذا الرقود . وقد نظرت السعود . ونضر العود . وصدقت من

أصحابنا الوعود . فرحل السلطان وتقدم . وعزم علي طلب العدو
وصمم . ونزل على تل كيسان يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاول .
في الفصل الاعل والفضل الاكمل . وتداني العسكران . وتعالى
العشيران . وتقارب القرنان . وتحارب الحزبان . وترتب العسكر
الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا . وفي ركوبه على تريب
منازلهم طلبا طلبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة
الميمونة . والملك العادل في آخر الميسرة المنصورة المصونة ،
والملك الافضل في اول ميمنة القلب وأخوه الملك الظاهر في اول
ميسرته على الجنب ، والكتائب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسماء
بالنقع الثائر مذقبة ، والارض بوقع الحافر مثقبة ، والعساكر
متراذفة متراذفة . متتابعة متواردة ، متسابقة متلاحقة ، متناسبة
متناسقة . متوالية متوافية ، متجارية متبارية ، مذقضة كالبزاه ،
مذفضة الى العداة ، داعية الى الانتصار ، عادية على الكفار .

ذكر وصول رسول دار الخلافة

مع ضياء الدين الشهر زوري في جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الاول رسول دار
الخلافة ، بالنجدة والعارفة والرحمة والرافة ، وهو الشريف فخر
الدين نقيب مشهد باب التين بمدينة السلام . فتلقيه السلطان
بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله . واستقبله لقبوله ، وتلقاه
الامراء على الترتيب ، فمنهم من تقدم نحوه الى البعيد ومنهم من
وقف له بالقرب . ثم اخوة السلطان وأولاده واحدا بعد واحد .
وماجدا بعد ماجد . وبادئا بعد عائد . ثم ركب السلطان اليه عند
القرب من سرادقه . وأدناه اليه بتعانقه ، ثم سار معه قليلا (٤٧)
وأصعبه من خواصه وأمرائه قبلا . حتى نزلوا به في باركاه له
مضروب ، وخصه بصنوف من اللطاف وضروب ، ووصل معه
حملان من الذفط الطيار . وحملان من القنا الخطي الخطار ،

وتوقيع بعشرين الف دينار . تقترض على الديوان العزيز من
التجار ، وخمسة من الزرايين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق
بالنار . فاعتد السلطان بكل ما أحضره . وأخلص الدعاء للديوان
العزيز وشكره . غير انه ابدى رد التوقيع مع الصنيع ، وقال كل ما
معي من نعمة امير المؤمنين وعارفته ، ولقد نعشني ما شملني من
عاطفته ، ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض ، ويغنيني عن الالتزام
بالقرض ، وأركب الرسول مرارا معه واره مبارك النزال . ومعارك
القتال . ومصارع الرجال . ومجامع الابطال . ومطالع اللقاء .
ومواضع الهيجاء . ومصالت الاقدام . ومنابت الاقدام . ومواقف
الصفوف . ومصاف الوقوف . وأماكن البعوث . ومكانم اللبوث .
وتل الفضول . وبقية التلول . حتى يشهد بما يشاهد . ويبين له
المجتهد والمجاهد . وأراه ما لم يره لياثر أثره . ويخبر بجملته
ويجمل خبره . وأقام الرسول طويلا . وأقام له السلطان من طوله
دليلا . ووفر له عطاء جزيلا . وعرفا جميلا . حتى استأن في العود
فعاد . واستصحب الشكر والاحماد .

ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالابراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار . شرعوا في عمل الابراج الكبار ،
وركبوها من الاخشاب الطوال . والعمد الثقال . وبذوها وقدموها ،
ونصبوها وأحكموها . وسقفوها طباقا . وسمروها بالحديد .
وجعلوا لها منه أطواقا ، ووثقوها شدا وشدوها وثاقا . ولبسوها
بالسلوخ ، وملأوها بالجروخ . وزحفوا بها الى السور وكشفوا
بـالرمي منها بعض سـقفـوف الدور . وتسـاعدوا
على طم الخنادق ، وتفتيح الطرائق ، ووصل من المدينة عوام ، يخبر
بان التلف بها حوام . وان البلد قد أشرف . والخطر قد أسرف .
والابراج علت . والاسوار خلت والبلاء قد عم . والخندق قد طم .

وأنتم إن تم هذا عراكم العار . واذلم على الدنيا والدين بليله
النهار فاحتمي السلطان واحتد وشد واشتد وكرب وركب وكان
يحسب هذا فجاء كما حسب . وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن
الزحف ويصرفهم عن الفتح بالحذف . وذلك في العشرين من ربيع
الاول يوم الجمعة . بالجحافل المجتمعة . والغماغم المرتفعة .
والصوارم الملتمة . والصلادم الممتعة . والأسنة المشرعة . والاعنة
المسرعة . والحوائم المنتجة من النجيع . والبيارق المخفقة كآزهار
الربيع ، واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين . صاحب دار محمود
ابن بهرام الارتقي . بالجمع الوافر الوفي والعسكر النخي النقي ،
وسار الى القتال على حاله . بخيله ورجاله . وضايقهم السلطان
مضايقة عظيمة . ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة . حتى
دخل الليل . ولغبت الخيل . فقوى تلك الليلة اليزك . والزمهم في
الحفظ الدرك . ورجع الى مخيمه مساهدا ساهرا ، مجاهدا بالبكور
نحوهم مجاهرا . فلما اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب .
وسبهم على بحر الكر والكرب . ورجل الرجال اليهم . وانزل
النوازل عليهم . وامتزج بياض النهار بسواد الذقع . واتسع خرق
الواقعة على الرقع . وانقضى اليوم . وقد انقضى القوم . وتفرق
الجمعان وقت العشاء . عن قتيل غريق في الدماء . أو جريح على
بقية الذماء . وبيات الناس في السلاح شاكين . وبنار المذاكي
ذاكين . ولما تم منهم وعليهم حاكين . ورجع السلطان الى خيمة
ضربت له على تل العياضيه . وقد الزمته البسالة الطبيعية ، بالرتوع
في رياض الاخلاق الرياضية . واصبح يوم الاحد راجعا الى قتال
أهل الاحد . واستن من الجد على انهج الجدد . وامر بانتقال السوق
الى قربه ليقرب من العسكر ، وأيده الله بالنصر الاظهر . والظهور
الانصر . واقام كذلك وهو في كل يوم يغدو وينازل . ويعد ويقاتل . ثم
نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لتلا يغيب
حاضر . ولايصاب عن الورد صادر . وليكون غلمان العسكر للحرب
مباشرين . ولعشر الكفر بادارة كؤوس الردى عليهم معاشرين .
فانتدب منهم الى الحرب كل مجترى للوقائع مجترح . وكل محترق

فنظرنا والنار من احد الابراج في السماء بشعلها متسامية . وفي
الجو بشرارها مترامية . ومايدرى ما سبب هذا الحريق . وكيف
تيسر هذا التوفيق واحدقت النار بالبرج فاذا هو كشجرة من نار .
وقلوب المشركين لاستعارها في استعار . ووجوه المؤمنين لانوارها
في استبشار . ثم راينا البرج الثاني وهو يحترق . والنار في اثنائه
تحترق . ثم نظرنا الى البرج الثالث فاذا هو يشتعل . وبأسنة
النيران يبتهل فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها ، وبلغت الينا من
صدماتها وخدماتها استغاثتها . وركب السلطان ونحن معه ونزلنا
نكتب بشائر النار . ونسير بطاقتها على أجنحة الاطيار والعجب ان
الابراج كانت متباعدة غير متدانية . وقد أبعدنا الفرنج لمسافات
متناثية ، فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه ، وخسف
اسواره وكسفه ، فاحترقت على تباينها في وقت واحد . وقدر من
الله وارد ، فلم يكن ذلك الاسرا الهيا . ولطفا ربانيا . وفرجا بعد
الشدة . وثلجا لصدور المؤمنين بتلك الوقته ، وكان سبب حريقها ان
رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان قد استأذن
السلطان في دخول عكا للجهاد ، واقام فيها باذلا للإجتهد ، وغري
بعمل قدور الذفط وتركيب عقايره ؛ وتعين كل نوع وتعير
مقائيره ، وتقدير معاييره ، والناس يضحكون منه . ويغضون عنه .
ويقولون هذا يضيع ماله فيما لايعنيه . وما هذا الهوس الذي وقع
فيه . وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويجد في تلك الادوات ، ويكثر
القدور . ويرتب الامور . فلما قدمت الى البلد تلك الابراج ، وحصل
من الامتزاج الامتزاج . قوتلت بكل فن ، واننى اليها من الذفط كل
قدر وبن . ورميت بكل قارورة محرقة . وكل نفاطة مرهقة . وبالح في
صنعتة الزراق فلم يتم في شيء منها احتراق . ووقع الياس .
واستسلم الناس . فمضى ابن العريف . بل ابن العريف . الى بهاء
الدين قراقوش الامير وقال قد رأينا ما اعترض من التدبير .
وما عرض من التقدير . فافسح لي في رمي هذه القدور . فلعل الله
يأتي منها بشفاء الصدور . فأن له على كره . وقال بما رى لاحراق
هذه البروج على يده من وجه . فان الصانع قد ابلسوا والزرايين
العارفين بالصناعة يذسوا فلما وجد الانن وزن القدور وعيرها

ورمى بواحدة منها الى احد الابراج في المنجنيق وعبرها واعتبرها
ثم لما استوت رمايته وصحت في الاصابة درايته . رمى بقذور نطف
لنار فيها . وهو يصيبها على اعالي البرج ويسقيها ، والفرنج
يعجبون من البلل ولا يدرون بما وراءه من الشعل ، ثم قذف بقدر
ناريه ، متشعبة بكل بلية فوقعت في الطاقة الوسطى ورمى اخرى
فوقعت في السفلى . فاشتعل البرج من طرفيه الاننى والاعلى ،
وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين . فاحترقوا
اجمعين . وبخل اليه ايضا جماعة لاستنقاذ ما فيه فاحترقوا
بدروعهم وسيوفهم . وتقلبت الجحيم عليهم غيظا لا ستبطاء حتوفهم .
وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني . ولم يلحقه في احراقه
التواني ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . وما كان ذلك بصنعة منه بل
لان الله وفقه . وما زالت تحترق الثلاثة وتتقد اتقادا حتى عاد جمرها
رمادا ، وبياض نارها واحمرارها في السماء على الارض سوادا .
واحترقت المجانيق والستائر التي كانت بقربها . (وبهت الذي كفر)
(البقرة ٢٥٨) واسدف على نصبه في نصبها . وخمد الكفار بذلك
الضرام ، وسلوا عما كانوا فيه من غرام . وحبطت اعمالهم . وخابت
امالهم . وركدوا بعد حربهم ، وركدوا الى خزيمهم ، وضلوا في
سعيهم . وتورطوا في بغيهم . وسقط في ايديهم بسقوط ايدهم
وحقيق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم ، وخرج رجالنا من البلد فنظفوا
الخندق وسدوا الثغر ، واظهروا بظهور القدر القدر ، وجاءوا الى
مواضع الابراج واماكنها واستخرجوا الحديد من مكانها .
ونبشوا الرماد عن الزريعات التي انسكبت ، وكشفوا عن الستائر
التي تهتك . فاخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا وأترب من
ترب من تراث ذلك التراب . وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب .
وبردت من حر تلك النار . وشفي أوامها بذلك الاوار . والحمد لله
الذي جعل تلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابراهيمية . وعلى
اعدائه بالحر والضرام جحيمية .

ذكر فصول أنشأتها من كتب البشائر بالنار

صدرت مبشرة بما أجده الله من الجد . وانجزه من الوعد . واجزله من الرشد . واعذ به حال الظما البرج من الورد . وذلك ماظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن . والنصر الذي يقصر عن وصفة ذوو اللسن وهو ان اصحابنا بعكا رموا بقدر النقط عدد العدو المدحور . واحرقوا جميع مالهم من المنخور . واحتقرت ثلاثة ابراج كانوا قدموها . ودبابات قربوها . ومنجنيقيات نصبوها . ولهم منذ تسعة اشهر يجمعون هذه الالات . ويستسهلون عليها الغرامات . حتى اقدموا ابراجا اعلى من ابراج السور بضعف سمكها وقربوها ناكية في الثغر الحروس بفتكها . وشحنوا بالرجال المقاتلة طباقها . واطلوا على مناكب البلد اعناقها . فاشفق الاسلام من نكاياتها . واظلت الافاق من غياياتها . وكشفت من البلد جانبا وجبت من سور غاربا . فاقدر الله على احراق ما عمل في تلك المدة المديدة في ساعة ، وامسى العدو بقلوب وافئدة مرتابة مرتاعة . وما فصح ألسن النيران . على تلك الاعواد خاطبه . وما بسط ايديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهبة سالبة

فصل

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورت زناؤه . والنصر الذي قرب ميعاده . وذلك ان اصحابنا بثغر عكا استظهروا وظهروا . وصبروا فانتهروا . ورموا من البلد ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدر النقط . وانزلوها من سماء الرفعة الى ارض الحط . واطالوا بها ألسن النار المنصرمة . ودبت من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمة . وعلم العدو ان كرتة خاسرة وان يده عن نيل المنى قاهرة .

فصل

هذه مبشرة بالظفر الهني . والنجع السنني والنور اللامع من النار . والنصر الواري الزناد الطائر الشرار . وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشري ربيع الاول . وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وسلك في المضايقة منهاجه . ولزم في الزحف الدائم لجاجه . فاستظهر الاصحاب عليهم وقت الظهر . ورموهم بقدر الزحف المحرقة من الثغر . فطالت السنة النيران تدعو على اهلها بالبوار . وتبدي في تضرعها تضرعها الينا للاعتذار . وشاهد اهل النار ما اعد لهم في سقر . وتلونا قول الله سبحانه فيهم: كذلك نجزي من كفر (٤٣)

(فصل الى الديوان العزيز)

ولما كان ظهر يوم السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى اصحاب المحصورون المنصورون عدد العدو وابراجهم بقدر الزحف من البلد فخطبت السنة النيران على تلك الاعواد . بل على تلك الاطواد . والحقها رداء الردى والحقها بالوهاد . وفرشت رمادها لما تم اولئك المراد . فكانت تلك النار على الكفر ضراما . وعلى الاسلام بردا وسلاما . واحترقت الابراج الثلاثة على معتقدي التثليث . ودبت النار الى الدبابات والمنجنقات بصدمه المنجنقات . ودبت النار الى الدبابات . بصدمه التأثير وحدهم التاريخ . وما طول ألسن النار . وافصحها بالدعاء على اهلها بالتبار . وقد ابدت الى الاسلام بتضرعها وتضرعها وجه الاستبشار . وما حسنها وهي ترمي بشر كالحصر . ويكسو سنني لهبها وجوه المؤمنين بشر النصر . وما قطعها لدابر المشركين وقد خست باحراق تلك الآلات عن البلد اجنحة الحصر . وبسم بعد عبوس البوس باسم الله ثغر الثغر . وقد بغت هذه الفجيعة فجأة من

حوته تلك البروج . وبخل الى طبقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج . وهلك فيها اكثر من ثلاثمائة دارع . وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق . الى الغنيمة مسارع . وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف . كل ما وجدوه خلال رماد تلك الحدوف . وكان القوم قد اعتصموا بالابراج ووثقا بوثاقها . واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها . ووصلوا بها اجنتهم . ونخروا فيها اسلحتهم فاخذقت ظنونهم . وسخن عيونهم . وخسر هنالك المبطلون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها

استنفذ الفرنج اموالهم في عدد اعدوها . وآلات اجدوها . واحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شائخات . وزاد غرامهم بالفرامات . واستقلوا على عمل الابراج كثرة الخسارات . ومكثوا مدة على لجاجهم . يطرقون بين يدي ابراجهم . ويمهدون الارض لتسوية مهاجمهم . فلما قدموها بعد لاي . واحكموا باحكامها كل تدبير ورأي . واشرفوا منها على سور البلد بأمور ذات أسواء . وجاؤوا بآلات وأدوات أدواء . واشفى البلد من بلائها واشفق . ووجل كل قلب وفرق . واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل . ومداواة الامر العليل الى ان نشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر . وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر . فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب . واتى الله المجرمين بالعذاب . والهم اصحابنا ماداووا به المرض . وادركوا به الغرض . واظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور . وأقدرهم على رمي تلك الابراج بالنفط في القدور . وظهر من سر منع الله ما كان في المقدور . فتسلطت النار على عمل اهل النار . وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار . ولع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك البخان . وكان كما قال الله تبارك وتعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) (الرحمن ٣٥) وعادت تلك الاكم وهادا . وذلك الجمر رمادا .

وتحلحلت تلك الجبال وتحلل تركيبها . ولصق بالتراب ترتيبها .
وتدكس منها صليبها . وكانت ثلاثة أبراج شاهقة فلعبت في ملاعبها
النيران فإذا هي زاهقة . وتدنقت نجوم الشعل في تلك البروج . وعجز
شياطينها برجمات شهبها عن الخروج . وتسלט الحضيض على
يفاعها . وباد الدارعون فيها بادراعها . واضحك الله ثغر الثغر بما
اطابه من ارج الفرج . واخمد باشتعال ذلك الوهج ما اكرب قلوب
المؤمنين من الوهج . وصان مهج أهل التوحيد بما أرداه لأهل
التثليث من المهج .

(فصل)

تقدم المشركون بالأبراج الى البلد فقربوا من اسواره . والصقوا
منها جدراناً بجداره . واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره .
فاظهر الله ما كان خفياً من سر أقداره . واحرق عمل أهل النار
بناره . وكان اصحابنا عاينوا ما همهم وهمهم . وخصهم من
الخطب وعمم . نصبوا مجانيق بازاء الأبراج . وصدعوها بها صدع
الزجاج . ورموها منها بقدرور النفط فاشتعلت رؤوسها وشابت
وشبت . ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت . وارسل الله في
تلك الساعة بعذابها ريحاً بها هبت . فامست اجنحتها قد حصت
واسنمتها قد جبت . وسقط في ايديها ووجبت جذوبها وكبت على
جوهها في النار وكبت . فما افصح السنة النيران وقد نادت
بنصرنا والفت منها قلوبنا بما الفت من نقع غليلها واحبت . والحمد
لله على الطاقه التي ما غابت ولا اغبت .

وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت بحقتها
وحقيقتها . وحليتها وجليلتها . فانه يشتمل كل فصل على تمام ما
اغفل في غيره . ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره

ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنة

وفي الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر . قدم عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي بمن استنهضه من العساكر . وكان اول من استقبله حين ظهرت راياته . من العسكر كتابه وقضاته . ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بقل كيسان . ولقيه بعده الملك الظاهر خضرو المعز اسحق ولدا السلطان . فنزل لهما ونزلا له . وتعمدا اعظامه واجلاله . ثم تلقاه الملك الافضل ابنى من ذلك فتعانقا على فرسيهما اعفاء له من النزول . وتلاقيا بالاقبال والقبول . ثم وصل اليه السلطان بالوجه الضاحك والطف المتدارك . واعتنقا على ظهر . واتفقا على بشر ونشر . وكان الملك العادل تأخر فلحق . وظهر من ارج سجاياه ما بذشره عبق وبحبه علق . وسار مع السلطان باطلا به وابطاله . وحماته ورجاله . حتى وقف قبالة العدو بصفوفه . ووقف عليهم طول الرعب وبطول وقوفه ثم رده السلطان الى خيمته على رسم الضيافة . وترففت الطافة عليه بالاطافة . ووقف ساعة مع الملك العادل حتى نخل السلطان سرادقه وجلس . وحضر الملك العادل بعماد الدين وبسط لفرشه ثوبا اطلس . واكرمه السلطان باجلاسه الى جنبه على الطراحة . واندسه ببشر السماحة والسجاجة . ووقف الامراء والخواص والاولياء صنفين . وانشد الشعراء من المدح والنسيب صنفين . ثم احضرت المائدة فماد نحوها الحضور . وعقد الحبا لهم الحبور . ثم رفع الخوان وارتفع الاخوان . وحسن الخبر والعيان . وخلا المكان وحلا الامكان . فأمر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العرب . وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب . ثم نهض وهو بعبه الشكر ناهض . واوجه العذر عارض . ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية . وملا تلك المروج بعساكره المالية . ثم وصل من بعده ابن اخيه معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود صاحب الجزيرة . بعساكره الكثيفة الكثيرة . وذلك يوم الاربعاء سابع جمادى الاولى . بالايدي الاطول واليد الطولي . فالتقاه السلطان واخوه واولاده على قاعدة عمه . وأجراه

في الضيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه . لكنه لم يقصر في القاعة عن رسمه . ونزل بخيمته في فناء السراشق العمادي . وقد استكثر من العسكر الجهادي . فكان ذلك المرج بحر امواجه الخيم والمضارب . أو سماء كواكبها ما اشرعته من صعايدها الكتائب . أو غيل أساده في أجام القنا الفوارس . أو غدير من السوابغ حيا به الترائك والقواذس . أو سحب بروقه الصوارم الرقاق . أو وهاد اكامها الصواهل العتاق . ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه ابن صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود . وهو كوالده مسعود مودود . وفي شهامته وصرامته مشكور محمود . وذلك تاسع جمادى الاول يوم الجمعة بالمحاسن المتدوعة . والمفاخر الاصيلة المتفرعة . والصنائع المبدعة والبدائع المصنعة . وجيشه للقوة ضابط . وجاشه على الحمية رابط . وبأسه ليد الايدباسط وجنانه على الكفر ساخط . وهو شاب اول ما بقل خطه . وابتهج بكماله رهطه . وكان ابوه قد عزم على الوصول بذفسه . وانهاب وحشة الخطب الملم باندسه . ثم رأى المصلحة في الاقامة وتقدير ولد المشكور المشهور الشهامه . فانهض العسكر المجر معه ثم اتبعه بمن حشده وجمعه . فورد ورود السحاب الكنهور (٤٤) . ونور المطالع بسنى السذور (٤٥) واطلع بطلوعه على معنى البأس المصور . واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدم عمه . وحافظ من الكرامة على توفير سهمه . وانزله في سرايقه واضافه . وأهدى خيله والطفه . وأمر بانزاله في الميمنة بين ولديه الملكين الافضل والظاهر . وضاق ذلك البر الواسع ببحر العساكر . ولم يبق في اهل السلطان الامن اقتدى به في الاحتفال بقدم هؤلاء . واعتماد ما قام به البرهان على المخالصة في الولاء . والمسارة الي الضيافة والاهداء . والاعانة الى المكارمة بعد الابداء .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله وعجل بأنصاره جمع شمله .
ووفق اسد عرين الملك ان يحمي حوزة الاسلام بشبله . وللمجالس في
طوله اليد الطولى . والمنة الثانية التي اربت على الاولى . حيث حدث
همته العليا . وحض لحظ بينه عزمته الماضية المضية . وشرف بولده
علاء الدين من تقلد بوروده أوفى منه . وتعجل من وفوده أقوى منه .
وأوفى جنة . فلقد ورد الى الساحل بحرا . وطلع في ليل القساطل
بدرا . واصفر لمرتقي صباح النصر فجرا . وجلأ وجوه المؤمنين
ببشاه بشرى . وملا صدر الاسلام أمنا . وقلب الكفر ذعرا . ثم
وصل زين الدين ويوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب إربل يوم
الاربعاء في العشر الاخر من جمادى الاول . ذو السماح المؤمل و
المجد المؤثّل . بجيش كالسحاب المسيل . فدوت اخلاف النصر
بحقول ذلك الحقل . وورد بكل ورد هني . وجدسني . وقدم بكل
مقدام . وزار خيس الجيش بكل ضرغام . وزار بكل اهتمام بالمذون
همام . ووصل بكل واصل لسبب النصر . قاطع دابر الكفر . ووفد
بكل وافد باليمن الوافي . والنهج الكافي . والعز الصافي . والعزم
الشافي . وطلع بكل طالع بالسنى . جامع للمنى . فارع بالغنى .
فارك للخنى . سافك دم الشرك بالظبا والقنا . وكان هذا اول يوم لقائه
للسلطان . واحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان . وكان يجمع
بين الحماسة والسماحة . والبشاشة والرجاحة . والتودد الى الناس .
والتشدد بالباس . والتواضع مع الكرم . وبنو الود مع علو
الهمم . ماله مبدول . ونواله مأمول . وسيفه على الكفر مسلول . وامره
بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول . وهو مرجو مخشي . وكريم
هشي . ومهيّب مرجو . ومحسن بسنى الحمد مجلو . وكان معه خلق
كثير . في سلك الاتساق ومسالك الاتساع نظيم نثير . وانزل بقرب
اخيه مظفر الدين في الميسرة . وتمكن الرعب بما تم من الجمع في
قلوب الكفرة .

ذكر وصول الاسطول من مصر

كان السلطان قد امر بتعمير اسطول آخر من مصر تصل فيه النخيرة والميره . والعدد الكثيرة . فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول . وتم بظهوره النصر المأمول . فركب السلطان في جحافله . وسدد سهام الردى الى العدو ومقاتله . واحدق به حول خنادقه . ليوسع عليه الهلاك في مضايقه . وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول . ويسهل عليه بتشاكلهم طريق الصول . فعمر الفرنج اسطولا . وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا . وقدراً أنه يلاقي الاسطول المنصور . ويخطر بسد الطرق عليه وصدها العبور . فجاءت مراكبنا . ونطحت مراكبهم وطحنتها . واوهت متنها وأوهنتها . واخذنا لهم مركبا واخذوا منا مركبا . وكان تقصير الرؤوساء في حفظه لأخذه سببا . واتصل الحرب في البر الى حين غروب الشمس . وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور النفس وقتل من الفرنج عدة وافية . وكلاءة الله لنا ولأصحابنا وافية .

ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبها لتعرف منها
وتكشف القضية المستورة وهي :

هذه المكاتبة مبشرة بما سنأه الله من النصر الهني . وهناه من النجح السني . واجنى المسلمين من ثمر الظفر الجني . وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور . ظهر يوم الخميس متظاهرا بامداد الظهور . متوافرا بوفود الوفور . وبخوله سالما غانما الى ثغر عكا المحروس المعمور . فآثر البلد بعد انفضاضه . واجتمع اليه مدد القوة بعد انفضاضه . واستجد جنة وافيه . وعصمة واقية . ونخيرة كافية . وكان الفرنج عند وصول اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها . وبرزت مناكبها . وحميت بالرجال

والعدو جوانبها وسنمت غواربها ورفعت هضابها وهواضبها .
وسحبت على شبيح البحر سحائبها وأدبت الى عقبان اساطيلنا
الحلقة بعقابها وثعابينها وعقاربها . وظننت انها تستطيل على
رواسي اساطيلنا بسواربها وانها تواجه عرائسها الحلوة بحور
جواربها . فلما جاء الحق زهق الباطل ، وصال الواصل ، وحاص
العدو من الحاصل . وانحل تركيب تلك المراكب . وحطت تلك المناكب
بما احاط بها من الذواكب . وتفرقت سفن العدو شذر مذر . وعذر
حين زعر فحذر . وكسبت شوانينا ست بطس لهم فكسرتها . ووجدت
فيها عدة من الرجال المقدمين والنساء فأسرتهم . وكانت الفرنج
حملت فيها تجائر ونخائر تطلب ربحها فخرستها .

وصل الاسطول ظهر يوم الخميس ظاهرا خميسه . ثائرا بالاسد
عريسه . في شوان للعدو شوائن . وشالنيات لشله وفله
ضوامن . وحراريق لاهل النار بنارها محرقة . وعقبان مراكب في
مطار العقاب على المجرمين محلقة . وسواري هواضب كرواسي
هضاب . وسحاب بوائق كبوارق سحاب . ومن كل مركب للنصر
مركب . ومفرد من الشدة والبأس مركب . وقطعة لنياط قلب العدو
قاطعة . وقلعة لاساس اهل الكفر قالعة . وتلعة في ذروة العزة
تليعة . وذروة في مرقى الهدى راقية منيعة ، وجاءت في البحر
أمواج في الأمواج . وبخلت الى الثغرافواجا بعد الأفواج . وكان
العدو قد أبرز أساطيله . وجهز أساطيله . وشب عوابيه
ودواعيه . وأدب عقاربه وأفاعيه . واسمى مناكب مراكبه . وجد في
امهاء غروبه وتسليم غواربه . ولما وصل الاسطول طال
وصال . ولاح للعدو صده بحيلة حال فحال . وامتنع مراده
واستحال . وأخذ الاسطول من مراكبه الكبار ست قطع قطعت
اسبابها . وقصمت من عبة الصليب اصلابها . وخيب حسابها .

فصل

وصل الاسطول الى البلد مستطيلا بالجلاد والجلد . وأثري به
الثغر بعد الانفاض . واجتمع به شمل الرجاء بعد الانقضاض . ودخل
اليه ماخرج عن حد الحصر . من نخيرة وميرة توجب كثرتها قلة
المبالاة بالحصر . فان الرايات المنصورة علت فجلت في الآفاق
رياضا . والمراكب الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين
أغراضا . ووافت ووفت فأعادت جـواهرها مراكب العدو
أعراضا . وجاءت سدوايرها كالرواسي . وجـوايرها محكمة
المراسي . ومن شيمة حراريقها شيم بوارق البوائق لاحراق أهل
النار في الماء . ومن عمل مراكبها الحاف مناكب الكفار رداء
الارداء . من كل جبل يمر مر السحاب . وضامر يشد شد
العقاب . وعقاب محلّق على الشرك في مطار العقاب . وغراب ناعب
في اعداء الله بين الاحباب . وهضبة موفية على الهضاب . وقطعة
وافية من الكافرين بقطع الرقاب . وما أحسنها وقد زفت
عرائس . وجلت أوانس . وطلعت بأهل الايمان بواشر وعلى أهل
الكفر عوابس . وعادت بها رسوم مراكب القرنج دوارس . وخلا
وجه البحر من سفن الضلال وتقلص مالها من الضلال . ولما شوهده
الاسطول ساطيا . وجيد النصر منه عاطيا . وأخذ البحر من
الاعداء بحقه . وأشرق سنا النجج في أفقه . ركب العسكر المنصور
للقتال وأخذ أهبة النزال . وزحف الرجال الى الرجال . والتقى
الأبطال بالأبطال . وشفيت بدم الكفر غلة المناصل
والنصال . وأحمرت البيض الظامئات ورويت من نجيع
الزرق . وبشرت جياح العواسل من اليراع العاسل بعاجل
الرزق . وظل أهل الضلال وقد كفهم الكفاح . وفكهم القتل
والجراح . وأقوى الأقوى من الثبات . وبطل بطلهم بما أثخنه من
الجراحات . وبات المسلمون وأثقين من الله بأن جمع الكفر قريب
الشتات . وأدرك المشركين ماقاتهم من الآفات .

ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

صح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية الخليج . وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريج . وأنه وصل بجمعه الى مضايق صعب عليه منها العبور . وعمهم في نهضاتهم العثور . فقليل انهم أقاموا في قفار ومواضع شهرا . عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها إلاضرا . وكان التركمان الأوجيه (٤٦) على طريقهم . يمنعون بغربهم (٤٧) من تشريقهم . فاضطروا الى المقام بغير زاد . وهم في جهد وضر واجتهاد . فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها . ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها . فترجلت منهم الوف . ورغمت أنوف ، وكان ذلك في البرد الشديد . وزمان الثلج والجليد . فجمدوا وخمدوا . وتجلدوا وتبدلوا . وعدموا دواب لحمل الأثقال . ونقل عدد الرجال . فدقدوا وأحرقوا منها . وتركوها وسلوا عنها . وكان ذلك من الله لطفا . وأمست قوتهم ضعفا . وكانوا في خلق لايعد . وجمع لا يحد ، فما أثر فيهم ذلك النصب . ولا صدمهم عن مقصدهم ذلك التعب . ومازالوا يسيرون والأوجية تبدي لهم للوبال في أوجها أوجها . والأفرنجية لاتنتهي حتي تبلغ الي مالها من منتهى . حتي بلغوا الى بلاد قليج ارسلان بن مسعود . ومسالكها دونهم غير مصدود ولا مسدود . وقليج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه . وهو يدبر امره ويتولاه . ويسومه الاكراه ، فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم . وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم . ثم اندفع من بين ايديهم . وتعدى عن جانب تعديهم . وبخلوا قونية دار ملك المسعودية . واعتصم قليج ارسلان بقلعتها المحمية . وتراسل وهو ملك الألمان واتفقا في الباطن على ماكان بينهما من الموائيق والايمان . وحمل ملك الألمان له وفرا وافرا . واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا . ووافقه على العبور الى الاقاليم الشامية . والبلاد الاسلامية . وعلى انه يسير في بلده الى بلد ابن لاون . واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى المأمن

رهائن . وامر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه . وان يعاوضوهم من الخيل والعدة بما يرومونه . واقام لهم الاسواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق . فساروا في رقة ورفق وتقوبلا توق . فلما وصل الملعون الى بلاد الارمن غدر بالرهائن . وساقهم محمولين مع الطعائن . وتأول عليهم بان التركمان سرقوا منهم في طريقه . ونكث جميع مواليقه ، ووصل ليقون بن اصطفاثه بن لاون مقدم الارمن الى خدمته . وبخل في طاعته ، وكان بمفرده خاليا من عسكره بمجرده . وذلك في طرسوس . فتمكثوا بها ليريدوا بها النفوس ، وقيل عن لكب الالمان ان يسبح في النهر . ويميط عنه ماعراه من الوضر والضر . وكان شيخا مسنا قد عاد لكبر سنة شتا . وحسب انه اذا سبح سحب نيل الاستراحة فكان موته في تلك الراحة . وهلكه في تلك السباحة . فانه عام في الماء البارد . وتورط منه في اصعب الموارد . وخرج وبقي مريضا الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى فناء الفناء . وتلقاه مالك بالزبانية . وحملوه الى نار الله الحامية . وسمعت نصرانيا يقول في معناه : كنت معه لما سلك فهلك واعجله مالك النار عما ملك . وذلك ان النهر ما كان فيه الا عبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد . فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا يمكن فيه العبور ويؤمن فيه العثور فقال له واحد:ههنا مخاضة ضيقة من احترز فيها عن التيامن والتياسر عبر ولا يعبر فيها الا واحد بعد واحد اذا تثبت واستظهر . فبدر الى تلك المخاضة ذات الجرية الفياضة . وبخل الماء فطغى على ذلك الناري الطاغي . واعجل ذلك الباغي عن المباغي . ورماه في جريانه الى شجرة شجت جبينه وجبت جاشه . وعثرته بحيث لم يؤمل انتعاشه فتعبوا في اخراجه . وايسوا من علاجه . ومات عدو الله شر ميتة وبلي شمله بتشتيته وحبله بتبتيته . وخلفه ولده على خلاف من اصحابه واجنابه . لما كان الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تخلص عظمه . وتهرى لحمه . ثم جمعوا في كيس عظامه . وراموا بذلك اكرامه واعظامه ليحملوه الى كنيسةهم بالقدس قمامة . ويدفنوه على ما كان اوصى به . ولما عرف ابن لاون بهلاكه . وسكون حراكه ، وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته . وانه لاتلاني لما

فرط من تلافه وفوته فارقهم الى بعض قلاعه . واتصل الضربهم لانقطاعه . ووصل كتاب من الكايا غيكوس صاحب قلعه الروم يرغب ويرهب ويبرق ويرعد . ويقول ويعدد ويدهمه ويهدد . ويرى انه ناصح . وللقصة شارح . وان الامر واضح . وان الخطب فظيع فاضح . وان هذا الملعون اول ما خرج من بلده اوصى فيه الى ولده . ثم جاء الى بلد الهنكر فدخله غصبا واوسعه نهبا . حتى اذعن له وانقاد . وبلغ بطاعته المراده وانه اخذ من ماله ورجاله ما اختار ، وتزود من عنده وامتار ، ثم وطىء ارض ملك الروم وداسها . وتوسط بيارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها . واحوج ملك الروم الى طاعته والزمه بما دخل في استطاعته .

واخذ منه من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين . ومن الثياب الطلاس المعنوية ما بلغ الالوف وتجاوز عن المئين ، واخذ على سبيل الرهائن اربعين من خلصائه . ومعروفى كبرائه . واخذ كل سفينة غصبا ، وسحب على ذلك البحر في التعبية . من مراكبه سحب . وانه لما عبر وفرغ من الخروج . تلقاه بالخيل والدواب والابقار والاغنام تركمان الالوج . ثم وقع بين التركمان وبينهم ، وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يوما يرومون حينهم . وهم في طريقهم سائرون . وعلى مقاتلتهم صابرون . حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قليج ارسلان . والتقى الاقران بالاقران . وهزمه ملك الالمان . ولما اشرف على قونية خرج اليه جموعها . وطالت اليه بالحرب بووعها . ثم اندفعت حيث ضم على الروع روعها . وانه هجم على قونية عنوة . ونال منها حظوة . واقام خمسة ايام حتى استقرت بينه وبين قليج ارسلان قاعدة اكية . وحصلت لكل منهما فائدة مهيدة ، واخذ منه رهائن عشرين . ومن اكابر دولته المتميزين . وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده ، فتلقاه بما اعده لارفاقه . ونزل حين وصوله الى طرسوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد تناول الطعام . ثم انتبه وتشوق الى الاستحمام . فحرك عليه الماء البارد مرضا . وتشكى اياما قلائل مضضا . ثم قضى . وانقرض اربه وانقضى . وخلفه

ولده بعده . واستمال جنده . وكان ابن لاون قد سار قاصدا للقاء
أبيه . فلما عرف موته وجلوس ولده اضرب عن تلقية . وعرض
عسكره في اثنين وأربعين ألف مجفف . من كل سرحان أهرت
وذئب اغصف . وأما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض . وغص بهم
طول الأرض والعرض . وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس
وهجروا الثياب . ولزموا المصاب . وداوموا الاكتئاب ، وهم
صابرون على الشقاء والتعب . لأمل المظفر بالطلب .

ولما بلغت هذه الأخبار . اضطربت الديار . وارتفعت الانجاد
والاغوار . وقالوا هذا جانب لا يطاق . وأي جانب قصده عنه لا
يعاق . ولا شك انه يتوسط بلاد الشام . ويذلّم ثغور
الاسلام . ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام . وعزم السلطان
على استقبالهم بالردى والرد . وصدهم عن القصد . ثم ثبت على
رأي الثبات . وتتنظر الاوقات بما يتجدد من الحادثات . وتقلقت
عزائم النين بلادهم على طريق القادم . وانه يعود كل منهم الى
مكانه أخذا بحكم الحازم . فأول من سار ناصر الدين محمد ولد
الملك المظفر صاحب منبج ، ليجمع على طريق العدو ويزعج
ويرهج . ثم عز الدين بن المقدم . الباسل المعلم . ثم مجد الدين
بهرام شاه صاحب بعلبك . ليجمع ويأخذ على العدر المسلك . ثم
سابق الدين عثمان صاحب شيزر . الليث الهمام القصور . ثم الديار
وقية اسد الهياج . ونجوم ليل العجاج . ثم رحل الملك الأفضل وقد
عرض له ألم . ثم بدر الدين والي دمشق وقد ألم به سقم . ثم سار
الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بغيبته وبهذا الخبر . ولخوف
الناس فيه انهم على الخطر . حتى غلت الاسعار واستعرت
الغلة . وخلت الاماكن وتمكنت الخلة . ثم رحل الملك المظفر تقي
الدين لحفظ ثغر اللاذقية وجبله . ويثبت بقدمه عليها الرعية
الخائفة المجفلة . وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من
جمادى الآخرة . ورتب السلطان منازل العساكر الحاضرة . وخفت
الميمنة برحيل معظم من كان فيها مقيما . ولحفظ الثوب في اليك
مستديما . فانتقل الملك العادل اليها . وجاء الى منزلة الملك المظفر

ونزل عليها . واستقام الترتيب وترتب المقام . واعتز الصادقون
وصدق الاعتزام . ثم مرض أكثر العسكر وخام للوخم . والم بالبعد
للآلم . وكان بدمد الله المرض سليم العاقبة قريب
العافية . مستعقبا لألطف الله الواقية الوافية ، ووقع المرض في
الفرنج وكان المبيد المبير . والمدني لأصحاب السعير السعير . وعم
فيهم الموت والوبا . وكثر عن ذبواتهم النبا . وتقدم السلطان بهدم
سور طبرية . وهدم ياقا وارسوف وقيسارية . وهدم سور صيدا
وجبيل ونقل اهلها الى بيروت .

عاد حديث ملك الالمان

واما ولد ملك الالمان فانتحس . ومرض اياما في بلد الأرمن
واحتبس . وهلك اصحابه جوعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت
في خيلهم ، فانن ذلهم بقلوص نيلهم ، وقدم الملك لرضه . والتياث
جوهرة بعرضه جموعه قدامه . وساروا امامه . وخرجوا لكثرتهم
في ثلاث ذوب ، في بيض وسمر وبيض ويلب . ومعظم رجالهم حملة
عصا وركاب حمير . غير عارفين بـطريق ولا متدفعـظلين في
مسير . والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم . ويتألفون على مسالكهم
ويتلفونهم . ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك . بعد ان ضاق
به وبجمعه اليها المسلك . وضاق به الابرنس صاحب انطاكية
ذرها ، ولم يجد لهم عنده مطعما ولا مرعى . وطلب منه القلعة
فاخلاها له . ونقل اليها ماله واثقاله . وسأله ان يجعل طريقه على
حلب فخاف . وابدى له الخلاف . وقبل وصوله الى انطاكية قلت
جموعه وجنوده . وبليت بحشد التركمان حشوده . واجتازت الفرقة
الأولى منهم تحت قلعة بغراس . فلقيت البوس والباس . وخرج
رجالها عليهم على قتلها ، وصدمتهم ببسالتها ، واسرت منهم زائدا
على مائتين ، وطمعت فيمن وراءهم من الفتتين ، وقيل انهم حسبوا
ان بغراس باقية بحالهما مع الداوية . فجاؤا اليها سحرا بأحمالهم
واموالهم السنية . فلم يشعر واليها الا بالبغال على الباب

واقفه . والجني دان يرقب ان يكون له ايد قاطفه . فخرج اليها
وتسلمها بغير طعن ولا ضرب ، وتخلى عنها اصحابها لما عرفوا
الحال ولم يعرجوا على حرب . فاستغنى الوالي من ذلك اليوم . من
مال القوم . ثم انكر حتى لا يطالب بشيء منه . وغفلت الايام
عنه . وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه . انه
انهض جماعة من اصحاب امراء حلب واصحابه . ليقتفوا
آثارهم . ويكشفوا اخبارهم فوقعوا على خلق عظيم منهم
فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم . وانقضوا عليهم انقضاض البزاة
على الحجل . وزاروا فيهم زئير الاسد في النقاد . وزاروهم
بالاجل . واسر كل واحد من اصحابنا ثلاثة واربعه . وتركوهم
متمزقة متمزعه . وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في
الاسواق . وامتلات بالاسلاب منهم والاعلاق . فطابت قلوب
الرعايا . واندست من الله بما ظهر من الطافه الخفايا . وطمع فيهم
اهل القرى . والتقطوهم من الوهاد والذرى . وما صدقوا بالسلامة
حتى آواهم الابردنس الى انطاكية . وراح من الامها
الالمانية . وذاابوا في هذه الطرقات ذوبا . وصب عليهم العذاب صبا
اذا اخذوا صوبا . وهلك بانطاكية الكند الكبير مقدم
العسكر . وتبعه الى سقر كبير من ذلك المعشر . وحصل الابردنس
بتلك الاموال المجتمعه . والنخائر المودعه . حتى قيل انه انما رغب
في الوصول الى بلده . ليحصل على سبده ولبده .
فأخلى له قلعه . لينقل اليها خزانته . ففعل ومارجع اليها .
واحتوت يد الابردنس عليها . ثم ساروا على طريق
الساحل . بالفارس والراجل ، وخرجت عليهم خيل جبلة
واللاذقية . وسقتهم كؤوس المنية ، واقتهم على البوس
والبلية . فأغذوا في السير حتى وصلوا الى طراباس وقد نقص
نصفهم . وتم بعواصف البلاء نسفهم . وبلغ امدهم وانتهى
مددهم . وجبن الملك عن المسير على الطريق . لما لقيت جموعه في
طرقاتها من التفريق . فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على
الف . برعب قلب وقصور يد ورغم انف . واختلط مع الفرنج على
عكا فسقط اسمه . وسخط حكمه . وهلك بعد قليل . ولم يحظ

بنقع غليل ، وسألم بذكر حالاته في مواضعها . وذكر مصارف
جماعته ومصارعها .

وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بخبر ملك الالمان عند ارعاب الارجاف به

قد وصل الخبر بالداهية الدهياء . والغمة الغماء . والنكبة
النكباء . والشدة الدهماء واليلة الليلاء . وهي ان ملك الالمان ومعه
ملوك الافرنجية وحشودها . وقوامصها وكذودها . واحزاب
الشياطين وجذودها ، والوية اللأواء وبذودها . وصل جارا على
السماء نيدول قتامة . مجريا في الأرض سيول لهامه . ثائرا بأطلابه
لطلاب ثاره . سائرا بخيله ورجله كالسيل الى قراره . وانه في
عصائب صلبان في عصيبتها متصلبه . واتباع شياطين لارضائها
متغضبة . واسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبة . وانه في
مئين من الالاف الالاف للمزون . واقطاب الاعطاب الدائرة لدوائر
سوئها رعى الحرب الزبون . وقد اوقدوا للشر شرارا . وأضرموا
للشرك الداعي الى النار نارا . فإن حسرتهم على قمامتهم
دائمة . وقيامتهم قائمة . والموت يدعوهم الى المقبرة التي
يدعونها ، والآجال تلببهم لنياهم التي يدعونها . وكان خبر
وصوله متداولاً على السنة الاراجيف . وتشيعه اعداء الله من قبل
للترهيب والتخويف . واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلاد
الروم في الربيع . ليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع
باتفاق الجميع . وانتظر ورود خبر صحيح . ويقين نبأ بامر
صريح . حتى اذا صبح الخبر . سار العسكر ، ثم انقطعت
الاخبار ، وتمادى الانتظار ، ومضت شهور الربيع اذار . ونيسان
وايار . وكانت كتب سلطان الروم قليج ارسلان واولاده ورسولهم
متواصلة بما ينبيء عن التعاضد . ويبني امر الوفاء والوفاق منه
على التعاون والتعاقد ، وهم بانهاء ما يصح عندهم
واعدون . ويزعمون انهم في رد الواردين وارداً لهم

مساعدين ، فأخلف ذلك الوعد . وضيع ذلك العهد ، ووصلت كتبهم بغتة في هذا الاوان ، بما تأخر به الخبر عن العيان ، وقالوا: انهم قد توسطوا بلاد الاسلام . وانهم على قصد الشام . ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصانعوهم ، واخلاوا لهم الطريق ووادعوهم . ووسعوا لهم في المضايق . وسعوا في أمن طرقهم من الطوارق . وهذا حادث كارث ، وباغت فاجيء فاجع لأهل الحمية في الدين باعث . وناكب لعقود العقول في تعاظم ضروره وتفاقم خطره ناكث . وقد تعين الجهاد على كل مسلم . وما في الوجود مؤمن يكون له هذا الملم غير مؤلم . والاهتمام بدفعه من افرض المهام واهم الفروض ، والخادم منفردي حمل عبء هذا الافادح الباهظ بالنهوض . وهو واثق بان بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه . وان الذي يستبعد من النصر القريب يتسق ويتسع به سلكه ومسلكه . إن شاء الله .

فصل فيه في جواب امير

عرفنا خبر العدو المشؤوم ، الواصل من جانب الروم ، وهذه هدية اهداها الله الينا ، وفضيلة خصنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة اعدى اعدائه ، واقدرونا على مقاتلة من نازعه في كبريائه ، وقد ساقهم الموت الى المقبرة التي يدعونها ، ولبتهم المنايا التي يدعونها ولا يدعونها ، ومعاقلنا بحمد الله قوية . وصوارمنا من دماء اعداء الله روية ، فيجب ان يكون في جميع اموره محتاطا ، ويظهر بما يغذمه الله من اسلابهم واشلائهم اغتباطا

فصل من كتاب الاستنفار

قد عرف ان العدو الالمانى المخذول قد وصل فما لقعوده عن هذا المقام معنى ، وما لمن تأخر عن نصره الاسلام من ثمرة السعادة

مجنى ، وهذا وقت نهوضه بجميع أهل بلاده واوان بذل وسعه وجده واجتهاده ، فانه محضر لا يغيب عنه الا من ليس له عند الله خلاق ، وموقف يفى بعهد الله فيه من سبق له ، معه في السعادة ميثاق ، وانها لغنيمة اوفدها الله علينا . وهدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها واسعدنا بسببها ، بل هي بلية جلاوجه النعمة فيها ، بل قضية وفي الله في النجح بموعد توافيها ، بل ملمة اختارنا الله لدفعها . وطاغية استدعى اولياءه لقمعها . وثائرة كلفنا الله باطفاء جمرها . وارداء جمعها . فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام . وليخطب اهتمام العظيم بملازمة الخطوب العظام . وليثب واثوب الاسد على الفريسة . ولينتخ للاسلام انتقاء ذوي الانفس الالبية والهمم العلية النفيسة . وليكن اول سابق في مضمار الجد . واسعد طالع في افق الجلد . فان الاسلام في انتظاره . والمطالع مستشرقة الى اشراق انواره . لازالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدولة باقداره .

فصل من كتاب

قد احاط العلم بما عرا من الملام . وعرض من الخطب المدلهم ، ووصل من العدو السائر . ونزل من النازلة التي هي ام الدوازل . والدائرة التي هي ام الدوائر . وقد أن للإسلام ان يسلم . وللإيمان ان يعدم . وللتأليث ان يعلن . وللتوحيد ان يكتم . وللکفر ان يقدم . وللهدى ان يحجم . فقد قذف البحر من الفرنج بزبد . والبرأتى آتیه من كل بلد للکفر بسبده ولبد . ووصل الالمانى المخذول بعده وعدده . وهذا خطب قد دهم . وعدو قد هجم . وشرقد نجم . وجمر داهية قد وقد . وجمع طاغية قد وقد . في جيوش جائشة . وجموع طائشة وجنود محشوره . وبذود مذشورة . وخيول مجفجه . وسيول مجفجه ، وهذا اوان تحرك ذوي الحمية . ونهوض اهل الهمم الالبية العلية . فان القوم في كثرة ولايقا تلون الا بالكثرة .

وهم مغترون بعلوهم . معتزون بعثورهم . مستنزون في طريق العثرة
والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف . والليل اذا بلغ الى
الصبح المسفر انكشف . والمجلس اولى من تولى تفريج هذه
الغمة . وكشف هذه الملة حتى تخلف امانى الالماني . وتبطش
ايمان الالماني . وتخذل انصار النصراني . وتجنى وتبر رؤوس
الجزوي والبيزاني . فايين المؤدون فرض الجهاد المتعين . واين
المهتدون في نهج الرشاد المتبين . واين المسلمون وحاشي ان يكونوا
للاسلام مسلمين . واين المقدمون في الدين ومعاذ الله ان يكونوا في
نصرته على الموت مقدمين . ولولا التقيد بهذا العدو الرابض .
لأطلقت اعنه النهضة الى العدو الناهض . ولا بد من لقائه قبل تلفق
الجمعين ، وارة الملاعين وجوه حتوفهم مله العين .

فصل فيه

قد سد طريق الفلق فيلقه الطارق . وزحف الى الحق الثابت باطله
الزاهق . وجال بالوجل وجاء بالوجيب . وثار لثار الصليب
السليب . وقد قد جمر جمعه . ورتق فتق الصبح رقع ذقعه .
وماض القضاء ختام قتامة . حتى ختم على ضوء نهار الهدى ليل
الضلال بظلامه . والرجاء محقق ان الالماني مخفف بالمامه .
والاسلام مشفق من اسلامه . والدين موفق بنصرة امامه . وعصمة
الله الواقية الوافية من ورائه وامامه . والله الكافل باعلاء اعلامه .
واحكام احكامه .

ذكر الواقعة العادلة

كان الفرنج لما صبح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد . وانه ملا
احشاء الربا والوهاد بالاحشاد . قالوا انه اذا جاء لايبقى لنا
حكما . والصواب ان نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما . لاسيما وقد

خفت عساكر الاسلام . وقفل اكثرها الى الشام . فنحن ننتهز
الفرصة . ونحز الحصة . ونهتبل الغره . ونهجم عليهم هذه
الكره . ونذيقهم المرة المرة . ونفرغ من شغلهم قبل مجيء القادم .
ونمت بعز العزائم ونقل حدودهم بحدود الصوارم . فخرجوا ظهر
يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة . في حشر يذكر بحشر
الساهره . واسود بياض النهار من سوادهم . وتراءت الاجام لنا
متوافية باسادهم . وامتدوا الى الخيم العادلية ، واشتدوا بما
استصحبوه من البلية . في كل ذئب امعط . وسيد قد تورط .
وسرحان سرح . وافعوان كلح ، وجهنمي تجهم فهجم ، وجحيمي
أقدم وما احجم ، وسعيري ناري استعار خدمة النار . وسقري
قسوري عاد بعادة الاقتسار . وباروني طالب للبوار . واسبتاري
راغب في التبار ، وداوي معضل الداء . وتركبولي غير تارك للبلاء .
وسرجندي كرار . وفريري غير فرار . وفارس يفرس الرجال .
وراجز يرجز الفرسان الابطال . وازرق رزقه الموت الاحمر . وانمشي
يمشي واليوم اغبر . واشقر وهو اشقى . وابقع اذا غوى في الوغى
ماترك ولابقى . وبخلوا الخيم العادلية وتجاوزوها . وقد كانت
اخليت قبل ان يجتازوها . ووقف الملك العادل بطلبه . وعن يمينه
ويساره امراء الميمنه الذين بقربه . مثل صارم الدين قايماز النجمي
وعز الدين جريدك الذوري . وجماعة من المعروفين بالشهامة .
والموصوفين بالصرامة . وليث الملك العادل ليث المخادع المخاثل .
حتى يطلع من العدو على المقاتل . فقادتهم الاطماع الى الانتشار .
وافضى بهم الاعتزاز الى الاغترار . فحينئذ بدأ بالحملة ولده الاكبر
شمس الدين مودود . وهو في كل وقعة يحضرها جاد مجدود .
فعضده والده وولده مساعده وساعده . وحمل معه العسكر الحاضر
قبل ان تتصل به العساكر . فكسر الفرنج كسرة فرشهم على
الارض وذكرت الواقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم العرض .
وكانوا قد بعدوا اكثر من فرسخ . واجفلوا ولم يلتفت الى اخ .
وركبت العادلية اكتافهم . وفلوا فيهم اسـيافهم .
وعقروهم وعرقوهم وبجـوهم وبـعـجوهم . وحكموا في الرقاب
الغلاظ منهم الرقاق . وضربوا ممن اعنقوا اليهم الاعناق . واشبعوا

الذوبة بلا نائبة . والغزوة بلا شائبة . وقتل منهم زهاء عشرة
الاف . ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة . فاغتنمها
تجارة رابحة وغنيمة ميسره . ولما عرفت بالواقعة . والنصرة
الجامعة . صدرت ثلاثين اربعين كتابا بالبشارات . بابلغ المعاني
وابرع العبارات . وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضره .
ولارى البشائر شائره . وركبت انا والقاضي بهاء الدين بن شداد .
لمشاهدة ماهناك من اشلاء صرعي واجساد . فما اعجل ماسلبوا
وعروا . وفروا وفروا . وقد بقرت بطونهم . وفقنت عيونهم . ورأينا
امراة مقتولة لكونها مقاتلة . وسمعتها وهي خادمة بالعبرة قاذلة .
ومازلنا نطوف عليهم ونعبر . ونفكر فيهم ونعتبر . حتى ارتدى
العشاء بالظلام . فعدنا الى الخيام . واخذت الكتب التي نمقتها .
بالبشائر التي حققها . وجئت واذا السلطان قد استبطاني . وعدم
اجابتي لما دعاني . فما صبر ولا انتظر . ولا ترقبني ان احضر .
ولامهل ان اعطي البشارة حقها . واجلوا بانوار المعاني افقها .
وابلغ بالبلاغة مداها . واسبغ بقليص الضلالة ثوب هداها وأصف
بحدود الاقلام ماصنعتة حدود السيوف . واروج نقودي عند
السلطان واغنية عن الزيوف . فابصرت عنده مشرفي المطابخ
والايبات . ومدوني الجرائد بالاثبات . وقد كتبوا تلك البشارة
الثقيلة الجلية في رقاع خفيفة . بعبارات سخيفة . وقد عطلت
الحسنة من حليتها . وعروها من بزتها . وشوهوا جمالها .
واحالوا حالها . فذهب بها المبشرون . وسار القاصدون . فما كان
لتلك الواقعة عند من وقف عليها وقع . ولاتم لغليل من رام الاطلاع
على حقيقتها نقع . وارادوا بدمشق قراءتها على المنبر فما
استحسنوها . ولو وردتهم بزيانة عبارتي وبراعتي زينوها . وفي تلك
الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب بهذه البشارة الى بغداد .
وعجل بها الانفاذ . فقلت على سبيل العتب انتم ماتريدون ماكتبه .
ولا ترغبون فيما ارتبه واهذه . فقال كانك كتبت البشائر فهاتها .
حتى تهدي الى طرقاتها . فقلت ما فأت فات . وهيها هيهات .
واخرجت له ما بقي من بشارات البلاد التي اُنشأتها . بالالفاظ
والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها . فسارت فسرت البعيد والقريب .

وخصت من جدها بالخصب الجديب . وصدحت باسجاعها المناير .
وصحت بسماعها المفاخر . وظهرت بعباراتها العبر . وبهرت
بزبرها الزبر . وعمرت بمعانيها المعاني . وعمت مباهجها مناهج
الاقاصي والاداني فما اصحها كسر . وما اسحها نصره . وما بينها
محج . وما اثبتها حجه . وما أفرجها مسرة . وما أسرها فرجه .
وما أبرحها بالكفر صرعه . وما أوضحها للاسلام شرعه .

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر . ومفارقة عدة كثيرة
من العساكر . خرجوا متجاسرين . وامتدوا متقاطرين . وانتشروا
متغاورين . واغاروا للواء اللاواء ناشرين . ووصلوا في الميمنة الى
الخيم العادلية فاخليت حتى بذلوها . وتفرقوا فيها بجموعهم
وتخللوا فركبنا اليهم . وحملنا اليهم . وتركناهم صرعي بالعراء .
فوضى بالفضاء . فما بكت عليهم الارض ولا السماء . ورويت
السيوف من دمائهم . قبل ان تشيع الوحوش من اشلائهم . وظهرت
لنا نعمة الله في بلانهم . وحيي الاسلام بهلاكهم . وضمتمهم اشراك
الردى برداء اشراكهم . وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة الاف
قتيل كافر . وثبت حكم ادالة الاسلام وظهوره باوضح دليل ظاهر .
ولو اتفق خروجهم من مراكزهم باسرههم . لكنا فرغنا من شغلهم
واخلينا بالنار بتأييد الله من امرهم . والآن قمع انطفاء جمرتهم .
وصحة امزجة العزائم بكسرتهم . وتطرق القلة الى كثرتهم . نرجو
من الله ان يسهل امرهم العسير . ويهون خطبهم الخطير . وان
ظهورنا عليهم قطع ظهورهم . وعثور هذه الوقعة بهم حقق
عثورهم والله تعالى يحقق تبارهم وبحورهم .

فصل فيه

وصلوا الى الخيم العادلة في الميمة الميمونة . واشتغلوا باستباحة
احوالها المصونة . فاطلقنا عليهم الاعنة . وشرعنا الى نحوهم
الاسنة . وبعنا الذفوس لننسلم ثمنها الجنة . وفرشناهم على
الارض . وابدنا باردائهم بعض الفرض . وانجلت المعركة عن عشرة
الاف قتيل مشرك . وشملتهم المنون فكانهم جاؤوا على موعدهم
مهلك . واروينا من دمائهم ظمأ السيوف . وجعلنا اشلاءهم قري
الودوش لالضيوف . وامن الاسلام بحمد الله من المخوف . وادرك
الله باخذ ارواحهم رمق الدين الملهوف . وهذا دليل ظاهر على ركود
ريحهم . وخمود مصاييحهم .

فصل

حملت عساكرنا عليهم . واحاطت بهم من حوالهم . ورضتهم
بالدبايس واللوت . وتركتهم سرعى بذلك المروت . وساحت بذلك
الساحة داماء الدماء . واكتسى عربى العراء بذلك الاشلاء . وافضى
بذلك الفضاء جمرهم الى الانطفاء . وامرهم الى الانقضاء ورتعت
ثعالب الرماح من كلاء كلاءهم في المرعى . وانجلت المعركة عن مهلكة
عشرة الاف . فترى القوم فيها صرعى . وطابت من نتن جيوفهم
ربيع النصر . وحنن من سماجة مراهم وجوه الدهر . والآن الان
الله شدة شكتهم . وقط شوك شوكتهم . وهبت نكباء نكبتهم .
ونرجو أن يسهل من امرهم ما تصعب ويؤلف بصدعهم من الاسلام
ما تشعب .

فصل

وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها • وتفرقوا فيها بجمعهم
وتخللوا • وكان ذلك قبل تكامل ركوب العساكر • وتموج بحارها
الزواجر • فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه من الامراء
والمماليك كولنا الحسام بن لاجين وصارم الدين قايمان النجمي
وبشارة وجريدك وعطفوا عليهم عطفه صددتهم عن
الانعطاف • وصرفتهم عن الانصراف • وثارت اثارهم وبواتر
البواتر • واحتوت عليهم الضوامر احتواء الضمائر على الاسرار
بالحوافر الدوافر • وفضتهم بالفضاء وعرتهم من كسوة الحياة
بالعراء • ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم • واتى القتل على
اولهم واخرهم • وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة الاف
قتيل • ملأت كل واد وسدت كل سبيل • وقد نلت عزتهم وضعفت
قوتهم • وعجزت قدرتهم • ولما انقضت هذه الواقعة • وثم
للهاضين الينا الرجعة • رأيت احد مماليكى ونصله قد
خضب • وعزمه قد رضي بعد ما غضب • فسأله كم قتل • والى
اين وصل فقال اما انا فما أبقيت • وخضت البحر وما
توقيت • وهذا غلامي قتل تسعة • وشام من عارض نجيعهم
نجعة • وكان النين حملوا وهزموا وقتلوا اقل من الف فقتلوا
اضعافا مضاعفة • وعدموا ممن وراءهم مساعدا
ومساعفة • وحكي من نوادر هذه الواقعة ان فرنجيا عقر فجثا
للبرعه • فعثر به راكب برذون • بغير رفيق ولا عون • فعرقب
الفرنجي فرسه بسيف في يده • فنزل بجده مستنا في جده • وقتل
ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندي • وحل من وسطه ثمانين
دينارا • فانقلب ربحا ماعده خسارا • وامتلات الايدي بالاسلاب
والاكساب • وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب • وبيعت
الزربيات ذوات الاثمان بالرخص • وزادت ارباح اهل السوق بذلك
النقص

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ورد في عصره نجاب من حلب بعد خمسة ايام . بكتاب يتضمن نجاح كل مرام . وبخبر بان عسكريا مجرا من الكفار خرج الفارة على الاطراف والاقطار . فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطريق ، وطلب ذلك الجمع في الهزيمة المضيق . فلم يصح لهم رشد في منهاج . ولم ينج منهم ناج . فعضد ذلك الخبر هذا العيان . وقاموا بهوان الكفرة البرهان . وسر الخواص والعوام وخص وعم السرور . وانارت المطالع وطلع النور . وشرع الفرنج في الخداع . والمراسلة في امر الجانبيين عام الانتفاع . وسألوا في الصلح . والخروج من ليل الحرب في السلم الى الصبح . واذن لهم السلطان في الخروج . للنظر الى اولئك الصرعى بذلك المروج . وهي قد تورمت وأنتنت وجافت ، وحميت الشمس على جيفها وحافت . وضافتها القشاعم والخواص وعليها اطافت ، فساءهم ما سرنا ، ونفرهم ما اقرنا .

ذكر ما تجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندهري
بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط
اشفاقا من التفريط والافراط

وما زال الفرنج في وهن وضعف ، وتوزع بينهم وخلاف ، حتى وصل في البحر . كند يقال له هري . وهو عندهم عظيم القدر . فكمل بمن وصل معه نقصهم . واحيا بعد موت نفوسهم حرصهم . وافاض عليهم بالاموال . وحلى منهم بعد عطلها الاحوال . ورسع بالرجال مراكز من صرع . وقرع السن ندامة على من قلع وقرع . وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع . فقد كان العزم بل الحزم ان نبادرهم على ضعفهم . قبل ان يمددهم البحر بضعفهم . فكان من تقدير الله تأخير ما وجب تقديمه والتواني فيما تعين تميمه . ولما وصل هذا الكند وتمكن . وقوى اهل الكفر بكل ما امكن . اظهر انه يكبس عسكريا ليلا على غره . وبدت منه امارات

كل شره وشره . وشاع هذا الخبر على السنة الجـواسيس
والمستأمنين . فاحضر السلطان أمراءه وخـواصه المؤمنين
الميامين . واستشارهم فيما يقدمه من الصواب . ويفتحه في
المصالح الراجعة من الأبواب . فاشاروا بإيساع الحلقة . وادارتها
كالمنطقة . والتنفيس عن العدو بالتأخر عن قربه . حتى يؤنس الى
الخروج لحربه . فوافقهم السلطان على هذا الرأي وحسن في
قلبه . فرحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى
منزله الاول بالخروبة . واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة . ونزل
العسكر على تلك الهضاب وحوالي سفوحها . واحتوت كل جثة
خيمة ممن حل فيها على روحها . ورتب اليك في المنزلة الاولى كل
الف فارس بالنوبة في يومين . وضويق باهل الصدق منهم اهل
المين . وتدبر الترتيب وترتب التدبير . وعرف في اليك اوقات نوبته
واوبته الصغير والكبير . واما عكا فالكتب متربدة اليها ومنها
السباح . والحمام اليها ومنها تحمل البطاقات على
الجناح ، والمراكب تدخل اليها وتخرج ، واليها وعنها تعرج
وتعرج . واخبار ملك الالمان متـواصله . بأن انصاره له
خاذلة . وانه ضعف ووهى . وانه الى انطاكية انتهى . وانه تعوق
هناك . وتوقع من مرامه الادراك . وتوقف عن المسير . واعتاض
التعسير من التيسير . ووقع الفناء في جمعه . وتعجل قمعه قبل ان
يصل الى محل قمعه . وانه قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستجداد
والاستجداد . والاحتشاء والاحتشاد . وان اصحابنا يأسرونهم
ويذلفونهم ويتلقطونهم . من الطرقات ويتخطفونهم . ووصل من ملك
قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا . ويجمع قطافا
ونطافا والطافا . ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين
بقسطنطينية والخطبة . وانه مستمر على المودة راغب في المحبة .
ويعتذر عن عبور الالمانى . وانه قد فجع في طريقه بالالمانى . وانه
لاقى من الشدة . ونقص العدة . ووصل المشقة . وقطع الشقة . ما
أضعفه وأوهاه . وألهمه وألهاء . وانه لا يصل الى بلادكم فينتفع
بنفسه أو يذفع . ويكون مصرعه هناك ولا يرجع . ويمت بمابه
كاده . وانه بلغ في اذاه اجتهاده . ويطلب رسـولا . يدرك به من

السلطان سولا. فأجيب في ذلك الى مراده . ووقع الاعتماد بما ذكره
من اعتداده .

ذكر حريق المنجنىقات

وفي رجب من السنة انفق الكندهرى بعد وصوله ما وصل معه من
المال والرجال . فأعطى عشرة آلاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه
في القتال . وضايق مدينة عكا اشد مضايقة . واخذ القومص والكزود
بذلك . موافقه . ونصب عليها كل منجيق . من الرمي غير مفيق .
رجومه للشهب بالشياطين . ونجوم الحجارة تنقض من أرض الكفر
الى سماء الدين . فهي مجانيق مجانين . وميادين ثعابين .
ومسارح سراحين . فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها . واحتد على
صدقهم صدقها . وقالوا كيف نجد من مناصبها المناص . وهل نلقى
من شؤم خصائلها الخلاص . فأجمعوا على الاقدام وأقدموا على
الاجتماع . وأخذوا بالارتقاء في ترك الارتجاع . وخرجوا بالفارس
والراجل . وأما بالحق أمة الباطل . وجاوزوا تلك المجانيق
المنصوبة والاستائر المضروبة الى خيامهم . وخافوها من ورائهم
واللقاء من قدامهم . فلما خلت المنجنىقات ممن يحميها . خرج
الزراقون من البلد ورموا النار فيها . فاحترق جميعها . وغرق في
بحر النار صريعها . وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في
اللقاء . وقطع الواصلون اليهم طريق البقاء . واسر منهم خلق
كثير . من جملتهم اربعة من المعروفين فيهم فارس كبير . فما
أمهلوه حين أخذوه . حتى قتلوه ونبذوه فطلبه منهم الفرنج
بالأموال . ولم يعرفوا بالحال . فأخرجوه اليهم قتيلا . فأكثر
الفرنج عليه بعد التعويل عويلا . فباتوا يندبونه نوحا ، وينيعون سر
تقدمه فيهم بوحا . فخذوا بعد ذلك الضرام . وركدوا بعد هبوب ريح
المرام . وضربت عليهم الذلة . وشجتهم عقودهم المنحلة وعقولهم
المعتلة . وطمع فيهم الناس . وعرا طمعهم الياس . وصارت
الخنادق تهجم . والاستائر تهتك وتضرم والحدود بالمصال تذلّم .

والخدود بالنصال تلثم الى ليلة شعبان من السنة . فأبت بالحالة
الحسنة . فان اصحابنا خرجوا على غرة . ومضوا الى القوم بانكاء
مضرة . وأحرقوا منجنيين كبيرين قد نصبوا بعد كل استظهار .
وانفق على أحدهما كند هري ألفا وخمسمائة دينار . وكانت الليلة
الاولى من شعبان مباركة . ونعم الله لنا ونقم الله على العدو فيها
متداركة .

ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الآخر من رجب

قد تواربت الشكوى من البلد أن النخيرة قد فنيت . وأن الافكار
باستدعائها عنيت . وأن الأجسام لفقدان قوتها ضنيت . وأبطأ على
السلطان وصول البطس المستدعاة . من مصر بالغلات . فرأى ان
ذلك من تقصير الولاة . وأفكر فيما يعجل به قوة وقوتا . ويجعل له
اجلا موقوتا . فكتب الى والي بيروت عز الدين سامة . ان يهجر في
كل مابه عز الدين السامة . ويعطي ويتزكى ويحتال في انفاذ ميرة
الى عكا . فعمر بطسة كبيرة وأعدّها . وأجد من عزيمة الماضيّة
فيها جدّها . وتولاها بخلق سمح . وملاها بأربعمئة غرارة قمح .
ونقل اليها أنواع الطعام . واصناف الأدام . وقطيعا من الأغنام .
وهذه بطسة من الفرنج مأخوذة . وهي بساحل بيروت مذبونة فأمر
السلطان بترميمها وتتميمها . واخفاء البغية منها وتكتميمها .
وأزيحت منها العلة . ونقلت اليها الغلة . ومأنت بالشحوم والحدوم .
وبكل ماتدعو اليه الحاجة من المشروب والمطعوم . وحمل فيها من
أحمال النشاب والذفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت . ورتب
فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت . وأرادوا ان تشتبه
ببطس العدو في البحر . وأن لا يذكشف للفرنج مالها من الستر
فتصوروا رهبانا . وصوروا صلبانا . ومسحوا لحاهم ومسحوا
حلاهم . وتملطوا وتكوفوا . وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يتخوفوا
وشدوا زنابير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر بمراكب
الفرنج مختلطين . والى محادثتهم ومجاذبتهم مذبسطين . والقوم

لجهلهم لا يشكون انهم من اهلهم ونسوا الحادث وأنسوا بالحديث .
وتصور الطيب بصورة الخبيث . ولما حاذوا بها عكا صوبوها
نحوها والريح تسوقها . والفرنجة تدعوهم من مراكبها وتقول ماهذه
طريقها . وهي كالسهم النافذ قد سد فوقها . وقد عقت رفقته .
وهي تكاد تعوقها . وقد دخلت الثغر وأدخلت اليه كل خير . وعجب
الناس منها ومما تم لها من حيلة في سرها . واجتزا البلد بها
شهرًا . ووجد منها لكل كسر جبرًا . يالها من لطيفة قضينا منها
الأرب ولم نقض منها العجب .

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه
الاستظهار بأن يشرعوا في تجهيز البطس الكبار . ويملاوها بالغلات
واصناف الأقوات . ويعمروها بالكماة الحماة الرماة . ويرسلوها
عند موافقة الريح الى الثغر . فان خلصت اليه ولو واحدة منها أغنته
بعد الفقر . وتمادت الايام على هذا الأمر . واستبعد وصولها مع
امتلاء البحر بمراكب الكفر . وكاد اليأس يغلب . والرجاء
يضطرب . ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لا يبقى لنا ليلة نصف
شعبان قوت . ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الأمد
موقوت . فاشفقت النفوس واستشعر البوس . والتمت القلوب والتمت
الكروب . ولجأنا الى الله الذي يجيب المضطر اذا دعاه . ولا يخيب
من رجاه . ولا يضيع من استرعاة فلما كان ظهر يوم الاثنين رابع
عشر شعبان ظهرت من أقصى اللجة تلك بطس كأنهن الاعلام
واستبشر بظهورها الاسلام . وقد زفت عرائس جواربها الحسان
وخفت رواصي سواربها الثقال . وذكرت بقوله تعالى : (وهي تجري
بهم في موج كالجبال) (هود ٤٢) والريح تطردها طرد النعام .
فما المأاء يرسلها على رغم أهل النار الذين هم أضل من الانعام . فما

تراعت حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيتها . واحاطت بها
تقاتلها من اقاصيها . وأدانيها . وهي تشق عليها وتشققها .
وتعوقها عنها وتعيقها . حتى برت منها البر الإيمان الأيمان .
وهزأت بذلك الأكمام المطيفة بها جبالها الرعان . وعبرت والكفر
خزيان ينظر ، ونهضت بالعز والعدو في نيل الذل يعثر . ووصلت
الثلاث وهي سالمة ، والمثالثة راغمة والموحدة غانمة . وقد فرج الله بها
غمة الثغر . ودفع ما ألم به من الضر . وحمدنا الله على الموهبة التي
أدركت الأرماق . وأدرت الأرزاق . وتلافت الأرواح من التلاف .
وحملت عن الذفوس المشفية مشاق الكلف .

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى

كان كتب الينا اصحابنا بعكا اننا حسبنا وإلى ليلة نصف شعبان
لا يبقى لنا شيء نقتاته . وبقاؤنا ببقاء القوت وفواتنا فواته . فبينما
نحن في هذا المهم مفكرون . ومن هذا الهم متذكرون . اذ ظهرت
للعيون بالقررة . وللقلوب بالقرار والمسرة ثلاث بطس على ثبج البحر
مستقرة . يبعثها لطف الله بعثا . وتحثها الريح القوية حثا . كأنها
جبال باقبالها تروع ونسور اجنحتها القلوع . وشعر الفرنج بها
فضاقت مذهبها . وبرزت مراكبها . ودبت عقاربها وقربت من
البطس شوانيتها . وقويت في البطش أمانيتها . وحمى ما فيها من فيها
من الرجال . وهي تجري بهم في موج كالجبال . وكأن جواربها
عرائس يزفن بما لهن من الجهاز ، وكأن البحر المتموج ثوب بذلك
الأعلام المنشئات معلم الطراز . بل كأنها تجار تحمل الصدقات الى
ذوي الاعواز . فجاءت فجأة متسقة موسقة . وأتى الآتي بها موافقة
موافقة . فلم يقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني شاني . وكانت
كلاءة الله وعصمته لها خيرا من كل كالي . وجازت والكفر خزيان
ينظر . وفازت بالعز والعدو بنيل الذل يعثر . وكان وصولها أوان
انقضاء الأزواد وانفاذها . فملأت المدينة بغلاتها . وأزادها .
وعصمت أرماقها . ودسمت أرماقها . وقسمت أرزاقها . واشبعت

جوعها . وشبعت صدوعها، وأنالت آرابها . وأزالت اجداها .
وخصتها بخصبها وصحت لها بسحبها . فافاقت من الفاقة وأفرقت
من الفرق . وسكنت بعد القلق .
وعاد اليها بعد الفسق اسفار القلق . والحمد لله المغني بعد
الاعدام . المدني السني بعد الاظلام . المنفى باوليائه اعداء الاسلام

ذكر عيسى العوام وما تم عليه في العشر الاخر من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام . وقد تردد بالكتب والنفقات الى عكا
ومنها في ذلك العام . وكان ناصحا امينا . بحفظ الاسرار ضميئا .
يسبح ليلا في البحر . ويعبر على مراكب اهل الكفر ويصل بما معه
الى الثغر . ولكم خاطر بنفسه فسلم . واعتورته اسباب المتالف
والالام فما الم . واتفق انه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه
من اخطار . وعلى وسطه ثلاثة اكياس فيها الف دينار ومعه من
نفقات الاجناد ودائع . ومحقرات بضائع . فعدم ولم يسمح له خبر .
ولم يظهر له اثر . فظننت به الظنون . وماتيقنت المذون . وكانت له
لاشك عند الله منزلة . فلم يرد ان تبقى حاله وهي مجملة محتمله .
فوجد في ميناء عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها . وانهب حق
اليقين من الظنون بباطلها . وبراه الله مما قالوا . واحال الذي عليه
احالوا . فقد وجدت على وسطه تلك الاكياس . وتعجب من حاله
الناس . فلم يذهب بنهايه الذهب الذي صحبه . وطهره الله من
الرجس وعنه انهب .

ذكر وصول ولد ملك الالمان الذي قام مقام ابيه الى
الفرنج بعكا

ذكرنا حديث الالمانى ولم حادته ، ومااداه اليه من دواعي كفره
وبواعثه . وكان مسيره من انطاكية يوم الاربعاء خامس عشرين

رجب . ولقي في طريقه على اللاذقية الشجى والشجن والشجب . واذن ضعف خيلهم . بضعف ويلهم . ووجدت لهم ما بين اللاذقية وجبله ستون سبعون فرسا قد عطبت . وعلى اعواد عظامها سواد الغرابيب خطبت . وقد استقبله المركيس . وقصده التانيس . وان يهديه بضلاله الى الطريق التي تؤمن طوارقها . ويتسع عليه مجال الامن وان سلكت مضايقتها . فوصل به الى طرابلس في العشر الاول من شعبان . ووصل خبر وصولهم في سادسه الى السلطان . وحزهم من شاهدهم في الطريق بخمسة عشر الفا . وسمعنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا . ثم انتقل في البحر . الى عكا في موضع الحصر . ووصل اخر النهار سادس شهر رمضان . بعد ان عاين في البحر من اختلاف الهواء الهوان . فلم يبق له وقع . ولم يحصل لخرق القوم به رقع . واقام بين جنودهم . كأحد كنودهم . وقال الفرنج: ليته لم يصل الينا ولم يقدم علينا . فانه لو اقام في موضعه . وامدنا بفيضه من منبعه . لهيبت عظمته . وعظمت هيبتة . وارعب روعه وراع رعبه ورجي منا وخشي من المسلمين قربه . وقد قطع بنا منذ وصل . وحص لنا جناح نجاح حصل . ووصل في البحر وحده . ولم يستصحب جنده . ثم وصل اليه الاصحاب . وتقطعت بهم الاسباب . ثم رام ان يظهر لمجيئه وقعا . ويبيدي له ذفعا . ويثير لذفع غلة ثاره ذفعا . فقال الام القعود عن القوم . وما بقي الا النهوض اليهم من اليوم . ولا بد من ضرب المصاف معهم . واني على الخروج اليهم لادفعهم . فقالوا له انت ما اثرت وهج قتالهم . ولا اثرت نهج نصالهم . ولا احربت بحربهم . ولا كربت بكربهم . ولو حزبت بحزبهم . لاصحب جمادك لجماح صحبهم . فاي ونبأ . وشب الشبا . فلما عرفوا جهله . وان صعب الامر عنده ساوى سهله . قالوا له: نبتدى بالخروج الى اليك . فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة بهم في الشرك . فدبوا في راجل كرجل الدي . وخيل اغصت الوهاد والربا . ومرجوا في المرج . وطووا تلك المدارج طي الدرج . واشعلوا الخرصان في ليل الذقع عوض السر . وقربوا من تل العياضية . وعليه خيم اليزكيه . والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصرية . والعصبة الموصلية . فلما

بصرت بهم ثارت اليهم . ودارت عليهم . وانهضت بنات الحنايا من
خدودهم الى الجدور . واوردت ظماء الظبي منهم ماء التامور .
وانبعت بالنبع من عيونهم العيون . واستخرجت بالضرب من
اعناقهم الديون . وطيرت ياطارة السهام الى الاحداق بهم
الاحداق . وخاطلت الاماق وماخطأت الارماق . وصار كل سهم
شهم . وخطر في محل خاطر اسرع من وهم . وركب السلطان من
خيمته وتقدم الى تل كيسان . ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان .
فلم تزل وجوه البيض تحمر . وثنايا السمر تفتقر . ونيول الذقع تنجر
وصفحات الجو تغبر . وارجاء رجاء النصر تخضر . الى ان جن
الظلام . وكف الكفر وسلم الاسلام . وكانت الدائرة على الكفره .
فاعرضت بالوجوه المتذكرة . وابنا بالانوار المسفرة . ومر الالمانى
مقالا . ومن ظلمة حاله متظلما . وبكلوم قلبه متكلمما . وقد عاين
ماعانا من العناء . وشق عليه ماشق مرائره من الشقاء . وبلي مما
بلي به من البلاء . وعلم ما جهله . واستصعب ما استهله . وذاق
ماضاق به ذرعه . وكاد يتم في القتل رصعه لو تم صرعه . لكنه
تجرع من الغصص ما سهل عليه الموت جرعه . وقاب وماثاب . وابى
الرجوع الى اللقاء لما أب . وحينئذ جدوا في قتال البلد وحصاره .
واتباع ليل الجد فيه بنهاره .

ذكر برج الذبان

وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان . وهو في حراسة
المينا عظيم الشأن . وهو منفرد عن البلد . محمي بالرجال والعدد .
وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الالمان في الثاني والعشرين
من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام والات ابرزوها .
ومكر مكروه ودبر دبروه . وبغي غي بلغوا غاياته وريب رأي رفعوا
راياته . وشر شرك الهبوا شراره . وايد كيد ارففوا غراره . وعنان
عناد اطلقوه ولسان ضرام اذاقوه . ويد بطش بسطوها وعقله
معالقة انشطوها . واحد تلك المراكب قد ركب برج على رأس

صاريه . لا يطاوله طود ولا يباريه . وقد حشي حشاه بالذلف
والحطب . وضيق عطنه لسعة العطب . حتى اذا قرب من برج الذبان
والتصق بشرافاته . اعدى اليه بأفاته . ورميت فيه النار فاحترق .
واحترق من الستائر والاخشاب مابه التصق وتستولي النار على
مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها . ولم يقربوا منها . فسهل عليهم فيه
التسلق . ولم يصعب به التعلق . وملأوا بطسه اخرى بأحطاب
يسري فيها الذلف ويسرع بالهاب . حتى يوقدوها . وعلى السفن
التي لنا بالمينا وردوها . فتعدي عدوانها . وتثير وتسدي فيها
نيرانها . وهم في مراكز من ورائها للحرب مستعدون . وللشر
مستمدون . حتى اذا تم برجائهم في البرج والمينا مناهم . نالوا من
الاستيلاء والاستعلاء غناهم فلما قدموا البطسة ذات البرج
المعمور . وصار الصاري ملاصق السور . جاء الامر بعكس
ماقدروه . واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه . فان الهواء كان شرقيا .
فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيا . بل اشتعل برج الصاري
وتراجعت ناره الى اهلها . وعاملت ذوي الجهل بجهلها . واوقدت
بطسة الحطب من ورائها . وتطايرت اليها شعل انكائها . وعادت
على الافرنج فالتهبوا . وحمي عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا .
فانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا . والناجون منهم فارقوا
وفرقوا ولم يفرقوا . واحتمي برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه
ذباب . ولم يفتح للعدو في الكيد له باب .

فصل مشبع في المعنى من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب الي سيف الاسلام باليمن

وافكر الافرنج في امرهم واجالوا قدام الرأي في مكر مكرهم .
وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان . مذفرد عن البلد في وسط
البحر منقطع المكان . فاذا اخناه تسلطنا على مراكزهم التي في
المينا . واذا لم نؤثر بمجيتنا تأثيرا فلاي سبب جينا . ومن حديث
هذا البرج انه يحيط به البحر من جوانبه . وهو قفل مينا الثغر على

مراكبه . وقد رفعناه واعليناه . وبالعبد والرجال قـويناه .
وبالجرخية والرماة والزراطين والمنجنيقية ملأناه وبكلاءة الله
وعصمته اياه عصمناه وكلأناه . وقد حاموا حوله حولا . فلم يجدوا
على نيل غرض منه قدرة ولاحولا . فعمدوا الى اكبر بطسه واتخذوا
فيها مصقالا كأنه سلم . وهو في مقدمها مركب مقدم . وقد جعلوها
بحيث اذا قربت الى البرج ركب رأس السلم شراريقه . وصعد
الرجال اليه في تجاويقه . وتعبوا في ذلك أياما وشبعوا بثوبثيقا
واحكاما . وهو بمراى من الاصحاب ينظرونه ويبصرونه .
ويستجدون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد اصبحوا بذلك البطسة
زاحفين . وعلى ذلك السلم بعدهم واقفين . حتى اذا التصق بالبرج
التصقت به قوارير النفط . وتوالت امطار البلايا من الجروح
والحجارات والمنجنوقات على اولئك الرهط . ووجدت النار بسطة في
البطسة ولم يسلم السلم . وناب القوم من فجيعتهم بها المصاب الذي
الم بهم والم . وقتل منهم من باشر القتال . ونزل العذاب بمن حاول
النزال . والحمد لله الذي ايات ظهور بينه متناصرة . ودلائل نصر
اوليائه متظاهرة . ثم عمل الفرنج برجا عاليا في اكبر مركب وحشوه
بالحطب . وعملوا على رأس صاربه مكانا يقعد فيه الزراق . ويتأتى
له فيه الاحراق . وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه
جواني النيران . وقصدهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور .
ورأوا ان في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا ان الستائر اذا وقعت
فيها النار . تعذر على رجاله القرار وتعجل منهم للحدار الفرار
وكادت الستائر تشتعل والخواطر تشتغل . والحال تضطرب
والبال يلتهب والقلوب تضطرم والكروب تحتدم . فأهب من مهب
لطفه نكباء نكبت النار عن البرج المحروس . واكبت الفرنج على
الوجوه الرؤوس . وتعس جدهم . وتعكس قصدهم . وانقلبت الريح
التي لهم عليهم . وصوبت مرامي العذاب اليهم .

فصل في المعنى

ولما وقم الله القوم . قالوا لاطاقة لنا اليوم وعادوا وقد غرموا
ورغموا . واخلف ما عزموا وزعموا واشتغلوا بملء بطس لهم
شحوما واحطابا وادهانا واخشابا واشعلوا فيها النار والهبوا .
وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها . واندوها منها
وقربوها وكانت سفننا تحترق ومراكبنا تفترق . فانزل الله الفرج
وقت الشدة وامن من المخافة المحتمة المحتة . وانقلبت الريح عليهم
وعانت مخالفة لهم بعد ان كانت موافقه . وحالة تلك الحالة للعانة
خارقه فاحترقوا بنارهم . وشرقوا بعارهم . وجذبت بطس اولئك
الكلاب بالكلاليب . وتوالت الطاف الله في تلك الذوب المتناسقة مطربة
الانابيب مستهلة الشايب

ذكر الكبش وحريقه

بعد تعب العدو في احكامه وتسوية طريقه

واستأذف الفرنج عمل دبابة هائلة . والة للفوائل غائلة . في رأسها
شكل عظيم يقال له الكبش . وله قرنان في طول رمحين كالعمودين
الغليظين اقفال الاسوار المغلقة بها تدفش . فكم سور اذا نطحته
طحنته . وكم معقل حصنه الدهر وصحنته . وهذه الدبابة في حياة
الخرابشت الكبير وقد سقوها مع كبشها باعمدة الحديد . وكملاوا
لها اسباب الاحكام الشديدة . ولبسوا رأسي الكبش بعد الحديد
بالنحاس . وكسوها حذرا عليها من النار سائر لباس الباس . فلم
ييق للنار اليها سبيل . ولا للعطب عليها دليل . وشحنوها بكماة
المصاع . وحماة القراع . ورماة الحدق وكساء الحلق . وعفاة
الحتف . وجفاة الزحف . ومجتايي الزغف . ومجتيبي العسف . من
كل سرحان لا ينظر الا من جلد ارقم . وكل شيطان لا يقتحم من
الحرب الا جهنم . وكل شجاع لا يعتقل الا شجاعا . ولا يرى لغير

النجيع القاني اقتناء ولا انتجاعا . فلما استدفنت لهم هذه الدبابه
وماجت بالحديد لجتها العبابه . واطافت بذلك الكبش تلك التيوس
النبابه . وامنوا عليها الحريق واموا بها الطريق . سووا بين يديها
الارض . ومهدوا الطول منها والعرض . وصحبوها حتى سحبوها
وقروا بها اعينا بل انفسا وقربوها . فجاءت صورة يزعج مراها .
وروضة يعجز مرعاها . والة تروق هياتها . وعدة تروع هيبتهها .
وبلي البلد من بذوها بالبلاء الداني . وتغاشت وتغاشت دونها نفس
الرامي وعين الراني . وقال اصحابنا هذه مافي دفع خطرها
حيلة . ولالبارق الظفر بها مخيلة . فكيف العمل . وفيهم الامل . ومن
للكبش العظيم وقطع رأسه . ومن لبناء الحديد ونقض أساسه . فإن
كانت هذه الدبابه دابة الارض فما هذا أو انها . وما حان زمانها .
ولقد قامت بها قيامه الحشر فقام برهانها ونصبوا على صوبها
مجانيق . ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النيق . فابعدت رجالها من
حواليها . وطردت الطرفين بين يديها . ثم رموها للحمز بحزم
الحطب حتى طموا ما بين القرنين بجرزة . وقذفوها بالنار فترنم في
أثنائها عجاج اللهب برجزه . وبخلت من باب الدبابه فاشتعلت نار
ضلوعها . وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها . وجاء
الفرنج تلك الليلة فباتوا بالبيئات . يطفئون بالخل والخمر تلك الشعل
المستوليات . فاطفأوا نار الظاهر ولم يعلموا بنار الباطن . ولم
يخسوا بما تمكن من أضلاعها من الحرق الكوامن . وحين أخمدوا
الجمر . احمداوا الامر . ورجعوا ولم يزل اللهب يأكل سقوفها .
حتى ترك على ما غطى الخشب من الحديد وقوفها . وحينئذ خسفها
المنجنيق . فانهد ذلك النيق . وصوح ذلك الروض الانيق . ووهن ذلك
التركيب الوثيق . ونفذت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابه . وخرج
من بالثغر المحروس . بأشري الوجوه طيبي النفوس . وقطعوا رأس
الكبش . واستخرجوا ما تحت الرماد من العبد بالنبش . وحمل كل
من الحديد ما اطاق حمله . واستطاب لذلج صدره وبرد يقينه حره
واستخف ثقله . وقدر ما نهب من الحديد بمائة قنطار . فقل في الة
ليست بهذا المقدار وهو أعظم مقدار . وعاد اصحابنا على عدوهم

ظاهرين . ولحزب الكفر قاهرين . وكلهم يذشد وهو يذشء ويذشد
جدا وجدا .

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا

وقنط الكافر وكفر القانط . وسخط الشيطان واسـتـشـاط
الساخت . وعلم الفرنج حين حبطت اعمالهم . وهبطت آمالهم . أن
الشقاء ادركهم، والشقاق أهلكهم . وأن مدبرهم مدبر . وأن ترتيبهم
مدمر . وأن الاتهم غير نافعة . وأن نهلاتهم غير ناقعة . والحمد لله
ذي الطول العميم . والفضل الجسيم . الذي نعش . عثار الثغر بعد
أن تل للجبين فتلينا قوله تعالى (وفيناه بذبح عظيم) (الصافات :
١٠٧) وكان في يوم الاثنين ثالث عشر رمضان ، واحترقت البطسة
يوم الاربعاء خامس عشره .

وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قدمت عسكر الشمال . يقدمهم ذو
القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب . وقد استصحب معه
الاجناد وجلب . فجاء عشية وجد بلقاء والده عهده . ثم عاد وعاد
بكرة الثلاثاء يقدم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر .
وقد استكثر معه واستظهر . وعز الدين بن المقدم . ذو القدر
الافخم . والنجر الاكرم . وحسام الدين حسين باريك وجماعة من
الامراء . من ذوي المكانة والبسالة والغناء . وقدم الملك الامجد مجد
الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك .
وقد استصحب غلمانة الاكايدش ومماليكه الترك . وكان لذلك اليوم
رونق . وصفاء لم يشبه رنق . واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو
على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم . جحيمين يلتهبون بنار
الجحيم . وتركهم أصحابنا حتى قربوا من السور . وأقدم العدى
إقدام المتهور الجسور . فلما ازبحموا وكثروا . واضطرموا
واستعروا . غنت لهم الاوتار برنين القسي فطاشت لها السهام .
ودعت اليهم الاقدار بحنين الحنايا فلباها في لباتهم الحمام .
وزارتهم من الزيارات الجروح . وأخذت نيرانهم تبوخ . ورضتهم
المجانيق بالاحجار . وأننت عيون نجيعةم بالانفجار . وخرج

اصحابنا عليهم فشاوهم الى الخيام . وفلوهم بحد الاقدام . وافضى
الخرق بالعدو إلى الخرق . وأخلقت بجدة جننا جدة أولئك الخلق

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب أن صاحب انطاكية
أغار على غره بشره وبشره . ووصل الجاسوس بخبره . وبما البلاد
مشفقة عليه من خطره . فرتب اصحابنا له كمينا . ثم خرجوا عليه
شمالا ويمينا . فقتلوا أكثر رجاله . وأفلت وباله في وباله . وانهاض
من تلك النهضة . وضعف من تلك العضة . وفي ذلك التاريخ اقت
الريح إلى ساحل الزيب ، بطستين خرجتا من عكا بجماعة من
الرجال والصبيان والنساء للتغريب، وفيها امرأة محتشمة . غنية
محترمة . فاخذنا واخذوا وأخذت . وجد الفرنج في استنقائها فما
استنقذت . وسرنا ما ساء العدو . وآتانا الله من احسانه
المرجو . وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا الى منزل
يعرف بشفر عم . وخص بهذا الرحيل النفع وعم . وكان سبب ذلك
أنه كثر المستأمنون إلينا من الفرنج . واخبروا انهم في عزم الخروج
الى المرج . هائجين للثار ثائرين الى الهيجاء مائجين في دماء
الدماء لحب اللقاء . وصح هذا الخبر وصدق ، ووضع الحق وتحقق .
فاحضر السلطان الامراء الاكارم . ورجال الحقائق الضراغم . الذين
هم له أعوان صدق لساعات أيامه . ونخائرنصر عندا عتزامه
فاستشارهم واستثار كوامن سرائرهم . واستنبط دفائن
ضمائرهم . واستكشف منهم الصواب . وتعرف من جانبهم
الجواب فقالوا: الصواب ان يفتح لهم عن هذه المروج حتى يكون
دخولهم اليها يوم الخروج . فنصحهم في اليوم الآخر ولا يتعذر بهم
احداق العساكر . وانما لا يقدرين على القصد دفعة واحدة . الا اذا
كانت أيبيهم . متساعة وأراؤهم متعاقبة فان انفردوا عن الراجل
وساقوا كسرناهم واسرناهم . وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث
نزلوا ولقيناهم وصددناهم . واجمعنا على أن نرحل الى شفر عم و

نخيم على هضابه . ونبطل على العدو ما كان من البيان في حسابه .
فخيمنا هناك على أحسن تعبیه . وسنينا أسباب اللقاء أتم تسنيه و
رحبت المنازل . وعذبت المناهل . وعادت معالم تلك المجاهل . و
حللنا التلاع والأكام . وركزنا بتلك الاعلام اعلام . ونزلنا لمقام
الشتاء مستعین . ولأسباب التوقي من الأمطار مستجدين .
وأضحينا على تلك الأطواد موطنين . وعند تلك الاوتاد موقنين .
وتسمنت تلك الفروع وفرعت تلك الاشعة . وتمكنت تلك البنى وبنيت
تلك الامكنة . وتحركت تلك الجبال بسكانها . وأحبت الرجال
التوطن بها وسلت عن اوطانها . ودارت الاسواق . ودرت الارزاق .
وأنارت الافاق . وصهلت الصلادم على معالفها وصقلت اللهازم
لمراعفها . ونوب اليك بحالها تدور وترويه وتعيد رسم الحفظ
والحمایة وتعود والحرب تتناوب . والزحف يتعاقب . والاقران
تتواقع والوقائع تتقارن . والاعوان تتعااضد والاعضاء تتعاون .
والعتاق بصهيلها لحب الطراد تحمم . والرقاق بصليلها لشوق
الجماجم تجمم . والمقربات للأجراء صوافن والضوامر للشد
ضوامن . ومنى المناصل صلة القطع . ورجاء الرجال نبع النصر في
قرع النبع بالنبع . والتوحيد للتثليث منازل . والايمان للكفر مقاتل .
ولاكارم الا للكلام . ولاسلام الا بالسلام . فلا يسمع الا اسرح
والجم . وتقدم وأقدم . وأصم وصمم . وأضر وأضر . ولاتله حتى
تلهب . ولاتعج حتى تعجب . وأقطع وصل . وأكتل بصاع المصاع
وكل . ولاتقلق واللق وقلقل . وكلل داع إجابة . وكلل سماع
إصابة . وكلل سهم في المرمى فوق . وكلل سهم في المرام سوق .
وكلل صعدة في الطعان صدعة . وكلل قعدة للرماة قدعة . وكلل عقدة
بالضرب حل . وكلل عنة في الحرب فل . وكلل غضب عض . وكلل
ذي حظ حض . ومن له نصيب في الشجاعة نصيب في
التشجيع . ومن له جرأة الهيجاء حاج الى الصريخ بالجد
السريع . والأيام منا على هذه الحالة مندرجة . ومياه الحصيد
بأمواه الوريد ممتزجة . والفرج منتظر والنواظر متفرجة . وتباشير
صباح الصفاق في بياجير القتام متبلجة . والله نعممة في كل
بلية . وسر في كل قضية .

ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

في ليلة الثلاثاء ثامن عشري شهر رمضان وما جرى بعده من الحال قد جرى ذكر هذا الأمير ، وماتجلى به من الكرم والخير ، وهو يوسف ينالتكين بن علي كوجك ، ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم الا ادرك ، وما كان اسره يوم الحضرور واحضره يوم وفاته للسرور ، فلقد كان جارا للكتائب ، بارا بالأباعد والاقارب ، سارا باسداء المواهب ، دارا بأخلاف الرغائب ، مارا في سبل المناقب ، قارا على قلق الذوائب ، وكان في ريعانه الرائع ، وشعاعه الشائع وشبابه الطري طيرير الشبا ، وحبه لعقد السود معقود الحبا ، فمرضت الايام بمرضه اياما ، وتلهبت القلوب منا للتلف عليه وقد امست مراضا ضراما ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن الى طبه ، لما كان يعلم من منافسة اخيه مظفر الدين في موضعه ، وأنه ينتعش بمصرعه ، فاكتفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على ما يحبه ، وهو جاهل بمزاجه ذاهل عن علاجه فشرب الحمام في حمى شبابه ناره ، وأذوى غصنه غداة قلنا ما أنهى ازهاره ، وما أنضر نضاره ، ونقله الله من جنات الحياة الى حياة الجنان ، وعجل به ليجازيه لاحسانه بالاحسان ، وحوله من بين الاثراب الى القرب ، ومن دار الاغترار والاغتراب الى موطن الثواء بالثواب ، وأنن الزمان بعد الأجاء بالأجداب ، ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه سره موته ووافقه ، وقصدناه مغزين على ظن أنه جالس للعزاء ، فاذا هو في مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه ، ووكل بالأمراء القلاع ليسلموها ، وخشي ان يعصا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم بخمسين الف دينار حتى أخذ اربل وبلاده ، ونزل عن حران والرها وسميساط والبلاد التي معه واعادها ، وزاده السلطان شهر زور ، وأحكم بمسيره الأسباب والأمر فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين ، لينزل في

منزلته بجنده وصحبه الميامين فوصل يوم الأحد ثالث شوال ، فحلى بعد العطل الأحوال ، وكان قد انفصل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه وذهب مغاضبا ، وكان السلطان له في الانفصال عاتبا ، فأعاده تقي الدين من الطريق ، وقبح له ما استحسنه في ترك الموافقة من عدم التوفيق ، وكان هذا سنجر شاه بخل يوم العيد بكرة للهنا ، فاستأننه في الانكفاء ، فخرج على حالته وسار وتبعه اصحابه . ولج جماحه وتعذر اصحابه فلما اجتمع به تقي الدين رده ، وبذل في صيانته منزلته عند السلطان جهده ، وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام . وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام ، وصدق الاعتزام ، وتقرر ملاله ، وتكرر سؤاله فكتب اليه السلطان .

من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا .
فلما قرأ هذا البيت ماراوح في الخطاب ولاغدى ، وغلت الاسعار عند الفرنج واستعرت الغل ، وأعلهم ما عراهم وعرتهم العلل ، وباؤوا بالوباء ، وبلوا من البلاء ، وغلوا من الغلاء ، وتضوروا من الضراء ، وشق مرأثرهم استمرار الشقاء ، وعمت المجاعة الجماعة ، وعدموا الطاعة والاستطاعة ، وزاد جوعهم ، وزال هجوعهم وقصرت عن القرار بوعهم ، وامحلت ربوعهم ، واستحال رتوعهم ، وبعثهم الرهب ، على الهرب ، والقحط على الشحط ، لكنهم أقاموا على الموت ، واستناموا الى الفوت ، وبلوا بأمور صعبة ، وهرب الينا منهم عصابة بعد عصابة ، وقد بادوا من الضعف البادي ، وأعداهم الضر العادي ، فمن سألناه عن مقتضى قراره ، ومقتضى قراره ، يخبر انه طواه ، الطوى ، فنواه النوى حين التوى ، من حذر التوى ، وقد أنساه المحل النحل ، وأبغض اليه حب السلامة الولد والأهل ، وكانت الفرارة من الغلة قد بلغت أكثر من مائة دينار والسعر من الزيادة لبيهم في استعار ، فما جاء الا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال ، ولا مسكة لا تغلق رمقه من الاعتلال ، فقبلناهم واندقنا فيهم وألفناهم بما يكف ضررهم ويكفيهم ، فتقوتوا وتقوا ، وأثروا بعد ما قوا ، فمنهم من أسلم

وخدم ، ومنهم من ند وتقدم ، ومنهم من غدا بجريرة وعاد ، ومنهم
من ناصح فاستفاد .

ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم ، واشرقهم جرعههم ، وعرقهم
قرعهم ، واخلافهم خاف عيشهم وضرهم ضرعهم . وعيل صبرهم
وعال ضرهم قالوا: نخرج ونبلي . ونصل ونصلي ونقصد
ونصدق ، ونلي ونذلق ونفل ونذلق ونعز ونعزم ، ونهز
ونهزم ، ونحمي ونحمل ونقطع ونوصل ونزحف ونحفر ، ونزعج
ونعجز ونجهل ، ونعقر ونعرق ونخرج ونحرج ونلج ونلجج
ونضري ونضرب ونغلي ونغلب ، ونجـنـن ونجني ، وننيف
ونفني ، ونرد ونردي ، ونجد ونجدي ، ونقد ونقدم ، ونعدو
ونعدم ، ونصد ونصدع ونقد ونقدع ونجد ونجدع ، ونصر
ونصرع ، ونسل ونسلب ونروع ونرعب ونبدوا ونبيد ، ونتصدي
ونصيد ، ونظهر ونظفر ، ونرهب ونقهر ونقسو ونقسر ، ونسكر
ونكسر . فخرجوا في عدد خارج عن العد ، واستقاموا مع الاعوجاج
على جدد الجد ، وذلك يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان رتبوا
على البلد من لازم القتال ، واخذوا معهم عليق اربعة ايام ، وزادها
واستصحبوا انجاب الكريهة وانجادها ، وكان اليزك في تل
العياضية فركبوا ، واشعلوا القوم بنيران النصال والهبوا ، فنزل
العدو تلك الليلة على ابار كنا حفرناها عند نزولنا هناك ، والحمية
الحامية المنبعثة على تلك البعوث ما تركت الا تراك ، فباتوا حول
القوم يرمون ويدمون ، ويشوون ويصمون ، ولما اتصل خبرهم
بالسلطان رحل الذقل الى ناحية القيمون ، وثبت الله القلوب على
الامن والسكون ، وبقي الناس على خيلهم جرائد ، وقد استعذبوا
من مر الكريهة الموارد ، وركب العدو يوم الثلاثاء سائرا ، وقد عب
عبابه زاخرا ، وهب غابه زائرا ، وطما بحره مائجا ، وسما جمره
مارجا ، وعساكرنا في احسن تعبيه ، ولدعاء القراع في اوحى

تلييه ، وقد امتزجت زجرات الجاوش ، بنعرات
الجيوش ، والميمنة الى الجبل ممتدة ، والميسرة الى النهر بقرب
البحر وصفوفها مشتدة مستتة ، والسلطان في القلب كالقمر في
الهالة ، عليه اكليل من أنوار الجلالة ، فسار حتى وقف على تل عند
الخروبة ، على المهاب الحالية والحالة المحبوبة ، ومقدموا
ميمنته ، عظماء دولته ، صاحب دمشق ولده المبجل ، الملك
الافضل ، وصاحب حلب الملك الظاهر ، وصاحب بصرى ولده الملك
الظافر ، وأخوه الملك العادل في آخرها ، والأمراء بعساكرها ، يلي
حسام الدين بن لاجين : قايماز النجمي صارم الدين ، والأمير
بشارة صاحب بانياس ، وهو الذي لا يرجو منازلته الا من فيه بان
الباس ، ثم بدر الدين دلدردم الياروقي صاحب تل باشر ، وقد طالما
بشر الاسلام بما باشر ، وعدة كثيرة من الأمراء يطول ذكرها ، على
أنه يطيب نشرها ، وعظماء الميسرة ومقدموها ، وأمرأؤها
ومقدموها ، الملك عماد الدين صاحب سنجار ، وهو العادل للاسلام
وعلى الكفر جار ، وابن أخيه معز الدين سنجر شاه صاحب
الجزيرة ، والملك المظفر تقي الدين ذو السطوة المبيدة
المبيدة ، وسيف الدين علي المشطوب ، الذي نشب بناره
الحروب ، ونصب على العدا منه الكروب ، والهكارية
والمهرانية ، والحمينية والزرزارية ، وأمراء القبائل من
الأكراد ، أقتال القتال وأجادل الجلال ، ورجال الحلقة المنصورة
واقفون في القلب ، لابي الحلق السرد خائفي بحر الحرب ، من كل
فارس فراس ، وهرماس رماس ، وضيغم ضاغم ، وضرغام
غارم ، وليث فضفاض ، ملوث بفضفاض ، وقصور قاسر ، وهزبر
زابر زائر ، واسد في غاب الأسل ، وقارع في القراع باب
الأجل ، وقار ثعالب الخرصان وذباب الظبا من دم الاقران ، وقار
على الثبات على قلق ثبات الشجعان ، وقارئ (ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم وأموالهم) (التوبة ١١١) ثقة بوعد
القران ، وقارن حج النجح بعمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر
الجنان ، وسابق الى حلبة الشهادة ، وسامق على ذروة
السعادة ، وملابس للروع مباسل وعاسل ، كالذئب الى ذب العدا

عن الهدى بعاسل ، وسار الفـرنج شرقي النهر لـنا
مواجهين ، والكريهة غير كارمين ، حتى وصلوا الى رأس
النهر ، واشفقوا من بأس القهر ، فانقلبوا الى غربية ونزلوا على
القتل بينه وبين البحر ، والجاليشية الرماة منا حـولهم
جائلة ، وعيون اعيانهم على نصالنا سائلة ، وجرح في ذلك اليوم
وهو الثلاثاء خالق من اهل التثليث. ومانبا عن كثير منهم ناب النائب
الكريث ، والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد ، ولله منه الجاهد
المجاهد ، واصبح الفرنج يوم الاربعاء راكبين ، وعن سبيل اللقاء
ناكبين ، ووقفوا على سهوات الخيل الى ضحوة النهار ، والراجل
مطيف محقق بهم كالا سوار ، واصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا
أن يخالطونهم ، وأرادوا يباسطونهم ، والسلطان يمد الرماة
بالرماة ، والكماة بالكماة ، وهم ثابتون ثابتون ، ساكذون ، ساكذون ،
ونحن نقول لعلهم يحملون ، ويغضبون
فيجهلون . فنتمكن من تفصيل جملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم .
وتفريق الغمة بنزع جمتهم . واحس العدو بالضعف . وانه متورط
في الحثف . فسار موليا . ولعذره لذعره مبليا . ومضى على مضض .
ومر بأشد مرض . والنهر عن يمينه والبحر عن يساره . وقد ايقن
ان صبح منه الثبات بانكساره . وعسكرنا يصافحهم بالصفاح .
ويكفهم بالكفاح . ويشعلهم بجمرات السهام . ويلهبهم بخدمات
الضرام . ويحرقهم ويشويهم . ويصميهم ويشويهم . ويفيض على
غدران السوايح منهم جداول القواضب . ويخيض في دأماه الدماء
منهم سوابح السلاهب . ويغيض في ماء الوريد منهم ماء الفرند .
ويغيظ بني الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابنتي الغمد والزند .
وادبروا مولين . وارخصوا من مهجهم ما كانوا له مغلين .
وعسكرنا يتبعهم . ويعلق بهم ويقلعهم . وهم مجتمعون في
مسيرهم . محتمون في تقديمهم وتأخيرهم . يتحركون في سكون .
ويتظاهرون في كمون . ويتطلعون في غروب . ويتفألون بغروب .
ويتذوبون في جمود . ويتلهبون في خمود . وكلما صرع منهم قتيل
حملوه وستروه . وطموا مدفنه وطمروه . حتى يخفى أمرهم . ولا

يصح لدينا كسرهم . ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق . وقطعوا
الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق . وأبلى المسلمون في ذلك
اليوم في الجهاد بلاء حسنا . وأتوا كل ما كان فيه مستطاعا ممكنا .
وقام اياز الطويل في ذلك اليوم مقاما اقعد فيه من الكفرة كل قائم .
وأنبه به من العزائم كل نائم . وكان مقداما هماما . واسدا
ضرغاما . يطير وحده الى الروع اذا ابدى له ناجنيه . ويجيب
المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه اليه . وهو في كل يوم يصبح في
سلاحه شاكيا . وبنار عزمه ذاكيا . ويقف بين الصفين . ويدعو إلى
المبارزة والحين . فما يبرز اليه الا من يصرخ ولا يصل اليه الا من
يقطع . فعرفه الفرنج فتحاموه . فما راموه بعد ذلك ولا راموه .
وبذل هذا اليوم جهده وفل حدهم حده . واصابته جراحات .
 واصابتهم اجتراحات . وكذلك سيف الدين يازكوح أبلى في الجهاد
ذلك اليوم . ووقم بنصاله ونضاله القوم وخرج وبه جرح . وفي قلب
العدو وعينه من مهابة انتقامه واصابة سهامه قدح . وأصبحوا بكرة
الخميس . وقد بكر الخميس . وحمي الوطيس . وسار في اسده
العريس . فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم سائرون الى
مجثمهم . فعاد السلطان الى سرادقه حامدا ، خلائق خلائقه . مسفرا
في ليل العجاج فلق فيالقه . واستعاد الاثقال . الى
معسكره . واستزاد من الله له الاقبال في مورده ومصدره . وفخر
بتفرده عن ملوك الأرض بعون ملائكة السماء وتفرده بمفخره . وكان
مع الفرنج الخارجين المراكيس والكندهرى ، وأقام ملك الالمان على
عكا يبرى ويفري .

فصل من كتاب في المعنى

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر . واثقين من ملوكهم
الحاضرين بالظهور وقوة الظهر . وفي مرج عكا عين غزيرة الماء
يجري منها نهر كبير الى البحر . فخرجوا الى شرقي النهر . وباتوا
بالقرب من مخيمهم على البلد . وقد تخلف لحفظ حصره الوف من

اهل الجلد . ثم تصبـحوا يوم الثلاثاء والنهر عن يمينهم . والاسد
سائرة بالاسل في عرينهم . والحمية مشتعلة في عيونهم
وعرانينهم . ونزلوا رأس العين . وتطرق بها اليهم من عساكرنا
المنصورة طارق الحين . ولما اصبـحوا وجدوها بهم محدقة . وبنيران
النصال والمناصل لهم محرقه . وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف .
والامر بالخلاف . وانهم لسهام المذون من الاهداف . وما دارت بهم
الا الجاليشية تجول وتصول . وتصيب وتصوب وتطيل وتطول .
وكانت الاطلاق واقفة تنتظر حملاتها وتستعد لوثباتها وثباتها . فلما
ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب . عدوا الغنيمة في الاياب .
وشرعوا في طريق الذهاب . فعادوا من غربي النهر
راجعين . وساروا صوب خيامهم مسارعين . واصحابنا وراءهم
يرمونهم ويشوونهم ويصمونهم . وقتل منهم خلق، وسرى في حجب
حياتهم خرق . ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا خائفين
هائبين . ورحلوا سحرا خاسئين خائبين . وخيولهم الناجية
مجرحة . وقلوبهم الراجفة مقرحة . واشلاؤهم من كسوة الحياة
عارية وبالعرء مطرحة . وعرفوا ان حركتهم لهلكه . وان هلكتهم في
الحركة . واقاموا على الضر والزاد معدوم . والبلاء لكل منهم مفرد
وعليهم مقسوم . ولا طعم لهم الا من لحوم الخيل . وهم يدعون
بالثبور والويل . ومع كثرتهم قلوا عناء . وضلوا رجاء وذلوا
بلاء . واعتلوا جدبا وغلاء . ولما عاد الفرنج الى خيامهم . خافقين
من مراميهـم . مخفقين من مرامهم . وابصر المقيمون بها اصحابنا
وراءهم يطلبون اردائهم . متعطشين الى دمائهم . يرمون
ارواءهم ، وثبوا على جيادهم ، وثاروا لمراد مرادهم ، ولاقوا
اجمعنا بأجمعهم وقاضوا لفيضنا من مذبحهم ، فاندفع الاصحاب
حتى تبرزوا ، ثم ردوا عليهم الكرة فانحنوا واجهزوا . وقتل في تلك
المعركة كند كبير . وشيطان لنار شره من سعيـره متسعير . وطلبوا
بعد انفصال الحرب جثته فاعطوها . والتمسوا هامته فلم يجدوها .
وكان رجلا يعد برجال . وسلبه قوم بأموال، ولولا ما نفق من التياث
مزاج السلطان . ما سلم من سلم من حزب الشيطان! ولله في كل
قضية سر . وفي كل ليلة بر .

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في آرائه . ومشرقا بلألاء آلائه . ومن آرائه الراجحه . ومسايعه الناجحة . ومتاجره الرابعة . انه رأى ان يرتب على العدو كمينا . وعلم الله يكون لنجحه ضمينا . فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال منتخبى رجاله . ومنتجبي ابطاله وخواص أتراكه . وعوام فتاكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته . وسبقت معرفته واحمدت في الجلال جلالته . وفي اقاء العدا عادته . وعلمت في الافتك جهالته . وامرهم بأن يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية القديمة . فمضوا وكمنوا ليلة السبت متنبهي الهمة . متيقظي العزيمة . وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح . منادية بحي على الفلاح . ودنوا من خندق القوم . ونادوا لا قعود بعد اليوم . ومطروهم سهاما . واسرعوهم ضراما . فطمع الفرنج فيهم . وظنت انها تلاقىهم . وخالتهم صيدا قد سنح . وسربا قد سرح . فقطعت خنادقها . وبنت علائقها . وحدثت سوابقها . واخاضت بحر الحرب سوابجها . وقد افاضت سوابجها وشامت صفائحها . وتجردت عن رجالتها . وتفردت بضاللتها . وحملت بجهالتها . واقبلت بادلالها لا بدلالتها . وتطاردا اصحابنا امامها . وانهزموا قدامها . حتى وقفوها على الكمين . واوقعوها في الهلك المبين . فخرج الكمين عليها . وتبادر اليها . فلم يستطع فارس منها فرار . ولم يطوق من غرته ان يمضي غارا . وكانت في مائتي قنطاري ، من كل مقدم باروني وبطل داوى واسبتاري . فقتل معظمهم . ووقع في الأسر خازن الملك وعدة من الافرنسيسية ومقدمهم ، وملكوا وسلبوا وملك سلبهم ، وتقطع بهم سبيهم . وما وصلهم اربهم . وجاء الخبر اليها . فركب السلطان وركبنا وسار ووقف على تل كيسان . فشاهد من الله هناك الاحسان . وجاءه مماليكه يقودون اولئك الاعزة بخزائم الذل . ويجودون بما استخلصوه من ذلك القل ، ويقدمون المقدمين من سراة الاساري . وتلونا لما شاهدناهم (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى)

(الحج ٢) فقد رضتھم اللتوت وقضتھم اللیوث . وبعثتھم الی مصارعھم الظاہرة من مكامن الآجال البعوث . وترك السلطان الأسلاب والخیول لأخذیھا . وكانت بالأموال عظیمة . فما عارھا نظرة ولا تردد امره فیھا . وفیھا حصن كانھا حصون . وزرد موضون . وخوذ منها مذهب ومدھون . وسیوف ذکور تتولد منها المذون . وملابس رائقات تحار فیھا العیون . وابنا بالملوك مصفینا . وحمدنا الله الذی بارشاده هدینا . وجلس السلطان فی خیمته علی دست ملكه . وقد انتظم له عقد النصر فی سلكه . فمن كان عنده أسیرا أحضره . فأنعم . علیه وشكره . وكنت عند السلطان جالسا . ولحیرر الحبور لا یسا . وقد جمع أولئك الأسراء . وما أسعد الله إلا فی تلك الساعة أولئك الاشقیاء . ودامت محاورته لهم مشافھه . واطعمهم بعدما آنسوا فاكھة . ثم بسطهم ببسط الخوان واشبعهم وارواھم ثم احضر لهم كسوة وكساهم . والبس المقدم الكبیر فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد . وفصل الشتاء قد ورد . وأنن لهم فی ان یسیروا غلمانهم لاحضار ما یریدون احضاره . ولاعلام من یؤثرون ان تعرف معارفه اخباره . ثم نقلهم الی دمشق للاعتقال . وحفظهم بالقیود الثقال .

فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال

ولما كانت لیلة السبت ثالث عشر من شوال كانت نوبة الیزك لأخینا الملك العادل فأشار بانفاذ عدة الیه تكون فی الكمین . وتقیم فی الكمین اقامة خدرات الأسود فی العرین . فانفذنا الیه من ممالیكینا سرية سرية سرا واستسرت وسرت . وقرت فی مكمنھا الی ان طابت الأنفس بصنعھا وقرت . ولما اصبح الفرنج یوم السبت خرجوا علی العادة عابین والمانیا الی نابیھم منابین . فاستطرد من حضر من العرب والیزكية قدامھم . واظهروا انھم قد ظهروا علیھم وهربوا .

ورهبوا اقدامهم . وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم . يقومون فيهم رجاءهم . حتى ابعدوهم عن المأمن . وعبروا بهم عن المكنن . فخرج عليهم الكمين من خلفهم . وفتح عليهم أبواب حثفهم . وأروهم وجوه المنايا في مرايا غرر الجياد . ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلال . وفلقوا البيض بالبيض . وفلحوا الحديد بالحديد . واشعلوا نار الظبا في ماء الوريد . وفضوهم بالفضاء . وعروهم بالعراء ولتوهم باللثوث . وبتوا اعناقهم من حبل الوتين المبتوت . فلم ينج منهم ناج . ولم يبق منهم للبقاء راج . واسرت عدة من مقدميهم . ومعروفيهم ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوه . وكرة بغير كبوة . وغزوة اننت بأوفر حظوه . ووقعة اننت بل اجنت كل نصره نضرة عذبة حلوه . والحمد لله الذي تزكو انعمه بسقيا الحمد ، وتوضح عوارفه لنا كربها جدد الجد . ولولا مرضنا في النوبة الاولى التي خرجوا فيها بأجمعهم . لما نجوا بدشاشاتهم بل تعجل مصيرهم الى مصرعهم . لكننا ما قدرنا في ذلك اليوم على الركوب . وجاسنا على تلة قريبة من المعركة ننتظر ما يكون من العسكر المندوب . والان بحمد الله قد توفرت حصة الصحة . ولزمت منة المنحة . وكذلك مرضنا عام اول شهرين . والحمد لله على المهلة في السنتين . فأقمنا مع السقام ، وسقمنا في المقام ، وصبرنا وصابرنا . وجاهدنا وجاهدنا . ومقامنا في هذه المدة المديدة في بلد الغور . والوخم فيه يقضي على ماء الصحة بالغور ، ومامننا الا من التاث . فأعانه الله بغيث فضله المديمة ييمته الالاث . والحمد لله الذي أعان وأغاث .

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود
من سار من العساكر الى البلاد على رسم الاستراحة
والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الرفيق . بشمول الشتاء العنيف .
وانحرف حريف الخريف كانحراف مضيف المضيف . واشتعلت

رؤوس الجبال شيبا للثلج ، وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج .
والتحفت كل هضبة ببرد البرد . واكتست الغدران من الجليد بالزرد
السر . ولبست سود الذرا بيض الفرا . وجر السيل النيل وجرى .
وطمر المطر هـ وادي الوهاد . وقبض انامل الانام عن البسط
الجهاد . وجمد الخمر . وخمد الجمر . وارتعدت الفرائص .
وارتدعت الاخامص . وقرست الايدي ، وامسى الجو بالجوى المسي
يعدو ويعدى . وحل الهواء بالوهاد عقود القوى . وعقد المترفون على
حب الاصطلاء الحبا . واشتغل الملوك بملازمة المشاتي . ومنادمة
المواتى . ومناقلة المناقل . ومعاقة العقائل . ومعاقرة العقار .
ومسامرة السمار ، ومدانة الدنان . واجتناء الجنان . ومناغة
الغواني . ومناجاة المثالث والمثاني . وملابسة السوالف والسلاف .
وملامسة اللطائف واللطاف . قلت نار عزم السلطان حد الشتاء
العاتي . ووقف مع عزائمه الماضية وهجر من مشى الى المشاتي .
وما صده البرد عن مقصده . ولا رده عن مـورده ولم يحتفل
باحتفاله . ولم يبال ببلاله . ولم يكثر بكارثه . ولم يحدث امرا
لحادثة . فاعتاض الاصطلاء بحر الحرب عن الاصطلاء بناره .
وجرى على عادته في مصابرة الاعداء والجري لها في مضماره . وما
لها عن الله ولا رفض فرضه . وسما الى سماء الآلاء وارضاه لما
ظهر بدم انجاس اعدائه ارضه . واستمر على بذل جهده في الجهاد .
ووفى بعهده ولم يثته جفاء العهد . وقال انما اربأ بهذا الرب .
وأرى راحتى في هذا التعب . ويقينى يقينى في ثلج صدري بلطف الله
عنف الثلج . وما يبرد قلبي مع تـقلب الحر والبرد الا برد النصر
والفـلح . لكنه رأى ان مقام العساكر بجمعها . وصرفها عن العود
الى البلاد ومنعها ، يوزن بملالها . واختلال امورها وانحلالها .
والفرنج قد امنت غائلتها . وتكفى في مداومة قتالها في نوبها
مقاتلتها . فانن للجماعة في الانصراف على المواعدة في المعاودة في
الربيع . والرجوع الى مراد الروح المريع . وليأخذوا اسباب
الاستعداد لاوقات الاستدعاء . وليستكثروا من الرجال المحققين في
نصرة الحق للرجاء من اهل الغنى والغناء والمضارب
والمضاء . فسار صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس عشري

شوال يوم الاثنين . وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجر شاه ليكونا مصطحبين . وسار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذي القعدة . وما انصرفوا الا بالتشريف والخلع المعدة . وشيعهم السلطان بكل مكرمة شائقة شائعه . وخلعه رائقه رائعه ، ومستعملات مصر . ومصوغات تبر . وخيل عتاق . وخير واطلاق .

فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وينعت بالملك السعيد علاء الدين

ماكان اسعدنا بقرب الملك السعيد، وما أجد جدنا بانارة نوره . واوفر حبور بحضوره ، وأصدق شهود صدق ولائه بحكم شهوده . وما ابهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه ووروده . ولقد تمت بأيامن ايامه وبركات مقامه في العدو نكايات . وظهرت لأولياء الله من الطاف كفاياته آيات . ووقعت بالمشركين روعات . وراعت وقعات . وقد أر لنا ان نستظهر بمرافقته . ونبني الامور على موافقته . فما ايمن سعده . وما اسعد يمينه . وما اقر وزنه واغزر مزنه ، لكننا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء سناه . بمقتضى ادا به التي استكمل بها ادوات الارتقاء في مطالع علاه ، فقد فاق بسداد رأيه الكهول . وما ازكى الفروع الطيبة اذا أشبهت الأصول . وما اسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين ادام الله علاه . وسر بفضائله اوليائه . وقد توجه والقلوب معه متوجهة . والذفوس لغيبته متكرهه . والعيون لتقرب ورود البشائر عنه منتبهة . والأيام لظلمة الاستيحاش بالليالي متشبهة . والموارد الى ان يمن الله بعود الانس بعودته متسهنه . والالسن بذكر اخلاقه الطاهرة والافاضة في محاسنه الزاهرة متفوهه . والخواطر فيما تمذلته ايام الاستسعاد به من مبهجات الائه متنزهة ولاشك ان يصف بلهجته الفصيحة . ما اقتناه من المتاجر الريححه . وقدمه من المساعي النجيحة ، واستنجه في الغزاة من مغازيه الصحيحه . وله في كل

نصرة وهبها الله للاسلام اوفى نصيب . فقد أُمسى مقتل الكفر بكل
سهم مصيب . وهو لمستصرخ الهدى اسبق ملب واسرع مجيب .
وان الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته افضل مثيب .

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

لما هاج البحر وماج . وظهر الارتجاج والانزعاج ، نزل الفرنج
سفنهم خوفا عليها الى صور فربطوها بها . واخذوا ساحل عكا من
اربابها واربابها . وخلا لنا وجه البحر وغابت عن الساحل مراكب
الكفر . فاشتغل السلطان باذفاذ البذل الى البلد . من الثابتين في
الجلاد على الجلد . فانتقل الملك العادل بمخيمه الى جانب الرمل
ونزل قاطع نهر حيفا في سفح الجبل . لتسهيل طريق من يسيره الى
البلد من البذل . فان المقيمين في عكا شكوا امراضا
معترضه . واعراضا ممرضه ، وكثرة السواد مع قلة الذقة وال زاد .
وكان في البلد زهاء عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي .
واسطولى وبحري ومتعيش وتاجر وبطال . وغلمان ونواب
وعمال ، وقد تعذر عليهم الخروج فسكنوا . واذا عاينوا خوفا على
الموضع . موهنا عاونوا وما وهنوا . فرأى السلطان ان يفسح لهم في
الخروج رفقا بهم ورأفة . وما افكر أن في ذلك مخافة وافة ، فقد كان فيه
امراء امرؤ الامر والفقوا الصبر ومانعوا الحصر . واجترأوا
وتجاسروا . وصبروا وصابروا . وحاربوا وخرجوا . وجاروا
وجربوا . وزالوا وازالوا . وحاوروا واحالوا وعرفوا مكان
المكايد . وكشفوا كوامن المقاصد . واخذ كل موضعه في الحرص على
الحراسة وشاعوا بالسماحة والحماسة . وكان فيهم من يطعم
وينفق . ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق . مثل حسام الدين
ابي الهيجاء السمين . فانه انفق ما اخبره من الالوف
والمئين ، مستمرا على انفاق لا تعتريه فيه خشية املاق وهناك
ستون اميرا ومقما . وكلهم يرى المغرم في سبيل الله مغنا . وكانوا
ينتفعون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق . والاعانة على ما

الامكان . ويطردونهم بقبيح الزجرة . ويكسرونهم في صحيح
الاجرة . والسلطان يجود جود السحاب . ويأمر بالعتاء
الحساب . ويجد حث الذواب . ويجد في بعث الأصحاب . ويقول
انفقوا ولا تخشوا اقلالا . وانهضوا الرجال خفافا
وثقالا . ولاتـؤخروا شغل اليوم الى غد . امهـالا او
اهمالا . ولاتقدموا على هذا الفرض فرضا ولا نفلا . ولاتعتقدوا ان
لنا اهم من هذا الشغل شغلا . وذواب الديوان على عادة جهالتهم .
وعادية ضلالتهم . فما قبل العطاء غير مضطر فقير . وما دخل الثغر
الا قليل من كثير . وما صح من البذل الا بعضه . وما قضى حق
الواجب المتعين فرضه . وكان هذا من أقوى اسباب الضعف .
وأوفق دلائل الخلف . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع .
فانه عاد كل مادبر بضر على الثغر لا يذفع . وأقام الملك العادل على
البحر لا زاحة علل الداخلين . وراحة قلوب الواصلين . حتى عاد
الفرنج بمراكبهم . وانقطع بوصولهم الطريق من جانبهم . واقتنع
البلد بمن اليه تحول . وعلى حفظه من الله بعصمته عول .

وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر بالغلة
بطس سبع . وكان لها للحاجة اليها وقع . وقيل قد تم بها للجائعين
شبع . وانقلب أهل البلد الى البحر لمشاهدتها . ومعاونة جماعتها
ومساعدتها . ونقل ما فيها من بضائع وحوائج . وسلع وروائح .
وماكول ومطعوم . ومشروب ومشموم . فقد طال بذلك كله عهدهم .
وانتهى الى الغاية جهدهم . فلما تسامعوا بالبطس تشارعوا الى
الملتصم فعلم الفرنج بانقلاب أهل الثغر . الى جانب البحر .
فزحفوا زحفا شديدا وحملوا جندلا وحيدا . وأتوا بسلالم
لينصبوها على الأسوار . وصارت عكا وهم حولها كالمعصم في
الأسوار . وترقوا في سلم واحد متزاحمين . والضيق متصادمين .
فاندق بهم السلم المنسوب . وسطا بعصابهم المعسوب بها لنصب
سوط العذاب المصبوب . وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا . وتعاطوا
كؤوس المنايا وتساقوا . ورأوا غمرات الموت فزاروها . وداروا

حول رحى الحرب وأداروها . واستحلوا شهد الشهادة فشأروه .
وألفوا الأجل كامنا فآثاروه . وتواثبوا عليهم تواب السباع على
الضباع . ورفعوا لقرى العواسل الجياح نار القراع . واطالوا بشبا
العوالي للعواني باع الأشباع . وانبعوا عيون النجيع من عيون
الجميع جداول البيض . وافاضوا فيوض الدم القاني بالصارم
المفيض . وقتلوا وسفكوا . وقتكوا وهتكوا . وردوهم على أعقابهم
ناكسين . ومن حسابهم ناقسين . ولا شتغال الناس بكشف ما عرا
من الغمة . وأظل من الظلمة . والتهائم بثقل الغلة . عن نقل الغلة .
وتركوا البطس بحالها . مملوءة بغلالها . حتى هاج البحر ف ضرب
بها الحشف . وأذهب بكسرها كل ما فيها وأتلف . وغرق من كان
فيها . وأتى الفرق على الأمتعة التي تحويها . حتى قيل هلك بها
زهاء ستين نفسا . وعدموا ولم نجد لهم حسا . وناموا والقدر
منتبه . وذهلوا وحكم القضاء اليهم متوجه . وفي ليلة السبت سابع
ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على قصيلها فهدمته .
وثغرت الثغر وثلمته . فبان منها الضوء لأهل الظلمة . فتبادروا
اليها طمعا في هجم الثلمة . فجاء أهل البلد وسدوها بصدروهم
وصدوا عنها بنحورهم . وبذوهم بأبدانهم الى أن بذوا ذلك
البدن . وعمروا ما خرب وقوا ما وهن . وقتلوا وجرحوا من العدو
خلقا . واوسعوا بالمضايقة في كل ذي خرق خرقا . فانجلت الحرب
عن طريق صريع . وجريح الى الهزيمة سريع . وطليح للفقير قريع .
وعاد الثغر اقوى مما كان وأحكم . وكل ذلك بجهد بهاء البين
قراقوش حيث كان المقدام المقدم . وهذا الأمير قراقوش لما ضجر
الأمراء وضجوا . وطلبوا الخروج ولجوا . اقام ولم يرم . ولم ينحل
عقد ثباته ولم ينخرم . وفي ثاني عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الألمان
بمرض الجوف . ولعله من عرض الخوف . وأدرك أباه في الدرك
الأسفل من النار . وابصر في جهنم مصاير امثاله من الكفار . وزاد
بهلاكه ألم الألمانية . وانسدت بموته فرج الفرنجية . وتبعه في السفر
الى سقر . كند كبير يقال له كندتيباط دافع القدر فما قدر . وهلك
منهم بالأمراض المختلفة العدد الكثير . واشتعلت بهم الجحيم
واشتعلت عليهم السعير . وفي يوم الاثنين ثاني عشرين ذي الحجة

عاد المستأمنون من الفرنج الذين انهضهم السلطان في براكيس .
ليغزوا في البحر ويكوزوا ايضا لنا جواسيس . فرجعوا وقد غنموا
وغلبوا . وكسروا وكسبوا . وسروا واسروا . وقسروا فظفروا .
وذكروا انهم وقعوا بحراقة كبيرة ومعها براكيس . وفيها تجار فرنج
ومعهم من المال الجليل النفيس . واسر التجار واخذ المال . وحيزت
تلك المراكب وجذبت الى الساحل . فاذا هي مشحونة بالكرائم
الجلال . من كل آنية مطبوعة ذهبية . وحلية مصنوعة نصارية . وآلة
فضية وأباريق وأكواب وأقداح . وأطباق وموائد وسباك وصفاح .
وكاسات وطاسات . ومرافع وشربات . فوفر السلطان عليهم هذه
الأكساب . ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب . واظهروا بهذه
النهضة انهم مناصدون . وليمين الايمان مصافحون . فلما اكرموا
بتلك المكرمة . اثنوا على اليد المنعمة ، وأسلم منهم شطرحم .
وحسن بيننا ذكرهم . وببركات الكرم السلطاني كرموا . وانسوا
واسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهنية مائدة فضية عظيمة وعليها
مكبة عالية . ولها قيمة غالية . ومعها طبق يماثلها في الوزن . ويتعذر
وجود ذلك للملوك في الخزن . ولو وزنت الفضيات قاربت قنطارا .
فما أعارها السلطان طرفه احتقارا . وقال لهم خذوها فأنتم بها
اولى . وكان أول من أسدى هذا المعروف وأولى . وكنت عنده
جالسا . وبلفه مستأنسا فقلت له ما أظن في الوجود ملكا يسمح
بمثل هذا المال ، وخصوصا وقد اغنمه الله من الحلال . فتبسم
لقولي غير معجب به . وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من أربه .
وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الفرنج بركوسان فيهما
نيف وخمسون نفرا . فجلا لنا نصرا وعلا نجحا وحلا ظفرا . وفي
الخامس والعشرين منه أخذ ايضا بركوس فيه من الفرنج مقدمون
ورؤوس وهم نيف وعشرون منهم اربعة خيالة . ضمتهم من الأسر
حباله ومعهم ملوطة . مكالة بالؤلؤ مذوطة . وبأزرار الجواهر
مربوطة . قيل انها كانت من ثياب ملك الألمان . واسر فيه رجل كبير
قيل انه ابن اخته وهو كبير الشأن . وفي هذا الشهر كان قدوم
القاضي الأجل الفاضل رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرفت
المطالع . واشرفت الصنائع . وبشرت المطالب بنجاحه . وغزرت

المواهب بسماحه . وغابت بحضور مكارمه المكاره . ونزع بلبسة
إفضاله لباس الخمول ذوو الفضل النابه . واعاد روح السلطان
بإعادة الروح الى سلطانه . وسر بمكانه واقترن احسانه باحسانه .
وظهرت في وجهه به الطلاقة . وفي قلبه العلاقة . وروى رأيه بري
رأيه . وتلقن آيات النصر من نص آيه . وانتعش عثاري بمقدمه .
وانتعش خط فخاري بكرمه . وحلى عطلي وحيأ أملي . وقوي عملي
ووضع منهاج مناي . وصح مزاج غناي ونبه قدري وذوه بذكري
وسعى في رفع رتبتي وزيادة راتبي . وسن غربي واسنى غاربي .
واقربي وقربني . واستكتب الخطوط بالحظوظ كما كان استكتبني
فعشت ونعشت وفرشت بساط الغنى فرشت . ولولا انني قويته به
لاقويت . ولولا انه أولاني عارفته لما عرفت ولا توليت . فانا شاكر
نعمه عمري . وعامر كرمه بشكري .

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الأمراء كل منهم سبع . ومافي لقائه
القرن طمع . ومن جملتهم سوار من الممالك الخواص . ومن ذوي
الاستخلاص . وكان هذا سوار في كل حرب مساورا . ولكل هول
مباشرا . وبكل بوس عبوس باشرا . فجاءه سهم عائر . فاذا هو
الى الجنة سائر وكذلك عدة من أمراء الأكراد . كانوا من الآساد .
فهازوا بحظ الاستشهاد . وخرج اسطولنا في هذه السنة . وبشوانية
المعجبة المحسنة . ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط .
واحراقها بقوارير النفط . فخرجوا الى شوانينا بشوانيتهم . ولقوا
عوانيتهم بعوانيتهم . وظفرت اساطيلنا وطالت . ووصلت اليها
وصلت . ونالت من الظفر مانالت . وأحرقت للكفر شواني
برجالها . وغرقها بأبطالها . وكان عند العود تأخر لنا شيني
مقدمه أمير مبارز كالأسد الخادر لا يصحر الا للفريسة ولا يبرز .
وهو يعرف بجمال الدين محمد بن ارككز ، فشين الشيني وشأنه .
وما عانته أعوانه . وامتلات بالأعطاب أعطابه . واضطربت للانكار

أركاناه . واضطربت باهل النار نيرانه فتواقع من فيه الى
الماء ، واحترزوا من البلاء بالبلاء . ووقف الأمير على قدم جلده
يجالد . ويجد ويجاهد . وقد أثقله بلبس البسالة الحديد . وخف به
العزم الشديد السيد وقد دعاه الى أمنية المنية الذكر الحميد .
والأجر العتيد . فما ارتاع للروع . ولا استطاع الانقياد بالطوع .
ولامكن العدو من مكانه . وأخذ مع الشانئ بشنآنه . ولولا ان
ملاحيه جبنوا وفروا . ومناصحيه خذلوه وماقروا . لجنى بسيفه ثمر
النجاة . لكن الأجل قطع عليه طريق الحياة فاجتمعت على مركبه
مراكب الجمع . وسدوا عليه سبل البصر والسمع . وقالوا خذ منا
الآمان واستأسر . وهون الأمر عليك ولا تعسر ويسر . فالعاقل
يختار البقاء على الفناء والوجود على العدم . وأنت في عين الهلاك
أن لم تعطنا اليد وثبت على هذه القدم . فقال ما أضع يدي الا في يد
مقدمكم الكبير . ولا يخاطر الخطير الا مع الخطير . فسموا له كنذا
أرضاه . وأراد ان يشركه فيما الله قضاءه . فلما بنا ليأخذه لزمه
وعانقه . وقوي عليه وما فارقه . ووقع الى البحر وغرقا . وتراقبا في
الحمام واتفقا . وعلى طريق الجنة والنار افترقا . فارتوى الشهيد
السعيد بماء النعيم . وصلي الكند الكنود . بنار الجحيم . واستشهد
ايضا في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدي جرح فمضى حميدا . وشهد
مقامه في الجنة شهيدا . وسعى دهره حتى قضى سعيدا . ولم تخل
وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من أمراء العسكر . وسعداء
المعشر وكرماء المحشر . وندماء الكوثر . وحلفاء المفخر . واستشهد
يوم تاسع جمادى الأولى القاضي المرتضى بن قريش الكاتب . وكان
صدرا تجمل به المراتب . وجريا جاري القلم . بليغا بالغ الحكم .
مهيبا يخشى مرهوبا لا يغشى . وهو في أهبة من المهابة . وكتيبة من
الكتابة . صوبه في الصواب منتجع وخطابه في الخطب مستمع .
ولرايه ري وريا . وتديبره للأمور بتنفيذ الأوامر السلطانية بينا
وبنيا . ولم يكن له في الكفاية كفه . ولم يزل لخروق الخطوب بقلمه
رفه . وكان رجل دمشقي بنا بلس له ملك بدمشق قد تركه . ورغب
في ابتياعه القاضي المرتضى ليملكه . فتقاضى بيناره فانفضلا على
التراضي . ونجح سعي القاضي للقاضي . وبكر البائع الى سلام

المشتري ووثب ووثب المجتري وطعنه بمديته . وهو آمن من في
خيمته . وفتك به فتك اللعين ابي لؤلؤة بالفاروق . وخرج من الخيمة
كالسهم في المروق فلقي قاضي نابلس فقتله . ومضى بسالك سبيله .
فادركه الناس وقتلوه . وكاد يفلت لولم يعاجلوه . ففجع المنصب
بمصابه وناب عنه اخوه مع نوابه .

ودخلت سنة سبع وثمانين والشتاء لم يشمله شتات شمله . وعقد
البرد لم يقرب محل حله . وللغيث عيث ولزور الربيع ريث . ولل سحب
سح . وللضح شح . وللعين الشمس غص . ولوجه الغيم ومض
ولأيدي العارض بسط وقبض . ولنواظر البرق تنبه وغمض .
ولنواجد البرد كشر وعض . ولفص الفصل ختم وفص . وكل صاد في
بحر كانون كنون . وكل ماء بالجليد كأنه زرد مسنون . وللأحوال
أحوال . وللأهواء أهوال . وللشمال شمول . وما للقبول قبول .
وللجنوب ندوب . وللدبور في ادبارها واقبالها هبوب . وللصبا
صبايات وصبايات . وللندي الندي جنائيات وسرايات . وللجو
الجوي آيات ونكايات . وللغمائم غماغم . ولهام الربا من هامي
الرباب عمائم . وللذكباء نكبات . ولشبا شباط شبات . وللرواعد
رواعف . وللهواتن هواتف . وللأرواح رواح وغدو . وحركة وهدو
ومحبة وسلو . ونزول وعلو . ونصفة وعدو . وللرعايا العرايا من
الرياح الحيارى رذايا أذايا . وخبايا المروج الثابتة في زوايا الثلوج
النازلة خفايا . والعواصف القواصف عواص غير قواص .
والعارض عارض الحب في العراض عراض . والقوارس قوارص .
والخوالس خوالص . والبحر في هيجانه والغيم في هطلانه .
والسلطان مقيم بمخيمه على شفر عم . ولطف الله به قد خص وعم .
والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا .
ولتجهيز البذل في المراكب الى عكا . والسفن تدخل اليها بالأزواد .
وتعود وترجع اليها بالأجناد . ويحرص ويحرص ويرسل الى
السلطان ويستنهض . والسلطان يفاوض النواب في ذلك . وإليهم
يفوض . وفي كل يوم يعرض الرجال . وينفق فيهم الأموال . والأمر
مستمر . والقرار مستقر . واليزكية زكية . وسنتهم في المناوبة

سنية . ولوافح عزماتهم ذاكية ونوافح مكرماتهم ذكية . والمماليك
الخواص ومن خصهم وعمهم الاستخلاص . يغادرون به
ولا يبارحونه . والعدو على عكا حاشد . ولضالة ضلاله ناشد .
ويحتمون ويحمون . ويرامون ويرمون . ويذبون ويشبون . ويخبون
الى الكفرة بسوط العذاب ويصبون . وقد قسموا الأسوار على
الأجناد والأبراج على الأمراء . واستقبلوا النعمة في البلاء والسعادة
في المشقة التي تعدها الأشقياء من الشقاء . ان وجدوا غرة
اهتبلوها . او استوعروا كرة استسهلوها . او صادفوا ملة
صدقوها . اولقوا غمه كشفوها ، او صرفوا أوجههم الى نائبة
صرفوها .

ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث

في يوم الأربعاء تاسع المحرم ، سار الملك الظاهر لقصده بلد
صافيتا بالعزم المصمم والرأي المحكم . وفي ثالث صفر عزم من بقي
من اصحاب الأطراف السفر . فان السلطان رخص لهم في ذلك .
فانتهجوا في عودتهم الى بلادهم المسالك . وأقام السلطان في
اصحابه . وخواصه وملازمي بابيه . وملابسي جنبه . ورجال
رجائه . وخلص أوليائه ومقربي امرائه . وفي هذا اليوم رحل الملك
المظفر تقي الدين ليتسلم ما في شرقي الفرات . من البلاد التي كانت
مع مظفر الدين . مضافة الى ميافارقين . فصارت معه جبلة
واللانقية والمعرة وحماة وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر
وميافارقين . وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي آمد
وماربين . والبلاد المظفرية كانت قد بقيت الى هذه الغاية . مع كثرة
الطالبين لتلك الولاية . مضنونا بها على الخطاب غير مسموح بشيء
منها للطلاب . فانه مارامها من الملوكة اخي السلطان وأولاده الا من
يشترط الفسحة له في استضافة بيار بكر الى بلاده . ويقال له
لا سبيل الى قصد أحد ولا انتزاع بلد ولا ازالة يد . فان أرباب البلاد
أكثرهم لنا معاهد . وعلى ودنا معاهد . وفي شغلنا مساعد . فاما من

هو عنا متقاعد . ومنا متقاعد . فما هذا أوان مكافأته ولا زمان كف آفاته . وهو منا في حصر مخافاته . وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزمننا في قمعه متحقق . فلا نثير علينا من المسلم الكاشح والحاسد الحاشد . ومن يشغلنا عن هذا المهم الفرض والرأي الراشد . فقال تقي الدين أنا لي في ذلك الجانب ميا فارقين فاذا أخذت حران وسميساط والرها . أدركت من تكثير العساكر وتقويتها المشتبه . وبلغت المنتهى . وأنا أدخل على الشرط وعنه لا أخرج وأجمع العساكر والى نصركم --- ورد في الروع ومصدر ، وما زال يستدفع السلطان عنه . ويستتره في تخصيصه بتلك الولاية عزمه ويسأل ويتوسل ويرسل ويتوصل . حتى أخذ دستوره . واستكتب مذكوره . وسار على أنه يسرع إياه ، ويحكم في العود أسبابه . وانما يلبث ريثما يقسم تلك البلاد على مقاطعها ، ويرسم نوابه فيها . ثم يطلع علينا طلوع السحاب . ويأتي بالآتي العباب . ويعرض عساكر لا تدخل في الحساب . وسارع إلى الرحيل وسار بعد ما استشار ولله استخار .

وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد . والجواد الماجد . أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه . وهو الجري الذي إذا جاري إضرابه من الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولم يشركوه . ومضمون الكتاب أنه خرج في آخر الحرم على جشير العدو بطرابلس واستاقه . ولم يطق الكفار لحاقه . واقتطع لخاصة منه اربعمائة رأس تلف منها في الطريق أربعون . غير ما كان أصحابه منها يقتطعون . وأنه غزم أيضا إبقارا وأب قارا . وسار بالغنيمة سارا . وأهدى لي من ذلك بغلة سرجية عالية فارهة فرنجية . وقال رسوله لما أبصرها واستحسنها . قال تصلح للعماد فانه إذا ركبها زينها . وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت . كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكبت . وكان فيها من الفرنج خلق . فغرق في بحر الأسر من لم يسر إليه في البحر غرق . وفيهم امرأتان سبيتا . وماهيتا بل اهيتا . وشاهدت الأسارى . قدام السلطان وقد احضروا فردهم على الذين اسروا .

وفي اول ليلة من شهر ربيع الأول . خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنائب الاعضل والناب الاعصل . وكبسوه في مخيمه . وخيموا عليه في مجثمه . فما انتبهوا لهم حتى اسروا من الفرنج وقتلوا جمعا . وأوسعوههم الى ان ضويقوا قمعا . وعادوا سالمين غانمين . كاسرين كاسيين . ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي . وعرف الله لهم حق ذلك السعي . وفي الأحد ثالث هذا الشهر . شهر سلاح الحرب اهل الكفر . وخرجوا على اليك وكانت الذوبة للحاقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك . وعظمت الوقعة . وفخمت الروعة . وصدمت الصدعة . واحتدمت على الفرنج بنارها الصرعة . وهلك منهم عالم كثير . وقتل منهم مقدم معروف كبير . ولم يفقد منا الا خادم رومي صغير عثر به في الحملة فرسه فلم ينتعش . واستشهد ليعيش في الآخرة من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يعيش . وهذا الخصي كان فحلا من الفحول . ناهضا على الكفر للاسلام بحمل النحول . وانتهى اليها ان الفرنج على عزم الخروج . ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج . فلا مرعى لدوابهم ولا علف . وان لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلذف . فأمر السلطان اخاه الملك العادل . ان يذهب ويقصد الساحل . ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قديما منزلته . وهناك نصرت وقعته ووقعت نصرته . ومضى السلطان بنفسه في خواصه واجناده . وأقاربه وأولاده . فكمن وراء تل العياضية . في العصابة المنصورة الناصرية . وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول . مستظهرا بصحبة ولده الملك الافضل . ومعه ايضا اولاده الصغار ليستأنسوا بالحرب ويدمذوا على مباشرة الطعن والضرب . فعرف العدو الخبر . فما اقدم على الخروج ولا جسر . فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء . فبات فيها وحوله الملوك والامراء . ووصل اليه من بيروت خمسة واربعون اسيرا من الفرنج . اخذوا بالمراكب في البحر من اللج . وفيهم شيخ هم هرم . عمره في الكفر منصرم . قد طعن في السن . ووهن كالشن . وانحنى كالحنثية . وما أمن من المنية . وتحاماه الحمام . وعامت في بحر ليلاليه وايامه الاعوام . وهو ممسوخ الحليه . ممسوح اللحية . قد بلى مما بلى . وقلبي من طول

مالقي . وسئم حياته وسئم . وعدم لذاته ولذاته وما عدم . وكم
جاوز قرنا وعبره أري قرن . وبارز قرنا ونازله بعد قرن . حتى لم
يبق منه الا اهايه . ولم يرقب منه الا نهايه . فتعجب السلطان من
مجيئه من البلاد الشاسعه . واختياره الضيق على الارجاء
الواسعة . فسأله كم بينه وبين وطنه . ولأي سبب حركته من
سكنه . فقال اما بلدة فعلى مسافة شهور . وانما خرجت بقصد
كنيسة القيامة لأظفر بالحج المبرور . فرق له ومن عليه بالاطلاق .
واخرجه من ذل الرق الى عز العتاق . وردّه الى الفرنج راكباً على
فرس . ولم ير قتله ولا اسره حيث رأى نفساً مرتهنة بنفس . وسأله
خدام اولاده الصغار . ان يأنن لهم في تجريب سيوفهم بجرح
الاسارى الكفار . فلم يأنن لهم في ذلك واباه . فأرضى كل منهم
بامتثال الأمر الذي أباه . فقليل له لاي سبب منعته من ثواب الجهاد
المغتتم . فقال بلئلا يجترئوا من الصغر على سفك الدم . فانظر ما
تحت هذا القول من الرأفة والكرم .

ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام

اول من قدم من العساكر الاسلامية علم الدين سليمان بن جندر .
وكان بحلب المقدم المؤمر . وهو شيخ له رأي وتجربة . ومنزلة كبيرة
ومرتبة . ومعه حصنا عزاز وبغراس . وللسلطان بقربه ومجاورته
الاستئناس . فقدم في شهر ربيع الاول في عسكره . وابيضه واسمره
وببيضه ومغفره . وجني جنده وسني سنوره . وجلبه ولجبه . وزمره
وعصبه . وبيارقه ويلبه . وبوارقه وسحبه . وقدم في ذلك التاريخ
بقدمه الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبك وقد
استصحب معه مماليكه الترك . وقد ذوى بالمشركين الفتك .
واسترهم الهتك . ولدماهم السفك . فوصل بقواطعه وقواضيه .
وصوافنه وسلاهبه . وطلائعه ومقانبه . وحضر من المحاسن بكل ما
يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من اسنه العوامل بكواكبه
واظماً جواده ليرد به دماء اهل الكفر فانه يعدها من مشاربته . فعن

ذلك اليوم من القادمين والمستقبلين بذلك الفضاء جيش زرت الربا
عليه جيوبها وغطته من العجاج بالرداء . وجرى ذلك الوادي مع
الأجناد والأمرء بسيل خيل تردأ ماء (٤٩) الدماء . وخرق ذلك
الخرق أرعن في حافاته الخرق . ومن عاداته بعداته الحرق ، ومن
آفاته عند موافاته من فرق الكفر الفرق . ومن علاقته عند الظماء ان
لا يرويه الا العلق . ومن صبابته بالسير الى عناق الاعداء بسواعد
سيوفه الخبب والعنق . ومن شيمته عوض التغلف بالعبير التضمخ
بالنجيع . ومن ييمته وبيل الذبل من الاحداق والنواظر في نواضر
حدائق الربيع . ومن صنعته اسماء حنين الحنية بسهمه . واسماع
أنين المنية لخصمه . وجلونا في ذلك اليوم فوارس لاعرائس .
وقوانس لا عوانس . وقدم بدر الدين مودود والي دمشق بعد ذلك في
سابع عشر شهر ربيع الآخر ، وبشر بورود العساكر ووصول الجمع
الوافر

ذكر وصول ملك افرنسيس لنجدة الفرنج على عكا واسمه فليب

وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل ملك افرنسيس الى القوم وصان
حبلمهم وشملهم من البت والشت . وكان وصوله في بطس ست حملت
من الفرنج كل ذي شؤم ومقت . وقد كانوا يهددون بوصوله وصوله .
ويقولون لنا من تهديده ووعيده ما يجري على قوله . وانه اذا جاء
حكم واحكم . ونقض وابرم . وقدم ما قدم به من المال وأقدم .
ونحن منه على مواعدة . فهو يأتينا بكل نجدة مساعدة . ووجدة عن
الفقر مباعدة . فقلنا لهم رب صلاف تحت راعدة . وما هذه الأراجيف
منكم بواحدة فلما وصل في العدد القليل ، والنظر الكليل ، اعجبتنا
قلته ، وتشابهت عندنا عزته وذلته ، وقلنا ما يكاد تصل صولته او
تدوم دولته .

نادرة

وكان مع هذا الملك باز اشهب . كأنه عند ارساله نار تتلهب .
ففارقه يوم وصوله . بحيث عجز عن حصوله . وافلت من يده وطار .
وحشا حشاه الباز الذي نار النار . ووقع على سرور عكا . وحزن
الملك يوم سروره بفراقه وابكى . واستجابه فما استجاب . وابى
وما أب . وثبت وما ثاب . فبصر به اصحابنا فأخذوه . والى
السلطان انفذوه . فأبدى للسرور به الاهتزاز وجمل بتشريفه بزة من
بز الباز . واظهر به احتفالا . وعده للظفر والمنحة فألا . وبذل فيه
الملك الف دينار فما اجيب . ولا وهب له ولا هيب . وما بيع ولا
عيب .

خبر نادرة في غنيمة وافرة

كان المستأمنون من الفرنج الينا . تسلموا براكيس يغزون فيها .
ويجرون بجواربها . وينهضون بسواربها ورواسيها . وينهشون
بعقاربها وافاعيها . ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرس يوم
عيدهم . وقد جمع القس في كنيسة لاهلها شمل قريبهم وبعيدهم .
فصلوا معهم فيها صلاتهم . ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليأمنوا
افلاتهم . واسروهم باسروهم وسبواهم . وبغتوهم من البلاء بما
اتوهم به وبلوهم . وكذسوا كل ما كان في الكنيسة . من الاعلاق
الذهبية . وقسوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم الى براكيسهم .
ولاذوا باللاذقية وباعوا بها كل ما اخذوه من البيعة ومن الجملة
عشرون نسوة سبايا . وصبيان وصبايا . فباعوها رخصا .
واقتسموها خرصا . وزادوا بمائنا لوه حرصا . واستغنوا مما
استغنموه . واثروا بما اثاروه . واثروه وفرحوا بما راحوا به من
مغنم . وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعمائة درهم . وفي
سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية

فاقتطعوا من غنم الفرنج غنيمة . وخالطوهم في خيامهم وامطروهم من وبل الذبل ليمه ، وركبوا باسرههم بخيلهم ورجلهم في اثرهم . فلم يظفروا بطائل ، ولم يرجعوا بحاصل .

خبر وصول ملك الانكتير واسمه ليجرت الى قبرس واستيلائه عليها

وصل الخبر ان ملك الانكتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر . في الجمع الوافر . حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته الى الجزيرة . مراكب وشوان على قصد الجزيرة . فخرج صاحب قبرس اليها واستولى عليها وغنم اموالها وصدم رجالها فلما وصل ارهف حد عزمه . وأفضى فيض غيظه الى غيض حلمه . وهو مغضب غير مفض . مريض من الم الحقد ماله سوى التشفي شاف مرض . قلبث مفكرا . ومكث متحيرا . وتروى متخيرا . فرأى ان قبرس في يده فاستن من جده في جدد . وناشب القتال . وواظب النزال وقارع بالنصال النصال . وحلت المنايا حباها لاحتباء البيض بالأعناق . واعتناق الغلاظ مع الرقاق . ونفذ يطلب من الفرنج على عكا نجده . ليجد شدة ويوجد شدة . فنفذوا له جفري اخا الملك العتيق . في جموع مترافقة الرفيق . وامتدت الحروب . واشتدت الكروب . ورأى ان فريضته تعول . وان حالته تحول . وان شغله يطول . واتفق ايضا انه كان رام الروم من الفرنج الفرج . وخطب كل واحد من ضيق الخطب المخرج المخرج . فتراسلوا في الصلح . وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنى السلم الى اسفار الصبح . واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكتير . واثقا بما تمن من التقريب والتقريب . وحمل له هدايا . وتحفا سنيا . ووسع له الأزواد . وبذل له الامداد . فأخذ في مأمنه . وابرز له مكره من مكمنه . وغله ثم غله . وشده وما حله . وجازاه لما اعزه بأن اذله . وغادره بغدره .

في القد والقيد . ومابطشت يد عادمة الا يد كيد الكيد . واستولي بالاستيلاء عليه على تلك الجزيرة ، وغرق في جماء (٥٠) امواله الجزيرة . وسيأتي ذكر ورويه ، وماتم به لاحزاب الشيطان وجنوده وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد . وصلت من ثغر بيروت كتب مبشرة . وبالنجاح متجددة . وهو ان اصحابنا اخذوا عند الثغر بمراكبهم الغازية في البحر من مراكب الانكثير خمسة وطراة . ولم تكن لولا ابناء رجالها للضيم معتاده . وبحزام القهر مقتاة . وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال . ونخائر اخير من عدة ومال ، واثقال وانفال . واخشاب والات واحمال واحوال . وفي الطراة اربعون رأسا من الخيل الجياد . قد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد . فحيزت وحيزوا . واجيزت الى بيروت واجيزوا . فاما السبايا فقد اخرجن على البيع بالنقود والنسايا . واما الاسراء فقد عمتنا بخصوص ضرائهم السراء .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد . بالجد والجلد . والعدد والعدد والمدى والمدد والجمع المحتشد والجمر المتقد . والبيض واليلب . والبيض والقضب . والسمر السلب . والجب والجلب . والصياح والضجيج . والعجاج والعجيج والوشيج بالوشيج والامر المريج . والقصد بالقصد . والزغف والزرد . والحديد والعديد . والقريب والبعيد . والاتباع والعبيد . والاوباش والاشواب . والكلاب والذئاب . والسباع والضباع . والضواري الجياع . والاساود والاسود . والزرق والاحمر والاسود . ودبوا وذبوا . وشبوا وسبوا . وصابوا وصبوا . ونابوا ونبوا . وغبوا وغبوا . وجابوا وجبوا . وزحموا ورجموا . واقدما وتقدموا . وقدموا سبعة مجانيق وقربوها . ونصبوا فيها ونصبوها . فعلت كأنها قلاع . وارتفعت على التلاع كأنها تلاع . وهي في الجو مترامية . وبالجو رامية . وفي السماء سامية . ولاهل النار الحامية حامية . مرتفعة على مرافعها . مقتلة بمقالعها . منقضة احجارها لانقضاخ الجدار . منقضة اسوارها لانقضاخ الاسوار . حاصرة حاصبه . عاملة ناصبه . قائمة قاعدة . بارقة راعدة . صادمة

صادعه . صارمة صارعه . حبال من الجبال اجنتها . وحنايا للحنين
على سهامها من الحجارة رنتها . ومواضع في حجورها الاحجار .
ومرابع تنهد بدوائرها الربوع والديار . حوامل على الطلق . صوائل
بالفلق على الخلق . مطايا للمنايا . روايا لخباياها البلايا . في
كفاتها افاتها . وفي حركاتها ادراكاتها . وللتعذيب عذباتها .
وللترهيب جذباتها . وما اعظم جنايات جنادلها . واظلم غوايات
غوائلها . وهي الروائم الروامي . والدوائم الحوامي . والهوام
بالهوامي . والصوام الصوامي . ودواعي العوامي . وذواعي
الذوامي . والذواعب بالذوي . والجوائب بالجوي . والصوائب
بالمصائب . والنوائب بالشوائب . اذا جذبت جذت . واذا قذفت
اقتت . واذا طوحت طرحت . واذا حلقت حلقت . واذا اطارت
ابارت . واذا اقلت القمت . فشق على اصحابنا بالبلد شقاقها .
وكادت تفتح اليه الطريق طوارقها وطراقها . فاستصرخوا بنا
وانهضوا . وحضوا على حظنا وحظهم وحرضوا . واستنفروا .
واستنصروا . واستعدوا . واستدعوا . فاصبح السلطان راكبا في
العساكر . طالبا شغل العدو الكافر الحاضر الحاصر . وسير من
كشف هل العدو كمين . او كيد دفين . ثم وقفت العساكر عنه ومر
الى تل الفضول بالقرب . وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب .
ونكايتها في الضر والضرب . وعرف اماكن القتال . ومكان
الرجال . وكلاما شاهد الفرنج عسكرنا قد اطل واظلم . ذل جمعهم
وكل . وترك الزحف وانفل . واذا عادوا وعدوا . واناروا في الحرب
واسدوا .

قصة الرضيع

كان لصومنا في الليل استلبوا طفلا من يد أمه . وفطموه رضيعا له
ثلاثة اشهر في غير اوان فطمه . واستحلوا بحكم الجهاد في جنح
الظلام ظلمه . وفجعوها بواحدتها وساعدها . وكدروا صافو

مواردها . وقطعوا عنها فلذة كبدها . واسعروا عليها جذوة كمدىها .
وحرموه در لبها قدر دمعها . وابعده عن مناغاتها ومناجاتها فوقر
عن كل حديث سمعها . فخرجت والهة . وللحياة كارهة . وللخد
خادشه . وللوجه خامشه . معولة مولوله . مذهلة مشتعلة . وقد
شدهت ودهشت . وتاهت واستوحشت . قد سلب عقلها . مذ سلب
طقلها . وغاب ذهنها . مذ غاب ابنها . وتكرر بالحنين والانين
ترجيعها . وتردد للقلوب مما فجأها وفجعها من الكروب تفجيعها .
وهي نائحة في كل ناحية نادية في كل ناد . نابية لكل فؤاد . عابية في
كل واد . فلم يشعر السلطان الا بامراة بالباب واقفه . وبالنحيب
هاتفه . وللدموع حادرة بتصاعد انفاسها . ومن الخلق مستوحشة
لذهاب استئناسها . قارضة صدرها بتقطيعها . ضارعة لفقد
رضيعها . معولة على الطفل معولة على اللطف . متذكرة من الذكر
متعرفة الى العرف . فاحضرها السلطان وهي باكية . ونارا اكتئابها
ذاكية . تتحدر عبرانها . وتتصعد زفراتها . وتتلهب حسراتها .
تبكي ببكاؤها . وتشكي من دائها . وتشد ضالتها . وتطلب
مهجتها . وتسال عن حشاشتها . وتشتعل نار قلبها على فراشتها .
فلما شاهد السلطان حربية حزينة . مسكينة مستكينة . متجئنة
متحننة . مولعة مولهة . موجعة متوهه . سمع شكواها وفهمها .
ورثى لبلواها ورحمها . ورق بلطفه للطفل الرقيق . وسلك بفضل
طريق التوفيق . وطلب الرضيع . فليل له انه بيع واضيع . فان
أخذه باعوه بثمن بخس . ولم يعرضوه في سوق بز ولا سوق
نخس . فما زال يبعث ويبعث عنه . ويلوم باذله كيف لم يصنه .
حتى جيء به في قماطه . وقد كاد يلف في عباءة اعتباطه . فلما
بصرت واحدا . ضمت عليه ساعدها . ودعت وعدت . وشدت يدها
به وشدت . فأعادها . وبذواله افادها . وبرد حرها بردها .
وأسا ما اساء الاسبى من جروحها وقروحها . وروحها بروحها .
وفرع دوحها . واغناها بغنائها للشكر عن نوحها . وظهر سر
سرورها عليها ببوحها . وشيع معها من اوصلها الى موضعها . وقد
اجتمع شمل المرضعة بمرضعها . ومارد الطفل الا بعد ما اشتراه من
مشتريه بثمن يرضيه . وهذه نادره من جملة اياميه .

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما اصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم . وخطبوا متاعبهم في
ابتياعها بكل سوم . وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض وعود .
وداروا حول حمى دارها بكل حوم . ولم يكن بد من ركوب السلطان
بالعساكر اليهم في كل بكرة وعشي . وارعاب النوم بكل حد مرهوب
وجد مخشي . وكانت المسافة نائية . والافة دائية . انتقل السلطان
الى تل العياضية . بعساكره واثقاله بالكلية . بالعزائم والصرائم
الماضية المضية . الراضية المرضية . ولم يكن انتقاله دفعة واحدة .
بل مهد له قاعة . فان يوم الثلاثاء تاسع جمادى الاولى بلغه ان
القوم قد عادوا العوادي . ورفعوا من ضلالتهم الهوادي . وضايقوا
البلد اشد مضايقة . وعالقه اجد معالقه . فامر الجاوش حتى
نادى . وباكر الغدو بالعساكر وغادى . ووصل بالفارس والراجل
الى الخروبة وقوى اليك . والزم المقدمين والامراء بحفظ ذوبهم
الدرك . وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا عاين قتلها خرج
بالكثرة . وتورط في العثره . فلم يشغل بها بالا ولم يلفت اليها
جنانا . بل تصرف على عناده ولم يصرف نحوها عنانا . واشتد على
البلد زحفه . وامتد عسفه . فساق السلطان بالعساكر وهجم وترك
العدو الحصار واحجم . فلما جاء الظهر رجع العدو الى مجثمه .
والسلطان على قصد العدو الى مخيمه . ولما وصل الى تل الخروبة .
ونزل في خيمة لطيفة لاجله مضروبة . وصل من اليك من اخبره ان
العدو لما علم انه قد انصرف . عاد الى اشد ما كان فيه وزحف . وانه
قد اربع وارعف . وارهق وارهف . والهى والهدف . وارهب
وارهج . واعجز وازعج . وثار واثار . والحم الملحمة بناره واثار .
فبعث السلطان هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بالمخيم
فأعادها . واستنهض الى الفريسة أسادها . واجرى في حلبه
الحمية جياها . ودعاها الى طعن يبرح بالذوابل . وضرب يرنج
اعطاف المناصل . وامرها من الحرب بأمرها . وأدارها من مري
اخلاف الدم بأدنها . ثم سار اخر ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى

الى تل العياضية قبالة العدو . وضرب خيمته باعلاه ظاهر العلو .
والعدو بالحصر والزحف مصر مضر . وعلى عنائه وعنايه مستمر .
والسلطان في كل يوم يصابح القوم بالقتال ويماسيهم . ويرواحهم
ويغاليهم . ويفاتحهم ويبادلهم . بضرب كما اشترطته حدود الظبا .
وطعن كما اقترحته كهوب القنا . وفتك كما تمنته المنية . ورمي كما
حنت اليه الحنيه . هذا ومجانيق الكفر على الغي مقيمه . وللرمي
مديمه . وبالا حجار متقاطره . وعلى الاقطار حاجزة . والجلاميد
قارعه . وللصخور بالصخور قالعه . وتمكن الفرنج بها من الخندق .
فدذوا منه بذو المحنق . وشرعوا في هجمه . واسرعوا الى طمه .
وداموا يرمون فيه جثث الاموات ، وجيف الخنازير والدواب
النافقات . حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم . ويحملون اليه موتاهم .
واصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد اقتسموا فريقين . وافترقوا
قسمين ففريق يلقي من الخندق مالقي فيه . وفريق يقارع العدو
ويلاقيه .

ذكر وصول ملك الانكثير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور . اشاع اشياع الكفر سر
السرور وعقدوا حبا الحبور . ووصل ملك الانكثير . واطهروا انه في
الجمع الكثير والجم الغفير . وكانت معه من الشـوانـي خمس
وعشرون قطعة . كل واحدة منها تضاهي تلعة وتوازي قلعه .
واحدث في القلوب روعة . وارث في النفوس لوعة . ولعلت لنا من
خيامهم تلك الليلة نيران زائدة . وأنفاس للشرارة متصاعدة .
والسنة للاشعل نضناضه . وأشعة على الجو مفاضه . فكانما أوردت
الجحيم لقدم وارد نارها نارها . وأوصلت لوصول اولئك الشرار
شرارها . وأورت لهم أوارها . وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت
على أهل اللياجير الاضواء وهتكت عنها لهتك ستر الظلام ضلالهم
الظلماء . فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم . ولما كانوا من أهل النار

ببرهانهم . وانتهم باتيانهم . وأضافتهم في مكانهم . وملك الملك
بأمره أمرهم . وأراهم أن بيده دفعهم وضرهم . وملأ عين الملاعين .
وأطال لتناولهم أشطان الشياطين . وحفر للمكايد أبارا . وأثر في
المكر أثارا . وأثر للأشر نارا . وأثار لنصرة النصرانية ثارا .
وتحدث الناس بحادثه وحديثه . وبما تأثرت القلوب به من تأثيره
وتأثيره (٥١) . وارتابوا وارتاعوا . والتاحوا والتاعوا . وغدت
الأسنة ترجف والقلوب تجف . وكاد الباسل يجبن . والباطل
يخشن . والحق يلين . والدين يدين والسلطان قوي الجنان . روي
الايمان . صاف يقينه . واف بينه . شاف نصحه . كاف نجحه .
مثبت جيشه بثبات جأشه . عامل لمعاده . ونصر الحق في معاشه .
متأن في تفكره . متأن في تدبره . متوكل على ربه في نصره بينه .
متوسل اليه في تأييده وتمكينه . لاتروعه المخافات ولا تخيفه
الرائعات . ولا تززع الخطوب طود وقاره . ولا تفض النوائب خيم
ذماره . ولا يلين للأشدائد . ولا يستكين للروائع الرواعد . وكم سكن
الاسلام بحركاته . واخصبت الايام ببركاته ونام الأنام ليقظانه .
وأمنت مصر والشام بنهضاته . فما راعه ماعرا . وما درأ عزمه لما
درى . ولارد وجهه عما قصد . ولا صدف رأيه عما اعتمد . بل
ازداد قوة بصيره . وازدان بسريرة لكشف اسرار الغيب مستنيرة .
وعمد إلى السماء فاستعار من أنجمها أسنة الذبل . ودلف في الارض
فوهب تربها للقسطل . وأعلم ملك الانكثير ان جمع كفره للتبشير .
وان نشاط سره للتفتير . وان أسنة اهل التوحيد مولعة من نحور
أهل الاشرار بهتك الستير . وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في
كتائبها . لتحتمي اعناق العدا وطلاها وتتصل بقواطعها وقواضبها .
بخيل تأبى الضيم مثل إبابه . وفخر مثار الذقع يذوب عن لوائه .
ووجه كالمع البرق في ضيائه . وقلب كصدر العضب في مضائه . وأقام
السلطان على هذه الحالة . ساميا في مطالع الجلالة . لم ينض
سلاحه . ولم يخفض جناحه . ولم يركز رماحه . ولم يردع للروع
مراحه .

ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسه . وزادها من العدد والالات . وأودعها من كل نوع ميره ، وكلاها غلة ونخيرة . وأركب فيها زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لعكا . من كل من طهر وتزكى . وشكره الاسلام إذا الكفر منه تشكى . فلما توسطت ثبج اللجة . وتورطت على نهج المحجة . صادفها ملك الانكثير . بحكم قضاء الله والتقدير . وأحدثت بها شوانيه . وعدتها عوابية . وقتلتها نصف نهار . وهي لاتذعن لاقتسار . فاكبت من العدو مراكب . وجبت لها غوارب . وأحرقت وأغرقت . وهتكت وخرقت وفرقت وما فرقت ، وقتل من الفرنج خلق عليها . وما امتدت يد عدوانهم اليها . فلما يئست من سلامتها . وزلت عن استقامتها . وجالت على الاصطلام . قال مقدمها : علام نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل . والشح بالدين أحب الينا من البذل . فنزل إلى البطسة فخرقها ومانع عنها حتى أغرقها . وسعد أهلها . وأفترقت وسيجتمع في دار النعيم شملها . ووصل اليها خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الاولى . فقلنا الدهر يومان : نعمى وبؤسى . وما يزالان على ذلك حتى يزولا . وكانت هذه الواقعة أول حادثة للوهن محدثة . وللهم مورثه . ولنار الاسى مؤرثه .

ذكر حريق الدبابة

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة . قد أظهرت لها في الشر غائله . ولها أربع طباق . شدها على الارتباط باق . ولها من الاحكام باس ولباس . وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس . وقربوها الى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس . وفي طباقها سباع ضوار وذئاب طلاس . وبلي البلد منها بكل بلية . ورزي بكل رزية . وكانت هذه الدبابة على العجل . ليقرّبوا بتقريبها أسباب

الأجل . فباتت القلوب منها على الوجل . وكاد أصحابنا يطلبون
الامان . وخضع كل أبي واستكان . فقارعوا عندها أشد قراع .
وماصعوا أجد مصاع . وتوالت عليها من مساعير الرهط . قوارير
الذفط . وهي تضرب في حديد بارد . وتضرب عن كل شيطان مارد .
وتدبو عن الاحراق وتنبني عن الاخفاق . حتى بدرت قارورة انقضت
على شيطانها كالشهاب . فاخذت الدبابة وقلوبهم قبل جسومهم في
الالتهاب . فعوذناها بسورة (والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم
وما غوى) فجاء من انقلاب القارورة قرار القلوب . ومن حر
انفاسها برد الذفوس . وكشف شعاعها ظلم الكروب . ونزعت
بشاشتها عن الوجوه لبوس العبوس . وأنارت نارها لنا بكل نور .
ولهم ببوار قوم بور . ودبت شعلها في أضلاع الدبابة وجنوبها .
فأحرقها الله أحراق أهلها بنزوبها . وكما أضاعت الافاق بنيرانها .
اظلمت بدخانها . فجلت لنا بياض النصر في السواد . فكانه سواد
الناظر أو سويداء الفؤاد . بل سواد المداد يأتي من أنواره بالامداد .
فجلا حريق هذه الدبابة صداً قلوبنا المغتمة بالبطسة الغريقة .
وأحمت نارها في حماية الحق حماية حماة الحقيقة . فانما احترقت
الدبابة يوم وصول خبر غرق البطسة . فكان تشميتاً لتلك العطسة .

ذكر وقعات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو وق
الكؤوس . حتى اذا سمعناه جينا في الزحف الى العدو بالنفائس
والذفوس . ولما أصبحنا يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا
من كوس البلد نعراته . ونظرنا من جانب العدو مثار غبراته .
فعلمنا بزحفه . وعملنا في حثفه . وضرب الكوس السلطاني اصراخا
لصراخ ذلك الكوس . فتمايلت أعطاف ذوي الحمية من حميا العزائم
لامن حميا الكؤوس . وركب السلطان في كل مشمر للبرد . مضمر
للجرد . فضفاض السرد . قضقاض كالاسد الورد . مشتاق الى
الطرد . ملتاح من ماء الوريد الى الورد . من الترك والاكاييش

والعرب والكرد . يهوي الى الاقران هوي المصلقات الى الرقاب .
ويظماً الى إرواء الاسل الظماء فيطيل صدى الخيل العرب . وكل
ثمل كأنه نزييف الحميا . يعيد السماء من الارض بركضه شاحبة
المحيا . وكل ضرب تكاد تفيض مضارب نصله من خفة الطرب لولا
وقاره . وكل طلاع مع الذوب لاينام ناره . ولايثبت في الجفن غراره .
وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم الاسنة . وكل مطرد يعيم
السوابج السوابق في بدور الاعنه . وكل رام فروج المازق حتى تفرى
بأيدي المذاكي . وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق
الشاكي . وكل مصمم مصم درعه غير محقبة . وسهامه غير
مجعبة . وسيوفه غير مقروبه . وقبابه لداومة اجراء فيه غير
مضروبة . وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنابك جوانب
جذفه . وأبيضت بلمع الترائك مذهب قسطله . وأشتبهت في الذقع
الوان خيله . وامتدت الى قرار اللقاء أعناق سيله . فكانما غارت
الشمس من شمس شمسه فتوارت بالحجاب . وعد الذقع في ويل
الذبل من حساب السحاب . وولجت العساكر عليهم في خيامهم .
وحملت ليالي القتام إلى أيامهم . وغلت الصدور بما فيها . حتى
وصلوا الى القدر على اثافيا . وهتكوا وفتكوا . وادركوا
وسدكوا . فتراجع الفرنج واصطفوا على خنادقهم . ووقفوا
بقنطارياتهم وطوارقهم . واجتمع عسكرنا لعلمهم يحتمون ويحملون .
ويعلون من دمائهم وينهلون . وبخل الظهر وحمي الحر . فافترق
الفريقان . وتراجع الى خيامهم الجمعان .

وقعة اخرى

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر . ضايق أهل الكفر
البلد على الحصر . وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهة . وكانت
من أشدها واجدها كريمة . غير انه في هذه الذوبة عرضت نبوة .
وكادت تتم كبوة . فان الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فئة من

عسكرنا داخل خنادقهم . فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي
سوابقهم . فانتشب الحرب . واستجر الطعن والضرب . وكثرت
الجراحات . وكثرت الاجترافات . واستشهد ممن عرف من
المسلمين اثنان تسلمهما رضوان الى الجنان . وقتل من المشركين
جماعة اسرع بهم مالك الى النيران .

ومن عجائب هذه الواقعة . أن رجلا من مازندران من اهل
الرفعة . وصل في تلك الساعة وافدا . واستأنن وقت السلام على
السلطان ان يقدم مجاهدا . فحين شهد الواقعة استشهد . فلقى الله
بعهده كما عهد .

وقعة أخرى

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا
وراجلا . ورامحا ونابلا . وامتدوا من جانب البحر أطالبا .
وتحزبوا في ذلك الفضاء أحزابا . وركب السلطان من مجالس
عادته . الى مجال سعادته . موقنا ان اداء عبادته . في إبرة العدو
وإبادته . وتقدمت المقدمة وأقدمت . وجحمت نار اقدامها وما
احجمت . وما زالت نجوم النصول تذقض . وخذوم النحور تذفض .
وعيون العيون ترفض . وديون النحول وحقوق الحقوق تفتضي وابكار
الدروع بحدود الذكور تفتض . في شعواء خضرها الشياب الغائب ،
ونكباء لها من الذوايل ذوائب . وبحر تسبح فيه السوايح . وشرب
بكاس المنية منها المهج غوايق صوايح . وغبراء اسود نبالها تتواثب
عن عقارب القسي . وتعالب لهازم صعادها تتلاعب في أرقام
السمهري . وذباب ظباها تطن في مسامع الذئاب وعقبان راياتها
تحلق إلى مطالع السحاب ، وغدران سوابغها تفيض عليها جداول
القواضب . وغران سوابغها تفيض في غطامط الغياهب . وارواح
اغماها البارية عن الاجسام بريه . وقلوب اسادها الضارية على

الردى جريه . حتى نخل على ليل الذقع الليل . وجرى من بيمة الدم
السييل . والتفت لما التفت بالخيل الخيل . وأفرج المازق عن قتلى
جرى عليها من السواقي النيل . واستشهد من المسلمين بدوي
وكردي . ولكم وقع من المشركين رد رديء . له في الهاوية هوي .
وعليها من زفير جهنم دوي . وأسر من العدو فارس بفرسه . ولا مته
وقودسه (٥٢) . وتفرق الأفريقان عن المعترك عند معترك الدجى .
وقد عم من الشجب ماشجا .

وقعة اخرى

واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين . وقد أخرج من جانب
النهر راجلا في عدد رمل يبرين . بقواطع يبرين . وقواضب يفرين .
وطوالع غروب في الطلى يفرين وبالردى يفرين . وانتشروا ممتدين
وامتدوا منتشرين . فلقبهم اليك بكل من يزكيه عند شهوده مضاء
كالقضاء . ويوافق القضاء في المضاء . وكل معتقل للربني اخف الى
الوغي من سنانة . وكل مشتمل للمشري خضيب الغرار ريانة . وكل
ملتئم بعثير حصانه . معتق لعطف مرانه . وكل صبح كالصباح
نضارة وجهه في شحوبه مدفونة . وكل قارح على قارح شرارة عزمه
في سكونه مكنونة . وامتد راجلا امامهم . وأثبتوا اقدامهم . وطال
القتال وطارت النبال . وحاضت الذكور . وفاض التامور (٥٣)
وأعمى العثيرة وعم العثور . واسروا منا واحدا فاحرقوه فصحب
نوره بين يديه الى دار القرار . وأسرنا منهم واحدا فاحرقناه فشبت
به تلك النار إلى النار . وشاهدنا النارين في حالة واحدة تشتعلان .
والصفان واقفان يقتتلان .

وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرهما لاخت ملك
الانكتير وانهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير . وأخبرا انها
زوجة صاحب صدقية فلما هلك . صادفت في الاجتياز بها أخاها هذا
الملك . فالزمها بان تتبعه واستصحبها معه . وقد راما النجاة من تلك

الفاجرة نجاة الآخرة ، فاکرم السلطان وفادتهما . وأجزل
بالاحسان افادتهما .

ذكر المركيس ومفارقته القوم ووصف السبب في ذلك

وفي الاثنين انسلخ الشهر ذكر عن المركيس أنه هرب الى صور .
وأنه كشف للجماعة المستور . ونفذوا وراءه قسوسا . والقوا عليه
من الضلالة في الاستمالة دروسا . فنبأ قبوله . وانقطع وصوله .
وكان سبب ذفاره . وموجب استشعاره . ان هذفري كانت زوجته
ابنة الملك الذي هلك والقدس في يده . وعادتهم أنه اذا مات ملك ينتقل
ملكه الى ولده . وسواء في هذا الميراث . بين الذكور والاناث .
فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى . فاذا توفيت عن غير
عقب كان للصغرى . وكان الملك العتيق كي اخذ الملك بسبب زوجته
الملكة فعزلوه عن الملك لما احتوت عليها يد الهلكة . وبقيت هذه زوجة
هذفري . فاصبح المركيس عليه يجتري . ويقول لست من اهل الملك
لتكون الملكة لك زوجة . ولا بد لي من تقويم هذا الامر حتى لا أبقي فيه
عوجه . وغصبها منه وصرفها عنه واتخذها له عروسا . وأحضر
لنكاحها قسوسا . وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من حباله
الحبل . فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغل . وادعى المركيس ان
الملك انتقل بها اليه . وأن أمر الفرنج بشرعهم في يديه . فلما جاء
ملك الانكتير تظلم اليه هذفري والملك العتيق فاندفع بذلك له إلى
مواخنة المركيس الطريق . فاستشعر المركيس منه وما قرر . وأخذ
معه الملكة وفر .

ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الاسلامية

وفي يوم الاثنين انسلخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار . وقد
سد بسواد عييه النهار . وأفاض ببياض حبيده الانوار . ومقدمه

مجاهد الدين يرزقش الشهم الشديد . والسهم السيد . واللمعي
اللودعي . والكميش الكمي . والنقاب النقي . والعف التقي . وهو
ذو همة في الغزو عالية . وعزمة بالمضاء المضي حالية . وقيمة في سوم
السلطان لقربه غالية . وسريرة خالصة صافية من الكدر خالية .
وأكرمه السلطان في استقباله بنفسه وأقباله عليه بأنسه . وسار
بمسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر مماليي النيب .
وقد احسن في عرضه التدبير والترتيب . ثم عاد في خدمة السلطان
مكرما الى جذبه . مقدما على صحبه . فأنزله في خيمته وخصه
بمواكلته . وتقدم اليه بالنزول في ميسرته . وفي يوم الاربعاء ثاني
جمادى الآخرة . وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة . بالعدة
الوافرة والقوة الظاهرة . مثل علم الدين كرجي . الذي يسرع الى
لقاء اقرانه ولايرجي . وكسيف الدين سذقر الدوري دي الزند الوري
والسيف الروي وأمثالهما من المماليك الناصرية . والمساعير
الاسدية . أسد العرين . الشم العرانيين . الفر الميامين . وفي عصر
هذا اليوم وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل الى الخروبة ونزل
بها . ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في احسن أهبها . فركب
السلطان اليه ولقيه وعاد . وكمل لكرامته وضيافته الاستعداد .
وأصبح يوم الخميس في خميسه . سائرا بأساده في عريسه . مقبلا
بكل فارس من جيشه فارس من خيسه . في غلب كانهم اجادل
والجياذ مراقبها . وخيل كانها الظلماء والتراثك كواكبها . ونقع
كانه الآتي والمقربات قواربه . ومجر تصادم مناكب الاكام مناكبه .
وتملا الوهاد طوالعه وغواربه . عاريات غروبه . عاليات غواربه .
ثقال مذاكيه باعباء عواليه . كانما نهضت لانكاء نار الهياج
حواطبه . وعبرت علينا كتائبه وأعربت عن مناقبه مقانبه . وتلقاه
من اولاد السلطان الملك المعز فتح الدين اسحق . وهو من جملتهم
البحر بل الغيداق . والملك المؤيد نجم الدين مسعود ، وهو كاسمه
مسعود مجدود ، وتلقاه الامراء والعظماء والخواص والاولياء .
وساق على تعبيته . واجابته دعوة الاسلام وتلييته الى جانب
البحر . ليرعب اهل الكفر . وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه
نهض واستنهض ، ولما انفصل السلطان أخذه معه الى خيمته

ذكر ضعف البلاد

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين دام علاؤه في مقدمي الجنود الانجاد ، ووقف
اجتهاده على موقف الجهاد ، وما اكرمه قائما في المقام الكريم .
وعظيما خاطبا دفاع الخطب العظيم . ووصل فوصل جناح النجاح .
وانشر الصدور بما صدر به لها من نشر الانشراح . وجاء والكريمة
ناهسة بالارواح . والحرب ساقية طلاء الطلى في صحاف الصفا .
وشارك في الجهاد وشد الأزر . وسدد الأمر وأزر وعضد . وظاهر
واسعد . ولاخفاء عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع
ملوكهم وكذودهم . وتوافد امداد حشودهم . وقد استشرى شرهم .
واستخرى ضرهم . واعضل خطبهم واستفحل امرهم . واشتغلوا
منذ وصلوا بنصب منجنيقات . وتركيب آلات ودبابات ، وزحفوا الى
بلد عكا بجمعهم . ووقدوا بجمهرهم . واخذوا فيه نقوبا . وحكموا في
الاسوار من الاسواء بضرب المجانيق ضروبا . والثغر الآن قد
اشرف . والعدو بخندقه محتجز . ولفرصة الغفلة عنه منتهز . ومن
جثوم الموت عليه في مجثمه محتزر . ولم يبق الا ان يتدارك الله الثغر
بلطفه . ويجريه على المعروف من عادة نصره وعرفه . والمجاهدون
فيه قد هانت عليهم المهج . ووضح لم في ثبات جنانهم المنهج . وفي كل
يوم يسدون بأشلاء الهاجمين الذلم . ويجلون عنهم بما يشبون من
نيران الظلم . والعدو قد لج . والحديد من قرع الحديد قد
ضج . والبلد مشف . والبلاء عليه موف . والمأمول من الله ان يأتي
من نصره بما ليس في الحساب وان يعيد ما جمع من امر الأصحاب
الى الأصحاب . ويكفي هذه الذوبة الصعبة فهو كافي الذوب
الصعب .

فصل في وصف عسكر عماد الدين

وصلت العساكر التي وفّت بعدتها المناجدة . ووافّت بعدتها المنى
جده . واقبلت اقبال الأساد في عرين الوشيح . وماجت موج البحار في
غير الزغف الذسيح . واستهلت استهلال الرواعد البوارق . وألت
بالعدا المام العوادي الطوارق . ولقد جاءت في وقتها منجدة من
جده . موجبة للانتقام من الكفر بكل موجه . واستظهر الاسلام
بظهورها . وسفرت وجوه النصر بسفورها . فأحجم الكفر
باقدامها . وانتظمت احداق المشركين في عقود سهامها . وخيمت
مضارب المضاء بمضارب خيامها . وفض بالقضاء ختام قتامها .
وما اشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغيائه . وابعث امداد الظفر
لاحتزاز نصل نصره وانبعائه .

فصل في الاستنفار

قد عرف ان العدو قد احتشد بجميع ملوكه . وغصت مسالكه
وطرق بطوارق سلوكه . وهو حديد الشوكه . شديد الشكه . قد لج في
حصر الثغر ونصب آلاته . وركب عليه منجنيقاته . ووالى الضروب
من الضرب . واخذ منه مواضع في الذقب . وقد اشفى على خطر
عظيم . وخطب جسيم . واذا لم يصل في هذا الوقت فمتى . ومن اتى
في غير الوقت المحتاج اليه فما أتى . وهذا اوان رفض التدواني .
ونهبوا المسلمين من الاقاصي والاداني . والوصول بكل ما يقدر
عليه من العسكر . والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم الاظهر والجد
الاوفر . وهذا يوم الحاجة واوان الضروره . والنهبوا بعسكره الى
نصرة عساكرنا المنصورة . فلا يجنح الى عذر فلا عذار اوقات ، ولا
يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه التفات .
وكيف يتأخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم . ويتقاعد عن هذا
المقام العظيم وهو عظيم .

ذكر خروج رسل الافرنج

كان قد خرج مذايام رسول ، وسأل ان يكون له الى السلطان وصول . فاجتمع واللكان العادل والافضل . وقالوا له لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل . وما كل مقصود عنيه يعرض . ليعلم في الاول هل هو مما يقبل او عنه يعرض . فأعلمهما الحال . وعرفهما ما سبب الارسال . فأحضراه بالنادي السلطاني فمثل بين يديه . وأوصل تحية ملك الانكتير اليه . وقال هو يؤثر بك الاجتماع . ولخطابك الاستماع . فان اعطيته امانا حرج اليك . وأورد مقصوده عليك . أو شئت كان الاجتماع به في المرج ، خاليتين من مقتضيات المرج . وكلاكما عن عسكريه مذهب رد . ولحديثه في الخلو مورد . فأجابه السلطان وقال لو اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وانا لا افهم بلسانه . ونحيل بالبيان على ترجماني وترجماته . فيكون ذلك الترجمان رسولا . فلعله يرد بسول ويصدر رسولا . فلمالح في الطلب . وألح في الأرب ، استقر ان يكون الحديث مع الملك العادل . وانقطع بعد ذلك زمانا فشاع عندنا ان ملوكهم منعه . ومن ركوب الخطر فزعوه . فأنفذ ملك الانكتير رسوله بعد ايام . يذكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه واحكام . وقال الامور مفوضة الي . وأنا أحكم ولا يحكم علي ، وانما تأخرت بسبب مرض عرض . فأفانني الغرض . ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاداه . وإن دامت بينهم الحرب والمعاده . وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تأذنون في حمله وقبوله . وأخذه من يد رسوله . فقال الملك العادل نقبل الهدية بشرط المجازاة . واستدامة المكافاة للموازاه . فقال عندنا بزة وجوارح . قد لقيتها في سفر البحر جوائح . وقد ضعفت فهي طلائع روازح ، ونريد طيرا ووجاجا (٥٤) تصلح لطعمها . فاذا استوت حملناها للهدية على رسمها . فقال العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج الى دجاج وفراريج ، ونحن نحمل له منها كل مااليه احتيج . فلا تجعل حاجة طعم البزة في طلبها حجة . واسلك غير

هذه المحجة محجة . واذفصل حديث الرسالة على قول الرسول هل لكم حديث . فقلنا انتم طالبونا لا نحن طلبناكم وما لنا معكم حديث قديم ولا حديث . ثم انقطع حديث الرسالة الى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند الملك في الرسالة مقدم . ومعه اسير مغربي مسلم . واحضره على سبيل الهدية واصل الى السلطان ماحمل من التحية . فشرفه بخلعته . واعتد له بهديته . ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلاثة . وما كانت رسالتهم تسفر عن مقصود بل فيها رثاثة وغثاثة . وهؤلاء طلبوا للملك فاكهة وثلجا . ولم يسلكوا في غير الحاجة نهجا . فاكرمهم السلطان بما سألوا . ووفر لهم فحملوا . وسألوا ان يتفرجوا في الاسواق . ففسح لهم فيه على الاطلاق .

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الافرنج من تكرير الرسائل تفتير العزمات وهم مشغولون بموالاة الرمي بالمنجنيات وتسوية المنصوبات وتعبية الالات . وتعديل العرادات وتثقيل الحجارات . حتى تحلحل السور وحان انهدامه . وتخلخل وبان انثلامه . وتزعزت اركانه . وتضعفت ابدانه . وكاد يهي ليهوى . ولا يقي ولا يقوى . كي يثوى . واهل المدينة قد كثر تعبهم لكثرة الذوب ولقلة العدد والحجر هاتك . والسهر ناهك . والعمل دائم . والخلال لازم . والقلوب قلقه . والظنون مخفقه . والمتاعب شاقه . والمشاق متعبه . والاحوال متصعبه . والاهوال مرهبه . وكانت في البلد المنجنيات تنصب . وتفيض بها قوى الرجال وتنصب . فلما اشتد الزحف . وزاد الضعف . احتاجوا الى رجال المنجنيق للمقاتلة . والتناوب على المنازل . وهناك ظهر ان العدد لا يقي ولا يفي . وان القليل لا يكف ولا يكفي . وان خروج من كان في البلد لاجل دخول البديل لم يكن صوابا . وان تقصير الذواب ابتداء في الاعطاء جلب في الانتهاء

اعطابا . ولما علم السلطان سابع جمادى الآخرة يوم الثلاثاء . بما عليه البلد من غلبة البلاء . زحف بعسكره ولج حتى ولج خنادقهم . وطرق اليهم بواباتهم . ونهب من خيامهم ماتطرف . واسرف في ارهاقهم بما اشرف . وحمل الملك العادل بنفسه مرارا . واجرى من الدم انهارا . واراهم بالنقع النهار ليلا وبالبیض الليل نهارا . وامسى السلطان تلك الليلة ساهدا لم يذوق طعاما . ولم يستطب مناما . ثم امر بدق الكوس سحرا حتى عادت العساكر الى الركوب والقساور الى الوثوب والفوارس الى الفرس والانداب الى الندوب . واعادت الى الطلوع غروبها بعد الغروب . بكل من يلقى الجيوش على الجيوش . ويرمي الوحوش على الوحوش . ويرعى الصدور بصدور الرواعف . ويشير بالامن عن مواقف المخاوف . وكل من للضرب في جبينه شامة . واللعن في جبينه علامة . على خيل كامثال القنا تحمل القنا . وضمر كالحنايا تهوي هوى السهام إلى الوغى :
في غداة صباحها في حداد

نسجتها ايدي المطهمة القب

وظلام يجلوه بريق اليمانية القضب . فجرى ذلك اليوم من القتال أشد مما كان امس . واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس . وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها ان العجز بلغ بهم الى غايته . وانتهى الضعف بهم الى نهايته . ولم يبق الا تسليم البلد إن لم تعملوا شيئا . ولم تنجحوا في الذب عنه سعيًا . فضقنا بهذا الكتاب ذرعا . وقلنا لاحول ولا قوة الا بالله لانملك لانفسنا ضرا ولا نذفعا . والسلطان من هذا في امر عظيم . وهم مقعد مقيم . وهو مجتهد في بذل وسعه . سائل من الله لطف صنعه . معاود الى الحرب في كل صباح . طائر الى اللقاء بجناح كل نجاح . وفي يوم الاربعاء . بعث العساكر على اللقاء . وبخل راجلنا الى خنادقهم وخالطوهم . وتقابضوا على بسيطة واحدة وباسطوهم . وذكر انه وقف في ثغرة من تلك الثغرات افرنجي . كأنه جنى مستشيط نجى . وهو يدافع ويمانع . ويكافح على تلك الثغرة ويقارع . قد اتخذ طارقه لجسمه صدفا . وصار لسهام المنية هدفا . وهو كانه مما نشب فيه الذشاب

القذف . وتلك السهام من لبس الحديد لاتنفذ فلم يزل واقفا الى ان احرقه بقارورة النفط زراق . فأمسى وهو حراق . ووقفت ايضا امرأة بقوس من الخشب ترمي . وتديم اصمائها وتدمي . فلم تزل تقاتل حتى قتلت . والى سقر انتقلت .

ذكر خروج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنسييس

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب . وعروه بكل نائب . وملا اصحابنا فيها لكثرة من استشهد وجرح . وقلة البذل الذي كان قد اقترح . ونقب العدو الباشورة حتى وقعت منها بدنه . وزادت المخافة فلم يبق معها امه . خرج المشطوب الى ملك الافرنسييس بامان . وحضر عنده بدرجمان . وقال له قد علمتم ماعاملناكم به عند اخذ بلادكم . من النزول عند طلب اهلها الامان على مرادكم وانا كنا نؤمنهم . ومن المسير الى مأمنهم نمكنهم . ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم . واذا فعلت هذا فقد حزت المغنم . فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدي . وانتم اليوم مماليك عبيدي . فأرى فيكم رأيي من وعدي ووعيدي . فقام المشطوب من عنده مغتاضا ولم يلبث لحظه ، وأغلظ له في القول عملا بقول الله تعالى (وليجدوا فيكم غلظه) (التوبة ١٢٣) . وقال نحن لا نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ، فيكون مصرعكم قبل مصرعنا ، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين . ومتى عرف ان الأسد يسلم العرين .

ذكر هرب جماعة من الأمراء والأجناد من البلد

ولما عرف رجوع المشطوب . ولم يظفر بالغرض المطلوب . قال جماعة من الامراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء ، هذا

الأمير الكبير ، والمستشار والمشير ، قد اشتغل باله . فسواه
ماباله . وعمروا بركوسا . ورأوا في هربهم رأيا مذكوسا وربحا في
دار البقاء مبخوسا . وذلك ليلة الخميس التاسع . وقربوا عليهم
الأمر الشاسع . وجاؤوا الى العسكر مختفين . ومن رفقائهم في
نسب الوفاء . والوفاق منتفين . فذمى الى السلطان الخبر بهرب
الجماعة . وانهم خرجوا لله وله عن الطاعة . وانهم جذبوا عن بذل
الاستطاعة . وخفضوا عنهم صيت الشجاعة . وأبدلوا الاضاعة
بالظلمة والحفظ بالاضاعة . وكان فيهم من الأمراء المعروفين .
وذوي الشهامة الموصوفين . عز الدين ارسل . وهو الذي كان المثل
بشهامته يرسل . وحسام الدين تمر تاش بن جاولي . وهو شاب أول
ما توفي والده وجاولي . وسنقر الوشاقى من الأسدية الأكابر .
ومقدمي العساكر . وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافره فقطع
السلطان اقطاعاتهم واقطعها وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة
بشاشة وجهه ومنعها . واستعاذ أرسل بالأسدية ثم بالملك الأفضل .
المفضل المؤمل . وتوسل ابن جاولي بالملك العادل . وكلهم توسل
بفضل الأجل الفاضل فلم تعد معيشتهم . ولم تعذب عيشتهم .
وعاليا ممقوتين . وبحدود ألسن الذم منحوتين . وبضعف القلب
وقوة الخور منعوتين . وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي
ذقيب الجاندارية الناصرية ومقدمها . فشفع فيه على انه يضمن على
نفسه العوبة ويتلزمها . فعاد في ليلته . واسقط عنه المذمة بأوبته .
ووقع بعد ذلك في الأسار . واستفكه السلطان بعد سنة بثمانمائة
دينار .

فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال

قد سبقت مكاتبتنا اليه بشرح الأحوال ، وما نحن عليه من رجاء
النصر الذي هو متعلق الآمال ، وأن ملوك الفرنج وجموعهم قد
وصلوا ، ونازلوا الثغر واحتفلوا . والآن فان منجنيقاتهم . هدته

بكثرة الضرب . وكثرت ظلم السور في مواضع النقب . وعظم الخطب . واشتدت الحرب واشفى البلد واشرف . واشتفى العدو بما فيه واسرف . ولما لج العدو في الزحف . واستسهل في التطرف الى البلد طريق الحتف . ركبنا في عسكرنا اليه . وهجمنا عليه لكنه بسوره وخندقه محتتم . والى مطمحه البعيد من أمره مرتتم . ولما عاين اصحابنا بالبلد ما عليه من الخطر . وانهم قد اشفوا على الفرر . فر من جماعة الأمراء من قل بالله وثوقه . وأعمى قلبه فجوره وفسوقه . ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم . وباءوا بدوبال غدرهم . وماقوى طمع العدو في البلد الا هربهم . وماأرهب قلوب الباقين من مقاتلته الا رهبهم . والمقيمون من اصحابنا الكرام . قد استحلوا مر الحمام . وأجمعوا أنهم لايسلمون حتى يقتلوا من الأعداء اضعاف أعدادهم . وأنهم يبذلون في صون ثغرهم غاية اجتهادهم . وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشترطوا ، فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا ايديهم في القوم وبسطوا . فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من النقب ، والله تعالى يسهل تدفيس ما هم فيه من الكروب . ونحن وان كنا للقوم مضايقين وبهم محذقين وعلى جموعهم من الجـوانب متفرقين ، فانهم يقاقلوننا من وراء جدار ، ويعلمون انهم ان خرجوا الينا في تبار ، والهجوم على جمعهم مستصعب ممتنع ، والعسكر على مركزهم متألف مجتمع ، والله قدر لايرد ، وقضاء لايصد ، وسر لايشارك في علمه ، وأمر لايفالب في حكمه ، وعلى الله قصد السبيل ، ونجح التأميل وتدقيق الطاقة في دفع الخطب الجليل ، وماتوفيقنا الا بالله وعليه توكلنا وهو نعم الوكيل .

ذكر ماجري من الحال

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس . وحمي الوطيس وتحرك بالضراغم الجيش واسود الجو . وانسد الضو ، وانقضت

القضب انقضاض الشهب . واشتبهت الدهم والكمث بالشقر
والشهب ، واختضبت البيض وتآلق من بوارقها الوميض ورقصت
قدود السر على غناء الصواهل . وحركت رياح السوابق ذوائب
الذوابل ، فللدروع من الضرب قعاقع ، ولعواصف الألوية
زعازع ، ولغربان الرماح نعيب ، ولغران المقربات لتقريب النصر
البعيد تقريب ، ولحريق الظبا معمه ، ولرحى الحرب الزبدون
جعجعة . واللاحقيات سابقة ولاحقة ، والسريجات راعدة
وبارقة ، وشموس الترائك على بدور الأتراك شارقة ، ونبال النبل
من عيون أعيان الكفر مارقة . وأيدي الأسنة هاتكة لحزن النحور
سارقة . وثعالب الأسل في لبة الأسد ضابحة . ونشاوى اللدان من
نجيع الأقران غابقة صابحة . في رايات يجاذبها ذراع الفلك فتقود
عقبانها العقبان . وصدفاح يصفحها شعاع الشمع فيكسو لجينها
العقيان . وتقدم السلطان الى الأمراء فترجلوا ونزلوا حين نزلوا .
وهجموا على الضراغم في أجامها . واحوجوها بحد الأقدام الى
أحجامها . ونصب صارم الدين قايمان النجمي علمه على سور
الفرنج بيده . ووقف عنده بجلاله . وجلده . ووصل في ذلك اليوم عز
الدين جوربيك ومعه من الذورية المماليك . فترجل وقاتل الليلة على
الخيـل تحت الحديد ، منتظرا لنجح الأمل البعيد فقد كنا تواعدنا مع
أهل البلد أنهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ، ويسرون
بأجمعهم على جانب البحر سري السيل ، ويذبون عن أنفسهم
بسيوفهم ، وينجون بأنفسهم وعز انوفهم ، ولوصح هذا
الموعد ، لنجح المقصد ، ولكن الفرنج اطلعوا على السر ، فاضطلعوا
بالشر ، وحرسوا الجوانب والأبواب ، وارتابوا بما أراب ، وكان
سبب علمهم اثنان من غلمان الهاربين ، خرجا الى
الملاعين ، وأخبراهم بجلية الحال ، وعزيمة الرجال ، وأصبح يوم
العسكر الجمعة العاشر ، وقد جمع من الخيل والرجل
المعاشر . واقفة على ترتيبه صفوفه . ومرهقة على عدوه أسنـته
وسيوفه . ودام ذلك اليوم على التعبية وقوفة . ولم يتحرك من القوم
ساكن . ولم يظهر من العدو كامن . بل خرج ثلاثة من الرسل
واجتمعوا بالملك العادل . فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من

أقسام الرسائل . وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط . ولأذى مقامه بمقامه مميّط . وبتنا على تلك الحالة . وأهل الهدى مراصدون لأهل الضلالة . واصبحنا يوم السبت وقد ركبت الأفرنجية وتدرعت . وتحزبت وتجمعت . وحتى ظننا أنهم على عزم اللقاء . فهاجت العزائم منا الى الهيجاء . وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستدعوا . واستدعوا ببعض المماليك الناصرية فلما عطف اليهم . عطفوا اليه وأخبروه . ان الخارج صاحب صيدا في اصحابه . وهو يستدعي نجيب الدين ابا محمد العدل لخطابه . وهذا العدل من أمناء السلطان . وقد اذس الفرنج به لترديه في الرسائل نحوهم في سالف الأزمان . فلما حضر أرسله الى السلطان . ليتحدث في خروج من بعكا بأنفسهم بحكم الأمان . وطلبوا في مقابلة ذلك ما لا يدخل تحت الامكان . وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط . فانفذ السلطان الملكين العادل والأفضل . ليفصلا المجل . ويجملا اذا حزا (٥٥) المفصل فتدرد العدل مرارا . ووجد منهم على الاضرار اصرارا . ولم تتحرر قاعة ولم تظهر فائدة . وانفصلوا على غير قرار . وعادوا والامر بغير إمرار .

ذكر جماعة من العسكرية وصلوا

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر ، وفي يوم الاربعاء بدر الدين أيوب بن كنان وقد حشد وحشر ، وفي يوم الخميس أسد الدين شيركوه وقد ابهج بقدمه العسكر ، وفي هذا التاريخ ضعف البلد . وعجز من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه . ووقف كرام اصحابنا وسددوا الثغر بصدورهم . وباشروا الاسنة المشرعة اليهم بنحورهم . وشرعوا في بناء سور يقطع جانبا . حتى ينقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا ،

ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة على البلد

وكانوا اشتطروا اعادة جميع البلد . واطلاق اساراهم من الأقياد . فبذل لهم تسليم عكا بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا . وبذل لهم في مقابلة كل شخص اسير . فلم يقبلوا وسمح لهم برد صليب الصليب اليهم فانفصلوا عن الامر ولم يفصلوا .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة . ماجت الفرنج ببذور جموعها الزاخرة وسالت الى ثغر البلد سيل الاتي الى القرار . وطلعت في السور المهدوم . طلوع الاوعال في فـرج الاوعار . وانحدر عليهم اصحابنا انحدار الصخور المدهمة ، وفرسوههم فرس الاساد المحرجة المكروهة . وردوهم اقبح رد ، وصدوهم افطع صد ، ومازالت الكرات تتناوب والحملات تتعاقب حتى كلت الرجال وفلت النصال وعرفوا ان الفرنج يستولون وعلى احد منهم لايبقون ، ولايخلون فخرج سيف الدين علي بن احمد المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذوا أمان الفرنج على أن يخرجوا بأموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتي الف دينار وألف دينار للمركيس وأربعة آلاف دينار لحجابه فلم نشعر الا بالرايات الفرنجية على عكا مركوزه ، وأعطاف أعلامهم مهزوزة ، وماعندنا علم بما جرت عليه الحال وماأحد منا الا والبال منه قد عراه الوبال ، وعم البلاء ، وتم القضاء وعز العزاء وقنط الرجاء ، ولوت أعناق المسار اللأواء ، ونسب السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره الى تقي الدين وماعن له في سفره ، فانه مضى على أن يعود بأضعاف عسكره فاشتغل بقصد خلاط وأثار في بيار بكر الاختباط ، والاختلال وتأخرت عساكرها عن القدوم فنتج تأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم ، وكذلك لم يكن في البلد عدد

يفي بصونه ، وماكان يضبطه السلطان الى هذه الغاية لو لم يكن الله في عونہ ، ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشـفر عم ، وأقام بخيمة لطيفة متلها على ماتم ، ثم انتقل سحرة ليلة الأحد تاسع عشر الشهر الى المخيم ، صابرا على حكم القضاء المبرم ، وحضرنا عنده وهو مفتـم ، وبالتدبير للمستقبل مهتم ، فعزيناہ وسليناہ ، وقلنا هذه بلدة مما فتحه الله وقد استعادها عداہ ، وقلت له ان ذهبـت مدينة فمما ذهب الدين ، ولاضعف في نصر الله اليقين ، وماوعكت بعكا القلوب ، الا ولكربها يوم النصر على الأعداء تـفيس ، ولو حشـتها بعد الحادثة الموحشة تأنيس ، ولهذا الدين وان تداعت قواعـد بقعة من بقاعة بالعز ليفاعه تأسيس ، وخرج في هذا اليوم أقوش ، رسولاً ندبه بهاء الدين قرا قوش يخبر ماقرروه من القطيعة ، ويصف كيفية المـمة الفظيعة ، وقال : ادركونا بنصف المال وجميع الأسارى وصليب الصليبوت قبل خروج الشهر ، وان تأخر شيء من ذلك بقينا تحت الأسر ، ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر ، فأحضر السلطان الأكابر وفـاوضهم في ذلك وشاور ، فقالوا اخواننا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون ، وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون ، فتقبل السلطان بتحصيله وتعجيله بجمـلته وتفصيله .

وأنشأت في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة
وسيرت بها كتباً

قد عرف أمر عكا وأن العدو قصدها ورصدها ونزلها ونازلها . وقابلها وقاتلها وبرك عليها بكلـكة . وحفل عندها بجـدفة . وتواصلت اليها جموعه أفواجا . وجلب البحر نحوها على أثـباجة أمثال أمواجه أمواجا . وجاءت رابضة أمامها . ضاربة خيامها . ملهبة بها غرامها . ملهبة فيها ضرامها وانتهت المدة الى عامين كل عام تحمل مدود البحر من أمـدادها بحارا . وبرد الماء

الرجوم مزينة . فاحدقت بالثغر من البر والبحر . واحاطت
بمركز الاسلام دائرة الكفر . وأطافت منها الأسوار بالأسوار .
والظلماء بالانوار . ومنعت الداخل والخارج . وسدت على ناقل
الميرة وحامل السلاح . الموالج والمناهج . وزاحفوه بكل منجيق
كنيق . وكل برج وثيق . وكل دبابة كأنها دابة الارض التي تقوم
عندها القيامة . وكل سلم لاترجي معه العلامة . وكل آلة الت إن
الفتح منها بالحدف . وأقسمت أنها تقسم سهام سهامها لذوي
الحفز بالزحف . هذا والعدو قد حفر من جانبنا وعمق . وسور
وخندق . وتدرع بأسواره وخنادقه . وتستتر عن طوارق البلاء
بستائره وطوارقه . فلا يخرج منه إلى معاركه . ولا يدخل إليه لضيق
مسالكه . وهو متحر متحرس . متستر متتـرس . عاص على
الهجم . عاص على العجم . لا يقتحم سده . ولا يذلم حده . ولم تنزل
الحالة تتمادى والواقعة وليدها لاينادى . والمدى يتطاول . والمدد
يتواصل . والقضية تترامى . والرمية تتقاضى . ومقاتلة الثغر
صابرون مصابرون . مكابرون مضابرون (٥٦) . فمن مستشهد
عدله الجرح . ومن مستنجد عطله القرح . ومن دام بالجرح رام
عنه . ومن نازع في القوس نازع منه ، ومن متعرض للموت خوف
عار عارض . ومن ناه عن السلم أمر بالحرب ناهض . ومن ندب
فيه ندوب . ومن ضرب فيه من أثر الضرب ضروب . حتى ضج
الحديد من قرع الحديد . ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد . هذا
وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص . وظل المصابرة يقلص . والعدم
يتمكن من الوجود . والقيام للانخان في زي القعود . وكاد البقاء
يودع الباقين . والمذون تلاقى الملاقين . فلم يشعروا إلا وبعض
المقدمين المشهورين قد تاخر وتستر . واستشعر الذعر فتعذر
وتحذر . واستبدل الجبن من الشجاعة . واستملى العجز من
الاستطاعة . وقدم العصيان على الطاعة . وظن إنه لانجاح له في
العزيمة . ولا نجاة له إلا في الهزيمة . وجنب أمثاله من الجبناء .
وجمع إلى أمره جماعة من الأمراء . فخرج بهم من الثغر فارا وذهب
على وجهه معهم مارا . ورهب فهرب . وحسب فتحسب . فأضعف
قلوب البقية استشعارا . وأعدمهم عدم قراره قرارا . لكنهم ثابوا

إلى صبرهم . وثبتوا على أمرهم . ودفعوا مكر العدو بمكرهم .
ومابرحوا على مصابرة ومكابرة . ومقارعة ومعاقرة . ومكافحة
وملافة . ومواقعة ومواقحة . ومطاحنة ومناطحة . وجلد على
الخنادق التي طمت . ورمي في خروقتها التراب ورمت . وطرقها
العدو بالسوء إلى السور . وطرق الظلمة إلى النور . وهجم على
السنني بالديجور . وكشف نقاب عروس البلد بالنقب . وأسعر
بمساعيره حر الحرب . حتى ثلم حمى الثغر وكلم حامية . وأشرفت
مراييه . وكثرت ندوب نقوبة . وكثرت خطاب خطوبه . وبخل العدو
بالسوء الى السور . وطرق الظلمة الى النور . وهجم على السنني
بالديجور . وكشف نقاب عروس البلد بالنقب . وأسعر بمساعيره
حر الحرب . حتى ثلم حمى الثغر وكلم حامية . واشرفت مراييه .
وكثرت ندوب نقوبه . وكثرت خطاب خطوبه . وبخل العدو في النقب
فلم يجد لكونه مجدلا او مجرحا او مخرجا . وتوغل في الباب فوجد
باب الخلاص المرتجى مرتجا . وكل من اصحابنا قد سد الثغرة
بنفسه ولقي الوحشة بأذسه . وفارق لوصال أهل الجنة أهله .
وأثبت في مستنقع الموت رجله . ولم يزل النقبابون يوسعون
ويمشون . ويعلقون ويحشون ويخرقون ويحرقون . ويجمعون
ويفرون . حتى تساقطت الأبدان فعادت تلولا . وتعادت الاسياف
فزادت قلولا ، وتكشفت الوجوه لقبل الطعان وبردت بحرارة الدم
قوائم اليمانية في الايمان . وبردت بمجالدة أجلاذ الشرك أيما
أنجاد الايمان وأصحابنا لايهولهم الهائل ولايميلهم الى الحذار
الجدار المائل . ولايزعهم الخطب الوازع ، ولايردعهم الرعب
الرادع . يواصلون بالقواطع ويتواقعون على الوقائع . ويردون
بغربهم الطالع ، ويقدون بدهم الدارع . اذا انتظموا مع العدو
نذروه . واذا نهضوا له اقعدوه وعثروه . واذا صعد اليهم حدره .
واذا بادر اليهم بدره وندروه . حتى أقاموا منه عوض أبدان السور
أبدانا . وكم تركوا على تلك المصارع من جاثمها جثمانا . ومازالوا
يقتلون ويقتلون . وينهلون من ورد النجيع وينهلون . ويصلون
ويقطعون . ويشعبون ويصدعون . ويكيلون بصاع المصاع .
ويجيبون للعمر الراحل داعي الوداع . ويتناجون بالأسنة المناصل .

ويتقابلون بوجوه الصواقل . ويتشاركون بكلام الكلام . ويتلاقون
بسلام السلام . ويتساقون بصحاف الصفايح . ويتماشون بمراح
الرماح . ويستحلون ضرب الضراب . ويسجلون صفحات الصفائح
من قراب الرقاب . الى أن انتقل القتال من السور الى الدور . ومن
الستائر الى الستور . ومن الطوارق الى الطرق والسطوح . ومن
المضايق الى السفاح . ومن المراقب الى السفوح حتى لم يبق من
المجاهدين الا سبائك زحوف . وتراذك حتوف . وبقايا طرائح .
ورذايا طلائح . ومشوق (٥٧) جرائح . ومشوق وضرائح . قد
فصلتهم المشرفيات . وخاطتهم الخطيات . ورشقتهم القسي
القاسية . ورشقتهم الظبا الضامية . ولاينهض قويعهم من الكلول
ولايفرى قريهم من الفلول . وقد شغلوا بسد تلك المضايق . ورد
أولئك الخلايق . فما شعروا الا وقد دخلت من أقطارها . وتوغلت
من اسوارها . وأزحمت العدو في مشارعها وسبلها . ودخل المدينة
على حين غفلة من أهلها . ولما عرف العدو الداخل . والعادي
الواغل . أن القوم مستقلون والموت مستقبلون . وأنه لا طاقة له
بمقاومتهم . ولا قوام له بطاقتهم . وأنهم لا يسلمون وهم يسلمون .
ولا يبقون وهم يبقون . اعطاهم أمانا أخطر من المخافة ودخل على
الاغارة باسم الضيافة ، وعز اصحابنا بما بذلوه من الوسع وما
هانوا . وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا . ولا مرد لما فيه الله من المراد . ولا مدفع لحكمه في البلاد
والعباد . وأن زهبت مدينة فلم يذهب الدين . وإن غاض معين فما
غاب المعين . وإن ارتاب المبتلون فما فارق الحق اليقين . وإن فتح
المرتج فما فات المرتجى . وإن أدلهم البيجور فلا بد أن يسفر عن
الصبح الدجى . ولا يشمت عدو بما جرى . فعند الصباح يحمد القوم
السرى .

فصل من كتاب الى قطب بن نور الدين بن قرا أرسلان

قد أحاط علم المجلس بما حشده الكفر في هذه السنة من مدد ملوكه . وكثر على نهار الاسلام باظلام ليل الكفر وحلوكه . فالاسلام يزدشد ظهيره . ويطلب الدين لكشف غمته من ابن نوره نوره . وهذه عكا التي كنا عنها ندافع . وعن ثغرها نمانع ونجري دماء الواردين في البحر لقصدها في بحرها . ونرد للرد عنها مكاييد العداة في نحرها . قد تمكن منها الكفر على كره من الاسلام . واجتاح من أبي اسلامها بعد أن صابر وصبر إلى الاسلام . وكانت مودودة فعادت مؤودة . وصارت مغصوبة بعد أن كانت عارية من الكفر مردودة . وإذا أفكر من خذلها . وما اخذلها . وغاب عنها وما حضرها . علم أنها أسيرة إهماله . وأخينة إغفاله . وحاشى أن يكون المجلس بالغبية عنا راضيا . وعن النجدة عند تحقق الحاجة اليها متغاضيا . وما بقي للفرنج مع استيلائها على الموضوع . الا زائد قوة في المطمح والمطمع . وقد عزمنا على المصاف وصد صدمة الكافر بالجد الكافي الكاف والله كافل بينه بالنصر . والمردى بمكره أهل المكر وما هذا اوان الوني . بل هو زمان استتجاج المنى . فان العدو الخادر قد أن أن يصحر . وليل الهدى قد قرب أن يسفر .

ومن رسالة أخرى في استدعاء مظفر الدين من إربل
تشتمل على حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها

قد علم مادهم المسلمون من العدو الكافر . والطاغية الحاشد الحاشر . وأنه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر . وماقصده الا بيضة الاسلام وحوزته وان الله تعالى هو الذي تكفل بذلة اعدائه عزته . ولا شك انه عرف ماتم منه على عكا بعد ذبنا عنها

في هاتين السنتين . والمضايقة للفرنج ممن بعكا ومنا بين .
الحصارين . وانهم كلما دبروا أمرا دمرناه . وكلما حققوا كيدا
ابطلناه . وكلما قدموا منجنيقا . اخبرناه وعطلناه . وكلما ركبوا
برجا أحرقناه . وكلما كشفوا حجابا خرقناه . وكلما اوقدوا نارا
للحرب أطفأها الله ، حتى لم يبق لمكرهم ولا لكيدهم مجال ، ولم
يتسوق في هذه المدة لهم حال ، وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين
ألف مقاتل ، من فارس وراجل . ولم نشك في استيعابهم
بالردي . وأن حزب الضلال قد أفناه حزب الهدى . وحسبنا انهم
بائدون . فاذا هم زائدون ، وظننا أنهم هالكون . فاذا هم في نهج
القتال سالكون . وهم حطب نار الحرب . وطعم الطعن
والضرب . وكم بذلوا ارواحهم على حب المقبرة . وحصلوا تحت
العجز لزعمهم انهم يأتون بما فوق المقدرة ، ولما دخلت هذه السنة
اشفقنا على من في عكا ، من الأصحاب والأجناد . وقلنا هؤلاء قد
بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد . ورأينا أن نجدد
للبلد البذل . وأن نسد ونسد بما نستأنفه الخلة والخلل ، وكان فيه
أكثر من عشرة آلاف رجل ، ومن كل زمر مشيخ وكمي بطل . فخرج
هؤلاء ولم يدخل اليه مثل تلك العدة ، ولم يكن ايضا من دخل بذلك
الجد بتلك الشدة . فان البحر قبل استكمالها منع راكمه . وحصى
جانبه . ووصل العدو وعجل مراكبه فاكتفى البلد بمن فيه وما فيه
كفاية واتكل على الله الذي عصمته من كل واقعة وقاية . وجاءت
ملوك الفرنج خلاف كل عام . في جد واعتزام وحد واهتمام . وجمع
لهم ونار تعجلها العدو من جهنمه وضرام وغرام بالواقعة
وعرام . واحتداد الحادثة واحتدام . وباس واقدام . وناس
واقوام . وحشد ملات به سفنها ، وأخلت منه مدتها . ووصل ملكا
افرنسيس واذكتير . وقد احكما التدبير . وأجلبا بخيلهما
ورجلهما . واناخا بكل كل كلهما . وبركا بثقلهما . وزحفا بجهدهما
وجهلهما . ووافوا بكل برج وثيق وكل منجنيق كنيق . وكل آلة
هائلة . ودبابة لبلايا حاملة . ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقا على
موضع واحد . واهبطوا حجارات السور بكل حجر
صاعد . وباشروا الباشورة بالهدم ، والخندق بالطم والسور بالنقب

والثلثم . وخرج من نقابي البلد من ارتد عن الدين . وأعان نقابي
الملاعين . حتى وقعت ابدان السور وأبراجه وتبادر الى الثلثم أعلام
الكفر وأعلاجه وأصحابنا مع ذلك ثابتون . ناكبون كابتون ، قد
سدوا تلك الثغر بذقوسهم . وجعلوا حجارات الفرنج وجراخاتها
مغافر رؤوسهم . وكشفوا وجوههم لقليل السهام . وتلفعوا من
وقع بيضها بحمر اللثام . ترشف شفاه الشفار دماءهم ، وتشكر
ملائكة السماء سماحهم بالمهج وكلما اجتمع به فرقوه بطعنهم
وضربهم ، وهم يواقعون ويواقعون . ويكافحون ويلافحون . وكل
قد وقف في موقف الكرام وسل نصله . وأثبت في مستنقع الموت
رجله . وودع للجنة في لقاء أهل النار أهله ، فخانهم بعض الأمراء
الجبنا . وأخذ للحياة بترك الحياء . وفر من البلاء الى
البلاء . وحسب النجاة في النجاء ، وهرب في بركوس قد اعده لذلك
اليوم . وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم ، واستصحب
أمثاله . واستتبع وأبعد في فراره وأبدع ، وأضعف بضعف قلبه
قلوب الباقيين ، وأمطى أفاعي الكفر في نهش الراقيين . على أن
الأصحاب ما أنذوا بالأصحاب . ولم يقابلوا الضراب
بالأضراب . وما زالوا يواصلون بالقواطع ، ولا يرتاعون
للروائح ، ولا يريمون مقام المقامع . ويطالبون من الأرواح
بالودائع . حتى اندقل القتال من السور الى الدور ومن القوارع الى
الشوارع . وبخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبيهة . وأمن
أخوف وأخطر من كريهة . وقطيعة فظيعة . كل منة لها غير
مستطبعة . ولولا ما اتفق بعد قضاء الله من الأسباب الموهنة . لم
تكن عكا بالمكنة للعدو ولا المذنة . وأن ذهب المدينة فالدين لم
يذهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب . وان ملكت واحتلت فما اختل
الملك . وأن سلكت ووهت فما وهى السلك ، وانما نبه الله بها
العزائم الراقدة . وأجرى مياه الهمم الراكدة . وبعث الحميات
الناعسة . وحرك النخوات المتنافسة . وكما أظهر عجزنا عن قدرته
وقدره . وسيظهر عزنا بنصرته وظفره . ونحن الى الآن كما كنا
محدقون بخنادقهم أخذون بمخازنهم . ونوسعهم الردى في مضايقتهم
ونجذبهم في كل يوم الى مصارعهم . ونكدر بعلق نجيعهم صفو

مشاربهم ومشارعهم ، فما خرج منهم من نخل . وما انقطع الا من
وصل . وما اصحر الا من ندبه عريسه وعزسه . وما برز الا من
واراه من بطون الخوامع رمسه ، فهم مقيمون لا يريمون
مخيمهم . ولا يرومون ان يهجروا مجثمهم ، وما أنسوا بمرايض
المضارب . الا لنفرتهم من مضارب القواضب ، وهم مع ذلك
يرجعون تارة بالخروج الى المصاف ، وأونة بالنهوض الى بعض
الاطراف . وفي كلا القصدين ان شاء الله دمارهم المعجل . وبوارهم
المؤمل . فانا نعترضهم اين واجهوا ونواجههم أين اعترضوا .
ونعثرهم اين نهضوا . ونثيرهم للموت أين ربضوا . وربما غرتهم
عكا فطمحوا وطمعوا . واتفقوا على المصاف واجتمعوا . ووقعوا
على نار الحرب وقوع الفراش . وتعوضوا مصارع امثالهم والثرى
لهم وثير الفراش . فان برز العدو فالمدون له بارزة . والعزائم له
مناجزة . والعساكر الاسلامية اليه وعليه زاحفة حافزة . والمجلس
اولى من يتنخي ويحتمي . والى هذا المرام من قهر الكفر يرتمي
وينتمي . ويصل بجمعه اللهم الملتهم . وبجمره المحتد . المحتدم .
وبفيلقه الفالق ترائك العدا . السافك السابك في نار الوغى سبادك
الظبا . الحاص الحاصد بحدود الشفار سنابل الطلى . وهو لا شك
ينهض ويستنهض من وراءه . ويستدعي من اذا ناداه اجابه وجاءه .

ذكر لطف من الله في حقي خفي

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكا بسنه عمل ترجمة تفرد
بها القاضي ابن قريش لمكاتبته الاصحاب . ليكتب بها اليهم ويعود
بها الجواب . فلم يبق المكاتبة ابتداء وجوابا بخطي . وخرج حكم
عكا في الكتابة عن شرطي . فقلت لاصحابي ما صرف الله قلومي عن
عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعود . وان النحوس تحلها وتدخل
عنها السعود . واستعازني الله من استعادتها . وردها الى شقاوتها
بعد سعادتها . ولقد عصم الله قلومي وكلامي . وعرف شيم مخايل
الطافه من شيمي . وهذا قلم جمعت به اشتات العلوم مدة عمري .

وما أجراه الله إلا باجري . فالحمد لله الذي صانه . وعظم شأنه .
وما ضيع أحسانه . وهو للفقه والفتيا . ومصالح الدين في الدنيا .
وما عرف إلا بعرف . فما صرف إلا عن صرف . وما سفارته إلا في
نجاح . وما سفاره إلا عن صبح وماتجارته إلا لربح فهو يمين الدولة
وأمينها . ومعين الملة بل معينها . بمداده يستمد أمدادها . وبسداده
للتغور سداده . ودواته دواء المعضلات . وبعقده حل المشكلات .
وبخطه حط عوادي الخطوب . وبقطعة قط عوادي القطوب . وببريه
برء الأمراض . وبجريه جري الجياد للجهاد . وبسعيه سعي
الأمجاد للأنجاد . وبحركته سكون الدهماء . وببركته ركون
الرجاء . فما كان الله ليضيعه في صون مالا يصونه . وعون من
لا يعينه . فخفت على عكا من وقوف قلبي عنها . وكان قد ألهمني
الله فانه صانه ولم يصننها . وشكرت الله على هذه الطيفة .
والعارفة الطريفة .

ذكر ماجرت عليه الحال بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع

وفي يوم الخميس أنسلخ جمادى الآخرة . خرج الفرنج من جانب
البحر بالعدة الوافرة . وانتشروا بالمرج إلى الآبار التي كان حفرها
العسكر . فحضر الكؤوس السلطاني . فثار المعشر وقام المحشر
وانهض السلطان إلى اليزك من قواه . واتبعه بمدد تلاه . وقد طار
غراب الغبار . وتبرقعت بالتراب عراب المضمار . وشبت الوغى بكل
شبوب تمانع سوى فارسها ركابها . وتغير الشمس من نسج
حافرها نقابها . في غلب كالقواضب يروون القواصب . وطوالع من
الغروب يعدن في الغوارب غوارب . وحمل على أبطال الباطل حماة
الحق . فردوا الكفر بذلك الخرق المتسع متسع الخرق . وانهزم
الفرنج فجالت العرب دونهم . وحالت بينهم وبين أسوارهم وأحالت
عليهم مذونهم . وصرعوا زهاء خمسين رجلا . كروا عليهم بكاسات

المنون نهلا وعللا . وردوهم الى مراكزهم ولم يبن لقادرهم فضل
على عاجزهم . ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمة . كادت
تحدث هزيمة . فوقف اصحابنا وثبتوا ثم وثبوا . واسمعوا نار
الحديد والهيب-----وا . ونظم-----وهم
بالقنا . ونذروهم بالظبا . وفرشوا منهم قتلى على الربا . واحتبت
سيوفهم بالاعناق والطللى . وحلت من حياة العدا الحبا . وبخل
القوم الى خنادقهم ووقفوا وراء اسوارهم بإثارة عثيرهم وأثار
عثارهم . وانتصف الاسلام في ذلك اليوم بعض الانتصاف . واخذ
يد النصر على المصافاة بمصافحة المصاف . وفي يوم الجمعة ثامن
رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة . لخلاص الجماعة
المستأجرة . واخبروا أن ملك افرنسيس صار الى صور ورتب
الدوك نائبه وولاه الأمور . وأنه قد عزم على العود الى بلاده . بعد
ما جرى الامر بعكا على مراده . وأنه وكل المركيس في قبض نصيبه
ورضى بتدبيره وترتيبه . فانهض اليه السلطان وراه رسولا
بتحف تليق به . يستخرج ضمائرهما فيما هو من اربه . ونقل خيمته
يوم السبت العاشر الى تل بازاء شقر عم وراء التل الذي كان عليه
نازلا . وحلى الموضع الذي حله وخلق الذي اخلاه عاطلا . ومازالت
الرسل تتردد . والرسالات تتجدد ، والاراء تجتمع وتتبدد . حتى
احضر مائة الف دينار والاسارى المطلوبين وصابليب الصلבות .
ليوصل ذلك كله الى الافرنج في الاجل المضروب والوقت
الموقوت . ووقع الخلاف في كيفية التسليم والتسلم . وكيف يحصل
الوثوق بالكفار مع تحمل هذا المغرم . فقال السلطان اسلمه اليكم
على ان تطلقوا اصحابنا اجمعين . وتأخذوا بباقي المال على سبيل
الرهن قوما معينين . فابوا الا اخذ الجميع . في الزمان السريع .
والوثوق بأمانهم وامانتهم . والتفويض في اصحابنا الى خيرتهم .
فقلنا لهم تضمضكم الداوية فما دخلوا في الضمان . وساء فيهم ظن
السلطان . وقال اذا سلم اليهم من غير شرط الاحتياط عليهم . كان
فيه على الاسلام غبن عظيم . وعار الى الابد مقيم . فلو أيقنا
خلاص اصحابنا . وعرفنا بنجاتهم انتظام اسباتنا . سمحنا لهم في
الحال ، بصابليب الصلבות والاسارى والمال . وبقي الامر واقفا الى

ان انقضى الاجل . وانتهى الترم الاول . وجاء الرسل وابصروا
الاسارى حضورا . والمال موزونا موفورا . وظنوا ان صليب
الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة فليس له وجود . فسألوا
احضاره وهم شهود . فلما احضر خروا له ساجدين . واقروا به
شاهدين . وعرفوا ان الشرط بالوفاء مقرون . وان الاداء بخلاص
اسارانا مرهون . وظهرت علامات مكرهم . ولاحت امارات
غدرهم . وفي يوم الاربعاء العشرين من رجب اخرج الفرنج الى
ظاهر المرج خياما ضربوها . وقبابا نصبوها . وخرج ملك الانكتير
الى خيمته . ومعه خلق من خياله ورجاله .

ذكر غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس رجب ركبت الفرنجية بأسرها
وخرجت من مستقرها وسارت بخيلها ورجلها . وجدها وحملها .
وجاءت الى المرج الذي بين تل العياضية وتل كيسان . ونفذ اليك
وأخبر السلطان . وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقة .
وشامت صوارم صادقة وعزائم صادقة . وكان الملاعين قد احضروا
اسارى المسلمين . وفي الحبال واقفين . وحملوا عليهم وقتلواهم
بأجمعهم . والقوهم على مصرعهم . فحمل عليهم العساكر
وهاجمهم . وضرب بأمواجه امواجهم . وقتل منهم خلقا . وأوسع
فيهم خرقا . واستشهد منا كردي حميدي وبدوي . وكلاهما من
الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روي . فلما
انصرف العدو الى خيامه ، وركد الروع بخار قتامة . شوهده
المستشهدون بالعراء عريا . وانما عروا ليكتسوا من حلال الجنان
التي اكرمهم الله بها وشيا . ومضى الناس اليهم فعرفوا معارفهم .
ووصفوا في سبيل الله موافقهم . وما اكرمهم رجالا . واحسنهم في
الشهادة والسعادة حالا . ولما غدر الفرنج بسفك الدماء . وهتك ستر
الوفاء . تصرف السلطان في ذلك المال . وبسط فيه يد الفوال .
واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى اربابها . وترجع الى

ايدي اصحابها . فانهم كاذوا جمعوا من اهل البلد الحاجة اليهم .
فلما استغني عنهم ردوا عليهم صليب الصليبوت الى الخزانة . لا
للاعزاز بل للاهانة . فان غيظ الكفار بحفظنا للصليب شديد .
والمصاب به عندهم على مر الجيدين جديد . وقد بذل فيه الروم ثم
الكرج بذولا . واندفوا بعد رسول رسولا . فما وجدوا قبولا
ولا صادفوا سولا .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها
وعبرت النهر . وقاربت البحر . وضربت بينهما الخيام . واثبتت من
الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الأجسام . فقبل للسلطان .
ماحركة القوم الا لقصد عسقلان . فجاشت همومه وعب عبايه .
 واجتمع بنايه لاجالة قداح الرأي أصحابه . وسح سحابه وصح
حسابه . وحكم فأحكم . ويرى فايرم . واستشار وأشار . واستثار
وأثار . واستورى زناد الاراء . وامترى مراد الامراء . وقال هذا
العدو طغى واستكبر . واصحى له الافق وافاق واصحر . وقد تحرك
بعد سكونه . وظهر بعد سكونه . وظهر بعد كيمونه . وغرته عكا فطمع
في عسقلان . واسترق جانبا الخشن الشديد عليه واستلان . وهذه
جموعه بارزة . وكعوبه راكزة . وعوراته بايه . وثوراته عايه .
ونكراته معروفة . وغدراته موصوفة . وكنا نقول اذا برز نبارزه .
واذا خرج نناجزه . واذا فارق مكانه نتمكن من تفريقه . واذا ركب
الطريق نركب الى طريقه . واذا توجه الى موضع اوضعنا الى
مواجهته . واغرينا ألسنة الاسنة بمشافهته ومسافهته . والان الان
الله لنا الشديد . وادنى علينا البعيد . واخرج العدو من الضيق الى
السعة . وابرز من وراء الاسوار والخنادق الممتنعة . وان لم نلقه في
طريق مسيره . ونجد في التدبير لتدميره . وصل الى عسقلان فصار
لنا منها شغل عكا واصعب . وحينئذ نتعب . وصعدنا بها لايشعب .
فقالوا هو يسير بالبحر محتميا . وعن النهج منتبيا . ويقصد
الساحل الساحل . ويقتصر المراحل . والذي يلي الساحل في الطريق
اما اجام وغياض غلقه متا شبه واما رمال وتلال ضيقه متكثبه .
وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق . ومواقعه

بالعوائق . فتقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر . وامير
من اهل الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج . ومشاهدة مالها من
المخارج والموالج . وكشف المواضع التي يلقى فيها العدو . ويؤمل
بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو . فسارا ينقضان تلك المسالك
ويكشفان الاماكن التي تكون معارك . وتتخذها لمبار المرام مبارك .
ولمدار المراد مدارك . وعادا وقد ظفرا بقاع وبقاع وعينا على اماكن
ومكان . ومواطىء ومواطن . ووقع الاجماع على الاجماع على
اللقاء والقراع . في مذاهب تعينت . ومسارب تبينت . وسهول
عرفت . ومروت وصفت . وصمم العزم على ان الفرنج اذا ساروا
سرنا على عراضهم واستقمنا على جدد الجدد في اعترائهم
واعتراضهم .

ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا لاقاهم

وفي سحرة الاحد غرة شعبان . اضرم الفرنج في منازلهم النيران .
واصبحو على الرحيل . والاصوات مختلطة بالصهيل . والارض
مضطربة والسماء محتجة . والقباب تقوض . والعياب تندفص .
والجباب تتدل . والهضاب تنتقل والذئاب تعسل . والزغف
تفاض ، (٥٨) والحتف يخاض . والخيول تسرح . والسيل يمرج .
وذوائب الذوابل تنتشر . وانبات الذوائب تكشر . ولواء اللاواء
يعقد . وضرام الضراء يوقد . والبيارق تختفق . والبوارق تسألق .
والدودو . والجوجو . والحديد تبوج . واللعيد تموج . وقد ثارت
الجواء . وفارت الجأواء . ودجت الاضواء . ورجت الضوضاء .
وسال الوادي . وعدت العوادي . وسار الاعادي . وعلم السلطان
تدبيرهم . وعرف مسيرهم . فرعدت كوساته . وغردت بوقاته .
وصاحت طبوله . وساحت سيوله . وانسحبت نيوله . واصططحت
خيوله . وبرقت لوامعه . واشرفت طوالعه . ومضت عزائمه .
ومضت صوارمه . وحلقت العقبان الى مطار مطارده . وتألفت
الخرسان في معاقل معاقده . وسار وارضه جردا الضوامر . وسماؤه

نسج الحوافر . في بحار سوابح يموج على شكائهما اللعاب .
وغدران سوابغ كالزلازل لمعه الحباب . ومجر ملتهب الجوانب .
مشتعل القواضب . وقب معقودة السبائب . مقودة الجنائب .
معصوبة الهوادي هابيه العصائب . وعرب ملوية العمائم بالشهب
ملوثة البرود بالقضب . وترك كالأقمار في هالات التروك . وممالك
في حالات الملوك . عناق الوجوه على الوجيهايات العتاق قد خلقوا
للثبات مع قلق الاخلاق . واعاجم على العراب . هضاب على
هضاب . وكرد بحصون الدروع محتمين . وبقباب اليلب
مستعصمين . في مسرودة الحلق . مسدودة الصدق . تقهقر عنها
اللاهزم . وتقهقره اذا قلت بها الصوارم . وجيش يصيب العدو
ولا يصاب . ويعيب الاقران ولا يعاب . من كل ناصر للحق على ضامر
للسبق . خارق للذقع راقع للخرق . فاتق رائق الافتق . معنق الى
الضرب ضارب للعنق . وفيلق همه فلق الهام . وجدف ملتهم
للجدف اللهام يحوي كل اغلب عبل الذراع . واشم رجب الباع .
خواض الكتاب . فياض القواضب . رواض الرعان . نضناض
الستان . موار العنان . فوار الجنان . قائد الخيل زائد السيل .

رائد الليل وهاجت العساكر وماجت الزواجر . فزرات القساور .
وأزهرت الزواهر . وتناوحت جذبات الحديد . وعذبات الحرير .
وأشبه سهك الماذي بعبيق العبير وكانت ذوبة اليزك في ذلك اليوم للملك
الافضل وهو في نخبة الجدف بدور ليل لقسطل . وشموس يوم
المحفل . فوقف لهم وقفاً أثرهم وألهبهم بنيران النصال .
وأسعرهم . وقطع طريقهم . وقصد تفريقهم . وسطاً على
أوساطهم ، ونادى بايراء زناد إيراطهم فأنقطعت أواخرهم عن
أوائلهم وسدد سهام المنون إلى مقاتلهم وأرهق إليهم الأجل .
وأحرق عليهم العجل . وطرق نحوهم الوجل . وانهزم من تقدم
ولحق الأول . وتعكس من تأخر وانخذل وانخل ، وأوقد ناراً على
أهلها مشعلة . وترك تلك الوقعة للمجاهدين الحاضرين مشغله .
ونفذ الى والده يستنجد . حتى يسرع اليه مدده . ويقول ان امددت
بألف ما أبقيت من هؤلاء واحداً . ومتى تتدفق مثل هذه الفرصة لو ارى لي

مساعدًا . وترددت إلى السلطان رسل استنجاده واستمداده . وهو متحقق أنه لو ساعده القدر بالقدرة لمرى در النصر على مراده . فسار من كان حاضرا من العسكر على عزم انجاده واسعاده . ثم قيل للسلطان ما كنا ركبنا بنية المصاف في هذه المرحلة . والناس قد سبقوا إلى المنزلة . وهناك عند قيسارية الحرب امكن . والقلب إلى انهاز الفرصة أسكن . وأبطأوا عن الاصراخ . فأنزح روح الفرنج بالافراخ . وعرف ملك الانكثير بما تم على ساقته . وان الذي وراءه في عاقته قصر فعانته وصرف عناده . وعاد عابيا بحماته . فحمى بمدده امداده .

والملك الأفضل قد بذل وسعه . وأوضح في الجد بشرعه . وقتل من وص-----لت إليه يده ولقد كان يضعف عدد الأعداء لو تضاعف عدده . وبقي يتلطف على ما فاتته من الفرصة . واعوزه في حصة تلك الحصاة . فقد انهاض بانتهاضة جناح الكفر . وكان يفتح لارتجائه رتاج النجاح في النصر . ومن جملة من كان مع الملك الأفضل من خواص الأمراء والممالك . سيف الدين يازكوج وعزالدين جريك . واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر . وتبدد نظمه وتبتر . وانه لو اتصل بهم مدد . لم يبق من الأعداء أحد . ونزلنا تلك الليلة بالقيمون في الوقت الميمون . وعلى الساقة المنصورة لحفظ الأثقال لتؤمن على ما تخلف فيها من العدو والغارة . علم الدين سليمان وحسام الدين بشاره . ورحلنا يوم الاثنين ثاني شعبان ونزلنا بقرية يقال لها الصباغين وبتنا بمنزلة يقال لها عيون الاساود . وامر السلطان للمشورة بحضور أوليائه وأمرائه . الأماجد الأجود . والفرنج لما وصلوا إلى حيفا وقد وصل إليهم الحيف . وساق ساقهم السيف . وخلصوا من نواجذ النصال . وانياب النبال . اقاموا بها حتى يندمل جريحهم . ويستريح طليحهم . وتهب بعد الركود ريحهم . وركب السلطان إلى الملاحه وهي بعد حيفا منزلة القوم . وكشف ما حولها بالدوم . وعرف هل عليهم منها مدخل . وهل يصاب منهم فيها مقتل . ثم عاد إلى منزلته واقام بها يوم الثلاثاء . وسير الأثقال إلى مجدل ياباليلة

الاربعاء . واصبح راحلا . فما حل حياه بارض الا احيا ماحلا .
ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية . وعسكره قد طبق ذلك
البرية . وكان العدو قد تحول الى الملاحة . ومكث بها للاستراحة .
واقام السلطان بتلك الناحية يجول من رابية الى رابية . ويرهف
للقاء الفرنج بحضه وحته كل عزيمة نابية . واتى مرارا بأسارى
خطفوا من موافقهم وقطفوا من منابتهم ، وطرق الانكدار الى ثواقب
ثوابتهم . فامر باراقة دمهم . واطاحة رممهم . واخبره بعض
الاسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى وطرح منهم
وجرح كثير ، سوى من اخذ فهو الآن اسير . وهلك بين عكا
وحيفا اربعمائة فرس . ونجوا منكم بانفسهم على اخر نفس . ولو
انكم كبستم كسبتم . واعريتموهم من الحياة لو انكم بهم التبستم .

فصل من كتاب الى مظفر الدين

بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه الغاية
لاستدعائه

ولما فرغ العدو من شغل عكا حسب ان كل بيضاء شحمه . وان كل
سوداء فحمة . فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه . باحثا عن
حذفه بظلافه . زاعما انه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه في قصده
وزعمه . وهو حاصل منا على صده ورغمه . وكان رحيلهم مستهل
شعبان ومك انكثير قائدهم الى البوار . ووافد اهل النار الى
النار . ولقيناهم من بواترنا بواتر التبار . وقد رحلنا في عراضهم
لاعتراضهم . وتعثيرهم في طريق انتهاضهم . ولقوا يوم رحيلهم من
اليزكية الزكية كل نكاية فيهم شديدة . وكل روعة لهم مبيدة . فانهم
قطعوا ساقه العدو عن اللاحق بمقدمته . وفلوا عن الحدة في الحركة
حد عزمته . وقتلوا خيلا وخيالة . وفوارس ورجاله . وقدروا
وتمكذوا . وجرحوا فائخذوا . ونهبوا وسلبوا واخذوا رؤوسا
قطعوها . ووقدوا نفوسا قلعوها . وغنموا أقمشة وأسلحة .

وحصروا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحة • ونزلوا على نهر حيفا
وقد تم عليهم الحيف • وتحكم في قلوبهم السيف . فأقاموا إلى هذه
الغاية لداواة جريحهم ومواراة طريحهم • وإراحة طليحهم •
وإثارة ماركد من ريحهم • وقد رحلنا وسبقناهم الى طريقهم •
عازمين على تبديدهم وتفريقهم • وتشتيتهم أيدي سبا وتمزيقهم •
فقد تمكنت بتأييد الله أيدي الأيد من سبيهم وقتلهم ، والله يجمع
شمطنا لتفريق شملهم ، وما يجده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة •
ولأعدائنا من عبطة • الا ونبادر ببشراه الى المجلس لتدوى في
نصرتنا عزيمته ، وتشيم بارق التوفيق في مواقنا شيمته وتروض
مواحل الامال مع اوان الديمة الربيعية ييمته ، ويغلو في سوق رواجه
من اللين ماظن أنه رخصت قيمته . وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بثار
الاسلام وقد سببت من عكا كريمته ، واذا تأمل عرف أن الخطب
عظيم وما لدفعه الا العظيم ، والهم مقيم وما لرفعه الا بأسه المقعد
المقيم وسيقتضي بين هذا اللين الغريم الزعيم .

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان ، جاء من اخبر برحيل الفرنج
السلطان ، وأنهم سائرون ثائرون وعلى اجنحة الجرد طائرون
وحول رجالهم بخيلهم دائرون . وهم في جمع لهام . وقد انقسموا
ثلاثة أقسام كل قسم راجله بخيله محفوظ . وبأعين القسمين
الاخرين من خلفه وقدامه ملحوظ . وكان السلطان تقدم من الليل
بركوب الخيل . فركب في كل خواض للغمرات . فياض بالعزمات ،
رواض للجامحات نهاض بالجانحات ملتئم مع اللثم بالنقع والدجى ،
ملتحف لولا الروع بالحلم والحجا ، مقتحم في حومة الوغى مضطرم
بجمرة الظبا ، على نزائع يذقلن الردى على صهواتها وصواهل
يقذفن الحمام من لهواتها . ويكشفن الظلام بجهاتها . وبارين
الصفاح بصفحاتها . وتعاسل الرماح باعناقها وطلاتها ، وفيهم من
رجال الحلقة المنصورة كل سابق الى المنون على سابق ، وكل تائق

إلى المازق مازق • وكل طائر في الغبار على سابح • وكل غابق
بالنجيع صابح ، في عراب متمطية بالعراب ، ورقاق متخطيه إلى
الرقاب ، وسار العدو وسرنا نبريه ونباريه ، ونجتري عليه
ونجاريه . والجاليشيه ترمي وتدمي • وتصمم وتصمي ، وطيور
السهام تقصد من الاحداق اوكارها • والأتار تنشد بالارنان
اوتارها • وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ • واشتك
الذشاب فيهم فاشبهوا قنافذ . وكانت هناك بركة كبيرة . ومياهاها
غزيرة . وهم على عزم ورودها . والاحاطة بحدودها . فحللناهم
عنها . وأبعدناهم منها . وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا الى
الفضاء . فيدخلوا من تمكنا منهم تحت القضاء . لكنهم ارتابوا
وارتاعوا . وطلبوا النزول بها فما استطاعوا . فانحرفوا الى
الساحل . وانصرفوا بالفارس والراجل . واجتمعوا سارين .
وساروا مجتمعين . ومازلنا نلزمهم ونهزمهم ونحفزهم ونحزهم .
حتى تمت مرحلتهم . وعمت مقلتهم . وتذلمت الصفاق . وتحطمت
الرماح . واجرت الأنهار الجراح . وجرى بالأرواح السماح .
وحضر السلطان مع الجاليشيه . ناجح الارادة نافذ المشية ، ونزلوا
على نهر يقال له نهر القصب . وقد انصبوا الى النصب ، وما كانوا
يرجون . وما كادوا ينجون . ولما نزلت بهم في مسيرهم النوازل
نزلوا . وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انعزلوا .

مقتل اياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم الهمام المقدام . الاسد الضرغام ، الطاعن
الضارب . الباسل السالب . الفضنفر الهرماس . الفارس
الفراس . اياز الطويل وطالما عرض نفسه في سوق الشهادة ، وا قدم
اقدام الساعي إلى السعادة . وكان الى الصريخ اسمع متنصت .
ولعطاس الذقع اسرع مشمت . والى ضيف الحمام اسبق متلفت .
ولسيف الاقدام ارشق مصلت . لا يروعة الروع اذا حفزته عزمته .
ولا يهولة الهول اذ همت به همته . وهو اول من يركب وآخر من ينزل

ويدبر سواه وهو يقبل . ويسابق الى المضار ولا يهمل . وهو ابدا
يدعو الى المبارزة . ويعدو على المناجزة . ويقف بين الصافين على
صافنه . ويرحل على مطايا الحنايا من بنات كنائه الى مقاتل
المقاتلين ظعائن ضفائنه . فما برز اليه الا من برزت اليه مذونه .
وفاضت بالدم من عيونه عيونه . فكم كف للكفر كفها . وبكر للنصر
زفها . وانف للشرك جدعه . وذي انف للفتك صرعه . ولبه للفضفر
ضبحت لثعالب رماحه . وطلية للمتقشمر طنت فيها انيه صافحه .
واجفان للاقران نبتت فيها اهداب سهامه ، ووجوه للشجعان
تفصلت في حساب حسامه . فلما جاءه الاجل ما اجل . ولكن الى
الجنة به عجل . فان حصانه خانه وما صانه فعثر به في حالة
الاقدام . وجلا قمره في هالة الحمام . ولم يخف لنقل الحديد للقيام
وطعن وضرب واتاه من الكوثر سلسيله فشرب ، ولما أدركه
الأصحاب أفوه ، وقد فات ، ورافق في عليين الأحياء في سبيل الله
لا الأموات ، ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة ، شبيدي
الشوكة حبيدي الشكة ، ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في
أوله ، وهو الذي نزل العدو في أسفله ، وتقاربت ما بيننا تلك الليلة
المسافة ، وعننا الأمن وعند العدو المخافة ، ولما أصبح السلطان
يوم الثلاثاء مكث على الثبات والهدو ، ينتظر ما يكون من خبر
العدو ، وأقام الفرنج على حالهم ، لتعبهم وكلالهم ، ولأسباب منها
جراحاتهم ، عدموا منها منهاج راحتهم ، وكذلك ممالكهم من رعب
الهلاك ، والابتراك في ارتباك .

وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقاة اليك ، مستيقظا للحفظ
والدرك ، فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين ، كبوا بغير عدة
مسترسلين ، ولأخبار عسكرنا مستشرفين . وهم مما تم عليهم غير
متخوفين . فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر عليهم في لقائهم
فقتل منهم عدة ، ولقوا منه شدة ، واسر ثلاثة ، قبل ان ينالوا

اغاثة ، ثم ركب الفرنج اليه . وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة . جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة . واحضر الاسارى عند السلطان . بحزام الذل والهوان . فأخبروا أنه جرح بالامس منهم الف . وسرى فيهم وهم وضعف ، وقد جرى عليهم أمر عظيم ، وبلاء مقعد مقيم ، ورحلنا وقت الظهر وعبرنا شعراء ارسوف في الطريق الوعر ، ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب ، على قرية يقال لها بيرا الراهب ، ومضى السلطان جريدة الى قرب ارسوف واطال هناك الوقوف ، حتى رأى أرضا في طريق العدو تصلح للقاءه ، والاحداق به من أمامه وورائه وأقام يوم الأربعاء في ذلك المنزل ، والعدو في منزله الاول

ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكثير

كان في اليك علم الدين سليمان بن جندر ، قد ظهر فيه واستظهر ، وراسله العدو على أن يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به ، وينزل على أربه ويعرب عن مطلبه فاجتمعا ، يوم الخميس ، على التأسيس ثم تحدثا في الحوادث ، وعوادي الحروب العوائث ، وان السلم متعينة والسلام فيها متبينة ، والمصالحة مصلحة ، والفائدة مترجحة ، قال وما جئنا الا لاصراخ اهل الساحل ، فوقعنا في الشغل الشاغل . فان اصلحتهم واصطلحتهم . استرحنا واسترحتم ، فقال له الملك العادل : مالذي فيه تحاور وله تحاول ، فقال رد البلاد برد البلاء ، وسلوك مسالك الاسعاف والاسعاد ، فقال العادل : هذا لامطمع فيه ، وهذا رسم باطل حقنا معفيه ، ودون حدود البلاد حدود الحداد ، وخلط الاقتام وخرط القتلاد وصرف عنان صرف العناء الى المتصرفين بالعناد ، وأدركه حكم الحمية والحفيظة ، وغلى مرجل غيرته في الكلمات الكالمات الغليظة ، وكان الترجمان بينهما هذري بن هذري ، فلما سمع ملك الانكثير ماراعه ، ما استطاع سماعه ، وثار ثورة المحنق المحرق ، وآل اجتماعهما الى التفرق .

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك
الطاغية ، وأنه مصر على ذلك المباغي الباغية ، جمع يوم الجمعة
وقت الاصبح الاصحاب ، واستحضر من أسد غابة من
غاب ، وأمر برحيل الأثقال ، وأقام في رعيال الرجال ، وركب في
عجم انجاب وعرب على عراب ، وكرد على جرد ، وكل سابق ورد
على سابق ورد ، على خيل من سماتها آثار الطعن ، وعلى جبهاتها
أنوار اليمن ، بأكباد غلاظ على العدا ، ورقاق حداد على الطلى .
ونبال مصمية لبان المصمم . ورماح لدتها ضغم الضيغم المعلم .
فأقام العدو بسواد قومه بياض يومه ، وبات وقد فارق جفنيه غرارا
نصله ونومه ، فلما اسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ، ركب
العدو على صوب ارسوف وقد ضم الرجال والفرسان ، وهو سائر
في ليل حالك ، وسيل سالك ، وخيل عالك ، وحزب الشيطان .
وحرب الايمان ، واصحاب الجحيم ، واقطاب الضلال
النهيم ، وخطاب الخطوب ، وانداب الندوب ، وكفــــــــــــة
الكفاح ، وصفاة الصفا ، وأجناس الكفار ، وانجاس الداوية
وأرجاس الاسبتار ، وكل غيران غير وان ، وأفعوان معتقل
أفعوان ، وكل ارقم في جلد ارقم ، وكل ازرق اشقر على
أدهم ، فأحدثت به أحلاف عساكرنا احداق النار بالحلفاء ، ونقلت
بذسور ضـــــــــــــور وامرها الأرض الى الســـــــــــــماء ، وخاضت
الغمرات ، وأفاضت الجمرات ، وأفاظت المهجات ، وشبت نيران
الهنديات ، وأهبت رياح العربيات ، وألهبت شعل اليمانية . وألهت
بها مقل الفرنجية ، وجمال عليهم في الجاليش . التترك على
الاكاديش ، وأحدثت سهامها كالأهداب بالأحداق ، وبرزت بيضها
لمعانقة الأعناق ، ولمع شرار النصال في بخان العجاج ، وخرقت
بنات الحنايا الخرق حجاب الحجاج ، وافضى ينابيع النبع الى
اعجال الاعلاج ، فإن الفرنج اغذوا في سيرهم وجدوا ، واحتدموا
وامتدوا وقربت منهم الاصلاب ، واختلط بهم الاصحاب وتعانقت

الرفاق والرقاب ، وأخرج القوم وتقطعت بهم الأسباب ، وقربوا من
أرسوف ، وقد لاقوا منا الحتوف والخسوف ، وضاق
خناقهم ، وحاق بهم أرهاقهم ، ونشبت الجاليشية فيهم
بالذئاب ، وشبت نيران المرفقة في أولئك الأوشاب ، فاحتملوا في
جلودهم الجرح ، ومن أجلدهم الطرح ، ووجدوا الموت الغالي
مسترخصا ، وايقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا ، وعرفوا أن
البلايا عليهم متصلة غير منفصلة ، وأن قواهم لما فوق ما لقوه من
الذكاية غير محتمة ، فحملوا على الأطلاب المنصورة حملة واحدة
زحزحتها عن مواضعها ، وكادت تحلثها شوارع القنطاريات عن
مشارعها ، لكنها تحيزت الى القلب المنصور ، وفازت من وجوه
النصر بالصفور ، واستشهد في تلك الفورة الثائرة ، والثورة
الفائرة ، سعداء استقبلوا بالأسنة الأسنة ، وأجابوا دعوة الله بأن
لهم الجنة ، فما صرعوا حتى صرعوا ، ولما اشرعت اليهم الرماح
اشرعوا ، ثم كرت عليهم نخب الرجاء كرهلة اريدتهم
وردتهم ، وصددتهم عن الاستئذان في جدد تلك الحملة
وصدتهم ، وفرست منهم فوارس ، واتعست معاطس ، وفرشت
بالعراء لهم أشلاء ، واتخذوهم طعانا ورماء . فنزلوا في أرسوف
وقد كسروا وخسروا . وقتل قوم منهم وأسروا . وفي ذلك اليوم ثبت
على صدمة القوم الملك العادل سيف الدين . وحمل في أصحابه أسد
العرين وسدد الى نحورهم الشوارع وقلع منهم قلائع . وثبت
عسكر الموصل . وكذلك قايمان النجفي في موضعه الأول ، وكانت
العساكر في شعراء أشبه ، وشجاء منتشبة ، فلما رأى العدو
اندفاع المسلمين قدامهم ، لم يأمن رجعتهم وإقدامهم ، فعاد وعبر
أرسوف ونزل قريبا من الماء ، وبات السلطان تلك الليلة على نهر
العوجاء ، وأقام العدو يوم الأحد في موضعه ، منكوبا بتعب
تبعه ، ثم رحل يوم الاثنين سائرا الى يافا ، ليستدرك بها ورطه
ويتلافى ، ونازلتهم العساكر بالدوازل الى أن نزلوا وقطعوا طرقاتهم
حتى وصلوا .

فصل من كتاب السلطان الى الديوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من
عكا

وسلكوا في مواضع مالىذك عليهم فيها سبيل. ولا لقдах القراع في
مجالها مجيل، وعساكرنا تضايقهم في كل مضيق، وتطرقهم بالبلاء بل
المنيا في كل طريق، وهم على البحر لا يفارقونه، ومن المورد الى
المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه، فان المياه قريب بعضها من بعض
ومسيرهم بمقدار مسافة ما بين المنهين، واذا لزوا لم يبعدوا بين
المنزلتين، وكانت لنا الى هذه الغاية معهم في كل بقعه وقعه، وفي
كل مرحلة مقتله، وفي كل منزلة منازلهم، وأوردناهم الردى في كل
مورد، وقصدناهم بالشدائد في كل مقصد. وسلبنا حماهم للحمام
في كل سبيل، وسار صبايحهم منا في كل مغدي ومقيل، وطريقهم
على البحر كلها مضايق وأجم ورمال، ومواضع لا يتسع فيها مجال
ولا يتهيا قتال، وكلما وجدنا فسحة ضايقناهم، وأرهفنا حدود
العزائم والصوارم وأرهقناهم، وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر
فيها يبور. ودائرة السوء على اهله بنا تدير، وماء اهل النار
بفيض بأسنا عليهم يغور، ولولا ان الله تعالى قد اخر موعده في
نصر اوليائه، وقهر اعدائه، لوقع الفراغ من شغلهم، وشملت
نعمته لنا بتبديد شملهم، فمنها يوم رحيلهم عن عكا ارهقتهم
اليزكية الزكية، ونكأت فيها منهم الرمية بل المنية، وكان الولد
الافضل يومئذ متولى اليزك. فتولى اسعار لهب المعترك. ووقف لهم في
المضيق على الطريق. وباشر جمعهم بالتفريق. وقطع آخرهم عن
اولهم. وعاق الساقية عن الوصول الى منزلهم وبتر وبتك، وفتك
وهتك، وقتل وسفك، وطلب وأدرك، وعبر الفرنج نهر حيفا لما
دهمهم من الأمر، واحتتموا بالمنزل الوعر، ووصل عساكرنا وقد
تمنعوا بالنزول. وتجمعوا في الوعر عن السهول. ولم يبق اليهم

نهج للوصول ، وأقام الفرنج في تلك المنزلة اياما ، وقد نالت معاطسهم ارغاما ، حتى استجدوا عددا ، واستنجدوا مددا ، واستجدوا ممن وراءهم عددا ، وأحسوا كمو التدبير ، واستأنفوا المسير ، ومنها يوم انفصلهم عن قيسارية ، بارتهم الرماة وبرتهم بالمبرية ، وأنفذت اليهم رسل المنية ، وقتلت منهم مقتلة جيدة ، ولن تزل السهام الى مقاتلهم مصوبة مسده ، الى ان احتسوا بالنزول وحلوا عقد ذلك البلية عنهم بالحلول ، وقد قتلت من خيلهم عدة الف رأس ، لم ينفصل ركبها الا وهو من ثوب النجيع كاس ، ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة المناهل ، والمسافات غير متباعدة المنازل ، فاذا لزوا بالمنازلة ، ارتزوا الى المنزلة ، ولادوا وهم اهل النار بالماء ، وقادهم العجز عن الاحتمال الى الاحتماء ، ثم استقلوا منتصف شعبان سائرين على البحر بعادتهم . وعابيهم شاكين في منتهتهم ممتنعين بشوكتهم وشكيتهم . والخيول تجري بهم جريان السيل ، والراجل يلتف عليهم في مثل سواد الليل ، والعساكر الاسلامية جائلة في عراضهم ، مائلة الى اعتراضهم ، موفقة في مرامها ، موفقة لسهامها محرقة اهل الجحيم بضرامها ، ولما نشب فيهم الذباب واعجزهم وازعجهم وأخرجهم بكثرة الزكايه فيهم وأرهجهم ، كابروا وصابروا الى أن وصلوا ارسوف ، وقد شارفوا الخوف وقاربوا الحتوف ، فحملوا بحملتهم حملة واحدة ، وجاءوا كالسحاب بارقة وراعدة ، واندفعت الاطلاب الاسلامية امامها ، ولم تثبت قدامها ، حتى ابعدها بحملتهم في جملتهم ، وتفردوا بحركتهم في معركتهم ، وظنوها السلطان هزيمة ، وبانت بالعاقبة انها كانت عزيمة . فإن القلب المنصور ثبت فئة للمتحيز ، وموثلا للمتفرز المتحرز ، ووقف الأخ العادل ثابتا قلبه ، ثابتا طلبه ، وكر عليهم في حربه ذوي الحمية ، والاذف والابية ، والهمم العلية ، كرة ردتهم واردتهم ، وصدفتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم ، فاستدركت ما فرط في الذوبية من الذبوة ، واستمسكت بما استأنفته في العزمه من القوة ، وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا ، وعاد تنظيم هامهم بالعراء نثيرا .

ونزلوا بارسوف ، راغمي الأنوف . قد فل جندهم ، وقتل
كندهم ، وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين ، كان مطاع
أولئك الملاعين ، وابليس تلك الشياطين ، والمعروف بسير
جاك ، واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك ، وتحت حكمه عدة
كثيرة من القوامص والبارونية ، ونفذ امره على الداوية
والاستبارية ، وكان من عظم شأنه ، وفخامة مكانه أنه يوم صرع
قاتل دونه جماعة من المقدمين المحذمين فما قتل حتى قتلوا ، ولا
بذل روحه حتى بذلوا ، وجزع ملك الانكثير لمصره ، وفزع من
ورود مشرعه ، ونزلت العساكر الاسلامية على الماء وهو بعيد من
مخيم الكفار ، وخيمت عليه بحكم الاضطرار ، ثم رحلوا وقصدهم
العسكر فصادفهم بقرب يافا ، وكل منهم استدرك بقصده اياها تلافه
وتلافي ، فحال دونهم لقدح مذونهم مجيلا ، ومن جمعهم بقمعهم
مديلا ، وعلى قومهم بوقمهم محيلا ، حتى باسطهم في
مياينها ، وخالطهم في بساتينها ورابطهم بالاسود في
عرينها ، وأسرى الحين الى سراحينها ، فما وصلوا المدينة الا وقد
تخطفوا من حولها ، واستولى الرعب على قلوبهم من بأس الحرب
وهولها ، وخافوا من فريضة مسألة الزكاة وعولها ، وما صدقوا
كيف نجوا وأفلتوا ، وسكنوا فيها بنية الاستيطان وتثبتوا ، وعلموا
انهم ان خرجوا اخرجوا وان سلكوا هلكوا ، وزعموا انهم اذا
صبروا ملكوا .

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل
بالرملة ، واجتمعت الاثقال كلها به في تلك الرحلة ، ورحل ليلا
واصبح على يبنى ، وجاوزها الى نهرا مران الخيام به
تبنى ، وزرنا قبر ابي هريرة رضوان الله عليه ، وتبادر الناس
للتيمن به اليه ، ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر ، وشرع
فيما عزم عليه من الامر .

ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة احضر عنده اخاه العادل واكبر الأمراء ، وشاور في عسقلان ذوي الآراء ، فأشار علم الدين سليمان بن جندر بخرابها ، للعجز عن حفظها على ما بها ، ووافقه الجماعة ، وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعة ، فان هذه يا فا وقد نزلوا ولا تفي الحال بحماية البلبين ، فإن كل واحد منهما يحتاج في حفظه الى عشرين الف مقاتل ، والى الاستكثار لأجل نخائره ، ممن كل حاصل ، فانظر الى اصوب الرايين فقدمه ، وابصر اخطر الداعين فاحسمه ، واعمد الى اشرف الموضعين فحصنه واحكمه ، وتيقن ان عسقلان اذا وصلوا اليها هي سالمة تسلموها ، واستظهروا بها واحكموها ، وثقوا بها على سواها ، وبلغوا من بغيتهم وبغيهم الى منتهاها ، واقتضت الآراء ، اقامة الملك العادل بقرب يا فا مع عشرة من الأمراء ، حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم ، ومن قصده على عزم ، ووصل السلطان الى عسقلان ، وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، ولو حفظت لكان حفظها متيقنا ، وصونها ممكنا ، لكن وجد كل له متجنباً متجنباً . وقد راعتهم زوبة عكا وحفظها ثلاث سنين . وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين ، وقال من تعلل واعتذر عن دخولها . وحل عقد عزمه عن حلولها ، تدخلها انت أو احد اولادك ، فندخلها اتباعاً لمرادك ، فحينئذ لم يجد بدا من نقض اسوارها ، وغض انوارها ، وقض سوارها ، وتعفية آثارها ، ولو كان وقع الاعتناء بابتنائها ، مذيوم فتحها واقتنائها ، لما تطرق الى ايدها خلل ، ولا الى يدها شلل ، ولا الى حدها قلل ، ولا الى ودها ملك ، وقد كنت ركبت اليها وطفتها واستحسنها واستلطفها ، ورأيت سورها قبل فصرم سوارها . ونورها قبل نيول نواره ، فمما رأيت احسن منها ولا احصن . ولا احكم من مكانها ولا امكن . وسكانها كانوا في رفاهية . فانتقلوا منها على كراهية . وباعوا انفس الاعلاق

بابخس الاثمان . وفجعوا بالاطار والاطان . وساعت اسواؤها .
ونأت انواؤها . واناخت لاواؤها . وباخت اضواؤها . وسمع غناء
المعاول في مغانها المعولة . ورئيت دائرة الزلزال في دورها المتزلزلة .
وناخت تلك الدواحي . ومسحتها المساحي . وجرفتها المجارف .
واخافتها المخاوف . ونكرتها المعارف . وبهرجتها الصيارف .
ونعته الدواعب . ونابتها الذوائب . ونزلتها الذوازال . وغالته
الغوائل . وسفته السوافي . وعفته العوافي . وخلت مدارس اياتها
من التلاوة . وتخلت مجالس مكرماتها عن الطلاوة . وصوحت
مجاني مبانها . وطوحت معاني مغانها . ودجت معالي معاليها .
وعادت مقايي مقاريها . ووقفت على طولها واستوقفت . وأسيت
عليها واسفت . وتلهبت وتلهفت . وشاهدتها وقد حسرت وحفيت .
ومحي سنا محاسنها وخفيت . وبكيت تلك الربوع . وأهديت
لسقيها الدموع . فلقد اصاب الاسلام بعروسها . وعبست الوجوه
لعبوسها . حين ثار نقع بوسها . فلما خلت مساكنها من سكانها .
وتخلف بالبيوت رماد نيراتها . رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني
شهر رمضان ونزل على يبنى . بعد ان ترك سور عسقلان وقد تعذر
ان يبنى . ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرمله . وتفضيل جميله
باد على التفصيل والجملة . وامر بتخريب حصنها وتخريب لد .
وبذل كل في ذلك الجهد . وركب جريدة الى البيت المقدس واتاه يوم
الخميس . واعاد اليه رسم التانيس . وخرج منه يوم الاثنين ثامن
شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبة . وقد نال بما رتبته من
مصالح القدس المثوبة . وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوه . وقد
اكمل من كل مارامه حظوه . وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان
وصل صاحب ملطية معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان . ملتجئاً
من اخيه وابيه الى السلطان . فتلقيه الملك العادل . وجاءت منه
الفواضل . واقام في الخدمة السلطانية مدة . واستجد بها جدة .
وقوة وشدة . واستظهر بالمصاهرة . وقوي منها بالمصاهرة . فانه
تزوج بابنة العادل . وعاد بتاريخ مستهل ذي القعدة ناجح الوسائل .

وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكتير في خياله متذكرا .
ليكون لحشاشة لهم وخطابة مخفرا . فخرج عليه الكمين . ونشب به
اللعين . وجرى قتال عظيم . وكان لاصحابنا موقف كريم . وكاد
الملك يؤخذ ويوقد . والطعن في لبته ينفذ . ففداه فارس من اصحابه
بنفسه . وشغل طاعته بما عليه من حسن لبسه . فاشتغل به
واسره . واقلت اللعين وأخفى أثره . وقتل واسر من خياله
جماعه . وانهزموا من امر تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعه ،
وجرت ايضا يوم الجمعة ثاني عشر الشهر . حرب بين اليزكية وبين
اهل الكفر . سفرت لنا بها وجوه النصر . وقتل مقدم لهم معروف
بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل
على تل عال عند النطرون . وهي قلعة منيعة معجبة للظنون
والعيون . فأمر بهدمها وهدمها . وقل غربها وثلماها . واشاع بها
الاقامة . وافاض فيها على العسكر الكرم والكرامه . وتمكن الناس
هناك من الاحتياط على الاثقال . وانفاذ الجمال لنقل الازواد
والغلال .

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح

قد نهك العسكر طول البيكار . وانضاه قتال الكفار بالليل
والنهار . لاسيما في هذه السنين الاربع . فانه لم يعرج فيها عن
مباشرة الحروب ومغامرة الكروب على مصيف ولا مريع . ولا شتا
ولا صاف . الا حيث صف العدو وصاف . وقد تكررت عليه
الزحوف . وتعثرت به الحتوف وتفللت منه السيوف . وتحلحلت به
الصفوف . وتمخضت باحاده الالوف . وتمحضت لجني بيضه
وسمره من ورق الحديد الاخضر القطوف . حتى سئم ومل . وضجر
وكل . وكم عقد عزمه وحل . وانهل نصله من دم الكفار وعل . وامل
النصر فقال عسى ولعل . واما خيوله فقد اجهدها الجهاد . وانضاه
الطراد . وفري جلودها الجلال . وعزت منها لكثرة الجراح الجياد .

واعادت شهبها كمتا حدود البيض الحداد . وحيث داخلها الرعب من خروج الجروح للجروح . وتفريق السهام منها بين الجسم والروح . صارت تذفر من رنة الحنيه . وأنة المبرية . كأن عندها للاوتار اوتارا . ولطائرات النصال في لباتها اوكارا . أو كأنها لما رأت أنها تباريها في المطار . وتجاريها في المضمار . ثارت لادراك الثار . وهذا سبب ماحدث من النفار . وماعدت الان تدخل على راجل الكفار . واما العدد فقد فقدت بالكلية وعدمت . وتكسرت وتحطمت . وتقصفت وتقصمت . وقتلت قبل المقاتل بها وفي يد من استشهد استشهدت . واما الذشاب فانه قد فني . بعد ان اتخد من اخشابه جميع ماوجد واقتني . وقد عدمت اشجاره في منابتها . واعوزت اخشابه من مناحتها . ونفضت الكتائن . وانفضت منه ومن كل ماينخر الخزائن . وماتبرج الصناع في الممالك بمصر والشام . ومايجري معها من بلاد الاسلام . يبرون ويريشون . وينصلون ويعملون . ويكلمون ويحملون . واحتيج في هذه السنين التي استمر فيها القتال . الى احوال كثيرة لايفي بها الصناع ولايرفعها العمال . وحسبها ان نصولها اعدمت من حبيدها المعانين . وخلت من نخائرها الاماكن . هذا والخادم قائم باداء هذا الفرض وحده . مسترهف في قطع دابر المشركين غرب عزمه وحده . ومااستمر على مساعدته . وموازرتة ومعاقده . الا صاحب الموصل وسنجار . وكلاهما عن سنن الاسعاف والاسعاد ماجار . فهو يحضر تاره بذفسه وأونة بولده . ويستمر من جد الموازنة على جده . ويواظب بعده وعده . ومده في مطاولة مده .

ذكر ماتجدد ملك الانكثير من المراسلة والرغبة في المواصلة

وصلت رسل ملك الانكثير الى العادل بالمصافحة على المصافاه . والمواتاة في المواقاه . وموالاة الاستمرار على الموالاة . والاخذ بالمهاداة . والترك للمعاداة . والمظاهرة . بالمصاهرة . وتردبت

الرسل اياما . وقصد التثاما . وكادت تحدث انتظاما . واستقر
تزوج الملك العادل باخت ملك الانكثير . وان يعول عليها من
الجانبين في التدبير . على ان يحكم الملك العادل في البلاد . ويجري
فيها الامر على السداد . وتكون الامراة في القدس مقيمة مع زوجها
وشمسها من قبوله في اوجها . ويرضي العادل مقدمي الفرنج
والداوية والاسبتار ببعض القرى . ولا يمكنهم من الحصون التي في
الذرا . ولا يقيم معها في القدس الا قسيسون ورهبان . ولهم منا
امان واحسان . واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد .
وجماعة من الامراء من اهل الرأي والسداد . وهم علم الدين
سليمان بن جندر وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام
الدين بشارة وقال لنا: تمضون الى السلطان . وتخبرونه عن هذا
الشأن . وتسالونه ان يحكمني في هذه البلاد . وانا ابذل فيها ما في
وسع الاجتهاد . فلما جئنا الى السلطان عرف الصواب . وما اخر
الجواب . وشهدنا عليه بالرضا . وحسبنا انه كمال الغرض
وانقضى . وذلك يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد الرسول الى
ملك الانكثير لفصل امر الوصلة . وراحة الجملة . وازاحة العلة .
واعتقدنا ان هذا امر قد تم . ونشر انضم . وصلاح عم وصلاح
أزم . وحكم مضى . واستحكم به الرضا . وان الانثى تميل الى
الذكر . وتزيل وساوس الفكر . وان بركوب الفحل . النزول عن
النحل . وان الشكر يجلب الشكر . ويبذل بالعرف الذكر . وان
الوقاع يؤمن من الوقائع . وان القراع ينقضي بانقضاض القارح
القارع . وان الحرب بكسر الحاء وحذف الراء سلم . وان غرم
العرس في العسر يسر وغنم . وان هذا الاخ لتلك الاخت كفو . وان
هذا العقد للخرق المتسع رفو . وان الكدر يعقبه صفو . وان التزويج
ترويج . وتقويم لما فيه تعويج . وشاع الذكر . وضاع الذشر . وذاع
السر . وبلغ الخبر الى مقدميهم ورؤوسهم . فقصوه على
قسوسهم . وعسروا على عروسهم . فجهوها بالعذل والذع .
ونجهوها بالقذع والقذع . وقالوا لها كيف تفجئتنا بافجع ملم مؤلم .
وتسلمين بضعك لمباضعة مسلم . فان تنصر تبصر . وان تسرع فما
تعسر . وان ابي ابيناه . وان اتى اتيناه . وان خالف خالفناه . وان

حالف حالقناه . وأي وجه ههنا للائتلاف . ونحن لاختلاف الدين
ندين بالخلاف . فرهبت بعد مارغبت . وبطلت بعد ماطلبت . وسالت
بعد ما سألت . ونزت بعد مانزلت . وكرهت وكانت شرهت . وكانت
اكتحلت فودت انها مرهت ، فأرسلت الى الرسول واقبلت عليه
القبول . ثم تصلبت في القسم بالصليب . انها مجيبة الى التقرير
والتقريب . وانها مسارعة الى التكمين . لكن بشرط الموافقة في
الدين . فانذف العادل وعدل عن استئناف الحديث . وأبى الله ان يجمع
بين الطيب والخبيث . واعتذر الملك بامتناع اخته ، وانه في معالجتها
وتعرف رضاها في وقته . وكان قد استقر مع تمام العهد . وانتظام
العقد . مفاداة كل اسير بأسير . كبير بكبير . وصغير بصغير . وبشر
اولياء الطاغوت بصليب الصلבות فبطل التدبير . وعطل التقدير .
وذلك ثاني يوم العيد .

وفي يوم العيد الثلاثاء اعد السلطان من الليل خلع الاكابر حتى
سارت اليهم بكره . واحداث بحسن احتبائه لكل عين وقلب قرة
ومسرة . ثم استدعاهم الى سماطه . ونشر لهم بساط نشاطه .
وجلس الملك معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان عن يمينه واعزه
بتقريبه وتمكينه . ويلييه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل .
ولسمو منزلته بذو المنزل . وعلاء الدين ابن اتابك الموصل عن
يساره . وهو يؤثره باختصاصه ويخصه بايثاره . ومجاهد الدين
يرنقش مقدم عسكر سنجار جالس . والاكابر كلهم هناك في منزلته
منافس . ثم تفرق الناس بانس جامع . وعرف شائع . وعرف
ضائع .

ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو
ومواقفته له في كل يوم .

تواتر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج . وانهم على الاجتماع في
تلك المروج . فسار يوم الاثنين سابع شوال . وقد اركب العسكر

للقتال . فلما بلغ قبلي كنيسة الرمله . جميل الحال حالي الجملة .
خيم وبات . ونوى البيات والوثبات . وجاء الخبر في غد . بانه خرج
العدو الى يازور في اوفر مدد ، وتسارع العسكر اليهم . وتكاثروا
عليهم . وقربوا من خيامهم . وأخذوا عليهم من ورائهم وامامهم .
وناشبوههم بالذشاب . وكاثروهم بالأوباش والأوشاب . فركب
الفرنج اليهم ركبة . أوجبت رهبة . وحملوا على الناس حملة
واحدة . وحلت عجاجة عليهم عاقدة . فاندفعوا بين ايديهم .
فادركوا ضعافا طمعوا فيهم ، وفقد من المسلمين ثلاثة بالشهادة .
وكانت مساعاتهم الى السعاعة . وكذلك في كل يوم ركب السلطان
مايخلو من وقعه . ولا بد للكفار فيها من صرعه .

ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الاربعاء سادس شوال امر السلطان رجال الحلقة
المنصورة . بان يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة . فكمذوا
وامذوا وصبروا وانتظروا . وخرجت الفرنج للاحتشاش . وباشروا
عثار انحصارهم في الاصحار بالانتعاش . ولقيتهم اعراب على
عراب . بصوارم في ايماهم كانها بروق في سحب . فركبت اليها من
الخيام . ورحبت في ترحيب صدورها بصدور الحمام ، فاندفعت
العرب امامها . وحققت انهزامها . وما قدرت على قصدموضع
الكمين . لانسداد الطريق بالاساد الشم العرانيين دون العرين .
فمرت العرب في جانب والكمين في جانب . والخيل تركض بسالب من
سالب وناهب من ناهب . ونجا العرب . وفاتهم الطلب . وحضروا
باسارى ونهاب . واقراس واسلاب . فاما اصحابنا في الكمين فانهم
ابصروا الفرنج ناهضين وفي المعترك راكضين . فخرجوا على ظن
انهم على قصدهم . فلما بصروا بهم نشبوا بردهم عن ودهم .
وركضوا اليهم على بعد . فاتعبوا الخيل بما جدوا فيه من احضار
وشد . ووصلوا الى الفرنج والجياد قد رزحت ، والقوى قد نزحت .

فاضطروا الى القتال وقاتلوا على الاضطرار . وقتلوا جماعة من
كافة الكفار ، واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص الكبار . وهم
اياز المهراني . وجاولي الغيدي . وصارو . وسروا في جنات النعيم بما
اليه صاروا . واسروا من الفرنج فارسبان معروفان واحضروا عند
السلطان وانفصلت الحرب وقت الظهر وعاد حزب الاسلام عن حزب
الكفر . وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه . والخييل تقاد اليه .
والأسارى يحضرون بين يديه . واخوه العادل عنده جالس .
وكلاهما لأخيه مؤانس .

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك
لأجل ملك الانكتير ثلاث خيام . واعد فيها كل ما يراد من فاكهة
وحلاوة وطعام . وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة .
ودامت المتافئة والمنافئة . ثم افترقا عن موافقه اظهراها ومصادقة
قراها . ومضى الملك واستصحب معه الكاتب العادلي المعروف
بالصنيعة ليتدفق الأسارى الذين بيافا . ويتدارك امرهم ويتلافى .
وكان قد وصل صاحب صيدا من صدور برسالة الماركيس . وانه يرغب
في سلوك نهج التأنيس . وان يكون للسلطان مصالحا . وله على
الطاعة مصافحا . حتى يقوى يده على ملك الانكتير . ويفرد هو
بالمك والتدبير . وعرف ملك الانكتير بالحال . فوصل رسوله ايضا
بالاحفاء بالسؤال . ومضى العدل مع صاحب صيدا . الى الماركيس
على شرائط قررت ونسخ ايمان حررت واما مراسلة الملك فلم تسفر
عن المقصود . ولم تجر من تلونه الا على المعهود وكلما ابرم عهدا
نقضه ونكثه . وكلما قوم امرا عكسه وعلته . وكلما قال قولا رجع
عنه . وكلما استودع سرا لم يصنه . وكلما قلنا يفي خان ، واذا
خلنا انه يزين شان ، وعن كل خزي ابان ، وفي يوم الاحد سابع
عشر عاد السلطان الى المخيم بالنطرون . وأقام على الثبات
والسكون وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قليج

ارسلان صاحب ملطيه مودعا وركب السلطان وسار معه
مشيعا ، وعقد له على ابنة الملك العادل بصادق مائة الف دينار .
ومضى وقد حصل على نخائر من استبشار واقتنار . واستبصار
واستنصار . ويسر ويسار .

ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة
ونزلوا بها . وخيموا في اقطارها وسهوبها . ولم نشك في انهم على
قصد القدس بأهل الرجز والرجس . وأقام السلطان وفي كل يوم له
سرايا ، للكفر منها زوايا ، ولنا في كل يوم وقعة شديدة وفتكة
بالكفر مبيده . وما يخلو يوم من اسرى تقاد . وغنائم تستفاد ، ثم
توالت الأمطار ، وتوعرت السهول ، وتوحدت الأوعار . فعزم على
الرحيل ، وأمر بالتحويل .

ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين ذي القعدة.

وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل . والنصر شامل وفضل
الله متواصل . ونحن معه سائرون . ومن بركة الجهاد الى بركة
القدس صائرون . والقاضي بهاء الدين بن شداد يسايرني . وفي
مسألة من الخلاف يباحثني ويناظرني حتى وصلنا الى القدس قبل
العصر . وقد نشر السلطان لواء النصر . ونزل بدار الاقساء
المجاورة لكنيسة قمامه . وذوى بها الاقامة . وشرع في تحصين
المدينة . لتحصيل السكينة . وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في
قبة الصخرة . وضجت الألسنة في الدعاء له بالنصرة .

وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجاء من
مصر ، بعسكر مجر . وتبعته بعد ذلك العساكر المصرية . ووصل
الخبر بنزول الفرنج بالنطرون . وأنن ذلك بتزاحم الافكار وتراجم

الظنون وتزايد السكون . وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة .
تم على العدو بها صرعه . فان السلطان نفذ تلك الليلة الى اليك
قريب بيت نوبه . عدة من الفرسان مجدة لم يستصبحوا الا حصنهم
المجذوبة . فوقعوا على سرية للفرنج فاستأصلوها . واسروها
وقتلوها . ووصلوا بزهاء خمسين اسيرا الى القدس . وعاد ذلك منا
ببرد القلب وطيب النفس . وكانت بشرى عظيمة . ونعى كريمه .
وحسنى عميمه . وكذلك سابق الدين صاحب شيرز . ومن معه من
العسكر واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم ستة واسر اربعة .
وترك بالمعركة منهم مصرعه . وكسب منهم خيلا . وكسبهم ويلا .

يوم عيد الأضحى بالقدس

كانت الوقفة بمكة يوم الجمعة في هذه السنة وتضاعفت الحسنة
على الحسننة غير ان العيد بالقدس كان يوم الأحد ، فلم ير ليلة
الخميس الهلال احد . ونصب السلطان خارج قبة الصخرة الخركاه
الخاص . وصلى الناس في القبة العيد حواليتها العراص ، ثم
انصرف السلطان وقد بر عمله . ودرامله ، ووفراجره . واسفر
فجره .

وقعة

في يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة أغار على طريق الفرنج
بالرملة سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر وكلاهما يجد في
الجهاد ولا يقصر . واخذا غنائم واموالا . وساقا خيلا وبغاللا .
وكسبا احمالا واثقالا . واسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين . ووقفوا
بين يدي السلطان على ركب الذل جاثنين . وتوالى على الفرنج
النهوض والنهوب وكسرت وكثرت منهم الكسوب . واستعرت فيهم
الحروب . وزادت الكروب وضاعت عليهم الارض . واستولى على

عقود عزائمهم النقص ، وأوا انهم قهروا فقهقروا ، واحاط بهم
البلاء من الجوانب فمما صبروا . ورحلوا الى الرملة
عائدين . وبالسّهول من الحزون عائدين ، فان الذلّوج دامت على
اولئك العلّوج . وصدتهم عن الدخول والخروج . ونزلت بهم الذوازل
في تلك المنازل ، فذفروا راحلين الى السواحل . وذلك يوم الخميس
الثامن والعشرين من ذي الحجة . فطابت قلوبنا بما وضع في النصر
من المحجة . وثبت الحق على الباطل من الحجة .

ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس وحفر خندقه وتجديد سورّه واعادة رونقه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين . وعدتهم
خمسون رجلا . اذا اجتمعوا قطعوا جبلا وقد سيرهم صاحب
الموصل الى القدس للعمل في الخندق وتعميق الحفر . والقطع في
الصخر . وقد سرفهم بذفقة . وجعلهم من الاحسان على ثقة .
واصحبهم بعض حجابيه . ونداهم بندي سحابة . وسير مع المندوب
مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر . ويتعاهدهم في كل يوم بتفقد
بر . واقاموا نصف سنه . واتوا في صنعهم بكل حسنة . وصمم
السلطان على حفر خندق جديد عميق . وانشاء سوروثيق وأحضر
من اسارى الفرنج قريب الفين . ورتبهم في العمارتين . وجدد
ابراجا حربية من باب العمود الى باب المحراب . وأنفق عليها من
المال ما خرج عن الحساب . بناها بالأحجار الكبار الثقّال ، فجاءت
ارسي وارسخ من الجبال . وكان الحجر الذي يقطع من الخندق
يستعمل في بناء السور واذا تكملت العمارة على ما رتبّه للقدس
المعمور . كان أمنا من قصد العدو المدحور . وفي عصمة الله من
المخوف المحذور . وقسم بناء السور في مواضع على اولاده واخيه
الملك العادل وامرائه . وصار يركب كل يوم ويحض على بنائه .
ويخرج الناس على حمل الحجر الى مواضع البناء . ويتولى ذلك

بذفسه وبجماعة خواصه الأمراء . ويجتمع لذلك العلماء والقضاة
والصوفية . وحواشي العسكر والاتباع والرعية والسوقية . وكنت
اركب في غلماني واتباعي واحفظ قلب السلطان في نقل الحجر
واراعى . فبني في اقرب مدة ما تعذر بناؤه في سنين وبذل جهده في
التحصين لتأمين المؤمنين .

ذكر من توفي من الأكابر والمعروفين في هذه السنة

وفاة تقي الدين

توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ابن اخي
السلطان . يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان . وهو على حصار
ملاز كرد من عمل ارمينية وقد سبق ذكر مسيره الى بلاد الجزيرة .
لاستمداد الامداد الكثيرة واستجناد الانجاد . والاستتجاد
بالاجناد . والجمع من جميع الجهات للجهاد . والعود سريعاً
بالحشود الجامعة والجموع الحاشدة . والجيوش المترادفة
المترافة . والجنود المتوافرة المتوافدة . والقواضب الفاصلة .
والهواضب الهائلة . والمصافحين بالصفاح . والمختالين في اعطاف
المراح باطراف الرماح . والحاملين الجبال على الرياح .
والمتعطين الى انتجاع النجيع لارواء الارواح . ومكث السلطان
على انتظاره . متوجساً لأخباره . مستوحشاً من ابطائه . متعظشاً
الى انبائه . منتظراً لوفائه . فلما اخذ الفرنج عكا نسب ذلك اليه
واحتسب الله عليه .

فأما تقي الدين فانه عن له ان يمضى الى ميافارقين . واستصحب
اليها عساكر ماربين . ونفذ الى السويداء وانتزعها من ايدي
اصحابها . واستحوذ على جميع ما بها . وحاصر مدينة حاني
فتملكها . وكانت له مقاصد في بيار بكر فأدركها . واقتطع بلاداً من
ولاية ابن قرا ارسلان واقطعها . وارعب القلوب بما ابتدا به

وابتدعه وروعها . وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر نيار بكر .
وحصلت منه على عذر وذعر . وراعت هيئته ، وهبت روعته . ودبت
الى الخواطر مخافة اخطاره . وشبت في القلوب لوافح ناره .
وارتجت تلك الآجام من زاره . وازورت من مزاره . وبلبت تلك البلاد
ببلائه . وهابت الأعداء هبة أعدائه . وزلت الأقدام
لأقدامه ، وانخفضت الأعلام لأعلامه . نفى عدله من جبل جور
جبله الجور ، وأنهى بسبب نهابه اليهسا فـــــوران
الفتنة على الفور ، وبخل قلب قلب ، وحكم في عاداتها الغلب
القضب ، وقصد عسكره عسكر بكتمر فكرسه ، ثم سرح بالاحسان
وأطلق من أسره ، فغار بكتمر واشتعل بنار الأنف أنفه ، واعتلق
بائن الشنف شنفه ، وانتخت حميته ، وحميت نخوته ، وغيرته
غيرته ، وعيرته رعيته ، وأودعته الهـم هـمته ، وحركته
عزمته ، فاجتمعت جماعته وأمه أمته ، وما أرجأ له نجح رجائه
رجاله ، وما أبطل له عن اعانته أبطاله ، وأجناه ثمر الطاعة
أجناؤه ، وأنجاه بجهد الاستطاعة أنجائه ، وجـر عسـكرا
مجرا ، وساق الى الحرب بحرا ، وأوقد بالجمع جمرا ، وجلب
بيضا وسمرا ، ودهما وشقرا ، وصوارم بـترا ، وصواهل
ضمرا ، وانهض كـمته وكـماته ، وحشد رعيته وذوي حميته
وحماته ، وساكني ولايته وولاته ، ونسوره وبغائه ، وسمانه
وغنائه ، ومثانه وراثته ، وشباعه وغراثه ، وجاء في سواد اسود
منه الجو ، وانسد بظلامه الضو ، وتحلى بنجومه ليل
العجاج ، وتجلى بسفوره صبح الهياج ، وأبرق وأرعد ، وتحدر
وتصعد ، وسار بين الأكام بالأكام ، وضاهى الأعلام
بالأعلام ، وأذكى مذاكيه الجياد ، وأجرى ضوامره وهوابيها قد
ملأت الوهاد ، وأبنى الى الأساد الأساد ، وأغرى بالجلاد
الأجلاد ، وجذب الجماح عرانه ، وجلب الكفاح رعانه ، وضرع
المراح رماحه ، وأطلع في سني الصباح صفاحه وماجت غدران
دروعه ، وهاجت غران جموعه ، ومالت المراز ، وجالت
الأقران ، وسال المرت ، ومرت السيول وتسهلت الروعور وتوعرت
السهول ، وانقض القضاء ، وانقض القضاء ، واشتكت الأرض من

الحوافر الحوافر وقعا فاثارت لفرط تألمها على شرط تظلمها الى
السماء نقعا ، وحدثت في وجه الفلك ترابا ، وحدثت الأتراب الأتراب
طعانا وضرابا ، وخاف على خلاط واختلط من المخافة ، فقصر الى
الملك المظفر طول المسافة ، فلما عرف اصحار خادره ، وانتشار
يوادره • وانتهاض قواده ، وارتكاض صلاومه ، وانقضاض
شهب قواضيه ، وانفضاض دهم سلاهبه ، اصطف بمن اصطفاه
من الأنجاد الأنجباب ، وفض على الفضباء سحاب
الصحاب ، وبسط على البسيطة رداء الردى ، وأعدى بعلمه على
العدا ، وركب في كل ضرب بعد الضرب ضربا من الضرب ، وكل بطل
لحق المبطل مدق الطلب ، وكل باسل سالب من كباش الاقران
القرون ، وكل عاسل بعاسل يمين بالمنى ويمون المذنون ، وكل شجاع
اشاجعه وصائل القواطع ، وكل مقدم قواده عوائق الوقائع ، وكل
طائر بأجنحه السوابق ، زائر بأسلحه البوائق ، محلق بخوافي
الخوانق ، مطرق لطواريء الطوارق ، وكل زمر مشيع بالذمار
شحيح ، وكل قاس قوسه عاطف ، وكل راع نصله راعف ، وكل
صاد عزمه صادق ، وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامق ، وأيد
رجاء الرجال بأيديه ، وقوى عزائم أوليائه لأضعاف
أعانيه ، ورغب بالרגائب واملى ضيوف الآمال بفيوض أمواه
المواهب ، ونخى المنتخبين ، وانتخب المنتخبين ، وأقدم في كل مقدم
مقدام ، وضيغم ضرغام ، وهمام همام ، ومعتقل اسمر يرشف ظلم
القلوب ، ومشمتم ابيض يكشف ظلم الحروب ، وكل من يخال
الطعن ضرب القداح والضرب بحد السوام ، وكل من ينال اعتزاز
الجد بجد الاعتزام ، وكل من يعيد اقاحي البيض شقائق ، ويصل
بها اذا فارقت اغماصها المرافق ، وكل من عنانه في يمين
الجماح ، وسنانه مرود عيون الجراح ، وكل من ذبال سمهرية
يلتهب ، وذباب مشرفيه يضطرب ، ووجه صوارمه تبكي
وتضحك ، وعيون تفتك وتبتك ، ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه
ترمي ، وسواعد سيوفه من أيدي الأيد تمد وتدمي ، وكل اشعث
الهامة ذي همة ، تشعب صدع كل ملمة ، وكل شهم شيطمي • أباء
حمي • مجرب محرب • مقرب على مقرب • مظهر على

مطهم • جار بمرجم ، باز بمخدم ضار بأرقم ، جواد حلیم تحمد في
الوغي جهلاته ، على جواد كريم ، تدعو الى الردى صهلته ، وكل
بحر مستلثم بغدير ، وكل من عنده اذا لبس الحديد انه لا بس
حرير ، فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط ودلوا استدرك
الغلط ، وجاش وطاش ، ورام من عثرته الانتعاش ، وولى
هزيمه ، ولوى هشيمه ، وأغزم العسكر التقوي سلاحه
وخيله ، وجر على تراب الذلة نيله ، وظفر الملك المظفر
بالمالك ، واسلم العدا الى الهلك ، وقيد اليه امراء اسروا واصحاء
كسروا ، فأطلق سراحهم ، وانهض بتشريقاته جناحهم ثم رحل من
صحراء موش ، وساق الى خلاط الجيوش ثم بدا له من حصارها
فأقرها بسلب قرارها ، وعرج على قلعة شميران فتشمر لها ، وفتح
مقلها. وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها محبوسا ، ومن
حياته يؤوسا فخلصه واستخلصه ، وكسر حتى طار منه
قفصه ، وانه لمن اعجب القصص لو شرحت قصصه ، ثم راح الى
ملار كرد ونازلها بالتضييق ، وقاتلها بالمنجنيق وحشد اليها
الامداد ، واروى فيها من عزائم الزناد ، وجاءته عساكر أرزن
الروم منجبة من جده ، موجدة لما لها من موجدة ، تقدمها الملكة
ماما خاتون بنت سلدق ، وكأنها في الالهة والابهة من ملوك
سلجق ، ووفد الى تقي الدين الجذون ، ووافقته السعود ، وخافته في
غاباتها الاسود وغربت به العقول وعلقت به العقود وتوطلت له البلاد
وتوطأت وتهيبت وتهيات ، واستننت الممالك القاصية ، وأطاعته
المقاصد العاصية ، وتشذفت له مسامع الاقطار بافراط السمع
والطاعة ، وعم الامحال تلك المحال ففض بما افاضه من فواضله
مجاة الجماعة ، ورجي وخشي واعذفي وغشي وامتلات الطرق
بالوقوف والجذود ، وتوالت اليه امداد البأس والجود ، فبينما هو في
غفلة من القدر ، وغفوة من الكدر ، وغرة من الغير ، وقد ألهاه
حديث الدنيا عن الحادث الداني ، وجني الحياة عن الموت الجاني
وزيارة الامـ ، عن زيارة الأجـ لـ ونزل المنى عن نوازل
المنون ، وسكن الاتراب عن التراب المسكون ظهر له سر الغيب
المكتوم ، وأدركه القضاء المحتوم ، ومرض اياما ثم قضى وانقرض

عهدہ وانقضی ، وکتب ولہ الملك المنصور ناصر الدین محمد وفاته ، الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزہ وفاته ، وفتحت ملاز کرد بابها ، وسلم الرب اربابها ، وخرج ولد تقي الدین بعسكره وماله سالما ، وجد في مقام والده بإظهار شعاره قائما ، وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقاء بلاد ابيه بيده ، حتى يبقى مستمرا على جده ، وطلب من السلطان الميثاق له بأغلق الايمان فلم يقبل الشرط واشتط فشط وجلب له الشطط السخط ، وأقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول مامنه فرط ، ونسبوه في استيحاشه الى العصيان ، وسعوا له في اسباب الحرمان ، حتى انتخى له الملك العادل فمضى لاحضاره وجرى الامر على أيثاره . وسيأتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان

توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدین فأصيب السلطان بابن اخيه واخته في يوم واحد ، كلاهما له اقوى ساعد ، وأوقى مساعد ، فياله من حسام أغمد ، وهمام الحد ، وركن وهن . وكنز دفن ، وبحر غاض ورزء هاض ، وصبح كسف . وبدر خسف . لقد غامت الايام لغمه ، وثكلته الدولة ثكل امه فانه كان واحدها وعضدها ومعاضدها وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه ، وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه ، وقد سبق في الكرماء ما ذكره ، وذكر في المكارم سيفه وقرظ حذقه ، ووصفت مقاماته ، وقمت بصفاته ، فان له مواقف في الجهاد مشكوره ، ومقاطف لحني النصر مشهورة ، فقطع الأجل عليه طريق الأمل ، وأعاد حلية الزمان به الى العطل ، وأوهن عقد شبابه الطري وحله ، وثالم حد شباه الطرير وقله ، وما زال في غزواته مثيرا للتراب الى أن سكن عليه التراب وسكنه ، وطالبه

الثرى بحق خالقه معه فاسترهنه، وغارت عليه الأرض بانطلاق سمومه ، الى السماء فاعتقلته ، ووجدته في اوج الفلك في النيرات فنقلته ، وماكان انكاه وانكاه ، واصحه واصحاه ، وابهجه وابهاه ، وأضوعه وأضواه ، وأوعاه للأفضائل وأحواه ، ولقد فجعت به صديقا صدوقا ، وشقيقا شقيقا ، ورفيقا رفيقا ، فلهفي عليه من شهم توطن التراب ، وسهم اصيب بعد ما أصاب.وجواد بلا حساب لم يخطر بالبال من رزئه حساب (لكل أجل كتاب) (الرعد ٣٨)

وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته ، ومواقفه ومقاماته ، وكان في الخدمة مقيما ، والسلطان الى الأندلس به مستتيما ، فعرض له مرض استأذن لأجله في العود الى وطنه بحلب ، وسمح له السلطان بجميع ماطلب ، وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجة ، واستقام على الحجة ، وقضى نحبه عند قربه من دمشق في قرية غياغب ، وستر التراب منه المناقب ، ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشرين الشهر .

وفي هذه السنة فتك بأتاك مظفر الدين قزل ارسلان ابن ايلد كز في همذان ليلة الأحد مستهل شعبان .

كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعروف ببهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت ارادته ، ورجحت سعادته ، وصلحت عاداته ، وكان السلطان السلجقي طغرل بن ارسلان تحت حكمه ، وهو ابن أخيه لأمه ، وله اسم السلطنة ولقزل حكمها ، وله سموها ووسمها ، فأنف السلطان من كونه تحت حجره ، وبحكم نهيه وأمره ، فإنه لم يكن له صاحب ولا غلام الا من عنده ، ولم ينفرد منذ تولى بحله وعقده فهرب وحده تحت الليل ، واتصل به بعد ذلك من انضم اليه من الخيل ، ودام غائبا في نواحي دامغان مدة ، واشتد مصابه واصاب شدة ، فاتصل به عدة من مماليك

بهلوان الخواص ، وسلوكوا معه نهج الاخلاص وأعادوه الى سرير ملكه ، وانتسق امره في سلكه ، وقويت يده . وتأيدت قوته . واجتمعت كلمته . وتكلمت في الامر والنهي جماعته . ورهبه قزل ارسلان ولازم زعره . وأخذ منه حذره . وتنافس الأمراء وممالك بهلوان النين تبعوه . وأعلوا شأنه ورفعوه . وسعى بعضهم ببعض وقابلوا كل ابرام من مكرهم بنقض . وقالوا له هؤلاء البهلوانية يغتالونك . وبالسوء ينالونك . فابطش بهم قبل أن يبطشوا . وعثرهم قبل أن ينتعشوا . فسمع مقالهم . وتبع محالهم . وقتلهم بحضرته وهم غارون . وساءهم باغتيالهم وهم بالغلاة فيه سارون . فذفر منهم كل أنس . وحفظ نفسه من كل منافس . وزال بشره وبقي بوجه عابس . وفارقه بنو البهلوان بجنايته على ممالك أبيهم . ولقوه بتأبهم . وقصده قزل ارسلان فأزعجه . وأخرجه من دار ملكه وأحرجه . وأجلس سلطانا آخر موضعه . وكدر عليه بالشوائب والنوائب مشرعه . وخطب لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه وأطعمه طعمه . وأرضاه بالاسم . وأجراه على الرسم . وكاتب سلطانا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد . وانتظمت بينهما أسباب الانجاد . وكان السلطان طغرل إذا خلت همذان من قزل ارسلان يعود إليها . ويستولي عليها . ثم اذا عرف قربه بعد . واذا علم بعده قعد . وشرع يقتل أصحابه بالتهم . ويشد في النهب لشدة النهم . فقتل فخر الدين رئيس همذان . وبث العدوان . وقتل وزيره العزيز بن رضي الدين المستوفي لأمر توهمه . ولخاطر لم يكشف مهمه . فالبأ الزمان إلى الوصول إلى الامير حسن بن قفجاق . وشكا إليه من أهله وأصحابه الشقاق . فخرج معه وأزره وضافره . وظاهره بعد أن صاهره . وزوج أخته منه . وحمى جانبه وذبح عنه . وراسل سلطانا قزل ارسلان حتى يصالحه . ويصافحه على الوفاء ويسامحه . وكاد أن يتم الصلح . ويسفر بعد ليل الفتنة الصبح . فلما تقاربا للمصالحة تحاربا . واتهم كل واحد منهما الآخر فتواثبا . وأوقع قزل ارسلان به وبالتركمان . وعادت الفتنة ملتبة النيران . وساق السلطان طغرل الى همذان . فمضى وراءه قزل ارسلان . فخرج اليه ثقة بما سبق من الايمان . فصرف

عنانه • وقبضه وأعرض عنه واعترضه • وحبس في بعض القلاع •
وأبعد عينه وأثره عن الابصار والاسماع • فاتسقت له المملكة •
واستقر منه السكون والحركة • وكانت أصفهان منذ توفي البهلوان
قد اضطربت واحتربت • واقتربت الساعة بها وخربت • وقتل في
ثلاث أربع سنين منها في محاربة العوام ألوف • وتوالت بها حتوف
وزحوف • وكانت الشحن من جانب قزل على الشافعية • وقدوا
أيدي الترابية في تخريب المدرسة النظامية • فاحوجت الضرورة إلى
أن أصحابنا دعوا بشعار السلطان • ووجدوا القوة به أمام قوته
والامكان • فلما اعتقل طغرل • واستمر أمر قزل • مضى إلى
أصفهان فاخذ رؤساء الأصحاب في الحال • وأجرى عليهم القتل
والاغتيال • ثم عاد إلى همدان وقد قوي وروي • ونال ما هوي •
ونشر من أمره ما كان طوي • وجلس على سرير الملك وضرب الذوب
الخمس • ووجد بعدم من يوحشه الانس • ولها ولعب • وشرب
وطرب • وغفل عن القضاء المشتبه • ونام عن القدر المنتبه • واغتر
بالعيش الرفه • وحلم عن الخطب السفه • وبات في قصره • وقد غاب
في سكره • وهو بين خدمه • وحشمه • وعسسه • وحرسه • وعتقائه
وأرقائه • ومستخصية • ومستخلصية • فوجد على فراشه وهو
قتيل • ولم يذكر كيف قتل ولم يكن عليه سبيل • فذسب قتله إلى
الاسماعيلية تارة وإلى الخاتون الانيانجية أخرى • والله أعلم بما به
حكمه أجرى • ولما أصبحوا قتلوا صاحب بابه وحل العقاب به دون
أربابه • وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان موضعه • وجمع له ملكه
ومتعه • ومضى أخوه نصره الدين أبو بكر إلى اندريجان وأرانيه
سائقا إليها واستولى عليها • وأما السلطان فانه أيس منه • وسلا
من كان يواليه عنه • فتعصبت له امرأة متولي القلعة ودبرت في
خلاصه • وهونت على زوجها أمرا استصعابه واعتياصه •
واستعانت بمن أعانها • وأعلت بإعلاء شأنه شأنها • ولما برز بخل
مدينة تبريز • وكانما الكير أخرج الأبريز • ثم جمع ومضى على
سمت همدان • فلاقى قتلغ اينانج وعسكره بين أوه وزنجان •
فكسره وهزمه • وفل حده وثلمه • ومضى إلى همدان • وجلس على
سرير ملكه وذلك في سنة ثمان • وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله •

وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من أصحاب السلطان صفي الدين أبو الفتح ابن القابض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد كان سريا . وبالحمد حريا . وفي حلبة المكارم جريا . ومن الخيانة في ولايته برياً . ومن العار عريا . ولم يزل زند مضائه وريا . وكانت له سياسة ورياسه . ونفس ونفاسه . ورأي وفراسه . وفطنة وكياسه . ومروءة وفتوة . وثبات جنان وقوة . وكان قد خدم السلطان أيام عدمه . وهو في كفالة أبيه وعمه . فلما ملك مصر أمرجه في أموالها . وحكمه في أعمالها حتى نال المنى . ووجد الغنى . فقال له قد اكتفيت واستغنيت . وإن صرفت الآن ما باليت . فاصرفني عن العمل . فقد نلت غاية الأمل . فعاش غنيا . ومات جشريا . وورث السلطان بعض ماله . وذلك ما فضل عن افضاله ، فانه فرق على مماليكه املاكه وماله ، واخفى بعد وفاته بما بذله حاله .

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعا طريفا ، نظيفا عفيفا ، وفقه الله في بدايته لهداية الاسلام ، ونال اسباب الاحترام ، وتقدم عند السلطان . وماشانه وهو كبير الشأن ، وكانت له دراية ودراسة ، وذكاء وفراسه ، ولم يزل متلطفا في طيه ، متعطفا بحبه ، متحببا الى القلوب . متقلبا من قبوله في المحبوب ، صبيح البهجة فصيح اللهجة ، صحيح الحجة بوضوح المحجة ، ولم يزل له عند السلطان وذوي الجاه جاه ، ولجده انتباه ، ولدواته بالشفاء شفاء ، حتى حان اجله . وخان امه وبان عنه حلى حاله وبان عطله . وكانت له عندي يد اذكراها واشكرها . وعارفة اعرفها ولا أنكرها . وذلك انني في ذي القعدة سنة ثمانين كنت متوجها في خدمة السلطان وفي صحبته متوليا للانشاء منفردا بمرتبته . فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض وشكا جوهرى العرض ، وانتهى اليه بدمشق ما الم بي من الالم ، فتقسم فكره من خبر السقم ، وركب ووصل في يومه حتى ادركني ، ومرضني وما تركني وداواني حتى

ابلت ، وازال الله انحراف مزاجي بطبه فاعتدلت ، وصحبتني الى دمشق وسبق الى اوليائي بالبشرى وشكرت الله على النعمي ، وكذلك كان يطلب مرضاتي ، في جميع مرضاتي ، فلما مرض الطبيب لم ينجع في مرضه الطب ، وتوفاه الرب .

وفي آخر هذه السنة توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الحبوشاني بمصر وهو الذي بنى المدرسة عند ضريح الامام الشافعي رضوان الله عليه واحيا شعار التوحيد ، وبنى امره على التشديد والتسديد ، وحفظ شمل الشافعية من التبديد ، وكان السلطان مجيبا له الى كل ما يستدعيه ، ويقضي له من الدوائج ما يقتضيه ، ووقف على المدرسة التي بناها وقوبا واعطاه في بنائها الوفاء فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء ، فلقوا بالاباء ، ثم شفع الملك العادل في صدر الدين علي بن حموية وهو شيخ السيوخ ، ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ ، فكتب بها له ، ورتب يوفها وتدريسها استقلاله ، وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة ، وبدلت الوحشة من الانسه .

فصل كتب الى بعض الاكابر في الدخول الى القدس

اتفق بخول الشتاء وتواتر النداء ، وتوفر الانواء وسح الأرض وشح السماء وانقطاع الجلب واتصال الغلاء ، وبعد الراحة لقرب الأعداء ، وملل العساكر لدوام الهيجاء ، والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفر الهمم على شحنها بالرجال والميرة والقوة والعدة والنخيرة ورأيناها من أحسن المدن واحصننها واحكمها واوجدنا بها جدتها بعد عدمها ، ورتبنا بناء سوارها على جوانب اوبية وسفوح ، متى تم لم يبق فيها لطمع من طموح ، وهذا امر الله وفي طاعته ولحفظ بيته ولنصرة دينه ولاعلاء كلمته ، ولحماية امته ، ومالنا فيه الا السمسرة ، وما رجاؤنا الا الاجر والمغفرة ، وما نصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجبين .

والمؤمنين المعينين للدين . فما اسعد من ساعد فيه . ووفى باسعاف عافيه . هذا والكفر قد اناخ بكلكله . وحفل بجدفه وبرز الى الاسلام بكليته . وعراه ببليته . وقامت قيامته لقيامته . وثار لنار قمامته ، ورمى مهجته على الموت لمقبرته ، والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه ، وعصمه كما عصم وحرم حرمة ، مقام الانبياء المرسلين ، ومقر الاولياء والصديقين . وموضع معراج سيد المرسلين ورسول رب العالمين . وفيه نزل جبريل بالبراق . وصعد المصطفى صلى الله عليه وسلم . الى السبع الطباق . واهدى الله ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الاشرار الى الافاق . وهؤلاء الملاعين قد اغدوا لقصده ، واعدوا لوروده ، وقد فرض في هذا الاوان رفض التواني ، واستدعاء ذوي الحمية من الاقاصي والاداني ، وان لم يتساعدوا في الربيع القابل ، على انهاض الجحافل ، صعب الامر واشتد واحتدم الخطب واحتد ،

فصل في شكر صاحب الموصل على انفاذ الجصاصين لحفر الخندق

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسبح ، ويعرف عن فضيلة منجده ، ويفصح ، فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح ارجاءه ، الحامون بحفر خندقه ارجاءه ، وما فيهم الا من ابان عن جده ، وابان بحده والان الشديد بشده ، وثلّم الحديد بثلّم الصخر وهذه لاشك مقدمه لما وراءها من نتائج النجدة ، وجدوى سابقة للواحق في مناهج الجدات . وعارفة معرفة في قمع العداة باجراء العادات في انجاز العداة ، وللعو انتظار لنجدة بحرية وارتياب . ومضات جمر تحت رماد كيده يوشك ان يكون لها التهاب ، والهمة السامية لا تفتقر في هذا الباعث الى باعث ، وعند عزائمه حديث كل حادث .

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت مذشور حسام الدين
سياروخ النجمي بولاية القدس .

وكانت ولاية مذي سر الله فتحه ، وحقق للامل فيه نجحه ، واطلع
لليل النصر صبحه ، الى الفقيه ضياء الدين عيسى مفوضه .
وصعاب اعماله وشعاب احواله بنصرة آرائه ونصرة آلائه
مروضه ، وقد استتاب فيه اخاه الظهير ظهيرا ، ولم يزل رواؤه
وبهاؤه به شهيا شهيرا الى ان استشهد في شعبان سنة خمس
وثمانين ، وتوفي الفقيه عيسى في ذي القعدة منها وانتقل الى
عليين . فأبقى السلطان نوابه من بعده ، محافظة على عهده ، وكان
الأمير سياروخ بالقدس مقيما . والنظر في مصالحه
مستديما . ويضم من امره ما يراه مذشورا ، وكتبت له في التاريخ
المذكور باستقلاله مذشورا :

الحمد لله الذي اقصى من المسجد الأقصى من دانه من الكفر
وبذسه ، ونزه البيت المقدس من رجس اعدائه المشركين بأيدي
اوليائه الموحدين وظهره وقدس ، وانطق محرابه ومنبره بتلاوة
الذكر المبين وأسكت الناقوس واخرسه نحمده على ما عصمه من
الدوزة وحرسه . وفرجه من الشدة ونفسه ، ونسأله ان يصلي على
نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه ، ومهد الشرع
واسسه . وبطل الكفر وعطله . وارغم الشرك واتعسه ، وعلى آله
 واصحابه الذين اعلى الله بهم منار الحق . واضفى ملبسه واصفى
مورده ، وازكى مغرسه ، وبعد فانا مذ فتح الله لنا بيته المقدس
وخفض باعلاء اعلامنا راية الكفر ونكس ، وكسا بأيامن ايامنا وجه
الدين البشر من بعد ما كان تعبس ، وخصنا بفضيلة فتحه وجعل لنا
به الحظ الاجزل الافضل الاكرم الانفس ، مانزال نطلب وليا لله
يكون له واليا ، ويعود عاطله بتأثير احسانه وحسن آثاره وايتثاره
حاليا ، ويرجع بنظره الشافي وتدبيره الكافي ما انخفض من منار
الهدى عاليا ، ولا يزال على بال منا ان نحبي به من رسوم الايمان

ونجد من معاله مازل بمقام اهل الضلال فيه دارسا باليا ، وقد
اختبرنا الأمير حسام الدين فالفينا لاهلية هذه الولاية
جامعا ، والى مضمار السبق في هذه المكرمة مسارعا ، ووجبناه
بأعباء الأمانة ناهضا ، ولزبد المناصحة والصحة فيه ماخضا
ماخضا ، فاستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية مدينة القدس
وأعمالها ، وعزقنا برأيه الراجح وسعيه الناجح مهام
أشغالها . وحكمناه في تحصيل مصالحها ، وتسهيل
مناجحتها ، وسداد ثغرها ، وسداد أمرها . ورعاية أمورها
وعمارة حريمها وسورها ، وتطويل باع ساكنها ، وتأهيل رباع
أماكنها ، واسكان مواطنها ، وتوطين مساكنها ، وتطهيرها من
أناس ابنى الناس . وتعميرها بالعنة والعدة والشدة والقوى
واللباس . فليتل ذلك بقوة ناهضة ونهضة قوية وروية مبصرة
وبصيرة روية . وليستشعر تقوى الله التي تقوى بها العزائم .
وتتوفر منها المحامد وتكمل المكارم . جاريا على مقتضى الشرع في كل
ما يحله ويعقنه . ويقدره ويمهده . ويصدره ويورده . والله عز وجل
يؤوقه ويسعده ويعضده .

وبخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في
دار الأقساء جوار قمامه ، وأظهر بها لتقوية البلد الإقامة ، وقد
قسم سور البلد على أولاده ، وأخيه وأجنانه ، فشرعوا في إنشاء
سور جديد ، محقق به منيد ، وكان يركب كل يوم مصح ، مشمس
مصح ، فينقل الصخر على قربوس سرجه ، فيستن الأكابر
والأمراء في نقل الحجارات بنهجه ، فلو رأيت وهو يحمل حجرا في
حجره . لعرفت أن له قلبا كم حمل جبلا في فكره . ولقد جد في حماية
الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور ، وأنشراح صدره
لأنضمامها إلى صدره حتى باشر صدور ممالكه به الصدور ، وما
تغلو دار يبنيها في الجنة بنقل حجارتها ، ليكون ملكا في دارها
وقمرا في دارتها ، وكل بناء قفلت حجارتها ، ووقفت عمارتها ، ركب
وبكر إليه ، وجمع الحجر بنفسه وأجنانه عليه ، فإذا اكتفى انتقل
إلى موضع آخر ونقل إليه الحجر ، ولقد بنى به في غرفات الجنات

الحجر . وأثر رواة سيرته الحسنة منها الأثر ، وما أعمار احسانه
واحسن ماعمر . وداوم البكور بالركوب وعرض وجهه الكريم
للشحوب ، والتزم الأمر التزام الوجوب ، ولان له الصخر لين
الحديد لداود . وجد في فض جدته وأفاض الجود . وكان حجر
الخندق صلباً لايتأتى قطعة . ولايتهى بكل آلة صدعه . فاتخذ من
الفولاذ قطاعات . واخترع على الحدادين آلات . فأمكن الصلاد
ووهن الجلد . وتيسر الصعب ولان الصلب . وصرخ الصخر لما حاف
الحفر ، وضج الحديد لجلد الجلمود ، وصفا قلب الصفا لاصاخة
الصيخود ، واعولت المعاول ، وجدلت الجنادل ، وسمعت الصماء
صوت السطو ، وخرج جرج الاساءة اليها عن الاسو . وفلقت
القطع وقطعت الفلق ، واتسع الضيق وتعمق الخندق ، وطاب العمل
وطال الأمل ، وحز الحزم وحزن الحزن ، وركنت القوة وقوي
الركن ، فلا ترى الا سورا يعلو وخندقا يسفل ، وبناء يسمو وحفرا
ينزل ، وبرجا يسقف ، وبناء يشرف ، وحجارة تبني ، وعمارة
تثنى ، وكاسا يحرق ، وأسا يوثق ، وطاقا يعقد ، ورواقا
يمهد ، وطلاقات تطلق ، ومرامي تخرق ، وستائر تحجر ، وحفائر
تقعر ومصاعد تهندس . وقواعد تؤسس . ومعارض تسفع . ومخارج

تفسح . وموالج تسرب ومدارج ترقب . حتى احكم المكان بكل مافي
الامكان . واتصلت الابراج بالابدان مشينة الاركان . والسلطان
يشرف في كل يوم . على عمل قوم . فيمدحهم باحسانهم ويجازيهم
باحسانه . ويعير جنان المتولي من قوة جنانه . ويدركه بما يستأنفه
من عمله . ويحلي بالفضل مايبدو له من عطله ، وكان ذلك دأبه مدة
اقامته ، وقد جد غرامه بغرامته بل يرى ان كل مال يذفقه نخر باق .
وانه إن فاق كريم فيانفاق ، وماعنده خشية املاق . بل يده جاريه
باطلاق جوائز وارزاق . وانه تتجلى له اعماله الصالحة يوم يكشف
عن ساق ، وان وفق الله واستمر مادبره في حفر الخندق وبناء
السور ، بقي بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور .
ولايبقى عليه لمسلم فزع . ولافيه لكافر طمع . ولو عاش بخت نصر
لعرف عجزه . وسلب عز الاسلام عزه . ورأى من المعجزات

ماحيه . وقهر عن البأس الذي ان ثبت له قهره . فسبحان الذي
اقدر السلطان على ما عجز عنه الملوك . وهذاه من الفضل الى نهج
ضلوا فيه السلوك .

ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة الى عسقلان
ونزلوا يوم الاربعاء بظاهرها . وتشاوروا في اعانة عمائرها ، وكان
سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسسية نازلين في بعض
اعمالها ، مجدين في نقل غلالها ، وركب ملك الانكثير عصر يوم
الخميس ، ومعه حزبه من جند ابليس ، فشاهد بخانا على البعد ،
وما عرف ما عنده من العسكر المعد ، فساق متوجها الى تلك الجهة
وجد ، وتبعه عسكره وامتد . فما شعر اصحابنا الا بالكيسة وقد
بغيت ، فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت ، وذلك وقت المغرب وهم
مجتمعون على الافطار . فارغة الافكار من شغل الكفار ، وكانوا
نازلين في موضعين ، مقيمين في منزلين ، فلم ير العدو الا احد
القسمين فقصده بحزبه ، واطلق عنانه لحزبه ، فعرف القسم الاخر
هجوم العدو ، فهجروا مهاد الهدو ، وركبوا الى العدو فدفعوه حتى
ركب رفقاؤهم المقصودون ، واجتمعوا وهم المسعدون ، وردوا العدو
شوطا . وصبوا عليه من عذاب القراع سوطا ، ثم تكاثر الفرنج
عليهم ، وتواصلوا وسبقوا اليهم ، فاندفعوا من بين ايديهم ،
والفرنج تباريهم ، وساقوا اذقالهم قدامهم ، وقد ثبت حفظها على
الاقدام اقدمهم . وما فقد من اصحابنا ممن عرف الا اربعة : ونجا
الباقون وخواطرم لاجل اولئك متوزعة ، وكانت نوبة عظيمة دفع
الله خطرهما ، وهون ضررها ، وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحرم ركب
السلطان على عادته في نقل الحجارة ، والجد في العمارة ، ومعه
الملوك اولاده والامراء . والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد
والاولياء . وخرج كل من بالبلد . وجاء المد بعد المد . وهو قد حمل
على سرجه . واستوى في نهجه . والناس يذقلون معه على خيولهم .

في ققافهم وذبولهم . ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك
الظافر بالصحراء . واحضر فيها السماط لمن يدعوه من الامراء .
فحضر على ذلك السماط . واحضر طعام مطابخه وبسطه على ذلك
البساط . وكنت قد مضيت فريني . وبتقريبه امدني . فلما فرغ
وفرغنا . وبلغ مراده وبلغنا . صلى هناك الظهر وركب عائدا الى
داره . آيبا بايثاره وحسن آثاره . فائزا بسرور اسرارته وخير
اختياره .

ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وبرت

كان عز الدين جريدك تجرد في سرية سرية . بارية رقاب ذوي
الغلول من الغل بربه . فاغارت يوم الاربعاء الحادي عشر من المحرم
على يبنى . وفيها الفرنج بنية السكتي . فغزمت اثني عشر اسيرا .
وخيلًا ودواب واثاثا كثيرا .

وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر اغارت السرية وفيها جريدك . وعسكر
القدس وجماعة من المماليك . على ظاهر عسقلان . واوقدت
بتناصرها على الكفر الخذلان . وغزمت ثلاثين اسيرا قيدت في
الاغلال . سوى ماكسبته من الخيل والبغال .

سرية فارس الدين ميمون القصري

باتت ليلة الاحد رابع عشر صفر . بتل الجزر . وسرت حتى اصبحت
على يبنى وكمنت . وصبرت الى ان استرسلت الفرنج الى الطريق
وامنت . ثم ظهرت على قافلة للفرنج عبرت . فكبست وكسبت .
وكسرت واسرت . واخذتها بأسرها مع رجالها . وبغالها واحمالها
واذقالها . ثم اغارت على يافا فقتلت وفتكت . وسفكت دماء
وهتكت ، وعادت بالغنيمة والسبايا ، واستغنت بنقودها عن

الذسايا . وعجز جماعة من الاسارى عن المشى فضربت اعناقهم ،
واوجب ذلك للباقيين في المسير اعناقهم ، وعادت سالمة سالبه ، غانمة
غالبه .

ذكر خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر

قرر على نفسه قطيعة خمسين الف دينار فأدى منها ثلاثين .
واعطى رهائن على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان
يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر . فقام اليه واعتذقه وتلقاه
بالوجه الباشر ، واقطعه نابلس واعمالها ، وحلى باياله لها
احوالها ، وعاش الى اخر شوال من هذه السنة ، وتوفي الى رحمة
الله باعماله الحسنة ، فعين السلطان ثالث نابلس واعمالها لمصالح
البيت المقدس . وتشيد ركن سوره المؤسس ، وابقى باقيها على
ولده . وتركه في تصرفه ويده .

ذكرة

لما خرج المشطوب من الاسر . تلقاه ولده روي السرى قوي الازر .
فوجده على زي اولاد الاتراك مضفور الشعر . فبدأ منه الانكار
والاكبار . وقال ماللاكراد في شعورهم هذا الشعار . فقطع
ضفيرته ، وقصر وفرته ، فتطير الناس من قطع شعره على ابيه ،
وقالوا هذا دليل مصابه الذي يأتيه .

هلاك المراكيس بصور

اضافة الاسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر فاستوفى
رزقه لوفاة اجله ، ووصل الى الباب قاطع امله ، وقد دعي الى

جهنمه ، ومالك على انتظار مقدمه ، والجحيم في ترقبه ، والدرك الاسفل من النار في تلهبه . والسعير في تسعره ، ولظى في تلظيها لتنظره . وقد قرب ان تكون الهاوية له حاويه ، والحامية عليه حاميه ، والزبانية في ايقاع العذاب به لمنزل الرجز بانيه ، وقد فتحت النار له ابوابها السبعة . وهي جائعة الى التهامه وهو ملته بالاكل يستوفي الشبعة . فاكل وتغذى ، ومادري أنه يتردى ، واكل وشرب ، وشبع وطرب ، وخرج وركب ، فوثب عليه رجلان . بل ذئبان امعطان . وسكنا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند تلك الدكاكين . وهرب احدهما وبخل الكنيسة : وقد اخرج الذفس الخسيسه : وقال المركيس وهو مجروح وفيه بقية روح . احمالوني الى الكنيسة فحملوه ، وظنوا انهم حاطوه لما نقلوه . فلما ابصره احد الجارحين . وثب اليه للحين . وزانه جرحا على جرح . وقرحا على قرح ، فاخذ الفرنج الرفيقيين ، فالقوهما من الفدائية الاسماعيلية مرتين ، فسألوهما من وضعكما على تدبير هذا التدمير . فقالا ملك الانكثير ، وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ستة اشهر ، وبخلا في ترهب وتطهر . ولزما البيع . والتزما الورع . وخدم احدهما ابن بارزان والاخر صاحب صيدا لقربهما من المركيس . واستحكما بملازمتهم اسباب التأسيس ، ثم علقا بركابه ، وفثكا به . فقتلا شر قتله . وجهل عليهما اشد جهله . فيالله من كافرين سفكا دم كافر . وفاجرين فثكا بفاجر . فلما ظل المركيس مركسا . وفي جهنم منكبا منكسا . تحكم ملك الانكثير في صور . وولاها الكندهري وعذق به الامور . وبخل بالملكة زوجة المركيس في ليلته . وادعى أنه احق بزوجه . وكانت حاملا فما منع الحمل من نكاحها . وذلك افطع من سفاحها ، فقلت لبعض رسلهم : الى من ينسب الولد . فقال يكون ولد الملكة ، فانظر الى استباحة هذه الطائفة المشركة . ولم يعجبنا قتل المركيس في هذه الحالة . وان كان من طواغيت الضلالة . لانه كان عدو ملك الانكثير ، ومنازعه على الملك والسرير ، ومنافسه في القليل والكثير ، وهو يرسلنا حتى نساعد عليه ، وننزع ما اخذه من يديه وكلاما سمع ملك الانكثير ان رسول المركيس عند السلطان ، مال الي المراسله بالاستكانة والانعان ، واعاد الحديث في قرار الصلح ،

وطمع في ليل ضلاله باسفار الصبح ، فلما قتل الماركيس سكن روعه وروعه ، ونهب ضوره وضوعه ، وطاب قلبه ، واب ليه ، واستوى امره ، واستشرى شره ، وكان قد تعصب لمضانة الماركيس للملك العتيق . فظهر له ود الشفيق الشفيق . وولاه جزيرة قبرس واعمالها وسدد بسداده اختلالها . فلما هلك الماركيس عرف انه قد اخطأ في تقويته . وخشي انه لايسلم من عابيته . ولايأمن من غائلته . فلما عدم عدوه . وجد هدوه . واب سكونه . وثاب جذونه . ولم يحدث مقاطعته . ومري رسل مراسلته ورمى سهم مساعدته ومخاطلته . ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك العادل وتصديق دعوته . وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا بمدينة وقلعته . سوى كنيستهم المعروفة بقمامة . فانهم يعتقدونها لملتهم الدعامة . فابى السلطان أن يقبل هذا القرار . وأبدى لهم الانكار وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان . ويأخذوا على مايبقى في ايديهم الامان .

ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر . وكانت منها مضره كبيرة لما كانت مع الكفر فلما فتحت حفظت وتركزت وابقيت . وبالميره والنخائر والرجال ملية . وخربت عسقلان وغزة دونها . وتسلمها علم الدين قيصر على ان يصونها . فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة عسقلان تردوا مرارا اليها . وداروا حولها وأشرفوا عليها . وأنفق السلطان في جماعة وقواها بها . وشد بالنجدة قلوب اربابها . ثم نزل الفرنج عليها . دقضهم وقضيضهم . وسعهم وبيضهم . وفارسهم وراجلهم . وصارمهم ونابلهم . ورايحهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها . ونهوضهم اليها . عشية السبت تاسع جمادى الاولى بعد ان اخذوا فيها نقبا وحرقوه . وحشوه واحرقوه . وطلب اهلها الامان فلم يجدوا . وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم ينجدوا . ولما عرف الوالي انهم مأخوذون . وانهم موقومون . عمد الى الخيل

والجمال والدواب فعرقبها . وإلى النخائر فاضرمها والهبها .
وفتحوها بالسيف . وعرضوا أهلها على الحيف ، وأسروا منهم عدة
يسيرة . وكانت هذه الذوبة على الاسلام كبيرة . ثم لم يلبثوا بها ولم
يرغبوا فيها . ورحلوا عنها وتندحوا عن نواحيها . ونزلوا على ماء
يقال له الحسي . وقد طاش بهم الغي والبغي . وذلك في يوم الخميس
رابع عشر الشهر . وقد انسوا بما ظنوه من اسباب الغلبة والقهر .
ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب .
فخرجت عليهم اسد اليزكية المكنة من الغاب . فقاتلتهم قتالا
شديدا . وتركتهم بحد الحديد بيذا . وغادرت حبل قصدهم الجديد
جديدا . وكرت عليهم فكررت في ردهم عن جهتهم تريدا ، وقتل منهم
في جملة من قتل كند كبير . واتاهم من مباريها لهم مبير . وعادوا
مفلولين مثلومين . مخذولين مهزومين . مثلولين مهضومين . ثم
رحل الفرنج من الحسي يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين
وبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبرين . فتقدم
السلطان الى العساكر والامراء بان يكونوا لهم مبارين . وفي يوم
السبت الثالث والعشرين نزلوا بقل الصافية ، بجموعهم الوافرة
الوافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنظرون .
فأرجفت الالسنه بانهم على قصد القدس على حسب تـراجم
الظنون . وسرت اليهم السرايا . وتوالت عليهم البلايا . وظهر
السلطان مقامه بالقدس . لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالانس ،
وفرق الابراج والابدان على الامراء والاجناد . وذوي القوة
والاستعداد . وامرهم بنقل الازواد . ثم زال الرعب . وطاب القلب .
وخرج الناس الى خيامهم يتخطفونهم . ويعسفونهم
ويتحيفونهم ، وجرت وقعة بعد وقعة ، وكبسنهم دفعة بعد
دفعة ، ومن ذلك ان بدر الدين دلدرد كان في اليزك ليلة الجمعة
التاسع والعشرين . فبعث من أصحابه والعسكر الى طريقهم من يافا
من لزم الكمين ، فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقيمون على
النهج ، فخرجوا عليهم وقتلوا وأسروا ، وفازوا ونصروا ، وفي يوم
السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم في خيامهم ، وألهمهم
بضرامه ، وركب العدو ساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على

فرسخين ، ثم عاد بأيد الشأن بادي الشين ، وعساكرنا قد ركببت
اكتافه ، وهي تقطع اطرافه ، وتهز اعطاف البيض لتحز
اعطافه ، وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة ، خرج كميننا في
طريق يافا على السابلة العابرة ، فظفروا وفازوا ، وحووا وحازوا
وكسروا واسروا .

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله . ويدعوه نجدة
لأهل القدس على الكفر وأهله ، ف ضرب العسكر خيامه على بلبس
مدة حتى اجتمع الرفاق ، وتهيا لمن تأخر عن السابق
اللاحق ، وانضم اليهم التجار ، وحصل لهم بكثرتهم
الاغترار ، وللعُدو لقدمهم الانتظار ، وعنده بجواسيسه
الأخبار ، فجاء الخبر من اليزكية الى السلطان ليلة الاثنين التاسع
من جمادى الآخرة ان العدو ملك الانكثير ركب في سبعمئة فارس
وألف تركبول ومعه ألف راجل ، وسار عصر يوم الأحد سير مخادع
مخاقل ، ولا يدري اي جانب قصد ، ولاي نائب رصد ، وجرد
السلطان اميرا آخر اسلم ، خوفا على الواصل ليسلم ، وندب معه
الطنبة وعدة من العادلية ، وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق
البرية ، فعبروا على ماء الحسي ، قبل وصول العدو اليه ، واتصلوا
بالقوم وأخبروهم بأنهم كشفوا الماء وليس أحد عليه ، وكان مقدم
العسكر المصري فلك الذين أخذوا العادل ولم يسأل عن المراحل
والمنازل ، وقصد اقرب البرك ، وغفل عما يعرفون الفرق
والفرق ، وترك الأحمال على برك أخرى سائرة ، ورأى الأمانة
ظاهرة وأوجه السلامة سافرة ، وجاء ونزل على ماء يعرف
بالخويلفة ، والأمانى تغره بالمواعيد المخلفة ، ونادى تلك الليلة انا
جزنا مظان المخافة ، وفزنا بالسلامة من الآفة ، فلا رحيل الى
الصباح ، فاغتر الناس بالنداء الصراح ، وناموا
مسترسلين ، وباتوا متغفلين ، فصباحهم العدو عند انشاق الصبح

بالصدمة الشاقة والخدمة الحاقة ، وعاق ابن ذكاء بذكاء بنت
الداهية العاقة ، فجاءهم فجأة ، والصبح لم يبد أضاعة ، والخيط
الأبيض من الخيط الأسود لم يتبين ، وهبوب الأعين من هبوة
الغفوة لم يتعين ، وكل غرار في جفنه قار ، وكل قلب بـأمنه
سار ، وكل جنب على فراش ، وكل عاش له النعاس غاش ، فلما
يغتوا بهتوا ، وطلبوا ان يفلتوا فما التفتوا ، وركب كل منهم على
وجهه . وربما كر بكرهه ، وفيهم من ركب بغير عدة
حصانه ، واسلم اخوانه وغلمانه ، وانهزموا نحو
الأثقال ، فوقعوا العدو وهو وراءهم على الجمال والأحمال . فوقع
العدو في سوابقها ، واشتغل بها عن لواحقها ، فتفرقت في البرية
وعاد معظمها الى الديار المصرية ، ومنهم من عاج الى طريق
الكرك ، فلم يقع في الشرك ، ولم يحصل في الدرك ، فأخذ الكفار
جمالا لاتعد ، وأحمالا لاتحد ، وكانت هذه نكبة عظيمة ، ونائبة
عميمة ، ونوبة ذات نبوة ، وكبة ذات كبوة ، ووقعة ذات
روعة ، وعولة ذات لوعة ، فظنت الظنون وارجفت
المرجفون ، وقالوا قد حصل للفرنج من الظهر ما يحملهم
وينهضهم ، ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم ومن الآن
يقابلهم ، وبأي عسكر وعدة نقاتلهم ، ووصل الجند
مسلوبين ، ومنكوبين منهم وبين ، فسلاهم السلطان عن
أموالهم ، بما قوى من أمالهم ، وحضهم على الحظ من الأخذ
بثأرهم ، والجد في دمار القوم وبوارهم ، ولها الملاعين بما ملا
العين من المال ، عن القيل والقال والقتل والاقتال ، وحلا لهم
ما حاولوه من الحال ، وجرى هذا كله والملك الأفضل والملك العادل
غائبان ، وعساكر الموصل وسنجار وبيار بكر متباطئة في الاتيان .

ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وما جرى لهما من الأول

كان الملك الأفضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات ، ونزل عن جميع ماله من الولايات ، وأنه اذا عبر الى الرها وحران ملك تلك البلدان ، وعنا له من بها من ملوك الأطراف ودان ، ورحل من القدس في ثالث صفر وقد ازمع السفر ، ووجه عزمه الماضي المضي قد سفر ، وأقام في دمشق حتى استعد ، واستجدى من ابيه ماكمل به الخزانة واستجد ، واطلق له السلطان عشرين الف دينار ، سوى ماأصحه برسم الخلع والتشريفات من مستعملات ثياب ومصوغات نضار ، ثم سار في مجر مجر سيل خيله جار نيل ذقعة على المجرة ، شاغل بالسير والسرى اسرار ذوي الأسرة ، بابية على صفحات صفاحه نضرة النصرة ، ووصل الى حلب ، وقد مرى افايق التوفيق وحلب ، واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدومه ، وقام له بسنن الكرم ورسومه ، ورحب للترحيب به صـدره وجنابه ، وسحب على روضه صحابه ، واصحب فيض فضله صحابه ، ووقف لخدمته مائلا ، وهـز عطـف الابتهاح اليه مائلا ، واحضر له مفاتيح بلده ، وقدم له كل ما في يده ، ولم يبق من الجميل شيئا الا عمله ، ولا نوعا من الفضيلة الا كمله ، وعرض عليه الحصن العراب ، والتحف والثياب ، وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده ، وخصهم وعمهم من الجود بامداده ، وعول ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ، ويساعده على الضالة التي يزشدها ، وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما اقلقه ، ودفع منه الى ماأرهبه وأرهقه ، ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله ، وراجيا لأفضله ، ولائذا بجنابه ، عائذا ببابه ، مستجيـرا بارعائه ، مستجيبا لدعائه ، مفوضا ماحل به الى أنوار آرائه ، مـروضـا ماحل بانواء الآئه ، فـاحتمى له واحتمله ، وقوى على تقويته امله ، وخاطب السلطان في حقه واستعطفه ، وشفع في امره واستشفعه ، وقال أنا أمضي اليه

وأستحضره وأؤمنه مما يحذره ، وتبقى هذه السنة عليه حران
والرها ، وتشد من رجائه بذلك ما وهي ، وتعطيه في السنة الاخرى
حماة والمعة ، وتكفي المضرة والمعة ، ثم قرر السلطان مع أخيه
العادل ان يأخذ تلك البلاد ويحـويها ، ويملك حـوزتها
ويحميها ، ويكف عنها ويكفيها ، واستقر ان ينزل عن اقطاعه
بمصر ونصف خاصه ، واذا اخذ تلك البلاد فما يجاوره يجتهد في
استخلاصه ، فأبدى على الرضا بذلك وجـه كراهيته
واعتياصه ، واستزاد قلعة جعبر ، فتمنع الملك الظاهر من تسليمها
حتى استظهر من ابيه بأضعافها واستظهر وتقرر مسير الملك العادل
في العشر الأول من جمادى الأولى . وكتب السلطان بعود الملك
الأفضل فجاء هذا راجعا ، وذهب ذاك مسارعا ، ووصل الى حران
والرها ، ففاز من تدبيره بالنجح المشتبه ، وبلغ من مراده الى أمد
الأمـل المنتهى ، وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحـب ابن تقي
الدين ، ووصل في هذا الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل مجاهد
الدين يردنقش ، واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام
يأنس ، والكفر يستوحش ، وأقامت تنتظر مسير الملك العادل لتسير
في خدمته ، وتتجلى راياتها في مطالع رايته .

ذكر رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهرا أنه على قصد ثغر بيروت

لما تعذر على الفرنج قصد القدس ، وعرفوا أن مرضهم به في
الذكس ، ورأوا ان ثغر بيروت قد براهم ، وعراهم من القوة مامنه
عراهم ، وأنه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه ، وقد فجعوا
بمصائبه ونوائبه فقالوا أخذ هذا البلد هين ، وقصده متعين ، واذا
حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلا القدس من
جملة كتائبه وجمرة مضاربه ، فنبادر اليه من يافا وعسقلان ، من
يجد في تملكه الامكان ، فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من

القصد ، ودبروه من الكيد ، أمر الملك الأفضل بمباراة القوم في الرحيل ، وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل ، وسبقهم الى مرج عيون ، وحتى اذا تيقن من قصدهم المظنون سبقت العساكر الى بيروت وبخلتها ، ونكت الفرنج ونكبتها وحولتها ، وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق ان يكونوا مع ولده وأن يضموا أمدادهم الى مدده ، ونزل بمرج عيون والفرنج بعكا بعد ، تجاوز ولم تعد .

ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها

ولما رحل ملك الانكثير وسار وخلى وراءه البيار ، ترك في مدينتي يافا وعسقلان ، جمعا من منتخبي الرجال والفرسان ، ووصاهم بالجلد ، في حماية البلد ، فانتهاز السلطان فرصة الغيبة ، وأوفد الى مساغ رجائهم غصة الخيبة ، ونهض بعسكره الحاضر ولم يتمهل لا انتظار العساكر ، ووافى يافا ووفاهما بـ كيـل المنجنيق احجارا ، وأراق دماء وساق دمارا .

وزحف الناس وحفز الباس وفرعت المدينة ، ورفعت منها السكينة ، وقتل من بها ومسح وأخذ ما بها وكسح ، ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر فأخذت وحملت وعلت الايدي والسيوف من الدماء والأموال ونهلت ، ونفضت كنائن ونظفت خزائن ، واستخرجت دفائن ، وولجت مكامن ، وحصل استمتاعنا بأمتعة ، وانتفاعنا بكل مذفعة ، وامتلا البلد الكافر بالمسلمين ، وبقيت القلعة وطلب حمايتها الأمان ليكونوا لها مسلمين. وكان الناس قد سبقوا اليها ، وقرب ان يستولوا عليها وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب . وقد شارف من فيها الشجب ، فلما طلب الأمان رد الناس وكفوا. فظن ان الغنيمة تصفوا. فانه خرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين الأكابر ، على

أن يدخلوا تحت حكم الأسار ويسلموا جميع المال والعدة والنخائر
على أن يطلق كل واحد منهم بأسير .

ويبقى صغير بصغير . وكبير بكبير وشرعوا في الخروج احاداً
وعشرات . وعصبا متفرقات في ساعات حتى بخل الليل فاستمهلوا
الى الصباح . وطلبوا واقترحوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ما عيذوه
من الاقتراح . وما زال يخرج منهم من يستدعي زيادة التوثقة
وتنفيذ خناقمهم بالمضايقات المرهقة . حتى وصل ملك الانكثير في
البحر . في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر . ودخل هو القلعة
من الجانب البحري ونادوا بشعار الغدر . فاكثفنا منهم بمن حصل
في الاسر . وندمنا كيف خرجت اللقمة من الفم . ولانفع بعد فوات
الفرصة للندم . ولو ان السلطان توقف في تأمينهم . واستمر على
توهمهم ، لقلعت اساس تلك القلعة ، ونقضت رقعة تلك البقعة .
ولقد كان ذلك فتحاً عظيماً ، وفضلاً من الله عميماً . فقد امتلأت
الأيدي بغنائم تلك المدينة . ووهت اسباب قواهم المتينة . واستعيد
ما نهبوه من الكيسة المصرية . وفزنا بالغنائم السنية . وقتل من
اقام بالبلد واسر وكشط جلد تلك المدرة وبشر . وحصل في اليد من
مقدمي القلعة نيف وسبعون . وتركوا وهم بالثبور يدعون . وكان
القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت . وخشي على فرصة حفظها
ان تفوت ، فمن الله تعالى بحصول المقصود . وفزنا بجني الجهاد
بغير بذل المجهود . وجرى الامر على الوجه المأمود . وانما وقع
التندم : كيف لم يقع في اخذ القلعة التسرع والتقدم . فتعاصت بعد
الاذعان . وتعذرت بعد الامكان ، وجمحت بعد الاصحاب . وجنحت
بعد الاكتاب . وافلتت وقد وقعت في الحباله . واستقلت بعد العثرة
والاستقالة . وضعف افرنج من تلك الكرة . واثن نشاطهم بالفترة
وما انتعشوا ولا انجبروا من تلك العثرة والكسرة . وعاد السلطان
وخيم على النطرون . والعسكر قار القلوب قرير العيون وجاء اليه
الملك الافضل ولده والملك العادل اخوه . واسفرت بالمسار الوجوه .
وكان ولده الملك الظاهر ايضاً قد وصل . وفي هذه الغزاة حضر
وبينهما حصل . وكذلك كان قطب الدين سكرمان بن محمد بن قرا

ارسلان حاضرا . واخذ من السعادة حظا وافرا . وحصل بيده جرح
يؤس ان يؤسى . وظن تلك النعمة يؤسى . ثم اندمل جرحه . وفازت
قداحه وحاز السنن قبحه واقام السلطان حتى اجتمعت العساكر
ولحقت اوائلها الاواخر . ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقييه
في بيضه وسمره ومشرفيه وسمهريه . هذا والملك متأخر في المخيم .
بسبب عارض السقم وملم الالم . ورحل السلطان ونزل بالرملة
والعساكر في عدد الرمل والاسلام قرير العين من اهله بجمع
الشم . والقضاء قد امتلا . والقضاء قد اجترا . والقدر قد اسعد
والسعيد قد قدر . والنصر ابدى الصفو وانهب الكدر . وتلك البرية
قد حوت البريه . وجمعت العسكرية والكمات الجارية والكمات
الجرية . والاعراب والعراب . والمحارب والحراب . والاجاود
والجياود . والاساود والاساد . والبياض والسواد . والعدد
والاعداد .

فصل في وصف الحال من كتاب الى الديوان العزيز

الخادم حاله على ما انناه غير مرة في مرابطة اهل الكفر مستمرة .
واقاويق النصر على حذولها تارة وبكنها اخرى مستدره . والحرب
سجال . وللإسلام في مضمار الظفر مجال . وقد تجاوزت القصة عن
حد الانهاء . وكلما شارفت القضية الانتهاء . عادت الى الابتداء .
والحادثة متصله والواقعة مسدقبله . والنعمة من الله في اجراء
اوليائه على اجمل عاداته بانجاد عادته في قمع عادته مؤمله . وما
ينقضي يوم الا عن نصرة تتجدد ، ونعمة تتمهد . وجمع للعدو يتبدد .
وجمر لنكاية فيه يتوقد . وخذ للسيف من حده بدم الشرك يتورد .
وفتح بكر من العوان بلقاح البيض الذكور يتولد . واخر ماتم في هذه
الايام . من مرهجات الكفر ومبهجات الاسلام . حظوة حلوة . وذوبة
مالها نبوه . وهي ان الفرنج لما اعجزهم قصد البيت المقدس . ولم
يستقم لهم ما سولوه في الانفس عكسوا زعمهم . ونكسوا عزمهم .
وعادوا خائبين . ونكصوا هائبين . واستأنفوا مكيدة اخرى .

وشرعوا في شر خلف الشرك به يمري . واجمعوا على قصد مدينة بيروت ، وتآمر على الاتجاه نحوها اعداء الله اولياء الطاغوت . فسارت العساكر الاسلامية على مباراتهم . لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم . وتجرد الخادم في خواصه ووافي يافا . موقنا من الله تعالى ان مدد نصره اليه يتوافي . وحمل اليها من معتقلي نبات الاسل ومشتلي بنات الخلل الاسد والعرين . (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) [الصافات ١٧٧] فاخذها بالسيف عنوة . واعاد ضرام النيران بها جنح الليل ونزل البطرق والقسطلان والمرشان وجماعة من المتقدمين خرجوا وبخلوا تحت القهر فبيناهم مشتغلون بالنزول . ومنقطعون الى الوصول . جاءهم الغوث في البحر . وظهرت منه . وامارة الغدر . ورجع العدو عن مقصده ورده الله وخذله . ونصر الاسلام واخذله . وسره بما يسره له واجذله . ونال سيف الدمار من سيب دمائهم عله ونهله . وكان المقصود ردهم عن موردتهم . وصدتهم عن مقصدهم . فابى ماقيضه الله من فتح الهدى وحترف العدا على الارب . واهتزت اعطاف البيض والسمر المذشبة من كاس نجيعها للطرب . والقوم الان قد اشتغلوا بمصائبهم . واجتمعوا لضم ماانتشر من اسبابهم . وراسلوا في الصلح على ان تخلي لهم عسقلان فما اجيبوا . وعلموا بجهلهم انهم مااصابوا فيما دبروه لادبارهم فاصيبوا . والعساكر الاسلامية اليوم مجتمعة . ومسالك المهالك لضائقتهم ومضايقتهم متسعة . وقد آن ان تحل معاقد معاقلهم التي هي ممتنعة . وكل مايجده الله من علو يظهر . وعدو يقهر . ونصر يزهر . واصل بالظفر يشهر . فهو ببركات الاستمسك بطاعة الواقف الشريفة الامامية الناصرية . وبحمد الله ويمن ايامها وفضل انعامها دلائل النصر ظاهرة . واسباب الظهور متناصرة . ووجوه الامال بنشر نجاحها وبسر ما في اقتراحها سافرة .

ذكر الهدنة العامة

لما عرف ملك الانكثير ان شمل العساكر قد اجتمع . والخرق عليه
قد اتسع وان القدس قد امتنع . وان العذاب به وقع . خضع
وخشع . وقصر الطمع . وعلم انه لا قبل له بمن اقبل . ولا ثبات مع
الجدفل وقد حذل . فظهر انه ان لم يهاين اقام واستقبل . وللشر
استقبل . وانه عازم على العودة الى بلاده . لامور مردها يعود الى
مراده . والبحر قد ان أن يمنع راكبه ، ويسئم بالامواج غواربه ،
فان هابنتم وطاوعتم تبعتم هـواي ، وان حاربتم وعصيتم القيت
ههنا عصاي واستقرت نواي ، وقد كل الفريقان ، ومل الفريقان ،
وقد نزلت عن القدس وانزل عن عسقلان ، ولا تغفروا بهذه العساكر
المجتمعة من الجهات . فان جمعها في الشتاء الى الشتاء ، ونحن
اذا اقمنا على الشقاق والشقاء . رمينا انفسنا على البلاء ، فاجيدوا
رغبتي . واصيبوا محبتي ، وادعوني العهد ودعوني . وادعوني
وودعوني ، فاحضر السلطان امرأه المشاورين وشاورهم في
الامر ، واطهرهم على السر ، واستطلع ما عندهم من الرأي ، وسرد
لهم الحديث من المبادئ الى الغاي ؛ وقال لهم نحن بحمد الله في
قوه ، وفي ترقب نصره مرجوه ، فانصارنا المهاجرون الينا ذوو دين
وكرم ومروءة ، وقد افنا الجهاد . والفيينا به المراد ، والقطاع عن
المألوف ، وما تصدع الى اليوم بتأييد الله لنا شعب ، ومالنا شغل
ولامغزى الا الغزو ، وما نحن ممن يشوقه اللعب ويسوقه اللهو ،
واذا تركنا هذا العمل فما العمل ، واذا صرفنا عنهم الامل ففيم
الامل ، واخشى ان يأتيني في حالة بطالتي الاجل ، ومن الف الحلية
كيف يألوه العطل . ورأيي ان اخلف رأي الهدنة ورأيي ، واقدم
بتقديم الجهاد اعتزازي واليه اعتزائي . وما لنا بطالب البطالة .
فارغب عن استحالة هذه الحالة . وقد رزقت من هذا الشيء فأنا
الزمه . ولي بتأييد الله من الامر اجزمه واحزمه . فقالوا له الامر
على ماتذكره . والتدبير ماتراه والرأي ماتدبره . ولا يستمر الاماتمه
من الامر . ولا يستقر الا ماتقرره . وان التوفيق معك في كل ماتعده

وتحله وتورده وتصدره . غير انك نظرت في حق نفسك من عادة
السعادة . وارادة العبادة . واقتناء الفضيلة الراجحة . والاعتناء
بالوسيلة الناجحة والانف من العطله . والعزوف للعزله . وانك
تجد من نفسك القوة والاستمساك . ويقينك يعرفك بالالاماني
الادراك . فانظر الى احوال البلاد فانها خربت وتشعثت . والرعايا
فانها تعكست وتعالت . والاجناد فانها نصبت ووصبت . والجياد
فانها عطلت وعطبت . وقد اعوزت العلوفات . وعزت الاقوات .
وبعدت عنا العمارات . وغلت الغلات . ولاجلب الا من البيار
المصرية . مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية . وهذا الاجتماع
مظنة التفريق . ولايدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد
منقطعة . والجواد ممتنعه . والمترب قد ترب . والمعدم قد عطب .
والتبن اعز من التبر ، والشعير ليته وجد وإن كان غالي السعر .
وهؤلاء الفرنج اذا يذسوا من الهدنة بذلوا وسعهم في استقراغ المكنة
واستنفاد المنه . وصبروا على المنية في طريق الامنيه . وابوا في
الاقبال على بينهم قبول اللنيه . والصواب ان نقبل من الله الاية
التي انزلها وهي قوله (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (الانفال
٦١) . وحينئذ تعود الى البلاد سكانها وعمارها . وتكثر في مدة
الهدنة غلاتها واثمارها . وتستجد الاجناد عدتها وتستريح زمان
السلم ومدتها . فاذا عادت ايام الحرب عنا . وقد استظهرنا
وزينا . ووجدنا القوت والعلف . وعدمنا المشاق والكلف . ففي
ايام السلم نستعد للحرب . ونستجد ادوات الطعن والضرب .
وليس ذلك تركا للعبادة . وانما هو للاستجداء والاستجدار
والاستجاده . على ان الفرنج لايفون . وعلى عهدهم لايقفون .
فاعقد الهدنة لجماعتهم لينحلوا ويتفرقوا . وقد شقوا بما لقوا .
ومايقم لهم بالساحل من يقدر على المقاومة ، ويستقل بالملازمة .
وما زال الجماعة بالسلطان حتى رضي . واجاب الى ما يقتضي .
وكانت قد بقيت بين العسكرين منزلة واحدة . والعجاجات على
الطلائع متعاقدة . فلو رحلنا رحلناهم . وعلى الهلك احلناهم .
لكن مراد الله غلب . واجيب ملك الانكثير من الصلح الى ما طلب .
فحضرت لانشاء عقد الهدنة وكنت نسختها ، وعينت مدتها وبينت

قضيتها ، وذلك في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لاول ايلول لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر ، وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر ، وتتصل امدادهم على الحشد والحشر ، وعقدت هدنة عامة في البر والبحر ، والسهل والوعر والبدو والحضر . وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور . وابدوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور . وادخلوا في الصلح طرابلس وانطاكية . والاعمال الدانية والنائية .

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في شرح نوبة يافا ثم افضاء الامر الى عقد الهدنة

قد سبقت مطالعة الخادم بانهاء حاله . وما هو لا يزال مستمرا عليه من جهاد العود وقتاله . وما كان عليه الكفر من الجمع الملتهم والجمر الملتهب . والحشر والحشد المضطرم المضطرب . وانهم قد اجتمعوا على قصد البيت المقدس . وعزموا على بذل المصونين من النفائس والانفس . وسلكوا في القصد كل طريق . وتوافوا وتوافدوا من كل فج عميق . ودنوا على ظن ان جنى الفتح لهم دان ، وان شبا الحتف عنهم وان . ولما قربوا عرفوا ان المرمى بعيد المرام . وانهم لا يستطيعون مقاومة عسكر الاسلام . فذكصوا على اعقابهم . ونكسوا ماضربوه من ارائهم وارابهم . وعلموا عقبى ما جهلوه . وقطعوا من اسباب العزم ما وصلوه . ونكثوا من عقد القصد ما ابرموه . وشرعوا في امر آخر توهموه . ومضوا واستأنفوا الاستعداد . واستنهبوا الامداد ، وحصنوا بلادهم . وجمعوا فيها طرافهم وتلاذهم . وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعة . والعدة النافعة . والشوكة الرادعة . والشكة القاطعة . واستظهروا فيها بكل ماقدروا عليه من المنعة الحامية . ورجال الصبر على النار الحامية . ثم ساروا بحشودهم المجموعة وجموعهم المدشونة .

وظلال الضلال الممدودة وصلال الصلادم المقودة . مستمطري
شأبيب الانابيب . مستفري سراحين السراحيب ، وتوجهوا على
سمت ثغر بيروت بنية العصر . وغفلوا عما اجراه .
الله لاوليائه على أعدائه من عوائد النصر . ولما نذى خبرهم . وطار
شرهم . وخيف ضرهم . أنهض الخادم العساكر المنصورة إلى
مقابلتهم . ومباراتهم ومقاتلتهم . ونزل في مماليكه وخواصه .
ورجال الاقدام ذوي استخلاصه . على مدينة يافا فأخذها بالسيف
عذوة . وجب بها من سنام الكفر ذروة . وحل منه بفزوته اليها
عروة . واستكمل للاسلام . بتملكها حظوة . وقتل كل من حوته
وسبى . وناب المشركين بما بنى مجده ومضى حده فيه وما نبا .
وغنم من أموالها المسلمون ما خف وثقل . وأسر من وجد فيها
وقتل . ونهب من آلات الحصر ما خرج عن الحصر . وابتذل كل ما
صين من الغلال والعدد والمال الدثر للنخر . وطلب أهل القلعة الامان
من القتل خاصة دون الأسر . وشرطوا أنهم لايمكثون من الدخول
اليهم من جاءهم للنجدة من البحر . وأخرجوا على سبيل الرهينة
مائة رجل من محتشميهم . وكثودهم ومقدميهم . مثل البطرك الكبير
والقسطلان والمرشان ومن يجرى مجراهم من الفرسان . فلما
أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر فغدروا . وامتنعوا بعد انقيادهم
للعجز حين قدروا . وخيم العدو هناك في جموعه . وندب الى عسكره
من يأمره برجوعه . ووافيت في البر جحافة حافلة . وتواردت في
الاسراع إلى الصريخ ظلماتنا جافلة . فاجرى الخادم على الرهائن
حكم الاسترقاق . وسيرهم إلى دمشق في أقياد الوثاق . ورجع الى
القوم فهزمهم وردهم الى عكا . بعد ما نكى فيهم وأضحك من
دمائهم البيض وأبكى . وعاد إلى العدو ونزل عليه . وكدر الموارد
لديه حين زحف إليه . واجتمعت من أهل الاسلام العساكر .
واقسعت على المشركين في المضايقة الدوائر . ورجا المؤمن وخاب
الكافر . وجالت بأوجالها الضمائر لما جالت عليهم الضوامر .
وعاينوا العذاب الواقع . وعدموا الدافع . وشاهدوا المصارع . فما
زالت رسالهم تتردد بالضراعة . وبذل الطاعة . والنزول عن
الاشتطاط . والدخول تحت الاشتراط . والغبطة بما هزل له الاسلام

عطف الاغتباط . واحتوى عليه بيد الاحتياط . وكانوا لا يجابون إلا
بالاباء . ولا تلقى رسلكم إلا بتصميم عزم اللقاء . حتى حضر أكابر
الدولة وأمراؤها . وأولياء الطاعة والباؤها . وأشاروا بعقد الهدنة .
والانتهاز فيها الفرصة المكنة . واستقرت المهانة على ما أعزه
للاسلام الانوف وأذل من الكفر الرقاب . ورجح وأنجح من أهل
الايمن الآراء والآراب . بعد أن نزلوا عن البلاد والمعازل التي
تملكوها . وبعثوا عن الطرق التي سلكوها . وسألوا الأمان على
الاماني التي استدركوها وما أدركوها . وسلموا عسقلان . وغزة .
والداروم . ويبنى . ولدوتل الصافية . وغير ذلك من الاعمال والاماكن
الوافرة الوافية . واقتنعوا بيافا . وعكا . وصور . واستبدلوا من
تطاولهم وقدرتهم العجز والقصور . ورأوا عزهم في ذلهم . وصونهم
في بذلهم . وسلامتهم في سلمهم . وغناهم في عدمهم . ولانوا بعد
الاشتداد . ودانوا للانقياد . وهانوا بعد الاعتزاز وهابوا بعد
الاغترار . وأقروا بعد الانكار لتعود جفونهم الى الفرار . وأمورهم
الى القرار . وخلوا بيارهم وأخلوها . وما سألوا عن حب الاوطان
والاوطار وسلوها . ومدة الهدنة التي أخذوا بها اليد واعطوا
اليمن . ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها أول أيلول يوم الثلاثاء
الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين . ووضعت الحرب
أوزارها . ورحضت بماء السلام أوضارها . وأخذت من أهل النار
نارها . وقصدت الفرنج من وراء البحر بيارها . ولا شك أنهم
يستعدون في هذه المدة . ويستمدون ما يستطيعونه من القوة والعدة .
ويستجدون عزمة العودة . وقد شرع الخادم في تحصين الثغور .
وإمرار الامور . وإبرام معاهد المعازل . وإحكام قواعد الحق بتعفية
آثار الباطل . وإتمام أسوار القدس وخنادقه . حتى يبقى على الدهر
أمننا من طروق العدو وطوارقه . وإعانة الاعمال والاحوال إلى عادة
عمارتها . وحلية نضارتها . وإجمام العساكر وإراحتها . ليوم
تعبها الذي هو عين راحتها . ولقد كان الخادم للسلم متكرها .
ولا يرى أن يكون كشسيمة ملوك العصر عن الغزو مترفها . لكنه
أجمع من عنده من الأمراء وذوي الآراء على أن المصلحة في المصالحة
راجحة . وأن صفقه الكفر فيها خاسرة وصفقة الاسلام رابحة .

وان في اطفاء هذه الجمرة وقد وقدت سكونا عاما . وأمنا تماما .
وتفريقا لجمع الكفار لشمّل النصر عليهم ضامّا . فهي سلم أنكى من
الحرب فيهم . وانها تقصّيههم من هذه الليار بل تدفيهم . والى متى
تجتمع هذه الاعداد الهائلة لهؤلاء الاعداء . وتتفق هذه الامداد
المتواصلة من أهل النار في الماء . وما صح لهم هذا الجمع على
التكسير إلا في خمس سنين . وما وافى اليهم مددهم من الوفاء سوى
مئتين . وكل ما كان لهم من أموالهم في بلادهم نقلوه وانفقوه .
وأيقنوا أن مرامهم صعب وتحققوه . فمتى انفضوا انقضوا . وقد
أن ان يرفضوا ويرفضوا . وإلى أن يتفق مثل هذه الجموع . ويعزم
ذاهبهم على الرجوع . يكون الاسلام قد استظهر بقوة . واستكثر
من نجده ومن جدته ، فرأى موافقة الاجماع . وقبل مناصحة
الاشياع . وتفرق جمع الكفر وباح جمره . وأمن ذكره ومكره .
وانشرح صدر الاسلام وتضوع نشره . وتوضح بسنى النصر
فجره .

ذكر ما جرى بعد الصلح

عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته . واشتغل باتمام
السور والخندق وتكميل عمارته . وفسح للفرنج كافة في زيارة
قمامة . فجاؤوا ووجدوا الامن والسلامة . وزاروا ورازوا . ولما
عجزوا أن يحتازوا سألوا ان يجتازوا . ففسح لفريق من بعد فريق .
وتوافوا في طريق وراء طريق وقالوا إنما كنا نقاتل على هذا الذي
وجبناه مع الصلح . ومازلنا سائرين في ليل القصد حتى وصلنا إلى
الصبح . وكان ملك الانكثير راسل السلطان وسأل منع الزيارة الا
لمن وصل معه كتابه أو رسوله . ورغب في أن يجاب سؤاله في ذلك
ويصاب سوله . فقليل مقصوده انهم يرجعون إلى بلادهم على حسرة
الزيارة . فيبقون على الاستنفار والاستثارة . ومن زار برد قلبه .
وتنفس كربه . ولم يبق له في مشقة العود أرب . ولم يتصل له لهذه
الليار سبب . فكان الامر كما حسب فاعتذر إليه في الجواب الذي

كتب . وقيل له أنت أولى بمنعهم . وردهم بردعهم . فانهم يصلون
إلينا وافدين . ولزيارة الكنيسة قاصدين . وما يقتضي كرمنا أن نرد
الوفود . ولانبلغ من يقصدنا المقصود . ومرض ملك الانكثير مرضا
الهاه عما اشهاه . ولم يبلغ في هذا الغرض إلى منهاه . وركب البحر
وأقلع . وعجل في مفارقتة وأسرع . وسلم الامر الى من يليه . وهو
الكند هري ابن أخته من أمه . وهو ابن اخت ملك أفرنسيس من أبيه
وتبعه فرنج الجزائر . ولم يقف الاول على الآخر .

ذكر ما عزم عليه السلطان

عزم على الحج وصمم . وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم . وأمر
بأن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج إليه من الازواد والذققات .
والثياب والكسوات . ف قيل له لو كتبت إلى أمير المؤمنين وأعلمته
بحجك وعرفته بنهجك . حتى لا يظن بك أمر أنت منه برىء . ويعلم أن
قصدك في المضي مضيء . والوقت قد ضاق ويبلغ الخبر الافاق . ثم
هذه البلاد اذا تركتها على ما بها من الشعث . لم تبرم مرر حبلها
المنكث . وهذه المعازل التي في الثغور ، حفظها من أهم الامور .
ولا يغير بعقد الهدنة . فان القوم على ترقب المكنة . والغدر دابهم .
ومليء البغي إهابهم . فما زال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من
العزم ما عقده . واطفأوا من نار جده فيه ما وقده . فشرع في ترتيب
قاعدة القدس في ولايته وعمارته . وتهذيب عمله ومعاملته . وكان
الوالي بالقدس حسام الدين سياروخ . وهو تركي يقتدى به في
زهاده وحسن سيرته الشيوخ . وكان فيه بين ولين . وحبله في
الخير متين . ولم يزل مستوفيا لحق الامانة . مستعفيا من الولاية
لطلب الصيانة . فانصرف حميدا أثره . كريما مورده ومصدره .
وفوض السلطان ولاية القدس الى عز الدين جريدك . وقال تهديك في
الامور يغنيك عن ان نهديك . وإنما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال
الكفاية والشهامة والديانة فيك . فتول أخذنا بالحزم في تثبيتك

وتأنيك . وترويك وتأتيك . وولى علم الدين قيصر اعمال الخليل
وعسقلان وغزة والداروم وما والاها ، فخرج اليها وتولاها . وأمر
بنقل الغلات من البلقاء لتقوية الفلاحين . واعانة المقطاعين ، وكذلك
أمر بنقل الغلات من مصر الى أعمال عسقلان . ليعيد إليها الزراعة
والعمران . وسأل الصوفية عن أحوالهم وأن سؤاله عنها باجابة
سؤلهم وسرلهم . فانه كان وقف دار البطرك مجاورة قمامة لهم
رباطا . وجعل لهم كل يوم فيه سماطا . وزاد في الوقوف . وحكمهم
في الانفاق بالمعروف . وكان قد جعل كنيسة صندحنا عند باب
الاسباط للفقهاء الشافعية مدرسة . وردها بنية على التقوى
مؤسسة . وزاد في أوقافها . ووفر مواد تلامذتها وطرافها . وأمر بان
تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة بيمار ستانا
للمرضى . واتخذ فيها بيوتا فيها حاجات أصحاب الامراض على
اختلافها تقضى ، ووقف مواضع عليها . وسيرادوية وعقاقير عزيزة
الوجود اليها . وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي
بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم . وعول منه على أمين كريم .

ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال . وقد دبر
الاحوال . وأقام بعده الاعتدال . وأفاض الفضل والافضال .
وجاوز ناحية البيرة . وقد جلا جلاله سني راياته المنيرة . وبات على
بركه للداوية . بالهمة الروية والعزيمة القوية . ونزل على نابلس
ضحوة يوم الجمعة . وجمع شتات مصالحها المتوزعة . وكثرت
الاستغاثات على سيف الدين علي المشطوب صاحبها . وأنه قد طرق
الرنق الى مشاربها . وزاد في رسومها ونوائبها . فاقام بها الى ظهر
يوم السبت حتى كشف مظالمها . واضحك بالعدل والاحسان
مباسمها . واسقط رسومها الجائرة . وأمات سننها الضائرة .

وأصفي بها شرعة الشريعة . وأصفي ظلال الرعاية للرعية في
مراعيها المريعة . ورحلنا بعد الظهر . وبقنا ليلة الاحد عند عقبة ظهر
حمار بموضع يعرف بالفريديسة . ورتعنا في مروجها الانيسة .
وأصبحنا راجلين . ونزلنا ضحوة على جبين . وهناك ودعنا
المشطوب وداع الابد . فانه انتقل بعد ايام الى رحمة الواحد
الصمد . وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال .
ورحلنا يوم الاثنين وجئنا ضحوة الى بيسان . وأزال حلول
السلطان عنها البؤس واشاع الاحسان . وصعد إلى قلعتها
المهجورة الخالية . فابصر قلها العالية . وقال هذه اذا عمرت دامت
في حضانة الحصانة . وكان جبلها لوثوقه مستودع الامانة .
والصواب بناء هذه وتخریب قلعة كوكب . ولم يزل حتى بين كيفية
بنائها ورتب . ووعد باحكامها ، وإعلاء اعلامها ، ثم ظهر ظهرا
وبات على قلعة كوكب . وشاهدها وصعد نظر رأيه فيها وصوب .
ورحل عنها ضحوة الثلاثاء ونزل بظاهر طبرية وقت العشاء . وهناك
لقينا بهاء الدين قراقوش وقد خرج من الاسر . وتلقيناه بالبشر
والبر . واقمنا بها يوم الاربعاء لتوافر الانداء . وتواتر الانواء .
ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صدف تحت الجبل . وصعد
السلطان اليها وامر بتسديد ما فيها من الخال . ثم سار يوم الجمعة
على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضیعة يقال لها الحبش . وهي
عامرة محتوية على سكانها . كأنها العش ، وسرنا منها وخيمنا
على مرج تبنين . وبقنا باحوال قلعتها معتنين . واصبح السلطان
حوالي حيطانها باحوالها محيطا . ممتطيا قلة قلعتها ولاسباب
اختلالها مميطا . ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالحها بكفايته
منوطة . وسداها بسدانه منوطا . ثم رحلنا بكرة السبت وجزنا
على قلعة هونين . ونزلنا من الجبل . وبقنا على عين الذهب
 واجتمعنا بالثقل . ورحلنا يوم الاحد وخيمنا بمرج عيون . وجلس
السلطان على عادته معنا في تدبير الممالك تلك الليلة وسهرت
العيون . ورحلنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى . وقطعنا
في الطريق الوعر الوهاد والذرا . وعبرنا بين عمل صيدا يسرة وعمل
وادي التيم يمنا على الضياع والقرى . وعرسنا على مرج تافياثا

مقابل مرج القنعية . ودفعنا إلى سلوك المسالك الصعبة . ثم أصبحنا يوم الثلاثاء على الرحيل إلى البقاع من تليفاتنا فخيمننا على جسر كامد . والسلطان مشغول في طريقه من تقرير العمارات وتحرير سنن الحسنات باقتناء المحامد . ثم غدونا يوم الأربعاء وخيمننا بناحية قب الياس وقد اصحرننا إلى القضاء . وأقمنا ذلك النهار راتعين نت القواضل السلطانية في النعماء . ولما جن الليل جمعتنا بالخضرة السلطانية الانوار . وسرت اسماعنا منه اسماء رجال الفضل والكرم وسنتهم لا الأسفار ، ودخل السلطان يوم الخميس إلى بيروت ، وانجز بالوصول إليها وعدة الموقوفات ، ونزلت الاثقال على مرج قلميطية بالبقاع ، وأقامت خمسة أيام على الاستراحة والأياداع .

ذكر وصول السلطان إلى بيروت ودخول بيمنند الابرنس صاحب أنطاكية عليه والاستجارة به وذكر سامة

ولما وصل السلطان إلى بيروت تلقاه واليهما عز الدين سامة ، بكل ما توفرت به الكرامة ، واستقبل الأوصحاب بصدور رحيب وظل خصيب ، وسماحة أريب وسجاجة لبيب ، وفتحت الأهرام على غلاء الغلات بالثغر ورفع اغلاقها ، وسبلها وما قيد اطلاقها وقدرى واضاف ، وادنى القسطاف ، واصدق العطف ، وتلطف في الهدايا وأهدى الألفاف ، وفرق على الصغير والكبير التحف ، واحضر للسلطان ولكل من معه الطرف ، واغنى واقنى ، واعدم في الجود الموجود واقنى ، واعطى الخيل والمماليك والجواري والملابس ، وبذل النفائس ، وزف على اكفاء المحامد من ابحار المناقب العرائس ، واظهر في مكان الشدة الرخاء ، وفي مظنة الضن السخاء ، واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجاء من سماء السماح الرخاء ، واحضر كل ما عنده مما كسبه في الغنيمة ، جريا

على كرم الشـيـمـه ، و مـن الجـوـخ الـأفـرـنجـية والثـيـاب
البـنـديـقيـة ، والـهـنـايـات الـفـضـيـة والـأكـواب الـجـيـنيـة ، والسـرـوج
والـجـم ، والـأكـسـيـة والـحـزـم ، والمـهـامـيز والمـلـالـيـط
والـغـفـافـير ، والعـرـوض والـدـراهم والـدنانـير ، فـفـرق مـن ذلـك ما
جـمـعه ٠ ورفـع الـى كل مـنـه ما اسـمى قـدره ورفـعه . وما انـفـصل عـنه
الـأكـل مواصـل بـشـكره ، مسـاـجـل امـثـاله بـذكـره ، مـضـوع كل ناد
للـكـرام بـذـشره ، وقام بالـسلطان وبكل مـن صـحـبه مـدة مـقامه ، واعـجب
واعـجز ما صدق باهـتـمـامه .

ذكر وصول الابرذس بيمند ودخوله على السلطان

ولما اراد السلطان عن بيروت الانفصال ، وذلك في يوم السبت
الحادي والعشرين من شوال ، قيل له إن الابرذس الانطاكي قد
وصل الى الخدمة ، مستمسكا بحمل العصمة . داخلا حـكـم
الذمه . فثنى عنانه ونزل واقام وما ارتحل ، وانن للابرذس في
الدخول ، وشرفه في حضرته بالثول ، وقربه وأنسه ، ورفع
مجلسه ، وأظهر له البشاشة والهشاشة ، وسكن من روع روعه
الحشاشة ، وكان معه من مقدمي فـرسانه اربعة عشر
بارونيا ، ووهب كلا منهم تـشـريـفا سريا ، وأجـزـل له ولهم
العطاء ، وأبدى بهم الاعتناء . وكتب له من مناصفات انطاكية معيشة
بمبلغ عشرين الف دينار ، وخص اصحابه بمبار ، واعجبـه
استرساله اليه ودخوله عليه بغير امان ، فلا جرم تلقاه بكل
احسان ، وودعه يوم الأحد وفارقه ، ووافق مراد السلطان انه
بمراده وافقه ، وانصرف المذكور مسرورا ، بين اسرته
مذكورا ، محبوبا بالمنح والمنن محبوبا .

ذكر وصول السلطان الى دمشق

لما خرج السلطان من بيروت يوم الأحد بات بالمخيم على البقاع ، واحضرنا تلك الليلة في نادي فضله للمؤانسة والامتناع • وتجاذبنا اطراف الآراء ، وهزنا منه اعطاف الآلاء ، واستدنيينا قطاف النعماء ، وقد قرب الدخول الى البلد ، والوصول الى الأهل والولد ، وكل يقترح مقصودا ويقصد اقتراحا ويظهر الى سكنه ومسكنه ارتياحا والتمناحا . فرحلنا يوم الاثنين وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج يبوس ، وقد شرح الله الصدر واطباب النفوس ، ووصل اليها من اعيان دمشق من سبق للتلقي والاستقبال ، واهلروا بقدمونا أسباب الاحتفاء والاحتفال ، وجاءتنا فواكه دمشق واطايبها ، واغتصت بالواصلين اليها مسالكها ومزاهبها ، ورحلنا يوم الثلاثاء وبتنا بالعراة ، وجرى المتلقون في التحفي بالتحف على العادة ، واصبحنا يوم الأربعاء ودخلنا الى دمشق وقد اخرجت اطفالها ، وابرزت نساءها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخرج كل من بالمدينة ، وحشر الناس ضحى ، واشاءوا استبشارا وفرحا وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد طالت ، فاهتزت بقدومه واختالت وقرت بفضائله الأعين ، واقرت بفواضله الألسن ، وزاعت اسرار السرور ، ورقت حبرات الحبور ، وطابت الأنفوس ، وغابت الأبؤس ، وانجلت المكاره وتجلت المكارم ، وافترت المباسم وهنيت بمواسمه المواسم ، وتهويت التهاني ، وهنيت الأمانى ، وغنت المغاني ولذت المجاني ، وسفرت المجالي ، وظفرت المعالي ، وتحلت الأحوال ، وتملت الآمال ، وراج الرجاء ، وارجت الأرجاء ، وفاض الجود • واستفاضت السعود • وعم العدل • وتم الفضل • واشرقت الافاق • وأفلق الاشرار • وكرم الفضلاء ، وفضل الكرماء . وحل في القلعة حلول الشمس في برجها ، وقد جلت اوجه السعود بأوجها ، وأخذت بحار سماحه في

موجها ، وسلكت المناجسح في نهجها ، وجاءت المنائح في فجها
بفوجها ، وصفت شرعة الشرع لواردها ، وضفت حلة الكرامة على
وافدها ، وفحت مرتجات ابواب الآلاء لمرتجيتها ، واستجدت عادات
انجاز عادات الجوائز لمستجديها ، ويسر اليسار لاسعاف
العافي ، وتمت على السن الانام اوصاف الصافي ، وجلس السلطان
في دار العدل فأعدى المستعدي ، ولبى المستدعي ، وأجاب
واجار ، وأنال وانار ، وجاد واجاد ، وبدأ واعاد ، وفي هذا الشهر
خلص بهاء البين قراقوش من الأسر ، واجتمع بنا يوم وصلنا الى
طبرية ، ولقي من السلطان الألفاف الخفية ، ووصل معه الى
دمشق واقام الى ان خلس اصحابه من الأسر ، وتوجه الى
مصر ، وقد صان نفسه ببذل ماله ، واخرج ثروته وبخل في
اقتلله ، وخرجت السنة والسلطان في اسنى سنانة ، وابهى جلاله
وأجلى بهائه ، والناس راتعون في رياض نعمائه ورسل الممالك
الغربية والشرقية عنده يخطبون ويطلبونه ، وينتظرون عزمه
ويرقبونه ، وهو يعدهم بانحسار الشتاء وانكساره ، وابتسام ثغر
الربيع واقتزاره ، والتهاب زهرازهارة ، وانتهاج سرح سلاح
اسحاره ، وانتباه عيون بهاره ، وانطلاق غرار عراره وانتلاق انواء
انواره ، وانطباق نواظر ثماره ، واصطفاف اوراق
اشجاره ، وانفتاح كمامه واتساق نظامه . وانتثار منظومه .
وانتظام منثور ، وانفجار صبح اسفاره ، وانفراج وجه
سفوره ، واجتماع لقيف اعشابه ، واستتماع حفيف
اقصابه ، والتماع بريق سحابه واتساع طريق صحابه ، وانشفاق
شقائقه ، وانعقاد عقائقه ، واشتمال شمائله ، واقتبال
قبائله ، وتارج صبا صباحه ، وتبلج صبا صباه ، وتورد وجنات
جناته ، وتوقد جمرات ثمراته ، وتندسم ضمير ضميراته ، وتصور
خدود تفاحه ، وتدور نهود رمانه ، واخضرار آس عذاره ، واحمرار
خد جلناره ، وتشنف اقطار النادي اقراط قطار الندى ، وتفوف
حافات الوادي بالوشي الوشيع من حول الرباب حول الربا ، فإذا
طاب الذسيم وذسم الطيب ، ودعا البلبل ولبى العنديل ، وتعطر
عبير الربيع وتصور الشقيق كأنه تخمر من عجين النجيع ، ووافق

مراد المرعي من المراد المريع ، وحلا الجنى اللجيني . وحلى النضير
النضاري ، وبقل العذار البنفسجي . واشتعل الخد الجلتاري
الناري ، ونجم في الروض النجم السماوي المائي ، وابتسم الثغر
الاقاحي ، وتذسم الضوع الصباحي ، وتحرك العرف السحري
الشجري ، وتأرج الذشر الروضي ، وتبلج البشر الوضي ، وانتشى
الذشأ الشكالي الشمولي . وانتعشت عاثرات اعشاب الشعاب ،
وقابلت القبول خطبة الفضل بفضل الخطاب ، وصبت الصبا في
محل خطيئة المحل بصوب الصواب ، فحينئذ آل جماح الاصحاب
الى الاصحاب ، وصرفت اشاجيع الشجعان وأيمان أهل الايمان كل
مواج العنان رواج السنان ، ونزعت النزائع الى الحلاب ، ورشفت
القواطع بشفاه ضرب الضراب ، واجتمعت العساكر وعسكرت
الجموع ، وسرت الطلائع وسر الطلوع ، ونهض أهل الجد وجد
النهوض ، وفاضت المنابع ونبعث الفيوض ، وضرب السرايق
السلطاني حيث النصر ينزل ، والسعد يقبل ، واليمن
يشمل ، والنجع يسهل ، والظفر يمثل ، والأمر يمثل ، والجد
يسمن . والهزل يهزل ، والعزم يولي . والوني يعزل ، ويعم العدل مع
اعتدال الزمان كل مكان ، ولا يتنفس الا بحديث الطاعة من يحدث
نفسه بعصيان ، واقمنا على هذا العزم الى آخر السنة ، والاجفان
مغضوضة على طيب السنه ، وظل البرد الشديد مديد ، والجلد واه
والهواء جليد ، وحد الشتاء في التشيت حديد . والجبال قد اشتعلت
رؤوسها شيبا ، والثلوج قد زرت على اعناق اطواها
جيبا ، والجوفي نظم ونثر ، والثرى من التراث مثر ، والهتون ناكب
ناكت ، والهتوف ساكن ساكت ، والمزن مزين ، والحزن
حزين ، والسماء سماط ، والذشاص نشاط ، والاسحاب
حساب ، والبرق والرعد انتحاء وانتحاب ، والبرد من ثلجه
برد . والمطر في نهجه طرد ، ولغيث عيث ، والوحد ريث ، وكانون
قد اكن الربا . وشباط قد شب الشبا . والنار محبوبة
مشبوبة ، وحدود النكب مذبوبة ، وحدود التهرب
مضروبه ، والسلطان مشغول بالصيد والقنص ، منتهز في العمر
للفرص ، مبتز بالبزاة والصقور ، حشاشات الوحوش

والطيور ، بكل جار جارح ، وطائر طارح ، يدني اجل الحجل
وحمام الحمام ، كانه غريم لها لاهي الفرام ، وكل شهيم ينقض
انقضاض السهم ، ويبط بطن البط بالحزم ، وأكثر الجلوس
بدمشق في دار العدل ، واغزر لمنتجيه در الفصل . وحكم
وقضى ، واسخط بالحق وارضى ، ووقف وامضى ، وما منع بل
اعطى ، واصاب وما اخطا ، وجاد واجاد ، وابدى واعاد ، ووافد
وافاد ، واحسن وزاد ، واغنى واقنى واجدى واسدى ، وأولى
وولى ، وأجار واجاز ، وحاز وفاز ، وقرب العلماء ، وأكرم
الفضلاء ، وفضل الكرماء ، وتكلموا عنده في المسائل
الشرعية ، وظفروا من جوده بالوسائل المرعية ، وما كان احسن الى
الحق اصغاه ، وأسرع للباطل إلقاءه . ولكل ذي فضل منه حظ .
ولكل ذي حفظ منه حفظ . ولكل محروم منه رزق ، ولكل مرزوق
الى حمده سبق ، ولكل فهم عنده سوق ، ولكل سهم عنده
فوق ، ولكل أدب لديه داب ، ولكل عاتب عدم من جوده
اعتاب ، ولكل مكرمة عنده باب ، ولكل دعوة عاف من اسعافه
جواب ، ولكل مستجد اجداء ، ولكل مستهد اهداء ، ولكل سائل
نائل ، ولكل ماحل وابل ، ولكل ظام ري ، ولكل حائم ورد
هني ، فما أسح مزنه ، وما أصح وزنه ، وما أسمح يده ، وما أوضح
جده ، وما أعلى جده . وما أجد علاه ، وما أجدى كفه وما أكفى
جداه ، وما أكثر حياهه وأغزر حياه ، وأرج رباه . وأبلغ محياه .
وممن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج ارسلان بن
مسعود بن قليج ارسلان ، وكانت وفاته يوم الخميس منتصف
شعبان .

كان له عشرة من البنين فولى كلا منهم اقليما ، وقصد به لناد
امر ذلك الجانب تقويما ، فقوي كل منهم في ثغره ، واستقل
بأمره ، ودب في طبعه حب الاستيلاء والاستبداد ، ومد عينه الى
ما في يد صاحبه من البلاد ، وكان أكبر بنيه قطب الدين ملكشاه قد
استحكمت قواه . واستطال هواه ، وهو حينئذ متولي
سيواس ، فأطاع في التملك على ابيه ملكه الوسواس ، وسعى الى

أن أبعد من عند والده اختيار الدين حسن بن غفراس ، وصور له انه يريد ان يستولي على الملك ، وينفرد بانتهاج المسالك وانتظام السلك ، وساعده صاحب ارزنكان وأمن اختيار الدين الى المذكور واختاره ، واستأذن السلطان ان يقصد بياره ، ويقيم عنده الى أن يصلح أمره مع أولاده ، ويأذن له في العود الى بلاده ، فاستصحبه صاحب ارزنكان ، وأوقع عليه في الطريق التركمان ، فقتلوه شر قتله ، ومثلوا به وبولده مثله ، فلما عرف ملكشاه أن وجه والده خلا ، وأنه عن حسن بن غفراس سلا ، ساق اليه ، وأخنى عليه ، ودخل قونية دار مملكته ، واستبد بحوز حوزته ، وقوي بعزته ، وعز بقوته ، وقال لوالده انا بين يديك ، واشفق عليك ، وأنفذ أوامرك ، وأوفر مأثرك ، وقتل أمراء كانوا لاييه ، وألزم خدمته من لايشتهييه ، فبقي معه كالمعتقل ، يظن حاليا وهو في العطل ، واستكتبه أنه ولي عهده ، والقائم بالسلطنة معه ومن بعده ، وتحرف في خزانته وملك أقسرا ، وفرع وفرى ، وقرع وقرا ، وقطع وبرى ، وقد مضى حديث ملك الألمان ، في ذلك الأوان ، وكيف وصل وعبر الى الشام ، وكيف قوي بهم في وهن الاسلام ، واستصحب معه والده الى قيسارية ولقصر اخيه نور الدين سلطان شاه وحصره ، وظهر انه بأمر والده وأنه شاد ظهره . وخرج عسكر البلد وصف ، ووقف وكف ، ورأى قليج ارسلان ، أن ولده عنه مشغول ، وان عقد حراسته له محلول فخرج من الصف مفارقا للولد ، وانفصل ملكشاه الى قونية وملك تلك الامكنة ، وقد استبد بالسلطنة ، وبقي قليج ارسلان يتردد في بلاده ، وفي ضيافه أولاده ، وينتقل من بلد الى بلد ، ومن ولد الى ولد ، وكلهم يضجر منه ، ويعرض عنه ، حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو فقواه وأزره وضافره وظاهره ، وجمع وحشد له وأخذ له وما خذله وجاء به الى قونية فدخلها ، وحلى به عطلها وخرج ليأخذ أقسرا فتعذرت وتمنعت عليه وتعسرت ، واسترغب الأوجيه ، وجمع العسكرية ، فمرض فجاء به وقد توفي الى قونية في محفه ، ونزل يمشي قدامها ويظهر انه من المرض الثقيل في خفة ، حتى دخل المدينة وقلعتها ، واجتازها

واجتاز مملكتها ، واستدعى الأعيان ، فاستحلهم ، واستمالهم
وتألفهم ، ثم اظهر لهم وفاة ابيه وأنه وارث ملكه ومتولي ، وقوي
على قطب الدين ملكشاه اخيه .

وتوفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى
المعروف بابن الفراش وكان من أهل الفضل ، والرياسة
والنبل ، وهو قاضي العسكر الحاكم المحكم ، والكريم
المكرم ، والسلطان يعول عليه في المهام ، وفي الأمـور
العظام ، ويؤمله للرسائل وأخذ الموائيق والعهود ، وتولى الولايات
والعقود ، ولما أخذ شهرزور سلمها اليه ، وعول فيها عليه ، وما برح
بها حتى أنعم بها على صاحب اربل مظفر الدين فعاد القاضي شمس
الدين فأرسله السلطان الى قليج ارسلان وأولاده ، ليصلح بينهم
ويعيد امرهم الى سداه ، فتردد بينهم سنه . ولم تزل مساعيه
مستنجة مستحسنة . وعاد ووصل الى ملطية ، وقد استكمل من
عمره الله العطية ، وتوفي بها في شهر ربيع الآخر من
السنة ، وانتقل الى الله بأعماله الحسنة .

وبدلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بدمشق في
داره ، وممالك الآفاق في انتظاره ، والأيام مشرقة بمطالع
أنواره ، والليالي مترقبة صباحها لاسفارة ، ورسال الأمصار
مجتمعون على بابه ، منتظرون لجوابه ، والوافدون قاطفوا جني
جنانه . والضيوف في فيوض انعامه عائمون . وبفروض حقوقه
قائمون ، والفقراء في رياض صدقاته راتعون ، وفي كلاء كلاءته
راعون وادعون ، ودار العدل بالفضل داره ، واسرار المنى بالمناجح
ساره ، والسلطان يجلس في كل يوم وليله لاسداء الجود وابداء
السعود ، وبث المكارم وكشف المظالم وتنفيذ المراسم وامضاء
العزائم ، وتشبيد الدعائم وتقرير العظام ، والاهتمام بمصالح
الاسلام ، ومناجح الأنام ، والاغتنام للمسلمين بما يتم في بلادهم
من الخطوب ، ويتم من الكروب ، وبمجالسة العلماء ومساجلة

الفضلاء ، وموالاة الأولياء ، ومصافاة الأصفياء ، واعداء
المهلوف ، واسداء المعروف ، ومل ملازمة البلد ، وخرج عن حكم
الجلد ، وبرز الى الصيد شرقي دمشق بزاد خمسة عشر
يوما ، وأوسع من لم يوافق على الخروج لوما ، واستصحب معه
أخاه العادل وأبعدوا في البرية ، وظهروا عن ضمير ضمير الى الجهة
الشرقية ، وطابت له الفرص ووافق مراده القنص ، ثم عاد يوم
الاثنين حادي عشر صفر ، ووجه بشره قد سفر ، ووافق ذلك عود
الحاج الشامي فخرج للتلقي ، وسعاداته في الترقى ، ولما لقي
الحجاج استعبرت عيناه ، وكيف فاته من الحج ما تمناه ، وسألهم
عن أحوال مكة وأميرها وأهلها ، وخصبها ومحلها ، وكم وصلهم
من غلات مصر وصدقاتها ، وعن المجاورين والفقراء ورواتبها
وادراراتها ، وسر بسلامة الحاج ، ووضوح ذلك المنهاج ، ووصل
من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام ، فتلقيه بالاكرام وأنزله في كنف
الاهتمام ،

ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عادته ، ومجلى
سعادته ، ونحن عنده في أتم اغتباط ، وأتم نشاط ، حتى مضى من
الليل ثلثه ، وهو يحدثنا ونحن نحدثه ، ثم صلى به وبنا
إمامه ، وحان قيامه ، وانفصلنا بأحسانه مغتبطين ، وبامتثانه
مرتبطين ، وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في الايوان ، ننتظر
خروجه لوضع الخوان ، فخرج بعض الخدام ، وأمر الملك الأفضل
ان يجلس موضعه على الطعام ، فجاء وتصدر وترجع في
دسته ، وجلس بسمته وسمته ، وتطيرنا من تلك الحال وتفللنا بحد
ذلك الفال ، ودخلنا اليه ليلة الأحد للعياده ، ومـرضه في
الزيادة ، وتوفي بكرة الأربعاء السابع والعشرين ، ونقله الله في
دسته العالي الى أعلى عليين ، ومات بموته رجاء الرجال ، وأظلم
بغروب شمس فضاء الأفضال ، وغاضت الأيادي ، وفاضت

الأعادي ، وانقطعت الأرزاق ، وادلهمت الآفاق ، وخاب
الراجون ، وغاب اللاجون ، وخاف الأمن وخاب الأمل ، وقنط
السائل وشحط النائل ، وطردت الضيوف ، ونكر المعروف ودفن
بالقلعة في داره وفجع الزمان بأنواره ، وعمت الأيام
صباحها ، والآمال نجاحها ، ودفن معه الكرم ، وغلب بعد وجوده
وجوده العدم والعدم ، وبقيت تلك الأيام لأفـرق بين الدجى
والضحى ، ولأجد قلبي من سقم الهم وسكره صبح
ولاصحا ، وحالت حالي وزال ادلالي ، وبطل حقي واتسع
خرقي ، وتنازل جاهي ، وتنازق اشباهي واعضلت ادواء الدواهي
وبقيت المعارف متذكره والمطالع كفهرة ، والعيون
شاخصة ، والظلال قالصه ، والأيدي يابسـه ، والوجوه عابسة
وعادت أبكار خواطري عانسة ، ونجوم قرائحي وشواردها الآنسة
خانسة كانسة ، وبقي باب كل مرتجى مرتجا ، ومنهج كل معروف
منهجا ، وظن الغنى عني ، واختلف في ضمن الاحلاف بي
ظني ، حتى تولى الملك الأفضل بدمشق مقام أبيه ، وقام بالامر
بعزم تأنيه وحزم تأتية وعز تأبيه ، فعرف افتقاره الى معرفتي
وفقرتي ، والى عطل الملك ومحلـه من غزارة حلب دري ونضارة حلي
دري ، فكتبت له ، وحليت من الملك عطله ، ووشيت الكتب
ووشعتها ، وجلت الرتب ووسعتها ، وهزنت البراعة • وأغررت
البراعة ، وهجرت الجماعة ، ولزمت القناعة .

ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه بعده

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة
صغيرة ، وأبقى له مآثر أثرية ومحاسن كثيرة ، ولم يخلف في
خزائنه سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما ، فانه كان باخراج
ما يدخل من الأموال في المكرمات والغرامات مفرما ، وكان يجود
بالمال قبل الحصول ، ويقطعه عن خزائنه بالحوالات عن
الوصول ، فاذا عرف بوصول حمل وقع عليه بأضعافه ، وخص

الآحاد من ذوي الغناء في الجهاد بآلافه ، ولا جبهه أحد بالرد اذا سألته ، بل يلفظ له كأنه استمهله فانه يقول ما عندنا شيء الساعة ومفهومه أنه يعطى وأن كان يبسطى . وإنه يصيبه بالذوال ولا يخطى ، وكان ولي مجده بالشام الملك الأفضل نور الدين علي ، وأنه كاسمه سام علي ، ونور فضله كسمته جلي ، وهو الذي حضر وفاته ، وفاز بملكه فما يقال حضر وفاته ، وقام بسنة العزاء ، وفرض الاقتداء بأبيه في إيلاء الألاء وإبناء الأولياء ، وخلع على الأماثل والأمراء والأفاضل والعلماء ، وكان بالبواب رسل ووفود وملوك ، ورجال لهم في مسالك الرجاء سلوك ، فخابوا وغابوا ، ونهبوا وما آبوا .

ذكر من تولى ممالكه بعده من اهله

تولى ولده الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان مصر وجميع اعمالها . وابقاها على اعتدالها ونقاها من شوائب اختلالها واعتلالها . وأحيا سنتي الجود والباس . وثبت القواعد من حسن السياسة على الاساس . واطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاة . وضاعف ما كان يطلق برسم العفاة . وجاد واجاد وابدى الكرم واعاد وبسط وقبض . وأبرم ونقض . وحل وعقد ، وبر وافتقد . ووضع ورفع ومنح ومنع . وابصر وسمع وضر ونفع . وقطع واقطع . واصل وفرع . ووعد وانجز . وأوعز بغنى من اعوز . وبرز وابرز . وجاهد وجهز . وعرض الكتائب . وفرض المواهب . وأجرى الصدقات . وتصدق بالجرايات . وادر وادار . واجاز واجار . وأغنى وأسعد . وأبنى وأبعد . وقدم امر بيت الله المقدس . واعتمد في اعتماد الأشوس الأسوس . وعجل له بعشرة الاف دينار مصرية . لتصرف في وجوه ضرورية . ثم امده بالحمل . وأفاض عليه من الفضل . وقرر واليه عز الدين جريك على ولايته . وقوى يده برعايته ووالى حمل الغلات من مصر الى القدس وابدل وحشته بوفاة السلطان من وفاته بالأنس . وجلس في دار العدل

ففصل ووصل . وأحسن وعدل . وقضى وحكم . وامضى وأحكم .
وأحضر نواب ديوانه في ايوانه . واستعرض منهم قوانين سلطانه .
واستقرى الضياع والاقطاع . وعمم الاصطفاء والاصطناع . وحل
من اقام بالشام . وألزم جند مصر بالخدمة والمقام . وما أبقي إلا ما
في يدي من الضياع . وصان حقوقي من الضياع . وأمر بتخليده .
وأجد جدي بتجديده . فجاءني كتابه الكريم بكل كرم مكتوب .
ومحبوبه من الرغد محبوب . ورعى في عهد الوالد . وازداد الطارف
عندي من العرف الى التالد . هذا وأنا غائب . وبرائي رائب .
ولسواء كاتب ونائب . وما احوجني في الذوال الى السؤال . وأغناني
عن الارسال . ولم تفتقر مقاصدي ووسائلتي الى تسيير القصائد
والرسائل . وما أغرب بدار فواضله حلول بدار الافاضل . ثم اشفق
من غدر الفرنج في فسخ الهدنة . فأتى من تجهيز العساكر الى البيت
المقدس بكل ما في المكنه . ثم سمع بحركة المواصلة ومن بايعهم .
وتابعهم وشايعهم . قد خرجوا في ايمانهم حاذنين . ولعقد ايمانهم
ناكثين . فخيم ببركة الجب . واستشار امراءه . أهل الرأي واللب .
وجهاز جيشا جائشا . وبعثا لعشار الدولة ناعشا . في كل مقدم
مقدام . وهمام همام . وضيغم ضرغام . وقرم قمقام . فوصلوا الى
دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم وسلمهم . وهز منهم اعطاف
الاستكانة له بعد هزمهم . فرأى ان الحمد اعود والعود أحمد .
وسياتي ذكر ذلك في مكانه . عند ذكر الملك العادل ومارفع الله من
شأنه .

ذكر دمشق وما يجري معها ومن تولاه

وتولى الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي ولد السلطان
دمشق والساحل وما يجري مع ذلك من البلاد ونفذت البلاد أوامره .
ونفذت في الرجال نخائره . ورتب الامور اجمل ترتيب . وهذب
الشؤون اكمل تهذيب . وجلا السرير السلطاني بذوره . واسفر
صباح الاقبال باقبال سفوره . وهدى وهدا وملا بالبشر المتبلج

والنشر المتأرجح الملاً . وهذب وانهب . ورغب وارهب . ورتب وربت
واصلى وأصلت . وأثر وأرث . ولم الشعث . وابهى وابهج . وأجد
المنهج المنهج . ورجح ونجح . ومن وشح ، وارسى وارسخ . وبذ
وبذخ . ووعد واوعد . وجدد الجدد . واذاغ بحميته سر حمايته
واعاذ . ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ . وامر وأمر . ونضر ونظر .
وعز واوعز . وحاز وحز . وساس وراس وملك الباس والناس .
واشاع البر واعاش . واشبع الجياح وروى العطاش . واستخلص
ذوي الاختصاص . واختص اهل الاخلاص . ونهض واستنهض .
وعرض واستعرض . وربط عزمه الرباط واحاط علمه وحاط .
وحفظ أولي الحفاظ . ولاحظ العرف وعرف انه لاحظ لغير
اللاخط . وصنع واصطنع . وابدى وابدع . ومد الظل واسبغ .
وسوى الفضل وسوغ . واهمى العوارف . واهمى الرواعف . وحقق
الحقوق . ورتق الفتوق . وضم الملك ونظم السلك . وجلس في دار
العدل ، وأتى بالحكم الفصل ، وحزم وجزم ، وعزم والتزم ، وزاد
وزان . وأغاث واعان . وابر ارباب الهوى . وامر من ارباب التقوى
القوى . وحمى النابه . ومحا المكاره . وفاض بغزارة العطايا .
واستفاض بطهارة السجايا . وأوي اليه اخوته . وضم جماعته .
وجهاز اخاه الملك الظافر مظفر الدين خضرا . واصحبه عسكريا
مجرا . وانهضه لانجاد عمه الملك العادل . فانار في فضاء الفضائل .
وسار الى الجحافل الحافل . فالتزم الشروع . وهزم الجموع .
وقارع القروم . وكان الهازم والعدو المهزوم .

وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعلبك وما يجري معها في المملكة
الافضلية داخلية . وامداد طاعات الولاة والاولياء بها متواصلة .
وصاحب حمص والرحبة الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد
ابن شيركوه ابن ابن عم السلطان وهو اثير الشأن اثيل المكان .

فوصل الى دمشق مطيعا . ولسر صدقه ونشر صداقته منيعا
مشيعا . فأحلى له الملك الافضل جنى شهيا واحله جنابا وسيعا .

وعقد له حبا الحب ، وحياء بكل ما سقر عن سفور مودة القلب .
ووفور مواد القرب .

وكذلك وصل صاحب بعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن
فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب طائعا . وللأمر الأفضلي تابعا .
فأنناه واجناه . واحبه وحباه . وأسناه وأسماه . وأواه وأساه .
فتأكدت بينهم القرابة المتشجه . وتشبكت اللحمة المتسجه .
وتمهدت الأصرة الممتزجة . وفتحت أبواب الألفة المرتجة . وتوافقوا
على التوافق . وتصادقوا على التصديق . وتعاضدوا على الأخذ
بالتساعد . وتعاهدوا على ترك التقاعد .

ذكر حلب وما يجري معها

وتولى حلب وأعمالها وحصونها ومعقلها . وكرائم البلاد
وعقائنها . الملك الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي . وهو برجachte
وسماحته للطود والجود الموازن الموازي . وتلك مملكة أقطارها
واسعه . وأمصارها شاسعة . فحواها وحماتها . وبماء العدل
رواها وقواها . وأعز رجال الرجاء . وهزاعطاف العطاء . ورحب
لورائه . ورواه رحابه . وسحب بحيا الأحياء سحابه . وأبرت
مبراته . وأثرت مآثراته . وسح وصح غيثه وغياثه . ورعى رعيته
فشبع ورويت ظماؤه وغرائه . وزخرت أمواجه . وزهرت بثواقب
المناقب أبراجه . وصابت سماء سماحه . وطابت صبا صباحه .
وعزت بسيرته كتب التواريخ . وعزى قلمه وسبقه إلى عطار
والمريخ . وسعدت وفوه . ووفدت سعوبه . وأثر من أمره النفاذ .
وكثر بظله اللياذ . وأدى الأبرار . وأقصى الأشرار . وخص الأعزة
الخواص . وتمهد لسلطانه الأساس . وأطرد لأحسانه القياس .
ووجد من عثر من أيد يده الانتعاش . وعشا إلى جدواه المجتدي
وعاش . وفرض القرص . ورفض الرخص . وأدى الفروض . وقضى
القروض . واستدنى من المناجح شاطئها . واستدرك من المصالح

فارطها . وملك خلق التحفظ . وسلك طرق التيقظ . وفرق وجمع .
وخرق ورتق . وغلب وبلغ . ودمى اهل الكفر والذفاق ودمغ . وشفى
واشتفى . وكفى واكتفى . وراع وراق . وفات وفاق . وطلب
وادرك . وأخذ وترك . وفاض بالفضل . وراض بالعدل . وقدم
الحزم . وصمم العزم . وأحيا السنن . وأولى المنن . ولها بالجد عن
اللهو . وانتهى بالعدو الى اليأس المر وبالولي الى النائل الحلو . وأمر
ونهى . وأوهن معاقد ذوي المكاييد وأوهى . ووفى للوفى . وصفا
للصفي . وأقر البيره واعمالها وما يجري معها على اخيه الملك
الزاهر مجير البين داود . ولم يزل مقبولا امره غير مردود . وبخل
في امره صاحب حماء . وأعزه وحماء . وهوناصر الدين محمد بن
الملك المظفر تقي الدين واتسع الملك واتسق السلك . وكاتب الجوانب
وراسل . وفارق من رأى وواصل . وطال باعه . واطاع اشياعه .
وهمت همته بالزيادة وسمت اسمت السيادة .

ذكر الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب اخي السلطان وما جرى له بعد وفاة اخيه

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته . وكان موافقه
ومرافقه في مقتنصاته . فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى
الى حصنه بالكرك للاستراحه ، غير مطلع في سر الغيب في الاقضية
المتاحة . فنابه النائب . ولم يحضر وقت احتضاره الاخ الغائب .
فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يقم لتنفيذ كرب الحادث
ولم يحدث نفسه بمقام . ولم يرم ثلاثا ولم يرم لباثا . ورحل طالبا
لبلايه بالجزيرة . حذرا عليها من اهل الجريرة . وكان السلطان
جعل له كل ما في شرقي الفرات . من البلاد والولايات . ومضى كما
ومض بارق . وتخوف ان يطرق بلده طارق . فلما وصل الى
الفرات . وجد مما خافه دلائل الافتراء . فأقام بقلعة جعبر . ولم
يحشد ولم يستحضر العسكر رغبة في السلم والسلامة . ومحبة للدعة
المستدامة . وسير الى الولايات الولاة . ووصى برعاياه الرعا .

واستتاب في؛ ميا فارقين، وحاني، وسميساط، وحران، والرها . وشحنها
بالشحن واستقام امرها وحسب ان الاعداء اذا سمعوا بسمعهم .
جمعوا لجمعهم وتذافعوا لدفعه . وسكن وسكت وتبين وتثبت . وعلم
العدا أنه في خف فخذوا وعرضوا وصفوا . وما كفاهم ما هم فيه
فهموا وما كفوا . وسافوا تراب الطمع واسفوا . فجرت حركتهم
وهلكتهم . وانهب الله عند مجيئهم بركتهم .

ذكر اهل الشمامات وما قدر الله لجمعهم من الاشتات

كان الامير بكتمر صاحب خلاط . قد هجر الاحتياط ووصل
الذشاط . وضرب البشائر لرزة صلاح الدين . وظهر في النوب
الخمسة بشعار السلاطين . وتلقب بالملك الناصر . وحدث امله بجر
العساكر . وراسل صاحبي الموصل وسنجار . وطير اليهم كتب
الاستنفار . وضم اليه من مارين ، مارين ، وطار وطاش .
وارتاش وانتاش . وخلط من خلاط الاوشاب والاباش . فبينما هو
في اتم غرور . وانم سرور . واحب حبور . واشب سفور . وارقد
عين . واغفل قلب . وانهل لب . واطول امل في اقصر امد ، واكثر
مدد في اقل مدد . وقد خرج من الحمام . ولم يدرك انه داخل الى
مغتسل الحمام ، استشهد على ايدي الاسماعيلية . ولعل الله غفر له
ونقله بشهادته الى جنته العلية ، وذلك بخلاط يوم الاثنين رابع عشر
جمادى الاولى من هذه السنة . وكان ايامه كانت احلاما رؤيت في
السنة . واول بادىء بالخروج متولى مارين فانه مرد . وحشد
المدد ، ونزل على حصن الموذر . بالعزم المزور والجد المزور . وهذا
الحصن كان السلطان اقتطعه عن اعمال مادريين . حين كان اهل
عليه مارين . فلما صالحهم استيقاه واستثناه . وأضافه الى نائبه
بالرها واعطاه . ثم تحرك عز الدين اتابك مسعود بن مودود بن
زكي صاحب الموصل . وخرج في الجحفل الحقل . وأضافه اخوه
عماد الدين زكي بنصيبين وخرجوا لنداء اللقاء مجيبين . وقدموا
الرسل الى الملك العادل سيف الدين . وقالوا : تخرج من بلادنا .

وتدخل في مرادنا . فكتب الى بني اخيه يستنجدهم ويستنصرهم . ويستصرخهم ويستنصرهم . فانجدوه بالامداد . وامدوه بالانجاد . فجاؤوه من كل فج ووافوه فوجا بعد فوج . وكان انجاد حلب اقرب . ولدر الاسعاف احلب . ولما عرف الملك الافضل اغتتم واهتم . وجمع عسكره وضم . وخص وعم . وكتب الى صاحبي حمص وبعلبك . واستدعى عسكرهما الترك . فسار اخوه الملك الظافر مظفر الدين خضر . وروض عسكره بورق الحديد الاخضر نضر . والملك العادل لقومه منتظر . واما المواصله فانهم ما اسرعوا بل ابطأوا ، وما اصابوا بل اخطأوا . وسمعوا ان الامداد العادلية الوافية متوافيه . وان فئته كافة كافيه مكافيه . فتجنّبوا وتجنّبوا وكانوا قد وصلوا الى رأس عين فأقاموا وسكنوا . والملك العادل مخيم بظاهر حران في جموعه وجنوده . واعلامه وبذوه . ومساعديه وسعوره . وعزمه على اللقاء مصمم ، وقلبه بحب الظفر متيم . وجده غالب . وحده سالب . وجده لظباء النصر جالب . ولطيب الذكر جالب . وسيف سيف الدين باتر واتر . ولحظ الشمس من غبار خيله الساتر فاتر . وتقارب العسكران حتى ان الطلائع تتواجه وتتجابه . ورجال اليزك تتناجى وتتناجه . وكان من قضاء الله المحتوم ، وسر قدره المكتوم . تفليل غروب القوم وتقليلهم . وحرار تأملهم وخار تأميلهم . وجفل رألهم ورتع رعيّهم . وذلك بما قدره الله من مرض اتابك صاحب الموصل . ولم يطق الاقامة بالمنزل . واشفى على الخطر . واشرف صفو حياته على الكدر . فعاد الى الموصل في محفه . ورجا ان يتبدل ما ألم به من ثقل الم بخفه . وقهر عماد الدين راجعا ولن وثق به اشياعه فاجعا . وتضرع صاحب ماربين وتذرع . وتشفع بالامراء والاكاير وخضع . حتى وقع عنه الرضا . وصفح له عما مضى . واجري على القاعة السلطانية معه . وكان قد ضاق به الفضاء الرحب لولا العفو عنه وما وسعه . ورأى عماد الدين ان القوم خاذلوا واستكانوا . ومارعوا له العهد كما كانوا . فاضطر الى الانكفاء وكف عن اللقاء . فخلا الجو . وجلال الضو . وعلا الذو . وأتى الملك العادل الخبر بوصول ابن اخيه الملك الظافر الى الفرات . في عسكر دمشق أهل الثبات . فكاتبه بمنازلة سروج وهي من اعمال

عماد الدين . وامده بابن تقي الدين وابن المقدم عز الدين ليث
القرين . فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم
الاحد تاسعة واستولوا على البلد واماكنه ومواضعه . ورحل الملك
العادل منتصفا رجب الى الرقة وتسلمها في العشرين منه . وكانت
اليد البيضاء فيها للملك الظاهر على ما ذكر عنه . ثم رحل وتملك بلد
الخابور جميعه ، وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه . وجاء الى
نصيبين ونزل بظاهرها . وشرع في ضم نخائرها . فجاءت الرسل
العمانية في طلب الصلح . واسفر ليل الحرب بسنى السلم عن
الصبح . ورحل ونزل دارا . وكان صاحبه دار مع القوم وما داري .
فبسط عذره . وقبض ذعره . واتاه خبر وفاة صاحب الموصل
وتسليم بلده من بعده . الى نور الدين رسلان شاه ولده . وجرى بينه
وبينهم صلح . وكان له في كل سفرة تجارة وربح . وكتب اليه ان
اهل خلاط كاتبوه . وعلى تأخره عنهم عاتبوه . وان كل صاحب
حصن قد ضبط موضعه . وانتظر مطلعته . فانه تولاهم بعد بكتمر
المعروف بالهزار بيناري . فلم يرضوا باياله لخلاط ولم يروه كفوا
لتلك الهدى . ثم اشرف العادل على خلاط . فوجد اهلها قد كملوا
الاحتياط . ورأى ان البرد يشدد . وamd الحصر يمتد . فعاد الى
حران والرها . واعرض عن مخالطة خلاط وتأخر الى الربيع
امرها .

فصل في المعنى أنشأته الى الديوان العزيز في آخر رجب عن الملك الافضل

لا شك في احاطة العلم الاشرف بحال النين النين حالوا عن
الانصاف بالانصاف ومردوا ومروا لخلاف الخلاف . وعادوا عن
خلق التلافي الى الائتلاف . وبددوا بالانتظام في سالك الفدر شمل
الائتلاف . ونكثوا بعد ايمانهم . حتى قيل كفروا بعد ايمانهم .
وباءوا في بغيةم بغيةم . وابدوا قوتهم في وهبهم وعزموا انهم اذا
زعموا نالوا فرصة . ووجدوا اذا جدوا في العزيمة رخصة . وجاؤوا

الى البلاد التي للخدم من انعام امير المؤمنين صلوات الله عليه
ليتملكوها . واستسهلوا سبل الضلالة بعد الهدى فسلوكوها .
واغتروا باعزازهم واعتزوا باغترارهم . واصيبوا اذ لم يصيبوا
ببصائرهم وابصارهم . وبخلوا في دائرة السوء وخرجوا من
ديارهم . واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب
ماربين وحسدوا وحشدوا وماالظن بشر الحاسدين الحاشدين .
ووعدهم الشيطان فصدقوا كذب الواعدين ، وكان العم الملك العادل
سيف الدين قد توجه الى تلك البلاد ؛ لابقاء امورها على السداد .
واثقا منهم بالمواثيق . محتفلا بالوفاق الحافل الافاويق . وهو في
خواصه . وذوي استخلاصه . لم ينتظم عسكره ولم ينضم اليه
معشره . ولم يصف لدفع الشوائب وردع الذوائب موربه ومصدره .
فلما عرف نكرهم . وعلم في مكرهم مكرهم . توافت اليه الجموع .
وحنت على قلبه الضلوع . وحنت الى اصله الفروع . وتوافد اليه بنو
اخيه في الجود . وتوافوا نجدة ساعدت السعود . وامد الاخ الملك
الظاهر من حلب بالامداد المتظاهرة . والانصار المتناصرة . ونذب
ال خادم اخاه الظافر خضرا وانهضه . وسار معه عسكره الذي
بدمشق عرضه . وسمع الاخ الملك العزيز خبر القوم . وانهم من
حول ورد الردى على الحوم . فاخرج المضارب وابرزها . وانفق في
العساكر وجهزها . وذكر عنة النجدة فانجزها . واهتبل فرصة
الفريضة وانتهزها . واقبل على نخيرة الفضيلة فاحرزها . وتحركت
السواكن . وثارت الكوامن . وهاجت الاقطار . وماجت البحار ،
وشابت الاكدار ، واصابت الاقدار . وظهر الله قبل الاجتماع معجز
اياته في اهل الشمام . وخص جمعهم بالشتات وحبلهم بالبتات ،
وحص من تلك الثبات اجنحة الثبات ، وشغل كل منهم بوباله وباله ،
وحطه من بقاع اعتلائه الى حضيض اعتلاله . واعادهم على
اعقابهم ناكسين ، وبعقابهم ناكسين ، وفي ارائهم وارايبهم ناقسين
واظهر الله في كل واحد من اعداد الاعداء اية للعانة خارقة . وقدرة
لاقدار الاولياء للسعانة خالقه . وقتلهم وماقاتلوا ، وقابلهم
وماقابلوا . و غادر الغادرين عبرة للمعتبرين ، وعظلة للمتفكرين .
وعلم صاحب ماربين انه اخطأ وما اصاب ، فابان عن ندمه واناب ،

وتعرض للعفو عنه وتضرع ، وتشفع بالامراء في امره وتذرع ،
فأبديت له صفحة الصدفح ، وعادت له بعد عابية الخسر عادة الربح ،
واجري على القاعدة المستقرة له في عهد الوالد رحمة الله عليه .
فرضوا بما فرضوه من الطاعة وثابوا اليه . وكان الاخ الملك الظافر
خضر قد وصل الى الفرات . حين حكم الله لجموع اولئك بالشتات ،
فعبر الى سروج يوم السبت ثامن رجب . وقلب العدو من الافتح الذي
وجب وجب ، وفتحها يوم الاحد ضحوة . وجاءت هذه المنحة من الله
حظوه . ورحل الملك العادل بالعساكر الى الرقة لاسترجاع وبيعتهما
المستحقة . وهذه بركات استمرار العبيد على طاعة المواقف المقدسة
وبيمن الائتثار بأوامرها . وسفور الوجوه لمواجهة سوافرها .
وما السعادة الا لمن شملته سعودها . وما الجد الا لن وصله جودها ،
وما الكرامة الا لمن كرمته عنده بالوفاء عهدوها ، وما العصمة الا لمن
لزمته في حمده النعماء عقودها .

ذكر سيف الاسلام باليمن

واقليم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن
ايوب اخي السلطان ، وهو هناك سلطان عظيم الشأن ، مستول على
جميع البلدان . مختص في مكانه بالامكان . وكان قد وصل ولده مع
الحاج قبل وفاة السلطان بايام . فلم يظفر بمرام . ووصل كتابه الى
اخيه . وهو غير عالم بتوقيه . فلما استقر الملك الافضل على سرير
اييه كاتب عمه سيف الاسلام بغمه . وهم في كتابه بما كتب الله من
همه . والكتاب باذشائي عن الملك الافضل يشتمل على شرح مالم .
وخص به الرزء وعم .

وهذا كتاب يشتمل على سيرته وكتبته جميعه وهو: صدرت هذه
المكاتبة معربة عن النبا العظيم . والخطب الجسيم . والرزة العميم .
والحادث الاليم . والكارث المقعد المقيم . والنائب الباغث . والمصاب
الساحت . والفجيعة الفاجية . والنكبة الناكية . والطارقة الطارية .

واللمة المؤلة والبلية البارية . والواقعة الرائعة . والصدمة
الصادعة . والحدثه اللافحه . والروعة القاذحة . والغمة التي غامت
بها الايام . وغم لها الانام . واعتل منها الاسلام . واحتل النظام .
فقد عدت المطالع ضياءها . والمشارع صفاءها والثغور سدادها .
والامور سدادها . والعيون قرتها والنفوس قرارها . والقلوب ثباتها
والجفون غرارها . والايدى أيدها والوجوه سفورها . والصدور
انشراحها . والاسرار سرورها . فقد فقدت الدنيا بهجتها . وضلت
العلياء محجتها . واهتدى الضلال الى الهدى . وأقوى نادي
الندى . واقفرت مغاني الغنى . واكفهرت مجالي السنى . وأمرت
مجاني المنى . وخفيت مناهج المناجع . وعطلت مناهل المنائح .
وعميت مذاهب المواهب . واظلمت مطالع المطالب . وارتجت ابواب
الفتوح . ودجت أضواء الوضوح ودرست معالم المعالي . وطمست
زواهر الليالي . واضطربت الدهماء . واضطربت الدهياء وبطلت
مواسم الحق . وأبهمت مظالم الخلق . وانقطعت مسالك الجهاد .
وتفجعت ممالك البلاد . وأخلفت عدات الاعداء على الاعداء .
وانكسفت أنوار آمال الاولياء . وذلك بما اجراه الله من قضائه
المحتوم . وأظهره من سر قدره المكتوم . بمصاب مولانا الملك الناصر
روح الله روحه . وروض في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه .
فقد عظم الخطب وجل . وحل عرى الجلد حين حل . وثلم غرب
الصبر وفل . وأجرى غرب الدموع . وازكى كرب الضلوع . وبست
حبل اللاجين . وشت شمل الراجين . واعلمنا أن الدنيا الدنية
حبالها رثا . وحبائوها غثا . وعقودها انكاث . وسهولها
أوعاث . وقصورها اجداث . وسرورها غرور ومواهبها احداث .
وسكونها قلق . وامنها فرق . وصحتها سقم . وأملها ألم . وغبطلتها
ندم . ووجودها عدم . وبقاؤها فناء . ونعيمها بلاء . وراحتها
عناء . وملكها هلاك . وسترها هتك . واخذها ترك . وسلمها حرب
وصلحها فتك . ووفائوها غدر . ووفاقها مكر . وعرفها نكر .
ووصلها هجر . وخيرها شر . ونفعها ضر . وجبرها كسر .
ومتاعها قليل . وباعها في التناول طويل . ومالعتها مقليل . ولا في
ظلها مقليل . ولا رب فيها لأريب . ولا الباب فيها لليب . فان

ظلمها قالص . وفضلها ناقص . وعمرها قصير . وغنيها فقير . وريها جرع . وزيتها خدع . وحليها عطل . وسعيها زال . وإجداؤها إجاب . وإعطاؤها إعطاب . وإصحابها إظلام . وإرغابها إرغام . وسماحتها بخل . وسجاحتها عتل . وعقدها مفسوخ . وعهدها منسوخ . وربحها خسار . وجرحها جبار . ويسارها إفسار . وخصبها محال . وحبها محال . وعمارتها شعث . وشيمنتها عيث . وعبت . وترباها تراث . ولاسكنها اساس . ولاساكنها اثاث . ولاكيدها في كبدها يد . ولامكرها في جد مكرها جدد . والسعيد من استعد في معاشه للمعاد . واستكثر مدة مقامه في الدنيا لسفر الآخرة من الأزواد . ومن نظر اليها بعين القلى . وعرف انها دار البلاء والبلى . وتقوى فيها بالتقوى . وجد في الاعراض عن جدواها للافوز العريض بالجدوى . ولقد كان السلطان السعيد قدس الله روحه بحقيقتها عارفا . ولزخرفها عائفا . ومن ملكها أنفا . وعن مالها متعاففا . فاشتغل عن الدنيا بالدين . وخصه الله بتأييده في علم اليقين . واقتدى بسنة النبي صلوات الله عليه فما زاغ بصره وما طغى . (ونهي النفس عن عن الهوى . فان الجنة هي المأوى) (النازعات : ٤٠ - ٤١) ووقف حياته على احياء معالم الهدى . والاعلان بشعار التقى . وإعلاء منار الجهاد . وأشاعه سنن العدل والاحسان في البلاد والعباد . وافاضة سجال الفضل والافضال . حتى كفل جوده بفيض الارزاق ووفى بنجح الامال . واخلص لله عمله . ولاملك ملكا ولاتمول مالا الا في سبيل الله انفقته وبذله . وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان لله كان الله له) . فلا جرم انزل الله له الملوك الأعزة . ووهب لاعطاف الدولة للتباهي بملكه الهزة . وملكه الاقاليم والامصار . واجرى باقداره الاقدار . فازال عن مشاريع الشريعة الاكدار . وعطل البدعة بمصر واليمن والشام . وقمع اعداء الاسلام . ومد الله في عمره حتى بلغ المراد . وفتح البلاد . ووفى في حق الجهاد الجد والاجتهاد . وقدر على ما أعجز عنه الملوك . ونهج في نصره الدين نهجا اعوز من قبله فيه السلوك . وأخرج الفرنج عن الساحل وابادها . وملك عليها ديارها وبلادها . واوهى على الكفرة معاهد معاقلها . وطال بحقه على

باطلها . واقصى عن المسجد الاقصى مـدـنـسـيـه . وازال عنه ايدي
غاصبيه . واصرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الارجاس . وابعد
عنها اجناس الانجاس . وقهر الكفر وخذله . ونصر الايمان
واخذله . واحيا للكرم كل سنة حسنة . واستمرت محاسن ايامه
سنة بعد سنة . وتعذلت بعدله الجوانح . وتذلت بباسه الجوامح .
ودانت وبننت له الممالك القاصية . واذعنت إذعنت لحكمه الاماني
العاصية . وملكت القلوب والقبول مهابته ومحبتة . وعمت الخواص
والعوام عارفته وعاطفته . ونفذت في الشرق والغرب مراسمه .
وقامت بالحمد والشكر مواسمه . ووفت بامل الداني والقاصي
والطائع والعاصي مكارمه . واسعده الله وامهله . حتى حقق في ذويه
امله . وولى في كل اقليم من يعمل لله في العدل والاحسان عمله . ثم
توفاه حميد الاثر . كريم الورد والصدر . ظافر الرجاء رائج الظفر .
صالح العمل . ناجح الامل . طاهر القطرة . ظاهر النصر . كاسيا
من الفخار . عاريا من العار . مرتديا بثوب الثواب . مرتويا من
صوب الصواب . مبهيجا بنصرة النعيم . متارجا بعرف نسيم
التسليم . وما كان ابهج الايام بايامنه . والاعصار بمزايينه .
والامصار بمحاسنه . والاسلام بسلطانه . والافاق بسني احسانه .
وما كان اسعدنا بجدوده . واجدنا بسعوده . واغنانا بعدله وجوده .
فقد فقد الصباح فلا سنى . ودفن السماح فلا جدوى ولا جنى .
وغاض البحر فلا غنى . وهو الطود فلا ثبات . وذوى الروض فلا
نبات . وهى الركن فلا سند . وانتهى اليمن فلا جدد . وغلب الكمد
فلا جلد . وعز العزاء فلا عزه . ولا قوة ولا عضد . إنا لله وإنا اليه
راجعون . ولأمره تابعون ولحكمه طائعون . ولا راد لأرادته .
ولا صاد لمشيئته . ولا صادف لمصادف قضائه . ولا صارف لصرف
بلائه ولقد كادت الانوار تغرب . والانواء تعذب . والمنابع تغور .
والصنائع تبور . والاحوال تحول . والاهوال تهول . واضواء
المعارف لاتضيء . وافياء العواطف لاتفيء . وزهر السماء لاتشرق .
وازهار الروض لاتؤنق . ومعاهد الاسلام تهى . وميامن الايام
تنتهى . لولا ان الله تدارك الارماق بالطافة . وتلافى الامال
باسعافه . وجلا وجه النعمى من خلال البؤس . واهدى البشر بعد

العبوس . وانزل السكينة عند الزلزال . على النفوس . واجرى
الدولة على احسن العوائد . وارشد المقاصد واثبت القواعد . من
استمرارها على الالئام . واستقرارها في النظام . واستدرارها
بافاويق الوفاق . واهلال بدورها غب المحاق . وطلوع شموستها من
الافاق . وارتفاع فروعها في سماء السمو . وامتداد اصولها في
منابت النمو . وانفتاح احداقها النواظر عن نور الابصار . وانفتاح
حداثقها النواضر عن نوار الازهار . حتى اجتمعت الكلمة المتفرقة
واتحدت . وانتظمت الالفة المتبددة وتساكت . وسكنت القلوب
الراجفة واذست . وسكنت الالسنه المرجفة وخرست . واناوت
الخواطر المظلمة . وافاقت الظنون الراجمة والافكار المنقسمة .
وزاد الرونق وزال الرنق . وانجلي الفسق . وتجلي القلق . واستقامت
الامور . واستنامت الى حفظها الثغور . ووصلت الكتب العزيزية
والظاهرية من مصر وحلب . بكل ما انجح الارب ووصل السبب
ومرى در النصر وحلب . وبكل ما اظهر القوة وقوى الظهر . وشد
الازر . وامر الامر . وسر السر . ونصر الحق وحقق النصر . من
الموافقة والموافاة . والموالة القاضية من الجدة المنجدة بالموالة .
والمتابعة والمشايعة في كل امر يبرم . وكل حكم يحكم . وكل عزم في
قمع العدا يصمم . وكل عقد في نصر الهدى يلزم ويتم . ووصل
المولى الملك العادل فتولى امر المملوك بكل ما اوفق ايثاره . واشاع
على عادة الوالد رحمه الله تعالى شعاره ورفع مناره . واخلى من
كل شاغل باله ورفه اسراره . وراح افكاره . وما في الجماعة الا من
خطب الجمعية وخطب في الجمع ، واعرض عن الهوى للحق المتبع .
فالكلمة متحدة وإن كانت الانفس متعددة ، وما اخلفت هذه الدولة بل
استمرت على تجدد الايام متجددة . وانما اشرفت في حال الصدمة
الاولى وبدء الرزية الطولى على بيت الله المقدس . ومن غدر الفرنج
بقصدها فان الغدر شيمة لهم في الانفس . فوقى الله شرهم . ودفع
مكرهم . واهى امرهم ، ولم يزل من قلوبهم الرعب . ولم يؤثروا
على الصلح الحرب . بل طلبوا بقاء السلامة بابقاء السلم . وخطبوا
اجراءهم في الوفاء بعقد الهدنة على الرسم . وبركات نية المرحوم
شملت . ووصاياه نفذت وكملت . وتوجه الملك العادل الى بلاده

الجزرية . شرقي الفرات لاصلاح تلك الولايات . واخراس شقاشق
الهادرين بالارجاف من اهل الشمات . ويرد بالباس مكاييد الحاسد
الحاشد . والحمد لله الذي اجد الامن وقد عرت المخافة . وانزل
الرافة وقد فجأت الافة . وابقى الاسلام بعزه والكفر بذله . وثبت
قواعد الملك الناصري بجمع شمل اهله . واحيا بهم سني احسانه
وعدله . وشيمتي افضاله وفضله . وفي دوام اقبال المجلس السامي
دوام اقبالهم . ونظام احوالهم . وسبوغ ظلالهم . وبلوغ امالهم .

ذكر ما افترضه الملك الافضل من خدمة دار الخلافة
المعظمة وانفاذ رسوله بعدة والده مع هدايا وتحف
سنايا

لما استقر الملك الافضل بدمشق في مقام والده . وشفع طارف ملكه
بتالده . واضاف موروث الفضل الى مكتسبه . واكرم نسبه بكرم
حسبه . بدا بالاهم الافرض . والاتم الامحض . فقدم الى الديوان
العزیز النبوي نجابين بالكتب . وانهى الحال فيما الم من الخطب .
ثم ندب ضياء الدين القاسم بن الشهر زوري في الرسالة . الى منزل
الرسالة وموقف الجلالة . واصحبه عدة والده في الغزاة . اوان لقاء
العداة . وسيفه ودرعة وحصانه واضاف الى ذلك من الهدايا
والتحف والخيل العرب ما استنفذ وسعه وامكانه . فما تهيا مسير
الرسول الا في اواخر جمادى الآخرة . حتى حصل كل ما اراده من
الهدايا الفاخرة . وحتى كاتب مصر وحلب واعلم بمسير رسوله .
حتى لا يظن انه انفرد برسوله . وقصد مداراة اخوته . وفضل بفضل
نخوته . وذلك بعد ان جدد نقش البينار والدرهم بسمتي امير
المؤمنين . وولي العهد عدة الدين . وامرني بانشاء الكتب
وتحريرها . وتقريب المقاصد فيها وتقريرها .

فصل من الكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر الدعاء

اصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء . وقلبه معمور بالصفاء . ويده مرفوعة الى السماء للابتهال بالدعاء . ولسانه ناطق بشكر النعماء . وجنانه ثابت من المهابة والمحبة عن الخوف والرجاء . وطرفه مغض من الحياء . ووجهه مقبل نحو قبلة الاستجداء . وهمته في العبودية فارعة ذروة العلاء . وهو للارض مقبل . وللفرض متقبل . وبالطاعة مائل . وللاستطاعة باذل . وللجهد والاخلاص . عارض ضارع . وفجر فخره من الصحة والمناصحة صادق صانع . وهو يمت بما قدمه من الموات . واسأله من الخدمات ونخره نخر الاقوات لهذه الاوقات . واتخذة عصمة من النائبات . وعونة من الطارقات . ومؤلفا للشمل عند شمول الشتات وعروة للاعتصام بها في ازم من الازمات . وسلوة من الاسى واسوا الجراح المصيبات . ولاخفاء بما اخافه . وفاض له من بحر البرح وضافة . واغاض نطافه . وعاق او ان رجاء جني النجاح قطافه . لولا ان الله تداركه بفضل له واولاه الطافه . فانه دهمه ما هدمه وفجأه ما فجعه . وبغته من الرزء ما صد عنه العيش وصدعه . ونابه مارابه . وجرعه مصابه صابه . ووافاه من وفاة والده رحمه الله ما كدر صفو الحياة . ومحا عن صفحة صبحه آية الآياه وألم بألم الأمل . وأحال الحلى الى العطل . وحالاً عن النهال والعلل . وأذهب بهجة الأيام . وأشمت الكفر بالاسلام وسر الشرك منه ماساء التوحيد . وقرب من اشفاق القلوب واشفاء الكروب البعيد . وعطل الجهاد وأراح الحديد . وشب حقود العداة على أنها ماشيت الا لتخدم . وشام حدود العتاة على أنها ماشيت الا لتغمد . وهذا الحادث ارجف المرجفون بحديثه . وأثاروا كوامن الثار وحركوا سواكن الأوتار بتأثيره وتأثيره . وأخرج أهل الذفاق رؤوسهم من كل نفق . وعاد ثبات ثباتهم الى نفار وقلق . ومن كان مستمسكا من ولاء الدار العزيزة بالعروة الوثقى . مستلثما من عدد أيامها ومسددا انعامها بالدرع الاقوى الأوقى . فانه لا يحتفل بحفون

أخلاق أهل الخلاق . ولا يتحلل طود حجاه الراسي وحصاه الراسخ
لعواصف ذوي الاجحاف . وقد أحاطت العلوم الشريفة مجدها الله
بأن الوالد السعيد . الشئيد السئيد . المبير للشرك المبيد . لم يزل
أيام حياته وإلى ساعة وفاته . مستقيما على جدد الجد . مستقيما
في صون فريضه الجهاد الى بذل الجهد . مستنفدا في كل ما يحوز به
المراضي الشريفة وسعه . ومستفرغا طاقته في الشغل الديني الذي
يهدى بصره وسمعه . فكم قبض يدا بسطتها بالفتنة الفئنة
العانية . وكم فرض سنة أعلنت سناها للمجتلين وأحلت جناها
للمجتسين الدعوة الهابية . ولكم أخرس دعاة الأدعياء وحرس
ولاياته الأولياء وكانت بكتائبه وكتبه سيوفه وأقلامه للأقاليم
أقاليد . ولم تزل جذود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك بممالك
الدار العزيزة وعبيدها عبايد . وأمطر بلاد الكفر من دماء أهلها
شأبيب . وأقام بها منار الاسلام ومنابره لما أناب عن أعوادها
أنابيب وأسعرها من كمة الوغى وحمة الورى بمساعير وأنجدها
بضوامره . وضامن الظفر بمضامير ، وهذه فتوحه وتفوح بذشر
النصر وتضروع . وعقوده ترووق في سالك الملك وتروع ومصر بل
الأمصار باجتهاده في الجهاد شاهدة ، والانجاد والأغوار في نظر عزمه
واحدة والبيت المقدس من فتوحاته . والملك العقيم من نتائج
عزماته . وتوفره على العبودية لما لك رقة سيدنا أمير المؤمنين أوفر
حسناته . وكل ذلك في طاعته ومناصحته وبركاته . وما زال ظاهرا
على العدا . ناصرا للهدى معلما معالم العلى . محيا مواسم
التقى . مسنيا سنن الشرع وفروضه مديما بأعباء الطاعة بقدر
الطاقة نهوضه وهو الذي ملك ملوك الشرك وغل اعناقها . وأسر
طواغيت الكفر وشد وثاقها . وقمع عبدة الصلابان وقصم
اصلابها . وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها . ونظم اسبابها وسد
الثغور . وسدد الأمور وأذل للدار العزيزة كل عدو . وأخذ لها على
يد كل ذي عتو . واستمرت على الأيام مساعية في الخدمة
ناحجة . ومعانيه على موازين الموازين راجحة . وسيرته حسنة
وحسناته سائرة ومحاسنة ظاهرة . وسيرته طاهرة . وختم الله
له بالسعادة ، وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعبادة . وقضى وقد

قضى من آرائه آرايه وقدم بين يديه أعماله الصالحة ووفاه
حسابه . وقبض وعدله مبسوط . وأمره محسوط . ووزره
محطوط . وعمله بالصلاح منوط . وأمله بالنجاح مشروط . وملكه
بحفظ الله وكلائته مضبوط . والمذاهب مهذبة والمراتب
مرتبة . والأسباب محكمة والأحكام مسببة . والأحوال
حالية . والأعمال راضية . والمصالح مصونة . والمنافع
مضمونة . والرعية مرعية . والعوائد مرضية والقواعد
متأثلة . والمقاصد متحصلة والثغور مسدودة . والخطوب
مصدودة . وأصول الدولة ثابتة . وفروع الدولة نابتة . وماترك
أمرا بعده غير مستقيم ولا نهجا غير قوي . ولا خلاف لمن خافه
ما يحتاج الى تقريبه وتقريره . ولا أبقى لمن بقي له ما يفتقر الى ترتيبه
وتدبيره . وما خرج من الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية
داخل ، وبمخرجها الرابع الى دار المقامة راحل . ولم تكن له وصية
الا بالاستمرار على جادتها ، والاستكثار من مادتها ، والاستعداد
بسعادتها . والاستعداد لعيادتها ، وما بنيت القواعد الا على
اساس وصايا . ولا مضىيت العوائد الا على قياس
سجايها ، ولا أبرم الا ما عقده ، ولا أحكم الا ما أكد . واقتفيت آثاره .
واجتليت أنواره . واتبع ايثاره . وأتمرت في ائتمار الاوامر
الشريفة وأوامره ، ومن كان في نصرة الدولة الامامية الناصرية فان
الله ناصره . وما يفتخر العبد الا بما ورثه في ولائها من
الفخار . وبعثه من الأئمة الغزار . ونعشه برفعة من
العتار . وعرفه بعرفه المبر البار . ولا يتسم بالملك الا من يتسامى
بأنه لها مملوك . ولا يوصل الى السعادة الابدية الا مسلك الى
رضاها مسلوک ، ولئن مضى الوالد على طاعة امامه ، فالماليك
أولاده وأخوه في مقامه ، والأمر في كل مكان بالأمن والسكون جار
على نظامه . والكفر مغلول الغرب . مخذول الحزب . مجبول على
الرب . مغلول بقيد السلم عن الحرب . فان الله أجرى المشركين
مع كثرتهم على حكم القلة ، وخصهم لابقاء عزة الثغور الاسلامية
بالذلة ، وقد استمرت الحال الى الآن على الهينة ، وهم لا يؤمنون
اذا احسوا بالمكنة فان الغدر في طباعهم مركزوز ، والسوء في

غرائزهم مغروز ، والعبد أخذ بالحزم ، عائد بتأييد الله في العزم متيقظ لخوف غدرهم متحفظ من مكر مكرهم ، مستعد بكل مكان ، مستجد كل ما يفتقر اليه من نجدة وقوة بكل مكان . مستظهر بما تأكد له من مظاهره المواقف المقدسة في أموره . مستبشر وجه وجاهته منها بسفوره . ظاهر بقوته من ايدها وأياديه قوي بظهوره . مدلل بمسالكه من الموات الأكيدة . والسوابق الحميدة . والشوافع المقبولة . والذرائع الموصولة . وموقن ان الرعاية تدركه . وأن العناية تملكه ، وأن اختصاصه بفضيلة المائة القديمة يجد له فضل الاختصاص . وأن فاتحة الحمد منه والاخلاص تفتح له باب الاحماد والاستخلاص ، ولما قصر رجاءه على طوله بذلك الطول . وأنه يزداد بما يزدان به من الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة والدول . عول على القاضي ضياء الدين في المثل بالخدمة الشريفة وانهاء حاله ، والانتهاه الى مناجح آماله . والسفارة فيما يسفر عن صبح المرشد ، ونجح المقاصد ونصح العقائد . وشرح الأحوال في المصادر والموارد . وأن بلاغته وفيه بالابلاغ ، وملية باشباع القول في اعتفاء الطول المليء بالاسباغ . وقد فاضله فيما فوضه اليه . واعتمد في استنجاهه واستنجاهه عليه . ولا زالت ايادي الدار العزيزة دارة غزيرة . سارة أولياءها وباحياء موات مواتها جبيرة ان شاء الله تعالى

ذكر بعض مناقب السلطان رحمه الله

كان مشغوفاً في سبيل الله بالانفاق . موقوفاً عزمه في الأعداء بانداء الآجال وفي الأولياء بأجراء الارزاق . وماعقر في سبيل الله فرس أو جرح إلا وعوض ماله بمثله . وزاده من فضله . وحسب ما وهبه من الخيل العرب والاكاديش الجياد ، للحاضرين معه في صف الجهاد . مدة ثلاث سنين مذنزل الفرنج على عكا في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم انفضالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان

وثمانين . فكان تقديره اثني عشر ألف رأس من حصان
وحجر . وأكديش طمر وذلك غير ما أطلقه من المال . في اثمان الخيل
المصابة في القتال . ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او
موعود به وصاحبه ملازم في طلبه . ومحاضر اللقاء الا استعار
فرسا فركبه وهجر جياده فاذا نزل جاء صاحبه فاستعاده . فكلهم
يركب خيله . ويطلب خيره . وهو يستعير جوادها . ويستعر في
الجهاد اجتهدا ، وكان لا يلبس الا مايحل لبسه ، وتطيب به
نفسه . كالكتان والقطن والصوف .

وكسوته يخرجها في اسداء المعروف . وكانت محاضره مصونة
من الخطر . وخلواته مقدسة بالطهر . ومجالسه منزهة من
الهزل والهزل . ومحافله حافلة أهلة بأهل الفضل . وما سمعت له
قط كلمة تسقط . ولا لفظة فظة تسخط . يغلظ على الكافرين
الفاجرين . ويلين للمؤمنين المتقين . ويؤثر سماع الحديث
بالأسانيد . وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد . وكان
لداومة الكلام مع الفقهاء . ومشاركة القضاة في القضاء اعلم منهم
بالاحكام الشرعية . والاسباب المرضية والأدلة المرعية . وكان من
جالسه لا يعلم انه جليس السلطان . بل يعتقد انه جليس اخ من
الأخوان . وكان حليما مقيلا للعثرات . متجاوزا عن الهفوات . نقيا
تقيا . وفيها صفا . يغضي ولا يغضب . ويبشر ولا يتقطب . مارد
سائلا ، ولا صد نائلا ، ولا اخجل قائلا . ولا خيب أملا .

ومن جملة مناقبه انه تأخر عنه في بعض سفراته . الأمير ايوب
ابن كنان مشغولا بمهمات . فلما وصل سأل عن سبب تخلفه . وما
الذي وقفه عن موقفه . فذكر ان غرماء لجوا والحو . وضنوا
باطلاقه وشحوا . فأحضر غرماء وتقبل بالدين وتكفل بالعين .
وامرني بأن احيلهم على مصر فحسبتها وهي اثنا عشر ألف دينار
مصرية وكسر . فقدم نوابه وقاءها على الحمل لما عرفوا فيه من
بغض صون المال وحب البذل للأفضل .

ولما كنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة ابن

منقذ من مصر وهو بها نائبه . وقد وضحت في الكفاية مذاهبه ان واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستنض منها الف دينار وتسحب . وربما وصل الى الباب وتحيل وتمحل وخيل وكذب . فجاء الى السلطان من اخبره ان الرجل على الباب وخال انه اليه به تقرب . فقال قل له ان ابن منقذ يطلبك فأجهد أن لا تقع في عينه . فعجبنا من حلمه وكرمه بعد ان قلنا قدم الرجل بقدمه الى حينه . ومما اذكره له في أول سفري معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين . ووردت بها من فضله العذب المعين، أنه حوسب صاحب ديوانه . عما تولاه في زمانه . فكانت سياقة الحساب عليه سبعين الف دينار باقية عليه فما طلبها ولاذكرها . واره كأنه ما عرفها على ان صاحب الديوان ما اذكرها . وكان يرضى من الأعمال بما يحمل عفووا صافوا . ويحصل عذبا حلوا . وكله يخرج في الجود والجهاد . ورعاية الوفاق والقصاد ثم لم يرض لصاحب ديوانه المذكور بالعطلة . ولم ير انزواءه في بيت العزلة فولاه ديوان جيشه واولاه ما بنت له به مجاني جاهه وعيشه .

ولما كنا بظاهر حران في سنة احدى وثمانين عم بصدقاته الفقراء والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى الصفي بدمشق ان يتصدق بخمسة الاف دينار صورية فقلت له الذهب الذي عنده مصري . قال : فيتصدق بخمسة الاف مصرية . واشفق من صرف المصري بالصوري فيكون حراما . ويرتكب في كسب الأجر أثاما . فسمح ومنع وتاجر الله وربح . وسمعت بعد ذلك الصفي . وكان في الخير مجلي كل مضمار يقول: قد احصيت فقهاء المدارس بدمشق وكانوا ستمائة فأطلقت لهم ستمائة دينار.

ولما عزم على الرحيل من حران . أفاض بها الفضل وبعث الاحسان وقال لي يوم الرحيل . انظروكم بقي بالباب من الوافدين ابناء السبيل . وهذه ثلاثمائة دينار اقسمها عليهم بالقلم . وفضل على اقدارهم في القسم . وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشرة . ولم

تجده ميسره . فعينت لكل اسم قسما . وعنيت بهم خلقا مني ورسمنا
فبلغ اربعمائة دينار . ثم وقعت افكر واردد النظر اليه واكرر فسألني
ما الذي عملت . وهل قسمت المبلغ وكملت فقلت جرى قلمي بقسمة
اربعمائة دينار . فهل انقص من كل اسم ربعا ؟ فقال اجري ما جرى
به القلم واحسن صنعا ،

وكان رحمه الله اذا اطلق لعارف عارفة ، وقلت له هذه ما تكفيه
ردها مضاعفة . وكان اصحاب المظالم وارباب المطالب . والراغبون
في الرغائب والذاهبون في المذاهب . يحضرون عندي . ويعرفون في
انجاز امرهم وانجاح قصدهم بذل جهدي . فأكتب لهم توقعات
بمتوقعاتهم . وانتهي في الاملاء بنهاية مأمولاتهم . فيجربها
ويمضيها . ويضع علاماته فيها ويرتضيها . واذا افى توقيعا بخطي
علم فيه . ولم يقف بذشره على سر مطاويه . الفا بما افه من
صحبتي ومناصحتي . وكفاء للملمات وكفاية للمهمات بكفايتي .
وكان يأمرني باجابة كتب الملوك واصحاب الاطراف عن كتبهم في
حالاتي سلمهم وحربهم . وهي تشتمل على اسباب متنوعة وآراب
مذفرعة . بحسب الحوادث المتجددة ، والبواعث المتمهدة ، فإذا قلت
له بماذا اكتب وما الذي اخطب . فيقول انت اعرف . وبحسب ما
تعلم من حالنا تتصرف فاكتب من عندي بالاجابة . وتوافق منه
الاصابة فقد كنت مطلعاً على سره . مضطلعا بأمره ، ما يخفي عني
مراده . وانا اتيقن لمن ولاؤه ووداده . فأتي بمدانة الأغراض
ومداواة الأعراض وموازنة الجواهر والأعراض . والتمييز بين اهل
القبول واهل الأعراض . فكم اصلح قلمي بينه وبين من
عاداه . وراض الجامع من سخطه وقاده الى مدى رضاه .

وكان يغضب للكبائر . ولا يغضي عن الصغائر . ويرشد الى
الهدى ويهدي الى الرشاد . ويسد الامر ويأمر بالسداد ، فكان
مما ليكه وخواصه بل امراؤه واجناده اعف من الزهاد والعباد .
ورأى يوما لي دواة . بالفضة محلاة . فانكر حل الحلية . وادعى
حظر القنية . فقلت على سبيل المدافعة . وطريق المناظرة والممانعة .

أوليس تحل حلية السلاح . واستصحابه في الكفاح . فدواء دواتي
انجع . ومدد مدادي انفع . ويراع براعتي القصير اطول ، وسلاح
قلمي أجذ وأحد وأفذك وأقتل ، وما اجتمعت هذه العساكر الا سلامية
الا بقلمي ولا تفرقت جموع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي . فقال
ما هذا بدليل ولا يعيد تحريما الى تحليل . حتى قلت له ان الشيخ ابا
محمد والد الامام ابي المعالي قد ذكر وجها في جوازه ونحن نتبعه فلا
وجه مع هذا الوجه المحلل لمن يحظره ويمنعه . ثم لم اكتب بعدها
عنده الا من دواة الشبه . وتجذبت طرق الشبه وتركت المحلاة
مخلاه . وعادت الشبهية مجتباة مجتناه . وكان محافظا على
الصلوات الخمس في أوائل اوقاتها . مواظبا على اداء مفروضاتها
ومسنوناتها . فما رأيته صلى الا في جماعة ولم يؤخر له صلاة من
ساعة الى ساعة .

وكان له امام راتب ملازم مواظب . فان غاب يوما صلى به من
حضره من اهل العلم . اذا عرفه متقيا متجنبيا للآثم . وكنت للآثم
اياهم يقدمني اماما في الصلوات . ومستشارا في المشورات . وكان
يأخذ بالشرع ويعطي به . ويذوق من حل المال وطيبه . ويجود
بالوجود وبالمعدوم في الحال رجاء الوجود . فما تتجدد جنة الا
ويستوعبها انجاز الوعود . ولم يكن الى المنجم مصغيا . ولم يزل
لقوله ملغيا . فما عنده منجا لمن جاء بمين المنجمين ولا قبول لمنطق
المنطقيين . فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل
الشرع واستقصاء الدين في كل قاص ودان . ولا يتعيف ولا يتطير
ولا يعين وقتا ولا يتخير . بل اذا عزم توكل على الله . وأقبل على
محكم امرء واعرض عن مظان الاشتباه . فكم فل سفه ذي
الفلسفة . ودل بمعروفه في المعرفة . ومازال ناصرا للتوحيد . قاهرا
جمع اهل البدع بالتبديد . مستجليا سنى السنه . مستحليا جنى
الجنه . شافعي المذهب اصولا وفروعا . معتقدا له معقولا ومسموعا
يدينني اهل التنزيه . ويقصي اهل التشبيه . ويقيم استفادة فقه
الفقيه . واستزادة نباهة النبيه . ووجاهة الوجية . فالعاملون في
عدله . والعاملون في فضله والبلاد في امته . والعباد في منه . والبرية

في برسعيه . والاسلام في حماية حميته . والدين في ادالة دولته .
وشرعة الشريعة صافية بصفائه . ومادة المودة له وافية بوفائه .
وقامت بعده طريرة طريه . ومن العار عريه ، وببر البرية من
الشائبات والشائنات بريه . وبالحرية حرية . وبسرور السر سريه .
فقد عزت وفضلت وظهرت بعزيزها وافضلها وظاهرها ، وفخرت
بمفاخرها . ورويت بروائهم آثار مآثرها ، وتبجلت الآفاق وتأرجت
بحسن تباشيرها وطيب بشائرها ، وبرزت الأرض في ازهارها .
والسما في زواهرها . والحمد لله مجري الاقدار ومصفي
الاكدار ، ومدبر الليل والنهار ، ومدبر الايراد والاصدار ، وسلم
تسليما كثيرا آمين

الحواشي والهوامش

البرق الشامي

- (١) مطموس بالأصل .
- (٢) موقع ما يعرف اليوم باسم نبع السريا في حوران الذي تشرب منه بلدة الشيخ مسكين .
- (٣) مطموس بالأصل .
- (٤) ريموند الثالث صاحب طرابلس .
- (٥) طمس بالأصل بثلاثة أسطر .
- (٦) مطموس بالأصل .
- (٧) النسخة التي اعتمدت عليها هي نسخة وحيية لا يعلم الآن مكان وجودها ، سوى أنه سبق للمرحوم المختار السوسي أن أودع عنها شريطا مصورا في الخزنة العامة بالرباط . وقد لحق النسخة بعض الطمس ، وخطها مغربي من الصعب التعامل معه ، وهذا الحال أضاف لي لفة العماد معوقات وعراقل جعلتني رغم ما بذلته من جهد غير مطمئن تمام الاطمئنان . وقد اكتفيت بهذا النص كنموذج ، وقيما وجد أبو شامة - صاحب الروضتين - التعامل مع البرق الشامي أمرا صعبا ، ولعله لم يكن قادرا على قراءة النص الكامل للكتاب أو وجد قلة الفائدة في ذلك لهذا اقتبس منه بضع فقرات من هنا وهناك - انظر الروضتين : ٢ : ٧٤ - ٨٢ . وخيرا فعل الفتح البنداري فيما بعد حين أقدم على تهذيب بعض كتب العماد ، وكان منها البرق الشامي هذا .

(الفتح القسي)

- ١ - الصيلة : قولك حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، القاموس
- ٢ - الوحش : الرديء من كل شيء ، ورنال الناس ، القاموس .
- ٣ - كرتة الغم : اشتد عليه ، القاموس .
- ٤ - طفر : قفز ، القاموس
- ٥ - الداء : البحر ، القاموس .
- ٦ - النهيت : الزئير . القاموس .
- ٧ - سحابة دلوخ : كثيرة الماء ، القاموس .
- ٨ - الريح تحركت فهي نؤوج ، وللريح نثيج : اي مر سريع ، القاموس .
- ٩ - بلغ : تكبر ، القاموس .
- ١٠ - بظاهر بلدة نوى في حوران سورية
- ١١ - في وادي الارين قرب عقبة أفيق .
- ١٢ - الاوام : البخان ، القاموس .
- ١٣ - السلت : القطع والاستئصال .
- ١٤ - ابن بارزان هو بالين صاحب يبنى ، والقومص هو ريموند الثالث صاحب طرابلس .
- ١٥ - البيكار فارسي معرب يعني الحرب .
- ١٦ - يقق ، ابيض القاموس .
- ١٧ - طحرت العين : قذاها ، القاموس .
- ١٨ - اي تنعدم الاهوات فيها .
- ١٩ - الامرء : الابيض ، القاموس .
- ٢٠ - اي بحيرة قطينة خارج مدينة حمص .
- ٢١ - حامت : شديد الحلاوة ، القاموس .
- ٢٢ - الاطعمة التفهة : ما ليس لها طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة ، القاموس .
- ٢٣ - المنذر : فرس فيه نكت فوق البرش ، القاموس .
- ٢٤ - السمند : الفرس ، والغبسة : الظلمة أو بياض فيه كدرة رماد ، القاموس .
- ٢٥ - الشوار : اللباس والسمن والزينة ، القاموس .
- ٢٦ - الحلاهل : السيد الشجاع ، القاموس .
- ٢٧ - الحصن : حلق الشعر ، القاموس .
- ٢٨ - العنق سير فيه تيجتر والنميل السير اللين ماكان فوق العنق ، القاموس .
- ٢٩ - الارى العسل ، القاموس .
- ٣٠ - لثق يومنا : ركبت رحمة وكثر نداء ، القاموس .
- ٣١ - الاوام : العطش ، القاموس .
- ٣٢ - أمهى السمن والشراب : أكثر ماء ، وأمهى الحديدية : أحدها وساقاها الماء ، القاموس .
- ٣٣ - انعط العود : تنثي من غير كسر ، القاموس .
- ٣٤ - اللوب : العطش ، أو استنارة الحائم حول الماء وهو عطشان لا يصل اليه ، القاموس .
- ٣٥ - ابهى الخيل : عطلها من الفزو ، والباهي من البيوت : الخالي المعطل ، القاموس .

- ٣٦ - الضفور : السبوغ والكثرة وفيضان الحوض ، القاموس .
٣٧ - رجل نيق : كيس ، والنيق : أرفع موضع بالجبل ، القاموس .
٣٨ - السوننيق : الصدق أو الشامين ، القاموس .
٣٩ - تنقل : أزيد ، القاموس .
٤٠ - حدمة النار : شدة اشتعالها ، القاموس .
٤١ - خطا لحمه : اكتنز ، القاموس .
٤٢ - باركاه : فارسية تعني خيمة ملكية ، أو جناح استقبال ملكي .
٤٣ - كذا بالأصل وهو وهم فلعله أراد قوله تعالى « كذلك نجزي كل كفور » (فاطر ٣٦) ولم يرد قوله جل وعلا « كذلك نجزي من شكر » (القمر ٣٥)
٤٤ - الكهور من السحاب قطع كالجبال ، أو المتراكم منه ، القاموس .
٤٥ - السنني : ضوء البرق والنار ، والسنور : الدروع أو السلاح . القاموس اللسان .
٤٦ - أي الثغرية أو الحدونية .
٤٧ - الغرب : الذشاط والتماني والحنة ، القاموس .
٤٨ - السنور جملة السلاح ، القاموس .
٤٩ - اللأماء : البحر ، القاموس .
٥٠ - الجماء : الفغير. النهاية لابن الأثير .
٥١ - التاريخ : الاغراء بين القوم وإيقاد النار ، القاموس .
٥٢ - القونس : ما يوضع على أعلى الرأس ، القاموس .
٥٣ - التامور : علة القلب ودمه ، النهاية لابن الأثير .
٥٤ - الوج : القطا والنعام ، القاموس .
٥٥ - حزا : خمن أو حزر وقدر ، القاموس .
٥٦ - ضبر : وثب ، القاموس .
٥٧ - المشق : السرعة في الطعن والضرب ، القاموس .
٥٨ - الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، القاموس .

المحتوى

٣ - قوطنة

- ٧ - من كتاب البرق الشامى
- ٧ - سنة ثلاث وثمانين
- ١٠ - ذكر سرية الافضل على
- ١٣ - ذكر الدخول الى الساحل
- ١٦ - ذكر ما اعتمده الفرنج
- ١٨ - فتح طبرية
- ٢١ - ذكر مسير السلطان لعزم اللقاء
- ذكر الذشاب ووصفه
- ٢٤ - ذكر يوم حطين

☆☆☆☆

- ٢٣ - كتاب الفتح المسمى
- ٤٧ - ذكر ما كان بين ملك الفرنج وبين القومص من خلاف
- ٤٨ - ذكر دخول السلطان صلاح الدين الى بيار الفرنج
- ٥١ - ذكر فتح طبرية
- ٥٦ - ذكر الصليب الاعظم
- ٥٧ - ذكر فتح حصن طبرية
- ٥٧ - ذكر ما اعتمده في الاسارى الداوية والاسبقارية
- ٥٨ - ذكر فتح عكا
- ٦١ - فتح عنة من البلاد
- ٦١ - فتح الناصرة وصفورية
- ٦٢ - فتح قيسارته
- ٦٢ - فتح نابلس
- ٦٣ - فتح الفولة
- ٦٤ - فتح تبينين
- ٦٦ - فتح صيدا
- ٦٧ - فتح بيروت
- ٧٠ - فتح جبيل
- ٧١ - هلاك القومص ودخول المركيس الى صور .
- نر - فتح عسقلان
- ٧٥ - فتح القدس
- ٧٦ - كنيسة قمامة
- ٧٩ - وصف البيت المقدس

- ٧٠ - ذكر يوم الفتح
- ٨٦ - ذكر حالي في العود الى الخدمة
- ٨٧ - حال الفرنج في خروجهم من القدس
- ٨٩ - ما اظهر السلطان في القدس
- ٩٢ - وصف الصخرة
- ٩٥ - مهرباب داود
- ٩٨ - ماجرى بعد فتح القدس
- ١٠٠ - حصار صور
- ١٠٥ - ما تم على الاسطول
- ١٠٨ - خروج الفرنج للقتال
- ١١٠ - ما بهروه من الراي
- ١١٢ - فتح حصن هونين
- ١١٦ - استشهاد محمود اخي جاولي
- ١١٨ - نزول السلطان على عكا
- ١١٩ - ورود رسل
- ١٢٠ - وصول اخو العماد
- ١٢٦ - رسالة الى اليمن
- ١٣٥ - سنة اربع وثمانين وخمسمائة
- ١٣٦ - حال الكرك
- ١٣٩ - عمارة عكا على يد قراقوش
- ١٤٠ - وصول رسول سلطان الروم قليج ارسلان
- ١٤٢ - رحيل السلطان صوب دمشق
- ١٤٦ - وصول عماد الدين صاحب سنجار
- ١٥٥ - فتح جبلة
- ١٥٧ - فتح اللاذقية
- ١٦١ - فتح صهيون
- ١٦٤ - فتح بكاس والشفر
- ١٦٦ - فتح برزية
- ١٧١ - فتح دريساك
- ١٧٢ - فتح بغراس
- ١٧٣ - الهدنة مع انطاكية
- ١٧٤ - عود عماد الدين ثم عود السلطان الى دمشق
- ١٧٧ - فتح الكرك
- ١٧٨ - محاصرة صدد
- ١٧٩ - حصار كوكب
- ١٨١ - فتح كوكب
- ١٨٤ - سنة خمس وثمانين وخمسمائة
- ١٨٥ - رسول من دار الخلافة
- ١٨٧ - رسالة الى بغداد
- ١٩١ - حصار شقيف اردون
- ١٩٤ - اقامة السلطان بمرج عيون
- ١٩٧ - استشهاد عدة من أمراء العرب

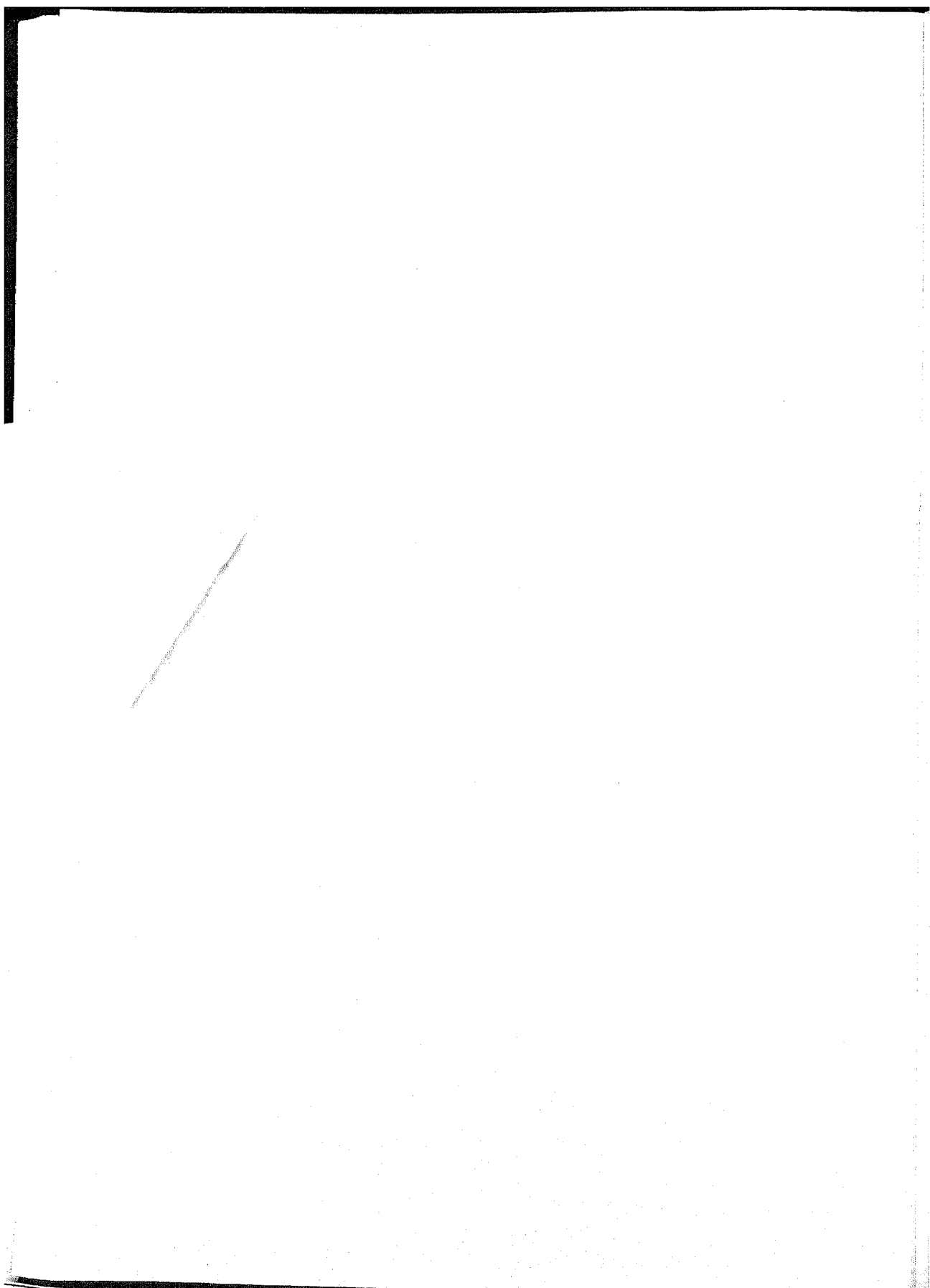
- ١٩٩ - مسير الفرنج الى عكا
- ٢٠٥ - وقعة يوم الاربعاء
- ٢٠٦ - وفاة حسام الدين طمان
- ٢٠٧ - واقعة للعرب
- ٢٠٨ - الواقعة الكبرى
- ٢١١ - نصرة بعد كسرة
- ٢١٢ - رسالة الى بعض الاطراف
- ٢١٦ - عرض المساكر
- ٢١٧ - استرجاع ما نهب من الثقل
- ٢١٨ - مشاورات حول عكا
- ٢٢١ - الرحيل الى الخروية
- ٢٢٣ - ما جرى بعد ذلك من حوادث
- ٢٢٤ - وصول ملك الالماني
- ٢٢٥ - رسالة الى دار الخلافة
- ٢٢٧ - وصول الملك العادل
- ٢٢٩ - رسالة الى بغداد
- ٢٣١ - وصول الاسطول المنصور
- ٢٣٢ - رسائل متنوعة
- ٢٣٤ - تقوية عكا
- ٢٣٥ - حال نساء الفرنج
- ٢٣٨ - ما اهداه صاحب الموصل من سلاح وعتاد
- ٢٣٩ - ذكر صاحب سنجار
- ٢٤١ - وصول رسول سلطان العجم
- ٢٤٣ - وقعة الرمل
- ٢٤٤ - حال عكا
- ٢٤٦ - رسول من دار الخلافة
- ٢٤٨ - مقاتلة الافرنج عكا بالابراج
- ٢٥٠ - احراق الابراج الثلاثة
- ٢٥٣ - رسائل بشارت
- ٢٥٧ - تاريخ وصول الاكابر هذه السنة
- ٢٥٩ - كتاب الى صاحب الموصل
- ٢٦٠ - وصول الاسطول من مصر
- ٢٦٠ - رسالة حول الاسطول
- ٢٦٣ - قصة ملك الالماني
- ٢٦٩ - رسالة الى بغداد عن ملك الالماني
- ٢٧٠ - كتاب استفاد
- ٧٢ - الواقعة العادلية
- ٢٧٦ - حال الفرنجة
- ٢٧٩ - وصول الكنديهري
- ٢٨١ - حريق المنجريات
- ٢٨٢ - وصول بطسة من بيروت
- ٢٨٣ - وصول بطس القلة من مصر

- ٢٨٤ - كتاب الى سيف الاسلام
٢٨٥ - ذكر عيسى القوام
٢٨٥ - وصول ولد ملك الالمان
٢٨٧ - برج الذبان
٢٩٠ - الكبش وحريقه
٢٩٣ - حوادث تجددت
٢٩٥ - وفاة زين الدين صاحب اربل
٢٩٧ - ذوبة رأس الماء
٣٠٠ - كتاب في المعنى
٣٠٢ - وقعة الكمين
٣٠٣ - كتاب بشرح الحال
٣٠٤ - هجوم الشتاء
٣٠٦ - كتاب الى صاحب الموصل
٣٠٧ - ما تجدد هذه السنة
٣١٢ - الشهباء هذه السنة
٣١٥ - ما تجدد من الحوادث
٣١٨ - جماعة وصلوا من عسكر الاسلام
٣١٩ - وصول ملك افرنسيس
٣٢٠ - نادرة
٣٢١ - وصول ملك الانكثير الى قبرص
٣٢٣ - قصة الرضيع
٣٢٥ - انتقال السلطان الى تل العياضية
٣٢٦ - وصول ملك الانكثير
٣٢٨ - غرق البطسة
٣٢٨ - حريق الدبابة
٣٢٩ - وقعات هذا الشهر
٣٣٣ - مفارقة المركيس القوم
٣٣٣ - من وصل من العساكر الاسلامية
٣٣٥ - ضعف عكا
٣٣٦ - كتاب الى صاحب الموصل
٣٣٨ - خروج رسل الافرنج
٣٣٩ - ضعف الثغر
٣٤١ - خروج المشطوب الى ملك الافرنسيس
٣٤١ - هرب جماعة من عكا
٣٤٢ - كتاب الى اربل
٣٤٣ - ماجرى من الحال
٣٤٥ - جماعة من العسكرية وصلوا
٣٤٦ - سقوط عكا
٣٥٢ - كتاب الى نور الدين بن قرا أرسلان
٣٥٢ - رسالة الى اربل
٣٥٦ - ماجرى عليه الحال بعد سقوط عكا
٣٥٨ - غدر ملك الانكثير باشرى المسلمين

- ٣٦٠ - رحيل الفرنج صوب عسقلان
- ٣٦٣ - كتاب الى اربل
- ٣٦٤ - وقعة قيسارية
- ٣٦٥ - مقتل اياز الطويل
- ٣٦٦ - وقعة لعز الدين بن المقدم
- ٣٦٧ - وقعة ارسوف
- ٣٧٠ - رسالة الى بغداد
- ٣٧٢ - دخول الفرنج يافا
- ٣٧٣ - خراب عسقلان
- ٣٧٥ - كتاب الى بغداد
- ٣٧١ - ما تجد لملك الانكثير
- ٣٧٨ - نزول السلطان بالرملة
- ٣٧٩ - وقعة الكمين
- ٣٨٠ - اجتماع العادل بملك الانكثير
- ٣٨١ - الرحيل الى القدس
- ٣٨٢ - يوم عيد الاضحى بالقدس
- ٣٨٢ - وقعة الافرنج
- ٣٨٣ - عمارة القدس
- ٣٨٤ - وفاة تقي الدين عمر
- ٣٨٨ - وفاة حسام الدين عمر
- ٣٩٣ - رسائل حول القدس
- ٣٩٤ - رسالة شكر الى صاحب الموصل
- ٣٩٨ - حوادث مع الفرنج هذه السنة
- ٣٩٩ - ثلاث سرايا
- ٣٩٩ - سرية فارس الدين ميمون القصري
- ٤٠٠ - خروج المشطوب من الاسر
- ٤٠٠ - هلاك المركيس
- ٤٠٢ - استيلاء الفرنج على الداروم
- ٤٠٤ - كبسة الفرنج عسكر مصر
- ٤٠٦ - سبب غيبة العادل والافضل
- ٤٠٧ - رحيل ملك الانكثير صوب عكا
- ٤٠٨ - نزول السلطان على يافا
- ٤١٠ - رسالة الى بغداد
- ٤١٢ - الهيئة العامة
- ٤١٤ - رسالة الى بغداد عن نوبة يافا والهيئة
- ٤١٧ - ماجرى بعد الصلح
- ٤١٨ - ما عزم عليه السلطان
- ٤١٩ - خروج السلطان نحو دمشق
- ٤٢١ - وصول السلطان الى بيروت ودخول صاحب انطاكية عليه
- ٤٢٣ - وصول السلطان الى دمشق
- ٤٢٩ - وفاة السلطان بدمشق
- ٤٣٠ - اولاد السلطان

- ٦٢٤٦ -

- ٤٣١ - من تولى ممالك السلطان بعده
- ٤٣٢ - ذكر من تولى دمشق
- ٤٣٤ - ذكر حلب ومن تولاها
- ٤٣٥ - ذكر الملك العادل
- ٤٣٦ - الشامتون بوفاة صلاح الدين
- ٣٤٨ - رسالة باسم الافضل الى بغداد
- ٤٤٠ - ذكر سيف الاسلام باليمن
- ٤٤٥ - رسول الافضل الى دار الخلافة
- ٤٤٩ - بعض مناقب صلاح الدين
- ٤٥٦ - الحواشي والهوامش







 Bibliotheca Alexandrina



0414652